[عليهـا][1] حَرْبا ، وصرف إليها آهتمامَه فرجع كلُّ متضايِقٍ من أمورها واسعًا رَحْبا ، وَمَنَع أميرَ المؤمنين عند القدوم عليه حُنُوًّا وعَطْفا ، وأظهر من الولاء رغبةً فى [ثواب][1] الله ما لا يَخْفَى ، وأبدى من الاهتمام بأمر البَيْعة أمرًا لو رامه غيرُه لامتنع عليـه ، ولو تمسَّك بحَبْله متمسِّكٌ لانقطع به قبل الوصول إليه ، ولكن الله آدّخر هذه الحسنة لِيُثقِل بها [فى][1] الميزان ثَوابَه ، ويُخفِّف بها يوم القيامة حسابَه ، والسعيد من خُفِّف حسابُه ! فهذه مَنْقَبةٌ أَبَى الله إلا أن يُخلِّدها فى صحيفة صُنْعِه ، ومَكْرُمةٌ قَضَتْ[2] لهـذا البيت الشريف بجمعه ، بعد أن حصل الإياس من جمعه . وأميرُ المؤمنين يشكر لك هذه الصنائع ، و يعترف أنّه لولا آهتمامك لاتّسع الخَرْقُ على الراقـع ؛ وقد قلّدك الديارَ المصريّةَ والبلاد الشاميّة ، والديارَ بَكْرِيّة ، والحجازيّة واليَمَنِيّة والفُراتيّة ؛ وما يتجدّد من الفتوحات غَوْرًا ونَجْدا ، وفَوّض أمرَ جنـدها ورعاياها إليـك حين أصبحتَ[3] بالمكارم فَرْدا » . ثم أخذ فى آخر التقليد[4] يذكر فضل الجهاد والرفق بالرعيّة وطوّل فى الكلام إلى الغاية . وهذا الذى ذكرناه من نسخة التقليد هو المراد .

ثم إنّ الملك الظاهر وَلّى الأمير علم الدين سَنْجَر الحَلَبىّ[5] نيابةَ حلب لمّا بلغه أن البرلى[6] تغلّب على حلب ، وسيّر معه عسكرًا فسار إليها الأمير علم الدين سَنْجَر الحلبىّ ، ودخل إليها وملكها وخرج منها البرلى وتوجّه إلى الرَّقّة . ثم حَشَـد وجمع العساكر وأخذ البيرة ، ثم عاد إلى حلب وأخرج منها الحلبىّ بعد أمور ووقائع جرت بينهم . فلمّا بلغ الملك الظاهر ذلك عزم على التوجّه إلى البلاد الشاميّة ، و برز من القاهرة

(١) الزيادة عن السلوك وعقد الجمان . (٢) فى الأصلين : «نصبت» ، وما أثبتناه عن السلوك وعقد الجمان . (٣) فى الأصلين : «حتى أصبحت» ، وما أثبتناه عن السلوك وعقد الجمان .
(٤) راجع نسخة هذا التقليد فى مصادر [illegible] فى حوادث سنة ٦٥٩ هـ .
(٥) ودخل [illegible] وكان قد استولى على دمشق وتسمى بالملك المجاهد ثم قبض عليه [illegible] . (٦) هو الأمير آقوش بن عبد الله العزيزى شمس الدين المعروف بالبرلى [illegible] ، وفى أحد [illegible] السلوك : «البرلى» .

ومعه الخليفة المستنصر وأولادُ صاحب المَوْصِل، وكان خروجهم الجميع من القاهرة في تاسع عشر شهر رمضان بعد أن رتَّبَ السلطان الأمير[1] عِزّ الدين أَيْدَمُر الحَلَبِي نائب السلطنة بقلعة الجبل، والصاحب بهاء الدين بن حِنّا مدبر الأمور، وخرج مع السلطان العساكر المصريّة وأقام بِبِرْكة الجُبّ[2] إلى عيد الفِطْر، ثم سافر في ثالث شوّال بعد ما عزَل قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأَعَزّ عن القضاء ببُرْهان الدين خَضِر السِّنْجاريّ، وسار السلطان حتّى دخل دِمَشْق في يوم الاثنين سابع ذي القعدة، وقَدِم عليه الملك الأَشْرَف صاحب حِمْص فخلَع عليه وأعطاه ثمانين ألف دينار وحِمْلين ثيابًا، وزاده على ما بيده من البلاد تَلّ باشر[3]؛ ثم قَدِم عليه الملك المنصور صاحب حَمَاة فخلَع عليه وأعطاه ثمانين ألف درهم وحِمْلين ثيابا، وكتب له توقيعًا ببلاده التي بيده؛ ثم جهّز السلطان الخليفة وأولادَ صاحب الموصل صحبته بتجمُّل زائد وبَرْك[4] يُضاهي بَرْك السلطان من الأَطْلاب والخيول والجمال وأرباب الوظائف من الكبير إلى الصغير؛ قيل: إنّ الذي غَرِمه السلطان الملك الظاهر على تجهيز الخليفة وأولاد صاحب المَوْصِل فوق الألف ألف دينار عَيْنًا.
ثم جهّز السلطان الأمير علاء الدين أَيْدِكين البُنْدُقْدارِيّ لنيابة السلطنة بحلب، وأَيْدِكين هذا هو أستاذ الملك الظاهر بيبَرْس صاحب الترجمة المقدّم ذكره. فسبحان من يُعِزّ ويُذِلّ! وبعث السلطان مع البُنْدُقْدارِيّ عسكرا لمحاربة البرلي وصحبته أيضا الأمير بَلَبان الرشيديّ فخرج من دِمَشْق في منتصف ذي القعدة، ولما وصل حماة خرج البرلي وقصد حَرّان فتبعه الرشيديّ بالعساكر، ودخل علاء الدين البُنْدُقْدارِيّ

(١) سيذكر المؤلف في حوادث سنة ٦٦٧ هـ.
(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.
(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٠٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.
(٤) البرك: هو متاع السفر وجمعه أبراك (التكملة لدوزي ص ٢٥٣ ب).

إلى حلب؛ ثم عاد الرُّشيدىّ إلى أنطاكية ثم رحل عنها بعد ما حاصرها مدّة لمّا سمع عَوْد الملك الظاهر إلى مصر .

وأمّا الخليفة فإنّه لمّا توجّه نحو العراق ومعه أولاد صاحب المَوْصل، وهم : المَلِك(١) الصالح وولده علاء الدين(٢) والملكُ(٣) المجاهد سيف الدين صاحب الجزيرة، والملك المظفَّر(٤) علاء الدّين صاحب سِنْجار ، والملك الكامل ناصر الدين محمد ، فلمّا وصلوا صحبة الخليفة إلى الرَّحْبة وافَوْا عليها الأمير يزيد بن علىّ بن حديثة(٥) أمير آل فضل وأخاه الأخرس في أربعمائة فارس من العرب . وفارق الخليفةُ أولاد صاحب الموصل من الرَّحْبة، وكان الخليفة طلب منهم المسير معه فأبَوْا، وقالوا : مامعنا مرسومٌ بذلك، وأرسلوا معه من مماليك والدهم نحو ستّين نفرًا فآنضافوا إليه ، ولحِقهم الأمير عز الدين أيدكين(٦) من حَماة ومعه ثلاثون فارسا . ورَحل الخليفةُ بمَنْ معه من الرُّحْبة بعد ما أقام بها ثلاثة أيّام ، ونزل مشهد علىّ(٧) — رضى الله عنه — ثم رحَل إلى قائم عُنقه، ثم إلى عانَة(٨) فوافَوْا الإمامَ الحاكم بأمر الله العبّاسىّ على عانة من ناحية الشرق ومعه نحو سبعمائة فارس من التُّرْكُمان . وكان البرنلى قد جهّزه من حلب ، فبعث الخليفة المستنصر بالله إليهم وآستمالهم ، فلمّا جاوزوا الفُرات فارقوا الحاكمَ فبعث إليه المستنصر بالله يطلبه إليه ويؤمّنه على نفسه ويُرغّب إليه في آجتماع الكلمة،

(١) هو الملك الصالح إسماعيل ركن الدين ابن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٦٠ هـ .   (٢) كذا في الأصلين وشذرات الذهب . وفي المنهل الصافي والسلوك وحوادث الجامعة : «علاء الملك» .   (٣) هو الملك المجاهد سيف الدين إسحاق بن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ (عن المنهل الصافي) .   (٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص [illegible]٠٣ من هذا الجزء .   (٥) في الأصلين هنا : «ابن حديثة» . والتصحيح عن الحاشية رقم ١ ص ١٠٩ من هذا الجزء .   (٦) في [illegible] : «عز الدين بركة» .   (٧) كذا في الأصلين . وفي تقويم البلدان لأبي الفداء [illegible] : «[illegible]» . وهي مدة [illegible] تدخل في واد إلى عانة .
(٨) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٠٥ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

فأجاب ورحّل إليـه ، فوفّى إليه المستنصر وأنزله معه فى الدّهليز . وكان الحـاكم لـمّـا نزل على عَانَة آمتنع أهلها منه ، وقالوا : قد بايع الملكُ الظاهر خليفةً وهو واصل فما نسلّمها إلّا إليه ؛ فلمّا وصل المستنصر بالله إليها نزل إليه نائبها وكريم الدين ناظرها وسلّماها إليه وحَمَلا له إقامةً ، فأقطعها الخليفة للأمير ناصر الدين أغلمش (١) أخى الأمير علم الدين سَنْجَر الحَلَبىّ . ثم رحَل الخليفةُ عنها إلى الحَدِيثة ففتحها أهلها له ، فجعلها خاصًّا له ، ثم رحَل عنهـا ونزل على شـطّ قرية الناووسة (٢) ؛ ثم رحل عنها قاصـدًا هِيت (٣) ، ولمّـا آتّصل مجىء الخليفة المستنصر بالله بقَرَابُغَا مقدّم عسكر التّتَار بالعراق ، وبَهَادُر (٤) على الخُوَارَزْمىّ شِحْنة بغداد وخرج قَرَابُغَا بخمسـة الآف فارس من التّتَار على الشطّ العراقى وقصد الأنبار ، فدخلها إغارةً ، وقتل جميع مَن فيها ، ثم ردّفه الأمير بَهَادُر على الخُوَارَزْمىّ بمَن بَقِى ببغداد من عساكر التّتار ، وكان قد بعث ولده إلى هِيت متشوّقًا لِـمَا يرد من أخبار المستنصر ، وقرّر معه أنّه إذا آتّصـل به خبرُه بعث بالمراكب إلى الشطّ الآخر وأحرقها ؛ فلمّـا وصل الخليفة هِيتَ أغلق أهلُها الباب دونه ، فنزل عليها وحاصرها حتّى فتحها ، ودخلها فى التاسع والعشرين من ذى الحجّة ، ونَهَب من فيها من اليهود والنّصارى ؛ ثم رحَل عنهـا ونزل الدور (٥) وبعث طليعةً من عسكره مقدّمها الأمير أسد الدين محمود آبن الملك المفضّل موسى ، فبات تُجاه الأنبار (٦) تلك الليلة ، وهى ليلة الأحد ثالث المحرّم من سنة ستين وستمائة ؛ فلمّا رأى قرابغا

(١) فى النهج السديد : « علمش » . (٢) فى الأصلين : « المـاووسة » . والتصحيح عن معجم البلدان لياقوت . والناووسة : قرية من قرى هيت لها ذكر فى الفتوح مع ألوس .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧ من الجزء الثالث من هذه الطبعة .

(٤) فى الحوادث الجامعة لابن الفوطى : « على بهادر » .

(٥) الدور : عدة مواضع بأرض العراق من نواحى بغداد . (راجع معجم البلدان لياقوت) .

(٦) الأنبار : مدينة على الفرات فى غربى بغداد ، بينهما عشرة فراسخ . (عن معجم البلدان لياقوت) .

الطليعة أَمَر مَن معه من العساكر بالعُبور إليها في المخائض والمراكب ليلًا ، فلمّا أسفر الصبح أفرد قَرَابُغَا من معه من عسكر بغداد ناحيةً .

وأمّا الخليفة فإنّه رتّب اثنى عشر طُلْبًا ، وجعل التُّرْكُمَانَ والعُرْبان ميمنةً وميسرةً وباقي العساكر قَلْبًا ؛ ثم حَمَل بنفسه مبادرًا وحَمَل من كان معه في القلب فانكسر بَهَادُر ، ووقع معظمُ عسكره في الفُرات ؛ ثم خرج كَمِينٌ من التّتار ، فلمّا رآه التُّرْكُمَانُ والعرب هربوا ، وأحاط الكمينُ بعسكر الخليفة فصدَق المسلمون الحملةَ ، فأفرَجَ لهم التّتار ، فنجا الحاكم وشرف الدين بنُ مُهَنّا (١) وناصر الدين بن صَيْرَم وبُوزَنا (٢) وسيف الدين بَلَبَان الشّمسي وأسد الدين محمود وجماعة من الجند نحو الخمسين نَفَرًا ، وقُتِل الشريف نَجْم الدين [جعفر] (٣) أستادار الخليفة ، وفتح الدين بن الشهاب أحمد (٤) ، وفارس الدين [أحمد] (٣) بن أَزْدَمُر اليَغْمُوري ، ولم يُوقَع للخليفة المستنصر على خبر ، فقيل إنه : قُتِل في الوقعة وعُفِّي أثرُه ؛ وقيـــل : إنّه نجا مجروحًا في طائفة من العرب ، فمات عندهم ؛ وقيل : سلم وأضمرته البلاد .

وأمّا السلطان الملك الظاهر بِيبَرْس فإنّه لمّا عاد إلى مصر عاد بعده بَلَبَان الرشيدى في أثره وعاد البرنلي إلى حلب ودخلها وملكها ، فجهّز إليه الملك الظاهر عسكرا ثانيا عليهم الأمير شمس الدين سُنْقُر الرومي ، وأمره بالمسير إلى حلب ، ثمّ إلى الموصل وكتب إلى الأمير علاء الدين طَيْبَرْس نائب السلطنة بدمَشْق وإلى الأمير علاء الدين أَيْدِكِين البُنْدُقْدَارِي يأمرهما أن يكونا معه بعسكرهما حيث توجه بتوجّه الجميع ، فسار الجميع إلى جهة حلب ، فخرج البرنلي من حلب وقد بلغه اقتراب أَيْدَكين

---

(١) في الأصلين : « ناصر الدين » وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٠٩ من هذا الجزء .

(٢) في عيون التواريخ وعقد الجمان : « بوزبا » . (٣) الزيادة عن السلوك

(٤) في النجم السديد : « وفتح الدين اليغموري » .

البُنْدُقْدَارِىّ حلب . ثم جاء مرسوم السلطان بتوجّه البُنْدُقْدَارِىّ إلى حلب، ويعود طَيْبَرْس إلى دِمَشق ويعود سُنْقُر الرومىّ إلى مصر، فعاد الرومىّ إلى القاهرة . فلمّا اجتمع بالسلطان أوغر خاطره على طَيْبَرْس، فكان ذلك سبباً للقبض على طَيْبَرْس المذكور وحبسه بالقاهرة مدّة سنين .

ثم وصل إلى الديار المصريّة فى السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر(1) الإمام الحاكم بأمر الله أبو العبّاس أحمد ابن الأمير أبى علىّ الحسن ابن الأمير أبى بكر بن الحسن بن(2) علىّ القُبِّى(3) ابن الخليفة المسترشد بالله أبى منصور الفضل ابن الخليفة المستظهر بالله أحمد العبّاسىّ .

قلت : ومن المستظهر يُعرف نسبه من ترجمة المستنصر وغيره من أقاربه إلى العبّاس . ووصل صحبته شمس الدين صالح بن محمد بن أبى الرشيد الأسدىّ الحاكىّ المعروف بابن البنّاء وأخوه محمد ونجم الدين محمد، واحتفل الملك الظاهر بيبرس بلقائه وأنزله بالبُرْج(4) الكبير داخل قلعة الجبل، ورتّب له ما يحتاج إليه، ووصل معه ولده . وبايعه بالخلافة فى يوم الخميس تاسع المحرّم من سنة إحدى وستين بقلعة الجبل . وكانت المسلمون بلا خليفة منذ استُشْهِد الخليفة المستنصر بالله فى أوائل

---

(١) فى تاريخ الدول والملوك لابن الفرات : « من شهر ربيع الأوّل » . (٢) اختلف فى نسبه، والمشهور عند نسابة مصر أنه أحمد بن الحسن بن أبى بكر ابن الأمير أبى على القبى ابن الأمير حسن ابن الراشد ابن المسترشد ابن المستظهر . وعند الشرفاء العباسيين أنه أحمد بن أبى بكر على بن أبى بكر أحمد ابن الإمام المسترشد الفضل ابن المستظهر (راجع تاريخ ابن الوردى وتاريخ أبى الفدا) .

(٣) ضبط بالعبارة فى الدرر الكامنة (بضم القاف وتشديد الموحدة) .

(٤) البرج الكبير داخل القلعة : من المعاينة تبين لى أنه لايوجد الآن برج كبير قائم بذاته وسط مبانى القلعة، ومن المرجح أن هذا البرج قد زال بسبب التغييرات التى أدخلها الملك الناصر محمد بن قلاوون على أبنية القلعة إلا أنه لايزال الى الآن عدّة أبراج فى السور الخارجى المحيط بقلعة الجبل، نذكر منها برج الزاوية وبرج الصحراء وبرج الحداد وبرج الرملة وبرج الإمام وبرج المبلط وبرج المقطم وبرج الطبلة .

السنة الحالية[1] ، وجلس السلطان بالإيوان لَبيْعته وحضر القضاة والأعيان وأرباب الدولة ، وقرئ نسبه على قاضى القضاة وشَهِد عنـده جماعةٌ بذلك ، فأثبته ومدّ يدَه وبايعه بالخلافة ، ثم بايعه السلطان ثم الوزير ثم الأعيان على طبقاتهم ، وخُطِب له على المنابر ، وكتَب السلطان إلى الأقطار بذلك وأن يخطبوا باسمه ، وأُنْزِل إلى مناظر الكَبْش[2] فسكن بها إلى أن مات فى ليلة الجمعة ثامن عشر جُمادى الأولى سنة إحدى وسبعمائة ودُفِن بجوار السيّدة نفيسة ، وهو أوّل خليفة مات بالقـاهرة من بنى العبّاس حسب ما يأتى ذكره — إن شاء الله تعالى — فى محلّه بأوسعَ من هذا .

وأمّا الملك الظـاهر فإنّه تجهّز للسفر إلى البـلاد الشاميّة ، وخرج من الديار المصريّة فى يوم السبت سابع شهر ربيـع الآخر من سنة إحدى وسـتين وستّمائة . وفى هـذه السَّفْرة قبَض على الملك المغيث صاحب الكَرَك الذى كان معه تلك الأيّام على قتال المصريين وغيرهم ، ولمـا قبَض عليه الظاهر بعث به إلى قلعة الجبل صحبة الأمير آق سُـنْقُر الفارِقَانِىّ[3] ، فوصل به إلى القـاهرة فى يوم الأحد خامس عشر

(١) الذى تقدّم أن المستنصر قتل فى ثالث المحرم سنة ٦٦٠ هـ . وأن الإمام الحاكم بويع فى تاسع المحرم سنة ٦٦١ هـ . وراجع أيضا عيون التواريخ وتاريخ الدول والملوك .

(٢) مناظر الكبش : ذكر المقريزى فى (ص ١٣٣ ج ٢) من خططه أن هذه المناظر أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب فى أعوام بضع وأربعين وستمائة على جبل يشكر بجوار الجامع الطولونى . وهى عبارة عن قصـور كانت تشرف من أعلى جبل يشـكر على بركة قارون وبركة الفيل وعلى البسـاتين التى فى برالخليج الغربى من المقس الى فم الخليج ، والتى فى بره الشرقى من باب زويلة الى صليبة جامع ابن طولون ، كما كانت تشرف على النيل وجزيرة الروضة وقلعة الروضة ، فكانت من أجل متنزهات مصر ، وقد تأنق الملك الصالح فى بنائها وسماها الكبش فعرفت بذلك إلى اليوم . وما زالت بعـد الملك الصالح من المنازل الملكية إلى أن هدمها الملك الأشرف شـعبان بن حسين فى سنة ٧٦٨ هـ . فحكر الناس الكبش وبنوا فيه مسا كن .

وأقول : مكانها اليوم المنطقة التى تعرف بقلعة الكبش فى الجهة الغربية من جامع ابن طولون والتى تشرف من بحريها على شارع مراسينا ومن غربيها على خط البغالة بقسم السيدة زينب بالقاهرة .

(٣) هو آق سنقر بن عبد الله النجمى الفارقانى الأمير شمس الدين . سـيذكره المؤلف فى حوادث سـنة ٦٧٧ هـ .

جُمَادى الآخرة، فكان ذلك آخر العهد به . ثمّ عاد الملك الظاهر إلى الديار المصريّة في يوم السبت سادس عشر شهر رجب . ولمّـا دخل إلى القاهرة قبَض على الأمير بَلَبَان الرشيدى وأَيْبَك الدِّمْياطى وآقوش البرنلى .

ثم فى هذه السنة شرع الملك الظاهر فى عِمارة المدرسة الظاهريّة (١) ببين القَصْرين، وتمّت فى أوائل سنة آثنتين وستين وستمائة . ورتّب فى تدريس الإيوان القبليّ القاضى تَقِيّ الدين محمــد بن الحسين (٢) بن رَزِين الشافعى، وفى تدريس الإيوان الذى يُواجهه القاضى مجد الدين عبد الرحمن (٣) بن العَدِيم، والحافظ شرف (٤) الدين الدِّمْياطى لتدريس الحديث فى الإيوان الشرقىّ، والشيخ كمال الدين المَحَلِّىّ (٥) فى الإيوان [الذى] يُقابله

---

(١) المدرسة الظاهرية : ذكر المقريزى (فى ص ٣٧٨ ج ٢) من خططه أن هذه المدرسة بالقاهرة بخط بين القصرين . كان موضعها من القصر الكبير باب الذهب أحد أبواب القصر وقاعة الخيم وقاعة السدرة . وضــع أساسها الملك الظاهر بيبرس فى ســنة ٦٦٠ هـ . وتم بناؤها فى ســنة ٦٦٢ هـ . وكان لها أربع إيوانات وجعل بها خزانة كتب تشتمل على أمهات الكتب فى سائر العلوم و بنى بجانبها مكتبا لتعليم أيتـام المسلمين القرآن إلى أن قال المقريزى إلا أنها قد تقادم عهدها فرثت ولها بقية صالحة .

وأقول : إن هذه المدرســة واقعة بجانب قبة الملك الصالح نجم الدين أيوب من الجهة البحرية بشارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقا) وقد اندثرت واعتدى النـاس على أرضها وأدخلوها فى أملاكهم كما دخل جزء منها فى شارع بيت القاضى ولم يبق منها اليوم إلا الإيوان الشرقى وهو معطل و يعرف الآن باسم جامع طاهر داخل عطفة جامع طاهر بشارع بيت القاضى، وباق من هــذه المدرسة أيضا الكتف الأيمن لبابها الأصلى وعليه اسم منشئها وتاريخ إنشائها . وكان لهذه المدرسة باب جميل من النحاس ليس له مثيل فى صنعه وحسن إتقانه و جمال زخرفه منقوش عليه آسم الملك الظاهر بيبرس وسنة ٦٦١ هـ التى صنع فيها . ومما يؤسف له أن هذا البـاب مركب الآن على باب دار المفوضـية الفرنسية بشارع الجيزة تجاه حديقة الحيوانات .

(٢) كذا فى الأصلين وعيون التواريخ وشذرات الذهب وتاريخ الاسلام للذهبى . وفى خطط المقريزى فى الكلام على المدرسة الظاهرية والسلوك أيضا وطبقات الشافعية : «محمد بن الحسن» . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨٠ هـ . فيمن نقل وفاتهم عن الذهبى .

(٣) هو عبد الرحمن ابن عمر بن أحمد بن هبــة الله بن محمد بن هبة بن أحمــد بن يحيى بن زهير بن أبى جرادة الصاحب أبو المجد مجد الدين . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٧٧ هـ .

(٤) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٦ من هذا الجزء .

(٥) فى الأصــلين : « كمال الدين القرمى» . والتصويب عن عيون التواريخ وشذرات الذهب وغاية النهاية . وهو أحمــد بن على بن إبراهيم الشيخ أبو العباس المعروف بالكمال المحلى الضرير . توفى سنة ٦٧٢ هـ .

لإقراء القرآن بالروايات والطرق ، ثم رتّب جماعة يقرءون السبع بهذا الإيوان أيضا بعد صلاة الصبح ، ووقف بها خزانة كتب ، وبنى إلى جانبها مكتبًا لتعلم الأيتام وأجرى عليهم الخُبْزَ فى كلّ يوم ، وكُسوة الفَصْلين وسقاية تُعين على الطّهارة ؛ وجُلِس للتدريس بهذه المدرسة يوم الأحد ثالث (١) عشر صفر من سنة آثنين وستين ، وحضر الصاحب بهاء الدين بن حِنّا ، والأمير جمال الدين بن يَغْمور ، والأمير جمال الدين أَيْدُغْدِى العَزِيزِىّ وغيرهم من الأعيان .

وفى سنة إحدى وستين أيضا تسلّم الأمير بيليك العَلائى حمص بعد وفاة صاحبها الملك الأشرف الأَيُّوبى . ثم أمر الملك الظاهر أيضا بإنشاء خان فى القُدْس الشريف للسبيل ، وفوّض بناءه ونَظَره إلى الأمير جمال الدين محمد بن نهار (٢) ؛ ولمّا تمّ الخان المذكور أوقف عليه قيراطًا ونصفا بالمطر (٣) ، وثُلُث وربع قرية المشيرفة من بلد بُصْرى (٤) ، ونصف قرية لبنى (٥) ، يُصرف ريع ذلك فى خبز وفلوس وإصلاح نِعال من يَرِد عليه من المسافرين المُشاة . وبنى له طاحونا وفرنا ، وآستمر ذلك كلّه .

ثم وَلّى الملك الظاهر فى سنة ثلاث وستين وستمائة فى كلّ مذهب قاضيًا مستقلًّا بذاته ، فصارت قُضاة القضاة أربعة ، وسبب (٦) ذلك كثرة توقّف قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأَعَزّ فى تنفيذ الأحكام ، وكثرة الشكاوى منه بسبب ذلك . فلمّا كان يوم الآثنين ثانى عشر ذى الحِجّة شكا (٧) القاضى المذكور الأمير جمال الدين أَيْدُغْدِى العَزِيزِىّ فى المجلس ، وكان يكره القاضى تاج الدين

(١) فى الأصلين : «سادس عشر» . وما أثبتنا عن التوفيقات الإلهامية . (٢) فى الأصلين : « محمد بن بهادر » . وما أثبتناه عن السلوك وعيون التواريخ . (٣) فى عيون التواريخ : « قيراطا ونصفا من الطرة » . (٤) بصرى : هى قصبة كورة حوران مشهورة عند العرب قديما وحديثا . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٥) فى عيون التواريخ : « قرية لفتا » .

(٦) راجع السلوك فى حوادث سنة ٦٦٣ هـ حيث ذكرت فيه هذه الأسباب بتفصيل واف .

(٧) فى الأصلين : «شكا على القاضى... الخ» وفى السلوك : « كانت الشكوى من بنات الملك الناصر» .

المذكور؛ فقال أَيْدُغْدِى بحضرة السلطان: يا تاج الدين، تترك مذهب الشافعيّ لك، ونُوَلِّى معك من كلّ مذهب قاضياً ، فمال الملك الظاهر إلى كلامه، وكان لأَيْدُغْدِى منه محلّ عظيم؛ فولّى السلطان الشيخ صدر الدين سليمان[(1)] الحنفى قاضى قضاة الحنفيّة بالديار المصريّة ، وكان للقضاة الحنفيّة أزيد من ثلثمائة سنة من أوّل الدولة الفاطميّة قــد بَطَل حكمهم من ديار مصر آستقلالًا عند ما أبطل الفاطميّون القضاة من سائر المذاهب ، وأقاموا قضاة الشِّيعة بمصر . انتهى . ووَلّى القــاضى شرف الدين عمر[(2)] السُّبْكىّ المــالكىّ قاضى قضاة المــالكيّة . وولّى الشيخ شمس الدين[(3)] محمداً بن الشيخ العماد الحنبلى قاضى القضاة الحنابلة ، وفوّض لكلّ واحد منهم أن يستنيب بالأعمال وغيرها؛ وأبقى على تاج الدين النَّظَر فى مال الأيتام، وكتب لهم التقاليد وخَلَع عليهم ؛ ثم فعل ذلك ببلاد الشام كلّه .

قلت : وقد جمعتُ أسماءَ من ولى القضاء من المذاهب الأربعة من يوم رتّب الملك الظاهر بِيبَرْس القضاة (أعنى من سنة ثلاث وستين وستمائة) إلى يومنا هذا على الترتيب على سبيل الآختصار لتكثر الفائدة فى هذا الكتاب، وإن كان يأتى ذِكْرُ غالبهم فى الوَفَيَات فى حوادث الملوك على عادة هــذا الكتاب ، فذِكْرُهم هنــا جملةً أرشق وأهون على من أراد ذلك، والله المستعان . فنقول :

(١) هو قاضى القضاة صدر الدين سليمان بن أبى العز بن وهيب الاذرعى ثم الدمشقى أبو الفضل شيخ الحنفية ، ولى القضاء بالديار المصرية والشامية والبلاد الإسلامية . سيذكره المؤلف فيمن نقل وفاتهم عن الذهبي ســنة ٦٧٧ هـ . وفى الأصلين هنا وما ســيأتى ذكره للؤلف فى الكلام على القضــاة الحنفية : «ضياء الدين» . وهو خطأ وتصحيحه عن حسن المحاضرة والجواهر المضية فى طبقات الحنفية وشذرات الذهب والمنهل الصافى .

(٢) هو شرف الدين عمر بن عبد الله بن صالح بن عيسى بن عبد الملك آبن موسى السبكى المــالكى قاضى القضاة بديار مصر . كانت وفاته سنة ٦٦٩هـ . كما فى رفع الأصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلانى (نسخة فى مجلد مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٠٥ تاريخ) وتاريخ الإسلام .

(٣) هو شمس الدين أبو بكر وأبو عبد الله محمد آبن العماد إبراهيم بن عبد الواحد آبن شرف الدين على بن سرور المقــدسى نزيل مصر قاضى قضــاة الحنابلة . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٧٦ هـ فيمن نقل وفاتهم عن الذهبى .

[ذكر قُضاة الشافعيّة]

كان قاضى قضاة الشافعيّة يوم ذاك القاضى تاج الدين[(١)] عبد الوهاب ، وهى ولايته الثانية ، وتُوفّى سنة خمس وستين وستمائة . ثم القاضى تقىّ الدين[(٢)] محمد بن رَزِين العامرىّ[(٣)] سنة خمس وستين وستمائة ، ومولده فى شعبان سنة ثلاث وستمائة ، وتُوفّى ثالث رجب سنة ثمانين وستمائة . ثم القاضى صدر[(٤)] الدين عمر بن عبد الوهاب بن بنت الأَعَزّ سنة ثمانٍ وسبعين وستمائة . ثم أُعيد القاضى تقىّ الدين محمد بن رَزِين سنة تسع وسبعين وستمائة . ثمّ القاضى وجيه[(٥)] الدين عبد الوهّاب البَهْنَسِىّ سنة ثمانين وستمائة . ثم القاضى تَقِىّ[(٦)] الدين عبد الرحمن ابن القاضى تاج الدين عبد الوهّاب بن بنت الأَعَزّ سنة خمس وثمانين وستمائة . ثم القاضى بدر[(٧)] الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جَمَاعة الحَمَوِىّ الكِنَانِىّ سنة تسعين وستمائة . ثم أُعيد القاضى تَقِىّ الدين عبد الرحمن بن بنت الأَعزّ فى صفر سنة ثلاث وتسعين وستمائة . ثم ولى القاضى تَقِىّ[(٨)] الدين محمد بن على بن دَقِيق العِيد سنة خمس وتسعين وستمائة ، ومولده فى شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة ، وتُوفّى سنة آثنتين وسبعمائة . ثم أُعيد القاضى بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جَمَاعة الحَمَوِىّ[(٩)] فى سنة أربع وسبعمائة . ثمّ ولى القاضى جمال الدين

---

(١) هو القاضى تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن خلف بن بدر المعروف بآبن بنت الأعز .

(٢) هو تقى الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن رزين بن موسى العامرى الحموى وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢٠ من هذا الجزء .

(٣) فى الأصلين : « الفائزى » . وما أثبتناه عن طبقات الشافعية وشذرات الذهب وما سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨٠ هـ فيمن نقل وفاتهم عن الذهبى .

(٤) كانت وفاته سنة ٦٨٠ هـ كما فى طبقات الشافعية وشذرات الذهب .

(٥) هو عبد الوهاب ابن الحسين المصرى بن عبد الوهاب البهنسى كانت وفاته سنة ٦٨٥ هـ أو سنة ٦٨٦ هـ .

(٦) سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٩٥ هـ .

(٧) سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٣٣ هـ .

(٨) راجع ترجمته بتفصيل واف فى المنهل الصافى وطبقات الشافعية .

(٩) سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٣٤ هـ . والزرعى : نسبة الى زرع من حوران . وكانت تسمى قبل ذلك « زرى » كما فى الجزء الثالث من ياقوت (ص ٩٢١) .

سليمان بن عمر الزُّرَعِىّ سنة عشر وسبعمائة . ثم أُعيد القاضى بدر الدين محمد بن إبراهيم ابن جَمَاعة سنة إحدى عشرة وسبعمائة . ثم ولى القاضى جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القَزْوِينىّ سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، وتُوفّى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة . ثم ولى القاضى عِزّ الدين عبد العزيز ابن القاضى بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جَمَاعة الحَمَوِىّ (١) سنة ثمانٍ وثلاثين وسبعمائة . ثم ولى القاضى بهاء الدين عبد الله [بن عبد الرحمن] (٢) ابن عقيل سنة تسع وخمسين وسبعمائة . ثم أُعيد القاضى عِزّ الدين عبد العزيز بن جَمَاعة سنة تسع وخمسين وسبعمائة . ثم ولى القاضى بهاء الدين محمد (٣) أبو البقاء بن عبد البرّ السُّبْكِىّ فى سنة ست وستين وسبعمائة . ثم ولى القاضى بُرْهان الدين إبراهيم بن عبد الرحيم [بن محمد (٤) بن إبراهيم بن سعد الله] بن جماعة سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة . ثم ولى القاضى بدر الدين (٥) محمد بن بهاء الدين محمد بن عبد البَرّ السُّبْكِىّ فى صفر سنة تسع وسبعين وسبعمائة . ثم أُعيد القاضى بُرْهان الدين إبراهيم بن جَمَاعة سنة إحدى وثمانين وسبعمائة . ثم أُعيد القاضى بدر الدين محمد بن أبى البقاء السُّبْكِىّ فى صفر سنة أربع وثمانين وسبعمائة . ثم ولى القاضى ناصر الدين محمد [بن عبد الدائم ابن محمد (٦) بن سلامة] ابن بنت المَيْلَق فى شعبان سنة تسع وثمانين وسبعمائة ، وامتُحِن وعُزِل . ثم ولى القاضى صدر الدين (٧) محمد بن إبراهيم السلمىّ المُنَاوِىّ فى ذى القعدة سنة إحدى وتسعين وسبعمائة . ثم أُعيد القاضى بدر الدين محمد بن أبى البقاء

---

(١) سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٦٧ هـ . (٢) التكملة عن المنهل الصافى والدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، وما سيأتى ذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٦٩ هـ . (٣) سيذكر المؤلف وفاته فى حوادث سنة ٧٧٧ هـ . (٤) التكملة عن الدرر الكامنة وتوفى سنة ٧٩٠ هـ كما فى الدرر الكامنة وشذرات الذهب . (٥) توفى سنة ٨٠٣ هـ كما فى شذرات الذهب والمنهل الصافى .
(٦) التكملة عن المنهل الصافى وشذرات الذهب توفى سنة ٧٩٧ هـ . (٧) سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٨٠٣ هـ . والمناوى نسبة الى منية القائد (ميت القائد الآن) وهو القائد فصل بن صالح أحد قوّاد الوزير يعقوب بن كلس ، وهذه القرية هى اليوم إحدى قرى مركز العياط بمديرية الجيزة .

السُّبْكِيّ سنة إحدى وتسعين وسبعمائة . ثم ولى القاضى عِمَاد الدين أحمد الكَرَكِيّ (١) فى رجب [سنة آثنتين وتسعين (٢) ، ثم عُزِل فى ذى الحجّة] سنة أربع وتسعين وسبعمائة . ثم أُعِيد القاضى صدر الدين محمد بن إبراهيم المُنَاوِيّ فى شعبان سنة خمس (٣) وتسعين وسبعمائة . ثم أُعيد القاضى بدر الدين محمد بن أبى البقاء السُّبْكِيّ فى شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وسبعمائة . ثم أُعِيد القاضى صدر الدين محمد ابن إبراهيم المُنَاوِيّ فى شعبان سنة سبع وتسعين وسبعمائة . ثم ولى القاضى تقىّ الدين الزُّبَيْرِيّ (٤) فى جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وسبعمائة . ثم أُعِيد القاضى صدر الدين المُنَاوِيّ فى شهر رجب سنة إحدى وثمانمائة . ثم ولى القاضى ناصر الدين الصّالحيّ (٥) فى سَلْخ شعبان سنة ثلاث وثمانمائة . ثم ولى القاضى جلال الدين عبدالرحمن بن عمر ابن رسلان بن نصير البُلْقِينِيّ (٦) فى جُمادى الأولى سنة أربع وثمانمائة فى حياة والده . ثم أُعِيد القاضى ناصر الدين الصالحى فى شوّال سنة خمس وثمانمائة، ومات فى المحرّم سنة ست وثمانمائة (٧) . ثم ولى القاضى شمس الدين محمد الإخْنَائِيّ (٨) فى شهر الله المحرّم سنة ستّ وثمانمائة . ثم أُعِيد القاضى جلال الدين عبد الرحمن البُلْقِينِيّ فى شهر ربيع الأوّل سنة ستّ وثمانمائة، ومولده سنة إحدى وستين (٩) وسبعمائة؛ وهكذا حكى لى

---

(١) هو أحمد بن عيسى بن موسى بن جميل الأزرق العامرى الكركى عماد الدين . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٠١ هـ . (٢) تكملة عن حسن المحاضرة للسيوطى .

(٣) فى الأصلين : «أربع وتسعين» . والتصحيح عن حسن المحاضرة . (٤) هو تقى الدين عبد الرحمن بن تاج الرياسة محمد بن عبد الناصر المحلى الدميرى الزبيرى . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨١٣ هـ . (٥) هو ناصرالدين محمد بن محمد بن عبدالرحمن الصالحى . (٦) البلقينى : نسبة الى بلقينة، قرية واقعة فى الجنوب العربى لمدينة المحلة الكبرى بمديرية العربية بمصر . (٧) كذا فى الأصلين هنا وحسن المحاضرة . وسيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٠٥ هـ . (٨) هو قاضى القضاة شمس الدين محمد بن محمد بن عثمان الدمشقى المعروف بابن الإخنائى . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨١٦ هـ . (٩) فى المنهل الصافى : «مولده بالقاهرة فى جمادى الأولى سنة اثنتين وستين وسبعمائة هكذا سمعته من لفظه غير مرة» . وفى شذرات الذهب : «فى جمادى الأولى سنة ٧٦٣ هـ» .

من القطه، — رحمه الله — وتُوفّى بالقاهرة فى شوّال سنة أربع وعشرين وثمانمائة. ثم أعيــد القاضى شمس الدين محمّد الإخنائِىّ فى شهر شعبان ســنة ستّ وثمانمائة. ثم أُعيد القاضى جلال الدين عبد الرحمن البُلْقِينِىّ فى ذى الحجّة من سنة ست وثمانمائة. ثم أعيــد القاضى شمس الدين الإخْنَائى فى ثانى عشرين جمادى الأولى ســنة سبع وثمانمائة. ثم أُعِيد القاضى جلال الدين البُلْقِينِىّ فى ثالث عشر ذى القعدة سنة سبع وثمانمائة. ثم أُعِيــد القاضى شمس الدين محمد الإخْنَائِى فى حادى عشر صفر ســنة ثمانٍ وثمانمائة. ثم أعيــد القاضى جلال الدين البُلْقِينِىّ فى خامس شهر ربيع الأول، سنة ثمانٍ وثمانمائة، وهى ولايته الخامسة، ولم يزل فى هذه المرة قاضياً إلى أن توجّه صحبة الملك النــاصر فَرَج إلى الشام ســنة أربع عشرة وثمانمائة. ثم عُزِل بالقاضى شهاب الدين أحمد البَاعُونِىّ(1) بدمشق فى المحرّم سنة خمس عشرة وثمانمائة. ثم أُعيد القاضى جلال الدين البُلْقِينِىّ المذكور فى أوّل صفر من سنة خمس عشرة وثمانمائة، فآستمرّ فى القضاء إلى آخر جمادى الأولى ســنة إحدى وعشرين وثمانمائة. ثم عزِل بالقاضى شمس الدين محمد الهَرَوِىّ(2) فى سَلْخ جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة. ثم أُعِيــد القاضى جلال الدين البُلْقِينِىّ فى شهر ربيع الأوّل ســنة آثنتين وعشرين وثمانمائة، وآستمرّ إلى أن مات فى شوّال كما تقدّم ذكره.

قلت : وقاضى القضاة جلال الدين المذكور هو صِهْرى وزَوْج كريمتى، ومات عنها. رحمهما الله تعالى وعفا عنهما.

(1) الباعونى : نسبة الى الباعونة (بفتح الباء الموحدة وألف بعدها ثم عين مضمومة وواو ساكنة ونون مفتوحة وفى آخرها هاء) وهى على شوط فرس من عجلون. وكان مكانها دير به راهب اسمه باعونة فسميت المدينة به (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ١٠٦). وهــو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن ناصر ابن خليفة بن فرج بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن الناصرى الباعونى. وفى تقويم البلدان لأبى الفــدا إسماعيل وهامش الأصل فى وفيات سنة ٨١٦هـ وهى السنة التى توفى فيها الباعونى هذا : «الباعوثة» بالثاء المثلثة وهو تصحيف.

(2) هو قاضى القضاة شمس الدين محمد بن عطاء الله بن محمد بن محمود بن أحمد بن فضل الله بن محمد الرازى الهروى. سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٢٩.

ثم ولى القاضى ولىّ الدين أحمد[1] ابن الحافظ عبد الرحيم بن الحسين العراقىّ فى شوّال سنة أربع وعشرين وثمانمائة . ثم ولى القاضى علم الدين[2] صالح بن عمر البُلْقِينىّ فى يوم السبت سادس ذى الحجة سنة خمس وعشرين وثمانمائة . ثم ولى القاضى شهاب الدين[3] أحمد بن علىّ بن حَجَر فى سابع عشرين المحرّم سنة سبع وعشرين وثمانمائة . ثم أُعيد القاضى شمس الدين الهَرَوِىّ فى سابع ذى القعدة سنة سبع وعشرين وثمانمائة . ثم أُعيد القاضى شهاب الدين أحمد بن حَجَر فى ثانى رجب سنة ثمانٍ وعشرين وثمانمائة . ثم أُعيد القاضى علم الدين صالح البُلْقِينىّ فى خامس عشرين صفر سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة . ثم أُعيد القاضى شهاب الدين أحمد بن حَجَر فى رابع عشرين جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وثمانمائة . ثم أُعيد القاضى علم الدين صالح البُلْقِينىّ فى خامس شوّال سنة أربعين وثمانمائة . ثم أُعيد القاضى شهاب الدين أحمد بن حَجَر فى يوم الثلاثاء سادس شوّال سنة إحدى وأربعين وثمانمائة . ثم ولى القاضى شمس الدين[4] محمد القَايَاتِىّ فى يوم الخميس رابع عشر المحرّم سنة تسع وأربعين وثمانمائة ، ومات فى ثامن عشرين المحرّم سنة خمسين وثمانمائة — رحمه الله تعالى — ثم أُعيد القاضى شهاب الدين أحمد بن حَجَر فى خامس صفر سنة خمسين وثمانمائة . ثم أُعيد القاضى علم الدين صالح البُلْقِينىّ فى يوم السبت مستهلّ سنة إحدى وخمسين

---

(١) هو قاضى القضاة ولى الدين أبو زرعة أحمد ابن الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحيم العراقى . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٢٦ هـ .

(٢) هو قاضى القضاة علم الدين صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان أخو القاضى جلال الدين البلقينى . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٦٨ هـ .

(٣) هو قاضى القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد ابن محمد بن على بن أحمد بن حجر المصرى العسقلانى . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٥٢ هـ .

(٤) هو قاضى القضاة شمس الدين محمد بن على بن محمد بن يعقوب القاياتى الشافعى .

وثمانمـائة . ثم ولى القاضى ولىّ الدين محمد السَّـفْطِى[١] فى يوم الخميس خامس عشر شهر ربيع الأوّل سنة إحدى وخمسين وثمانمـائة . ثم أُعيـد القاضى شهاب الدين أحمـد بن حَجَر فى ثامن شهر ربيع الآخر سـنة آثنتين وخمسين وثمانمـائة ، ثم عَزَل نفسه ومات معزولا — رحمه الله تعالى — . ثم أُعيد القاضى علم الدين صالح البُلْقِينِىّ فى سادس عشر جمادى الآخرة سنة آثنتين وخمسين وثمانمـائة . ثم ولى القاضى شرف الدين يحيى المُنَاوِىّ[٢] فى يوم الآثنـين ثالث عشر رجب سـنة ثلاث وخمسين وثمانمـائة . ثم أُعيـد القاضى علم الدين صالح البُلْقِينِىّ فى يوم السبت ثامن عشرين صفر سنة سبع وخمسين وثمانمائة .

⁂

ذكـر القضـاة الحنفيّـة

فالذى ولى أوّلًا قاضى القضاة صدر الدين سليمان[٣] . ثمّ من بعده قاضى القضاة معِزّ الدين النُّعْمان بن الحسن [بن يوسف[٤]] إلى أن تُوفّى فى سابع عشر شعبان سـنة اثنتين وتسـعين وستمـائة . ثم وَلِىَ قاضى القضاة شمس الدين أحمـد[٥] السَّرُوجىّ فآستمـرّ إلى أن تسلطن الملك المنصـور لاجين عَزَله[٦] . ثم ولى قاضى القضاة حُسام الدين الرازىّ فآستمرّ إلى أن قُتِـل لاجين ، نُقِـل إلى قضاء دِمَشْق سـنة

(١) هو قاضى القضاة ولىّ الدين محمد بن أحمد بن يوسف أبو عبـد الله السفطى . نسبة إلى سفط الحناء، وهى التى تعرف اليوم بصفط الحنة إحدى قرى مركز الزقازيق بمديرية الشرقيـة . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٥٤ هـ . (٣) هو قاضى القضاة شرف الدين أبو زكريا يحيى بن سعد الدين محمد ابن محمد المناوى . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٧١ هـ . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٢ من هذا الجزء . (٤) الزيادة عن المنهل الصافى والجواهر المضية فى طبقات الحنفية .

(٥) فى الأصلين هنا : «محمد» . وتصحيحه عن المنهل الصافى والجواهر المضـية وما سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧١٠ هـ . وهو أحمد بن إبراهيم ابن عبد الغنى السروجى . (٦) هو قاضى القضاة حسام الدين الحسن بن أحمد بن الحسن بن أنوشروان أبو الفضائل . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٩٩ هـ .

٢١ — قال ، وقال أبو بكر : « احذرْ صُحبةَ السلطانِ إبقاءً على نفسك ، والملوكِ إبقاء على عَيْشك ، والأغنياء إبقاء على مِلْكك ، والشرَطة إبقاء على حقك والنساء والصِّبيانِ إبقاء [على قلبك ، والفُسّاقِ والمبتدعين إبقاء على دينك ، والفقراء إبقاء على مالِك ، والعلماء إبقاء على] إيمانِك و إسلامِك ، والإخوانِ فى مخالَفَتِهم إبقاء على فَضْلك وحرُمُاتك » .

٢٢ — قال ، وقال أبو بكر الورّاق : « للمؤمن أربعُ علاماتٍ : كلامُه ذِكْر ، وصَمْتُه تفكُّر ، ونظَرُه عِبْرَة ، وعَمَلُه بِرّ » .

٢٣ — قال ، وقال أبو بكر : « الخلافُ يُهيجُ العداوةَ ، والعداوةُ تَسْتَنْزِلُ البلاءَ » .

٢٤ — قال ، وقال أبو بكرٍ : « العبدُ لا يستحقُّ اليقين حتى يقطع كلَّ سَبَب بينه و بين العَرْش إلى الثَّرَى ، حتى يكونَ اللهُ مرادَه لا غيره ويُؤْثِر الله على كل ما سواه » .

٢٥ — قال ، وقال أبو بكرٍ : « من عَشِق نَفْسَه عَشِقه الكِبْرُ والحَسَدُ ، والذلُّ والمهانةُ » .

٢٦ — قال ، وقال أبو بكرٍ : « لا تَصْحَبْ مَن يمدحُك بخلافِ ما أنتَ عليه أو بغير ما فيك . فإنه إذا غَضِب عليك ذَمّك بما ليس فيك » .

٢٧ — قال ، وقال أبو بكرٍ : « ازْهَد فى حُب الرياسة ، والعُلُوِّ فى النّاس ، إنْ أحْبَبْتَ أن تذوقَ شيئاً من سُبُل الزاهدين » .

٢٨ — قال ، وقال أبو بكر : « اليقينُ نورٌ يستضىء به العبدُ فى أحواله ، فيُبَلِّغُهُ إلى درجات المتقين » .

---

٢ — م : الأعيباء انقاء على مالك || ٣ — م : مابين القوسين ساقط || ٥ — ق : فى محالفتك ، وتحتها محالفتهم || ٧ — م : وصمته تفكير || ١٥ — م : بخلاف من أنت عليه || ١٧ — ق : والعلوى الناس ، تحتها : وعلو النفس || ١٩ — م : أبو بكر : « نور يستغنى || ٢٠ — م : درجات اليقين .

[١٤ — أبو سعيد الخراز*]

ومنهم أبو سعيدٍ الخرّازُ ، واسمُه أحمدُ بن عيسى . وهو من أهلِ بغدادَ .

[٥٨ظ] / صحب ذا النُّون المِصريَّ ، وأبا عبد الله النِّباجيَّ ، وأبا عُبَيْدٍ البُسْرِيَّ ، وصحب أيضاً سَرِيًّا السَّقَطِيَّ ، وبِشْرَ بن الحارث ، وغيرَهم .

وهو من أئمَّة القوم وجِلَّة مشايخهم . قيل إنَّه أولُ من تكلَّم فى علم الفناء والبقاء . مات سنة تسعٍ وسبعين ومائتين .

وأسند الحديث .

١ — أخبرنا أبو الفَتْح ، يوسفُ بنُ عُمَر بن مَسْرور ، الزاهدُ ، ببغدادَ ، قال : حدثنا عليُّ بن محمد المِصريُّ ؛ حدثنا أبو سعيدٍ ، أحمدُ بن عيسى ، الخرّاز البغداديُّ الصوفيُّ ؛ حدثنا عبد الله بن ابرهيم الغِفَارِيُّ (أ) ؛ حدثنا جابر(ب) بن

---

* انظر ترجمته فى : حليــة الأولياء : حـ ١ ص ٢٤٦ — ٢٤٩ ؛ صفــة الصفوة : حـ ٢ ص ٢٤٥ — ٢٤٧ ؛ طبقات الشعرانى : حـ ١ ص ١١٧ ؛ الرسالة القشيرية : ٢٩ ؛ اللبــاب : حـ ١ ص ٣٥١ ؛ تاريخ بغداد : حـ ٤ ص ٢٧٦ — ٢٧٨ ؛ تاريخ الإسلام : حـ ١٦ ص ٢٢ [خط دار الكتب المصرية] ؛ البــداية والنهاية : حـ ١١ ص ٥٨ ، المنتظم : حـ ٥ ص ١٠٥ ؛ مرآة الجنان : حـ ٢ ص ٢١٣ ، ٢١٤ ؛ نتائج الأفكار القدسية : حـ ١ ص ١٦٧ — ١٦٩ ؛ شذرات الذهب : حـ ٢ ص ١٩٢ ، ١٩٣

٢ — م : وهو أحمد بن عيسى || ٣ — م : وأبا عبيد السرى ؛ق : وأبا عبيد الهروى || ٥ — م : وأجلة مشايخهم قيل أول من تكلم ... والبقاء أبو سعيد الخراز || ٦ — م : سنة سبع وسبعين ومائتين ؛ ق : تسع وسبعين ومائتين ، وكتب تحت : تسع، كلمة : سبع

(أ) عبد الله بن ابرهيم بن عمر — وفى الميزان : ابن أبى عمرو ـ الغفارى ، أبو محمد المدنى ، يدلسونه لوهنه ، بل قال ابن حبان : إنه كان يضع الحديث
ميزان الاعتدال : حـ ٢ ص ٢٠
خلاصة تذهيب الكمال : ص ١٦١

(ب) جابر بن سليم يروى عن يحيى بن سعيد الأنصارى . قالوا عنه : «لا يكتب حديثه» .
ميزان الاعتدال : حـ ١ ص ١٧٥

[١٦ – أبو العباس بن مسروق الطوسى(*)]

ومنهم أبو العبَّاس بنُ مَسْروقٍ ، واسمهُ أحمدُ بنُ محمد بنِ مَسْروق ، من أهل طُوس(أ) . سكن بغدادَ ، ومات بها .

صحب الحارثَ بنَ أَسَد المحاسِبيَّ ، والسَّرِيَّ بنَ الْمُغَلِّس السَّقَطِيَّ ، ومحمد بن منصور الطوسى(ب) ، ومحمد بن الْحُسَين الْبُرْجُلَانِيَّ(ج) .

---

* أنظر ترجمته فى : حلية الأولياء : حـ ١٠ ص ٢١٣ — ٢١٦ ؛ صفة الصفوة : حـ ٤ ص ١٠٤ ؛ طبقات الشعرانى : حـ ١ ص ١٠٩ ؛ الرسالة القشيرية : ص ٢٠ ؛ تاريخ بغداد : حـ ٥ ص ١٠٠ — ١٠٣ ؛ ميزان الاعتدال : حـ ١ ص ٧١ ؛ نتائج الأفكار القدسية : حـ ١ ص ١٦٩ — ١٧١ ؛ المنتظم : حـ ٦ ص ٩٨ ، ٩٩ ؛ مرآة الجنان : حـ ٢ ص ٢٣١ ؛ شذرات الذهب : حـ ٢ ص ٢٢٧ ؛ سير أعلام النبلاء : حـ ٩ ق ١ ورقة ١١٧

٢ — م : أبو العباس بن محمد بن مسروق ؛ ق : أحمد بن محمد بن مسروق ‖ ٣ — م : ومات بها سنة تسع وتسعين ومائتين . صحب الحارث ‖ ٤ — ت : صحب المحاسبى ؛ م : صحب الحارث المحاسبى والسرى السقطى ‖ ٥ — م : محمد بن الحسن البرجلانى .

(أ) طوس مدينة بخراسان ، بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ ، تشتمل على بلدتين : يقال لأحداها : « الطابران » ، وللأخرى : « نوقان » . فتحت أيام عثمان بن عفان . وبها قبر على ابن موسى الرضا ، وقبر الرشيد . ومن أشهر من نسب إليها . الإمام الغزالى .

وطوس كذلك ، قرية من قرى بخارى ، كما يقول السمعانى .

معجم البلدان (W) : حـ ٣ ص ٥٦٠ — ٥٦٢

(ب) محمد بن منصور بن داود بن ابرهيم ، أبو جعفر العابد ، المعروف بالطوسى . قال عنه أحمد ابن حنبل : « لا أعلم عنه إلا خيراً ، صاحب صلاة » . وكان وابن حنبل يختلفان إلى أستاذ واحد . مات ببغداد ، يوم الجمعة ، لست بقين من شوال ، سنة أربع وخمسين ومائتين ؛ ويقال : بل سنة ست وخمسين . وله من العمر ثمان وثمانون سنة .

تاريخ بغداد : حـ ٣ ص ٢٤٧ - ٢٥٠

(ج) محمد بن الحسين ، أبو جعفر ؛ ويعرف بأبى شيخ ، البرجلانى — نسبة إلى محلة البرجلانية — ببغداد . وينسبه إلى « برجلان » — قرية من قرى واسط — السمعانى صاحب كتاب [الأنساب] ويتابعه على ذلك ابن الأثير فى [اللباب] . والبرجلانى هو صاحب كتاب [الزهد والرقائق] . سأل رجل ابن حنبل عن شىء من حديث الزهد ، فقال : « عليك بمحمد بن الحسين البرجلانى » . مات سنة ثمان وثلاثين ومائتين .

تاريخ بغداد : حـ ٢ ص ٢٢٢

اللباب : حـ ١ ص ١٠٨

[٦١و] وهو من قُدَماء مشايخ القوم وجِلّتهم. تُوُفِّي ببغدادَ/ سنة تسعٍ وتسعين ومائتين. وأسند الحديثَ :

١ — أخبرنا أبو محمّد، عبدُ الله بنُ محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الشَّعرانِيُّ الصوفى، قال : حدثنا أبو العباس، أحمدُ بنُ محمّدبن مَسروق، الطوسِيُّ ؛ حدثنا محمد ابنُ الحسَين البُرْجُلَانِيُّ ؛ حدثنا ابنُ لَهِيعة(أ) ؛ عن بكْر بن سَوَادة(ب) ؛ عن زِياد بن نُعيم(ج) ؛ عن وَرْقاء بن عَمْرو الحَضْرَمِيِّ ؛ عن رُوَيْفِع بن ثابت(د) ؛ عن النّبى صلى الله عليه وسلم، قال : (مَنْ صَلّى عَلَيَّ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ أَنْزِلْهُ الْمَقَامَ الْمحْمُودَ الْمُقَرَّبَ عِنْدَكَ يَوْمَ الْقِيامَةِ ؛ كَانَ فِي شَفَاعَتِي) .

* * *

٥ — ق : بكر بن سواد ؛ م : بكر بن سوارة والتصويب من [خلاصة تذهيب الكمال] ||
٧ — م : ورقاء عن نعيم الحضرمى

(أ) عبد الله بن لهيعة بن عقبة، الحضرمى الغافقى، أبو عبد الرحمن المصرى. قاضى مصر وعالمها ومسندها. وهو ضعيف عند أهل الحديث. قال عنه أحمد بن حنبل : « احترقت كتبه، وهو صحيح الكتاب، ومن كتب عنه قديما فسماعه صحيح. » . ولد ابن لهيعة سنة سبع وتسعين، وتوفى سنة أربع وسبعين ومائة.
خلاصة تذهيب الكمال : ص ١٧٩
تهذيب الأسماء واللغات : ﺣ ٢ ص ٣٠١

(ب) بكر بن سوادة بن ثمامة، الجذامى، أبو ثمامة البصرى الفقيه، أحد الأئمة. كان ثقة، مات سنة ثمان وعشرين ومائة.
خلاصة تذهيب الكمال : ص ٤٤

(ج) زياد بن ربيعة بن نعيم الحضرمى المصرى، يروى بكر بن سوادة، وكان ثقة. توفى سنة خمس وتسعين.
خلاصة تذهيب الكمال : ص ١٠٦

(د) رويفع بن ثابت بن السكن بن عدى بن حارثة بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو ابن مالك بن النجار، الأنصارى النجارى. صحابى، نزل مصر ؛ وولاه معاوية بن أبى سفيان أمر طرابلس بالمغرب، سنة ست وأربعين، فغزا منها افريقية، سنة سبع وأربعين وفتحها، وولى برقة، وتوفى بها وهو أمير عليها، سنة ست وخمسين، وقبره بها
خلاصة تذهيب الكمال : ٢ : ١٠٢
تهذيب الأسماء واللغات : ﺣ ١ ص ١٩٢

ثمانٍ وتسعين . ثم أُعِيد شمس الدين السَّرُوجىّ، ثم عُزِل أوّل شهر ربيع الآخر سنة عشر وسبعمائة . ثم ولى بعده قاضى القضاة شمس الدين محمد الحَرِيرىّ (١) إلى أن مات يوم السبت رابع جمادى الآخرة — رحمه الله — سنة ثمانٍ وعشرين وسبعمائة . ثم ولى بعده قاضى القضاة بُرْهان الدين إبراهيم بن عبد الحقّ (٢) إلى أن عُزِل يوم الأحد ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وثلاثين وسبعمائة . ثم ولى بعده قاضى القضاة حُسام الدين الغُورىّ (٣) إلى أن كانت واقعةُ الأمير قَوْصُون نهبوا الرسل والعامّة بيته وطلبوه ليقتلوه فهَرَب . ثم ولى بعده قاضى القضاة زَيْن الدين عمر البَِسْطَامِىّ (٤) فى سنة آثنتين وأربعين وسبعمائة إلى أن عُزِل فى سنة ثمانٍ وأربعين وسبعمائة . ثم تولّاها من بعده قاضى القضاة علاء الدين التُّرْكُمَانِىّ (٥) فى جُمادى منها إلى أن تُوفّى عاشر المحرّم سنة خمسين . فولى بعده ولدُه قاضى القضاة جمال الدين عبد الله آبن التُّرْكُمَانِىّ إلى أن مات فى شعبان سنة تسع وستين وسبعمائة . فولى بعده قاضى القضاة سِرَاج الدين عمر الهِنْدِىّ (٦) إلى أن مات فى شهر رجب سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ، ثم ولى بعده قاضى القضاة صدر الدين بن جمال الدين التُّرْكُمَانِىّ (٧) إلى أن

---

(١) هو قاضى القضاة شمس الدين محمد بن عثمان بن أبى الحسن بن عبد الوهاب الأنصارى الحنفى المعروف بآبن الحريرى . (٢) هو قاضى القضاة إبراهيم بن على بن أحمد بن على بن يوسف بن إبراهيم أبو إسحاق الحنفى المعروف بآبن عبد الحق . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٤٤ هـ .

(٣) هو [illegible] محمد بن على حسام الدين البغدادى الغورى قاضى القضاة بمصر . ترجم له صاحب الدرر الكامنة والجواهر المضية ولم يذكرا سنة وفاته . (٤) هو قاضى القضاة زين الدين أبو حفص عمر بن [illegible] الرحمن بن أبى بكر البسطامى . توفى سنة ٧٧٠ هـ (عن المنهل الصافى) . والبسطامى نسبة إلى [illegible] من قرى قومس [illegible] إلى نيسابور بعد دامغان بمرحلتين (عن معجم البلدان لياقوت) . (٥) هو قاضى القضاة على بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى علاء الدين التركمانى .

(٦) هو قاضى القضاة عمر بن إسحاق بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن أحمد بن محمود سراج الدين أبو حفص الغزنوى الهندى . (عن المنهل الصافى) . (٧) هو قاضى القضاة صدر الدين [illegible] عبد الله [illegible] بن علاء الدين [illegible] بن عثمان .

مات فى ذى القعدة سـنة ست وسبعين . فوليها بعده قاضى القضاة(١) نجم الدين بن الكشك ، طُلب من دِمَشق فى المحرّم سنة سبع وسبعين وسبعمائة ، ثم عُزِل عنها . وتولى من بعده قاضى القضاة صدر الدين علىّ بن أبى العز الأَذْرَعى(٢)، ثم آعتفى عنها . فتولّاها قاضى القضاة شرف الدين أبو العبّاس أحمد [بن علىّ](٣) بن منصور فى سـنة سبع وسبعين ، فآستمرّ إلى سادس عشرين شهر رجب عُزِل . ثم تولّاها بعـده قاضى(٤) القضـاة جلال الدين جار الله ، فآستمر قاضـيًا إلى أن مات فى يوم الآثنين رابع عشر شهر رجب سـنة آثنتين وثمانين وسبعمائة . فتولى بعده قاضى القضـاة صدر الدين محمد بن علىّ بن منصور فى شهر رمضان سنة آثنتين وثمانين وسبعمائة ، فآستمرّ إلى أن مات فى شهر ربيع الأوّل سنة ستّ وثمانين وسبعمائة . فتولّاها بعده قاضى القضاة شمس الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر الطّرَابُلُسىّ(٥)، فآستمرّ إلى بعد فتنة الأتابك يَلْبُغَا(٦) الناصرىّ ومنطاش(٧) مع الظاهر بَرْقُوق سنة آثنتين وتسعين وسبعمائة عُزِل عنهـا . ثم تولّاها قاضى القضاة مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم [بن محمد بن علىّ بن موسى](٨) الكِنَانىّ ، أقام فيهـا قليلًا ثم عُزِل . ثم تولّاها من بعده قاضى القضـاة جمـال الدين محمود [بن محمد بن علىّ بن عبد الله](٩) القَيْصَرىّ العَجَمىّ مضافا لنظر

(١) هو قاضى القضاة نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن محمد بن عبد العزيز بن صالح بن أبى العز وهيب المعروف بابن أبى العز وبابن الكشك الحنفى الدمشقى . توفى سنة ٧٩٩ هـ . (عن المنهل الصافى والدرر الكامنة) . (٢) هو قاضى القضاة صدر الدين أبو الحسن على بن على بن محمد بن محمد بن وهب ابن عطاء . توفى سنة ٧٩٢ هـ (عن المنهل الصافى والدرر الكامنة) (٣) التكملة عن المنهل الصافى وما سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٧٨٢ هـ . (٤) هو قاضى القضاة جلال الدين محمد بن محمد ابن محمود أبو عبد الله المعروف بجار الله . (٥) توفى سـنة ٧٩٩ هـ كما فى المنهل الصافى وشذرات الذهب وما سيذكره المؤلف بعد قليل . (٦) هو يلبغا بن عبد الله الناصرى الأتابكى اليلبغاوى الأمير سيف الدين قتله الظاهر برقوق سنة ٧٩٣ . (عن المنهل الصافى) . (٧) هو الأمير سيف الدين تمربغا بن عبد الله الأفضلى المدعو منطاش . توفى سنة ٧٩٥ هـ . (عن المنهل الصافى) .

(٨) الزيادة عن شذرات الذهب وما سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٠٢ هـ .

(٩) الزيادة عن المنهل الصافى .

الجيش، فآستمرّ إلى أن مات فى ليلة الأحد سابع شهر ربيع الأوّل سنة تسع وتسعين وسبعمائة . ثم تولّاها من بعده قاضى القضاة شمس الدين الطَّرَابُلُسِىّ ثانيا فى الشهر والسنة، فآستمرّ إلى أن مات فى آخر السنة المذكورة . وتولّى بعده قاضى القضاة جمال الدين يوسف بن موسى المَلَطِىّ الحَلَبِىّ فى يوم الخميس العشرين من شهر ربيع الآخر [سنة ثمانمائة](١)، طُلِب من حلب وآستمرّ إلى أن مات فى ليلة الآثنين تاسع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانمائة . وتولّاها من بعده قاضى القضاة أمينُ(٢) الدين عبدالوهّاب آبن القاضى شمس الدين الطرابُلُسِىّ فى يوم الخميس ثانى عشر جمادى الآخرة من السنة، فآستمرّ إلى سادس عشرين شهر رجب سنة خمس وثمانمائة، عُزِل . فتولّاها من بعده قاضى القضاة(٣) كمال الدين عمر بن العَدِيم الحلبى، وآستمرّ إلى أن مات فى ليلة السبت ثانى عشر جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثمانمائة، ومولده بحلب سنة إحدى(٤) وسبعين وسبعمائة . فتولّاها من بعده آبنه القاضى ناصر الدين محمد(٥) فى يوم الآثنين رابع عشر الشهر المذكور مضافا لمشيخة الشَّيْخُونِيّة(٦)، وآستمرّ إلى أن صُرِف . وأُعِيد القاضى أمين الدين الطرابُلُسِى ثانيا فى رابع عشرين

(١) الزيادة عن المنهل الصافى وحسن المحاضرة . (٢) سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨١٩هـ.

(٣) هو قاضى القضاة كمال الدين أبو حفص عمر بن إبراهيم بن محمد بن عمر بن عبد العزيز بن أبى جرادة المعروف بابن العديم (عن المنهل الصافى وما سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨١١ هـ وشذرات الذهب) .

(٤) كذا فى الأصلين هنا وما سيذكره المؤلف فى وفاته سنة ٨١١هـ. وفى حسن المحاضرة وشذرات الذهب والمنهل الصافى أن مولده فى سنة ٧٦٠ هـ أو فى سنة ٧٦١ هـ . (٥) سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨١٩ هـ . (٦) الشيخونية : هى التى ذكرها المقريزى باسم خانقاه شيخو حيث قال (فى ص ٤٢١ ج ٢) من خططه : إن هذه الخانقاه فى خط الصليبة خارج القاهرة تجاه جامع شيخو أنشأها الأمير سيف الدين شيخو العمرى فى سنة ٧٥٦هـ. كان موضعها من جملة قطائع أحمد بن طولون، وكانت مساحة أرضها زيادة على فدان فاختط فيها الخانقاه وحمامين وعدة حوانيت يعلوها بيوت لسكنى العامة، ورتّب بها دروسا لفقهاء المذاهب الأربعة ودرسا للحديث ودرسا لإقراء القرآن بالروايات، وآشترط على الطلبة حضور الدرس وحضور وظيفة التصوّف، وكان الطلبة يتعلمون ويأكلون ويبيتون فى الخانقاه بغير أجر، ووقف عليها الأوقاف الوفيرة، فعظم قدرها؛ وتخرج بها كثير من أهل العلم . =

شهر رجب من ســنة إحدى عشرة وثمانمائة ، فآستمرّ القاضى أمين الدين إلى سابع المحرّم من ســنة آثنتى عشرة وثمانمــائة صُرِف . وأُعِيــد قاضى القضاة ناصر الدين ابن العديم ثانيـا ، وآستقرّ القاضى أمين الدين الطرابُلُسِىّ فى مشيخة الشَّيْخُونِيّـة عِوَضًا عن ناصر الدين بن العَدِيم المذكور .

قلت : وناصر الدين المذكور هو صِهْرِى زَوْج كريمتى . إنتهى .

وآستمرّ ناصر الدين بن العَدِيم إلى أن عُزِل، فتولّاها قاضى القضاة صدر الدين علىّ [بن محمد بن محمد المعروف بآ](١) بن الأَدَمِىّ الدِّمَشْقِىّ فى سنة خمس عشرة وثمانمائة ، وآستمرّ إلى أن مات فى يوم السبت ثامن شهر رمضان من سنة ست عشرة وثمانمائة . ثم أُعِيد ناصر الدين بن العَدِيم ثالثا ، فآستمرّ إلى أن مات فى ليلة السبت تاسع شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وثمانمائة ، وشَغَرت الوظيفة الى أن طلب المَلِكُ المؤيّدُ شــيخ شمس الدين محمــد الدِّيرِىّ(٢) مر ـــ القُدْس ، وقَدِم القــاهرة فى ثالث عشر جُمَادى(٣) الأولى من سنة تسع عشرة المذكورة ، ونزل بقاعة الحنفيّة بالمدرسة الصالحيّة إلى أن آستقرّ فى القضاء يوم الآثنين سابع عشره ، وآستمرّ إلى أن عُزِل برغبة منه .

= وأقول : إن خانقاه كلمة فارسية معناها البيت ثم أطلقت على المكان الذى يخلى فيه الصوفية للعبادة ثم على الملجأ أو مطعم الفقراء . وكانت هــذه الخانقاه فوق ذلك معهدا علميا دينيا ، ولا تزال موجودة الى اليوم إلا أنها مخصصة للصلاة فقط باسم جامع شيخون القبلى تجاه جامعه البحرى وهما واقعان بشارع شيخون بقسم الخليفة بالقاهرة . ومبنى الدور العلوى الذى كان مخصصا لسكنى الطلبة لا يزال موجودا أيضا داخل الجامع المذكور إلا أنه غير مستعمل .

(١) التكملة عن المنهل الصافى وما سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨١٦ هـ .

(٢) هو قاضى القضاة شمس الدين محمد بن عبد الله بن سعد بن أبى بكر بن مفلح بن أبى بكر بن سعد العبسى المقدسى الديرى . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٢٧ هـ . والديرى : نسبة الى دير، وهى قرية من قرى نابلس بالبلاد الشامية (عن المنهل الصافى) .

(٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٨٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

وتولّاها من بعده قاضى القضاة زَيْن الدين عبد الرحمن التِّفهْنِىّ (١) فى يوم الجمعة سادس ذى القعدة سنة آثنتين وعشرين وثمانمائة ، وآستمرّ إلى أن عُزِل . ثم تولّاها من بعده قاضى القضاة بدر الدين محمود العَيْنِى (٢) فى يوم الخميس سابع عشرين شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وثمانمائة ، واستقرّ التِّفهْنِىّ المذكور فى مشيخة خانقاه شَيْخون ، بعد موت شيخ الإسلام سِراج الدين عمر قارئ (٣) « الهداية » ، وآستمرّ العَيْنِىّ إلى أن عُزِل . ثم أُعيد التِّفهْنِىّ فى يوم الخميس سادس عشرين صفر سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ، فدام إلى أن صُرِف لطول مرضه . ثم أُعيد قاضى القضاة العَيْنِى ثانياً فى سابع عشرين جُمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وثمانمائة ، فآستمرّ العَيْنِىّ إلى أن صُرِف فى دولة الملك العزيز (٤) يوسف آبن الملك الأشرف بَرْسْبَاى (٥) بقاضى القضاة سعد الدين سعد آبن القاضى شمس الدين محمد بن الدَّيْرِىّ (٦) فى أوّل سنة آثنتين وأربعين وثمانمائة ...

قلت : وهؤلاء القضاة الذين آستجدّهم الملك الظاهر بِيبَرْس البُنْدُقْدارِىّ حسب ما ذكرناه فى أوّل الترجمة . وذلك بعد آنقضاء الدولة الأيّوبيّة . وأمّا قبل خراب الديار المصرية فى الدّولة العُبَيْدِيّة فكانت قضاة الحنفيّة هم حكّام مصر بل حكّام المشرق والمغرب إلى حدود نيّف وأربعمائة ، لمّا حَمَل المُعِزّ بنُ باديس الناس

(١) هو قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن بن على بن عبد الرحمن بن على بن هاشم التفهنى . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٣٥ هـ . (٢) هو قاضى القضاة بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى ابن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود العينى والعينتابى : نسبة الى عين تاب ، وهى قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٥٥ هـ . (٣) هو شيخ الإسلام سراج الدين أبو حفص عمر بن على بن فارس شيخ شيوخ خانقاه شيخون المعروف بقارئ الهداية . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٢٩ هـ . (٤) هو السلطان الملك العزيز أبو المحاسن جمال الدين يوسف ابن السلطان الملك الأشرف برسباى الدقاق الظاهرى . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٦٨ هـ .

(٥) سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٦٧ هـ . (٦) بعد هذه الكلمة بياض بالأصلين . جع بقية القضاة الحنفية بعد هذا التاريخ فى حسن المحاضرة للسيوطى .

بلاد المغرب على آتّباع مذهب الإمام مالك — رضى الله عنه — ثم ملكت العُبَيْدِيّة مصر فمحَوْا آثار السُّنّة وولَّوْا قضاة الشّيعة وبَطَل الأربعة مذاهب من مصر إلى أن زالت دولتهم وتولّى السلطان صلاح يوسف بن أيُّوب — رحمه الله — فولّى قاضيًا شافعيًّا فقط كونه كان شافعيًّا ، وأذهب الرافضة ، وآستمرّ ذلك نحو تسعين سنة حتّى ولى الملك الظاهر بِيبَرْس فجدّد المذاهب الثلاثة كما سُقْناه . انتهى .



ذكر القضاة المالكيّة

فالذى كان أوّلهم ولايةً فى دولة الظاهر بِيبَرْس[(1)] هو القاضى شرف الدين عمر السُّبْكِىّ[(2)] المالكىّ تغمّده الله برحمته وجميع المسلمين ...



ذكر قضاة الحنابلة

فالذى ولّاه الملك الظاهر بِيبَرْس هو قاضى القضاة شمس الدين أبو بكر محمد[(3)] الجَمّاعِيلىّ الحنبلىّ إلى أن آمتُحِن وصُرِف فى ثانى شعبان سنة سبعين وستمائة ، ولم يَلِ بعد عزله بالقاهرة أحدٌ من الحنابلة حتى تُوفّى شمس الدين المذكور فى يوم الخميس فى العشر الأوّل من المحرّم سنة ستّ وسبعين . ثم ولى بعده قاضى القضاة عِزّ الدين

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢٢ من هذا الجزء . (٢) لم يذكر المؤلف من قضاة المالكية غير شرف الدين السبكى المذكور ، ويوجد بالأصلين بعده بياض . ومن أراد آستيفاء الكلام على بقية قضاة المالكية فليراجع حسن المحاضرة للسيوطى فانه ذكرها بتفصيل واف .

(٣) هو قاضى القضاة شمس الدين أبو بكر وأبو عبد الله محمد آبن العماد إبراهيم بن عبد الواحد بن على بن سرور بن رافع المقدسى الصالحى الدمشق (عن المنهل الصافى وشذرات الذهب).

عمر بن عبد الله [بن عمر](١) بن عوض فى النصف من جُمادى الأولى سنة ثمانٍ وسبعين، فاستمرّ حتى مات سنة ستّ وتسعين وستمائة . ثم تولّى بعده قاضى القضاة شرف الدين أبو محمد(٢) عبد الغنى الحرّانىّ إلى أن مات فى رابع عشرين شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعمائة . ثم تولّى بعده قاضى القضاة سعد الدين مسعود بن أحمد الحارثىّ(٣) فى ثالث شهر ربيع الآخر من السنة، وعزل بعد سنتين ونصف بقاضى القضاة تقىّ الدين(٤) ابن قاضى القضاة عزّ الدين عمر فى حادى عشر شهر ربيع الأوّل سنة اثنتى عشرة وسبعمائة، بعد ما شغر منصب القضاء ثلاثة أشهر(٥)، فلم تُطل أيامه وعُزل بقاضى القضاة موفّق الدين عبد الله بن محمد بن عبد الملك المقدسىّ فى نصف جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وثلاثين وسبعمائة، فدام فى المنصب إلى أن مات فى المحرّم سنة تسع وستين وسبعمائة . ثم تولّى عِوَضَه قاضى القضاه ناصر الدين نصر الله بن أحمد بن محمد العسقلانىّ حتّى مات فى ليلة الحادى والعشرين من شهر شعبان سنة خمس وتسعين وسبعمائة . ثم تولّى بعده ابنه قاضى القضاة بُرهان الدين إبراهيم بن نصر الله حتّى مات فى ثامن شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين وثمانمائة . ثم تولّى عِوَضَه أخوه قاضى القضاة موفّق الدين أحمد بن نصر الله، فدام حتّى صُرف بقاضى القضاة نور الدين على [بن خليل بن على بن أحمد بن عبد الله](٦) الحِكْرِىّ . فلم تُطل مدّة الحِكْرِىّ

(١) التكملة عن المنهل الصافى وشذرات الذهب . (٢) هو قاضى القضاة شرف الدين أبو محمد عبد الغنى بن يحيى بن محمد بن بكر بن عبد الله بن نصر بن أبى بكر بن محمد الحرانى (عن المنهل الصافى) .

(٣) فى الأصلين هنا : «الحرانى» . والتصحيح عما سيأتى ذكره للمؤلف فى حوادث سنة ٧١١ هـ وشذرات الذهب وحسن المحاضرة وطبقات الحفاظ للذهبى . وهو قاضى القضاة سعد الدين أبو محمد وأبو عبد الرحمن مسعود بن أحمد بن مسعود بن زيد المحدث الحافظ العراقى المصرى . (٤) هو قاضى القضاة تقى الدين أحمد بن عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض توفى سنة ٧٧٦ هـ (عن الدرر الكامنة) .

(٥) كذا فى الأصلين . ويلاحظ أنه مكث فى القضاء ستا وعشرين سنة . (٦) الزيادة عن المنهل الصافى وشذرات الذهب . وسيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٠٦ هـ . والحكرى : نسبة الى الحكر خارج القاهرة (عن المنهل الصافى) .

وصُرِف . ثم أُعيد مُوفَّق الدين فاستمرّ إلى أن مات فى سنة ثلاث وثمانمائة . ثم تولّى بعده قاضى القضاة مجد الدين سالم [بن أحمـد][1] فى ثالث عشرين شهر رمضان من سنة ثلاث فاستمرّ فى القضاء إلى أن صُرِف بقاضى القضاة علاء الدين علىّ [بن محمود آبن أبى بكر][2] بن مُغْلِى فى حدود سنة ست عشرة وثمانمائة ، فاستمرّ علاء الدين بن مغلى فى القضاء إلى أن تُوفِّى بالقاهرة فى العشرين من صفر سنة ثمانٍ وعشرين وثمانمائة . ثم تولّى بعده قاضى القضاة مُحِبّ الدين أحمد بن نصر الله [بن أحمد بن محمد بن عمر][3] البَغْدادىّ من التاريخ المذكور إلى أن صَرَفه الملك الأشرف بقاضى القضاة عِزّ الدين عبد العزيز [بن علىّ بن العِزّ بن عبد العزيز][4] البغدادىّ فى ثالث عشر جُمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ، فدام القاضى عزّ الدين إلى أن صُرِف فى يوم الثلاثاء ثانى عشر صفر سـنة ثلاثين وثمانمائة . ثم أُعيـد قاضى القضاة مُحِبّ الدين ، وآستمرّ إلى أن مات فى يوم الأربعاء خامس عشر جُمـادى الأولى سـنة أربع وأربعين وثمانمائة . ثم تولى بعده قاضى القضاة بدر الدين محمـد [بن محمد][5] بن عبد المنعم البغـدادىّ إلى أن مات فى ليـلة الخميس سابع جُمادى الأولى سـنة سبع وخمسـين وثمانمائة . ثم تولّى بعـده قاضى القضاة عز الدين أحمد[6] فى يوم السبت تاسع جمـادى الأولى المذكـور .

---

(١) الزيادة عن المنهل الصافى . وسيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٢٦ هـ .

(٢) التكملة عن المنهل الصافى وشذرات الذهب وما سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٨٢٨ هـ .

(٣) الزيادة عن المنهل الصافى ، وما سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٤٤ هـ . (٤) الزيادة عن المنهل الصافى ، وسيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٤٦ هـ . (٥) التكملة عن شذرات الذهب ، وما سيذكره المؤلف فى وفيات سـنة ٨٥٧ هـ . (٦) هو قاضى القضاة عز الدين أبو البركات أحمد بن إبراهيم بن نصر الله بن أحمـد بن محمد بن أبى الفتح بن هاشم بن نصر الله بن أحمـد الكنانى العسقلانى . توفى سنة ٨٧٦ هـ (عن شذرات الذهب) .

قلت : وقد خرجنا عن المقصود فى ترجمة الملك الظاهر بيبرس بالإطالة فيما ذكرناه، غير أنّ ذلك كلّه هو أيضا ممّا يُضاف إلى ترجمته ، ولا بأس بالإطالة مع تحصيل الفائدة، ولنعُد إلى ذكر السلطان الملك الظاهر بيبرس .

ثم أمر الملك الظاهر بأن يعمل بدِمَشْق أيضا كذلك فى سنة أربع وستين فوقع ذلك ،وولّى بها قضاة أربعة. ولمّا وقّع ولايته القضاء من كلّ مذهب بدمَشق اتّفق أنّه كان لَقَبُ(١) ثلاثة قضاة منهم شمس الدين، وهم : قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن محمد بن خلّكان الشافعىّ(٢). وقاضى القضاة شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطا الأَذْرَعِىّ(٤) الحنفى . وقاضى القضاة شمس الدين(٣) عبد الرحمن آبن الشيخ أبى عمر الحنبلىّ(٥)؛ فقال بعض الشعراء رحمه الله فى هذا المعنى :

أهلُ الشآم آسترابوا * من كثرة الحُكّامِ
إذْ هُمْ جميعًا شموسٌ * وحالُهم فى ظلامِ

وقال غيره :

بدِمَشْق آيةٌ قد * ظهرت للناس عامًا
كلّما وُلِّىَ(٦) شمسٌ * قاضيا زادت ظلامًا

(١) هو قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن خلكان المؤرخ المشهور . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨١ هـ . (٢) سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٧٣ هـ .
(٣) هو قاضى قضاة دمشق شمس الدين أبو الفرج وأبو محمد عبد الرحمن بن أبى عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨٢ هـ . (٤) فى الأصلين : « أبو عمرو » . والتصحيح عن شذرات الذهب وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات والسلوك وعيون التواريخ وما تقدّم ذكره فى حوادث سنة ٦٠٧ هـ . (٥) ذكر المؤلف هنا قاضى الشافعية والحنفية والحنابلة وترك قاضى المالكية قصدا لكونه لم يلقب بشمس الدين وهو رابعهم ، وهو عبد السلام بن على بن عمر بن سيد الناس أبو محمد الزواوى المالكى . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨١ هـ . (عن المنهل الصافى والسلوك وعيون التواريخ) . (٦) رواية هذا البيت فى المنهل الصافى وعيون التواريخ :

كلما آردادوا شموسا * زادت الدنيا ظلاما

وما أثبتناه عن المنهل الصافى وعيون التواريخ .

فتوحاته رحمـــه الله

ثم سافر الملك الظاهر من مصر إلى البلاد الشامية فى هذه السنة (أعنى سـنة أربع وستين) فخرج منها فى يوم السبت مستهلّ شعبان، وجعل نائبه بديار مصر ولده الملك السعيد، وجعل الجيش فى خدمته والوزير بهـاء الدين بن حِنّا؛ وسار الملك الظاهر حتّى نزل عَيْنَ جَالوت وبعث عسكرا مقدَّمه الأمير جمـال الدين أَيْدُغْدِى العَزيزىّ، ثم عسكرا آخر مقدَّمه الأمير سيف الدين قلاوون الألفى للإغارة على بلاد الساحل، فأغاروا على عكّا وصُور وطرابُلُس وحصن الأكراد وسـبَوْا وغَنِموا مالا يُحْصَى؛ ثم نزل الملك الظاهر بنفسه على صَفَد فى ثامن شهر رمضان، ونصَب عليهـا المجانيقَ، ودام الاهتمامُ بعمل الآلات الحربيّـة إلى مستهلّ شـوّال شرع فى الزَّحف والحِصار وأخذ النُّقُوب من جميع الجهات إلى أن ملكها بُكْرة يوم الثلاثاء خامس عشر شـوّال؛ واستمرّ الزَّحْفُ والقتالُ ونصبُ السلالم على القلعة وتسلطت عليها النقوب، والسـلطان يُباشر ذلك بنفسه، حتّى طلب أهلُ القلعة الأمانَ على أنفسهم وطلبوا اليمين على ذلك، فأجلس السلطانُ الملكُ الظاهرُ الأميرَ كرمون [أغا](1) التّتَارِىّ فى دَسْت السلطنة، وحضرت رُسُلُهم فاستحلفوه فحلف [لهم كرمون التّتارىّ](2) وهم يظنونه الملك الظاهر، فإنه كان يُشْبِه الملك الظاهر. وكان فى قلب الملك الظاهر منهم حَزازة، ثم شَرَط عليهم ألّا يأخذوا معهم من أموالهم شيئا. فلمّا كان يوم الجمعة ثامن عشر شـوّال طلعت السناجق على قلعة صَفَد، ووقف الملك الظاهر بنفسه على بابهـا وأخرج من كان فيها من الخيّالة والرجّالة والفلاحين؛ ودخل الأمير بدر الدين بيليك الخازِنْدار وتسلّمها، واطّلع على أنهم أخذوا شيئًا كثيرًا من التُّحَف

(١) الزيادة عن السلوك (ص ٥٤٨) ونهاية الأرب (ج ٢٨ ص ٣٩).
(٢) زيادة عن عيون التواريخ والسلوك.

له قيمةٌ، فأمر الملك الظاهر بضَرْب رقابهم فضُرِبت على تلّ هناك، وكُتِبت البشائر بهذا النصر إلى مصر والأقطار، وزُيِّنت الديار المصريّة لذلك. ثم أمَرَ الملك الظاهر بعمارة قلعة صَفَد وتحصينها ونَقْل الذخائر إليها والأسلحة، وأزال دولة الكفر منها، ولله الحمد، وأقطع بلدَها لمن رَتّبه لحفظها من الأجناد، وجعل مقدّمهم الأمير علاء الدين الكبكى (١)، وجعل فى نيابة السلطنة بالمدينة الأمير عزّ الدين العَلّائى، وولاية القلعة للأمير مجد الدين الطُّورى.

ثم رَحَل الملك الظاهر إلى دِمَشْق فى تاسع (٢) عشر شوّال. ولمّا كان الملك الظاهر نازلًا بصَفَد وصل إليه رسول صاحب صِهْيَوْن بهديّة جليلة ورسالة مضمونُها الاعتذار من تأخيره عن الحضور، فقَبِل الملك الظاهر الهديّة والعُذْرَ. ثم وصلت رُسُلُ صاحب سِيس (٣) أيضًا بهديّة فلم يَقْبَلها ولا سمِع رسالتهم. ثم وصلت البَرِيديّة (٤) من متولّى قُوص ببلاد الصَّعيد بخبر أنّه استولى على جزيرة سواكن (٥) وأنّ صاحبها هَرَب، وأرسل يطلب من الملك الظاهر الدخول فى الطاعة وإبقاء سواكن عليه، فرَسَم

---

(١) فى الأصلين: «البكى». وما أثبتناه عن النهج السديد وعيون التواريخ.

(٢) فى السلوك: «وفى سابع عشريه رحل السلطان ... الخ». (٣) سيس: عاصمة أرمينيا الصغرى (كليكلية) وكانت مدينة كبيرة ذات أسوار، على جبل مستطيل ولها بساتين ونهر صغير، وهى الآن بلدة فى جنوب آسيا الصغرى (أبو الفدا ص ٢٥٧ وفلسطين الإسلامية لاسترانج ص ٥٣٨ وقاموس الجغرافيا). (٤) البريدية: نسبة الى البريد. وقد اهتم بأمر البريد الملك الظاهر بيبرس لما ملك مصر والشام وحلب الى الفرات، وأراد تجهيز دولة إلى دمشق فعين لها نائبا ووزيرا وقاضيا وكاتبا للانشاء، وكان الصاحب شرف الدين أبو محمد عبد الوهاب كاتب الإنشاء، فلما مثل لديه ليودعه أوصاه يوما بأكثرة آكدها مواصلته بالأخبار وما يتجدد من أخبار التتار والفرنج، وقال له: إن قدرت ألا تبيتنى كل ليلة إلا على خبر ولا تصبحنى إلا على خبر فافعل، فعرض له بما كان عليه البريد فى الزمان الأوّل وأيام الخلفاء، وعرضه عليه فحسن موقعه منه وأمر به. (راجع التعريف لابن فضل الله العمرى ص ١٨٧). (٥) سواكن: ميناء على البحر الأحمر، بينها وبين عطبرة التى على وادى النيل اتصال بالسكة الحديدية، وبينها وبين بربر وكسلا طرق تجارية عظيمة، ولكن وجود بورسودان بالقرب منها قد أثر عليها. وبها تجارة واسعة.

له الملك الظـاهر بذلك . ثم رحل الملك الظـاهر من دِمَشْـق يوم السبت ثالث ذى القعدة وأمر العساكر بالتقدّم إلى بلاد سِيس للإغارة عليها ، وقدّم عليهم الملك المنصور صاحب حَمَاة وتدبير الأمور راجعٌ إلى الأمير آق سنقر الفَارِقانِىّ (١)، فساروا حتّى وصلوا إلى الدَّرْبَنْد (٢) الذى يدخلون منه إليها ، وكان صاحبها قد بَنَى عليها أَبْرِجَةً فيها المُقاتِلة ؛ فلمّا رأوْا العسكر تركوها ومضَوْا فأخذها المسلمون وهدَمُوها ، ودخلوا بلاد سِيس فنهبُوا وأسرُوا وقتلُوا ؛ وكان فيمن أُسِر آبن صاحب سِيس وآبن أختـه وجماعةٌ من أكابرهم ، ودخلوا المدينة يوم السبت ثانى عشر ذى القعدة وأخذوا منها ما لا يُحْصَى كَثْرَةً ، وعادوا نحو دمَشْـق . فلمّا قاربوها خرج الملك الظاهر لتلقّيهم فى ثانى ذى الحجّـة ، وآجتاز بقَارَةَ (٣) فى سادسه ، فأمر بنهبها وقَتْلِ مَن فيها من الفرنج ، فإنّهـم كانوا يُخِيفون (٤) السبيل ويستأسِرون المسلمين ، فأراح الله منهم وجُعِلت كنيستها جامعًا ، ورتّب بقَـارَةَ خطيبًا وقاضيًا ، ونقَل إليها الرعيـة من المسلمين ؛ ثم آلتقى العساكر وخَلَع عليهم وعاد معهم ، فدخل دِمَشْق ، والغنائم والأَسْرَى بين يديه ، فى يوم الاثنين خامس (٥) عشر شهر ذى الحجّة فأقام بها مدّة . ثم خرج منها طالبًا الكَرَك فى مستهلّ المحرّم سنة خمس وستين وستّمائة ، وأمر الملك الظاهر بعد خروجه من دِمَشْق بعمارة جِسر (٦)

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٧ من هذا الجزء . (٢) فى الأصلين : « وصلوا إلى الدرب » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ . وراجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٥٥ من الجزء السادس من هـذه الطبعة . (٣) قارة : قرية كبيرة بين دمشق وحمص على نحو منتصف الطريق وهى منزلة للقوافل ، وغالب أهلها نصارى (عن تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل) . (٤) فى الأصلين : « يخافون السبيل » . والسياق يقتضى ما أثبتناه . (٥) فى النهج السديد : « فى خامس عشرين ذى الحجة » . (٦) هذا الجسر باق إلى يومنا هذا ، وقد تم بناؤه فى سنة ٦٧١ هـ وكتب على العقد الأوسط فيه اسم المهندس الذى بناه بأمر بيبرس ولا تزال هذه الكتابة بخطها الثلث المبين واضحة تقرأ فى أربعة أسطر يحرسها أسدان شعار الملك الظاهر ، ونصها كما يلى :

" بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد وصحبه أجمعين " .

بالغَوْر على [نهر] الشَّريعة (١) ؛ وكان المتولّى لعمارته جمال الدين محمد بن نَهار (٢) وبدر الدين محمد بن رحال وهما من أعيان الأمراء ؛ ولمّا تكامل عمارته آضطرب بعض أركانه ، فقلِق الملك الظاهر لذلك وأعاد الناسَ لإصلاحه فتعذّر ذلك لزيادة الماء ، فآتفق وقوف الماء عن جَرَيَانه حتّى أمكن إصلاحه ؛ فلمّا تمّ إصلاحُه عاد الماء إلى حاله ؛ قيل إنّه كان وقع فى النهر قطعةٌ كبيرة ممّا يُجاوره من الأماكن العالية فسدّته من غير قصد . وهذا من عجيب الآتّفاق .

ثمّ عاد الملك الظاهر إلى ديار مصر وعند (٣) عوده إليها وصل إليه رسل صاحب اليمن الملك المظفّر (٤) [شمس الدين] يوسف بن عمر ومعهم فيل وحمار وحش أبيض وأسود وخيول وصيني وتُحَف ، وطلب معاضدة الملك الظاهر له وشرط له أن يخطب له ببلاده . ثمّ خرج السلطان فى يوم السبت فى ثانى جمادى الآخرة إلى بركة الجُبّ (٥) عازما على قصد الشام على حين غفلة ، وجعل نائب السلطنة على مصر الأمير بيليك

= " أمر بعمارة هذا الجسر المبارك مولانا السلطان الأعظم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس بن عبد الله " " فى أيام ولده مولانا السلطان الملك السعيد ناصر الدين بركة خان أعز الله أنصارهما وغفر لهما وذلك " " بولاية العبد الفقير الى رحمة الله علاء الدين على السواق غفر الله له ولوالديه فى شهر رمضان سنة إحدى وسبعين وستمائة " .

راجع المجلة الأسيوية فى الصورة والمقال الذى كتبه كيلر مونت جانو سنة ١٨٨٨ م ص ٣٠٥ . وقد رسم السلطان ببنائه فى سنة ٦٦٤ هـ على النهر الذى يشق غور الشام ويسمونه بالشريعة وهو بقرب دامية فيما بينها وبين فراوى . (١) زيادة عن عيون التواريخ .

(٢) فى الأصلين هنا : « بهادر » . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢١ من هذا الجزء .

(٣) الذى يفهم من عبارة المؤلف أن رسل صاحب اليمن وصلوا سنة ٦٦٥ هـ . ويفهم من عبارة عيون التواريخ أنه دخل القاهرة فى شهر ربيع الأول سنة ٦٦٥ هـ ، وأن وصول رسل صاحب اليمن الملك المظفر كان فى سنة ٦٦٦ هـ . (٤) هو الملك المظفر شمس الدين أبو المحاسن يوسف ابن السلطان الملك المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٩٤ هـ .

(٥) فى الأصلين : « الى بركة الحبش » وهو خطأ ، وتصحيحه عن عيون التواريخ . وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

الخازندار ، ورحل فى سابع الشهر ، فوردت عليــه رسل صاحب يافا فى الطريق فآعتقلهم ، وأمر العسكر بلُبْس آلة الحرب ليلا وسار فأصبح يافا ، وأحاط بها من كل جانب ، فهَرَب من كان فيهـا من الفرنج إلى قلعتها ، فملَك السلطان المدينة وطلب أهلُ القلعـة الأمان ، فأمّنهم وعوّضهم عما نُهِب لهم أربعين ألف درهم ، فركبوا فى المراكب إلى عَكّا ؛ وكان أخذُ قلعة يافا فى الثانى والعشرين من الشهر المذكور وأمر بهدمها ؛ فلمّا فرَغ السلطان من هدمها رَحَل عنها يوم الأربعاء ثانى عشر شهر رجب (١) طالبا للشّقيف (٢) ، فنزل عليــه يوم الثلاثاء وحاصرها حتّى تسلّمها يوم الأحد تاسع عشرين رجب ؛ وكان الملك الظاهر أيضًا ملَك الباشورةَ (٣) بالسيف فى السادس والعشرين منه ؛ ثم رحَل الملك الظاهر عنها بعد أن رَتّب بها عسكرًا فى عاشر شعبان ، وبعث أكثر أثقاله إلى دِمَشق وسار إلى طرابُلُس فشَنّ عليها الغارة وأخرب قُراها وقطع أشجارها وغوّر أنهارها . ثم رَحَل (٤) إلى حصن الأكراد ونزل بالمَرْج الذى تحته ، فحضر إليه رسولُ مَنْ فيه بإقامة وضيافة ، فردّها عليــه وطلب منهم دِيَةَ رجل من أجناده ، كانوا قتلوه ، مائة ألف دينار فأرضَوْه . فرحل إلى حِمْص ثم إلى حَمَاة ثم

---

(١) كذا فى الأصلين والنهج السديد . وفى السلوك : « يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رجب » . وكلتا الروايتين غير صحيحة لأنه يتعين أن أوّل رجب يوم الأحد حيث إن يوم التاسع والعشرين منه يوم الأحد ، كما يفهم من كلام المؤلف ومن النهج السديد فى أوّل جمادى الآخرة . (٢) الشقيف : شقيف أرنون من أعمال دمشق بينها وبين الساحل بالقرب من بانياس ، وأرنون هذا اسم أعجمى نسبت اليه ، وهى قلعة حصينة على نهر ليطة . وقد استعمل الظاهر فى الأستيلاء عليها حيلة غريبة ذكرها صاحب نهاية الأرب (ج ٢٨ ص ٩٢ — ٩٣) وابن أبى الفضائل فى النهج السديد ص ١٦٤ وراجع هامش السلوك ص ٥٦٥ وفلسطين الإسلامية لاسترانج (ص ٥٣٤ — ٥٣٥) . (٣) فى الأصلين : « الماسورة » . والتصحيح عن هامش السلوك ص ٥٦٥ والنهج السديد . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٤) عبارة الأصلين : « ثم رحل ونزل على حصن الأكراد تحت البرج الذى للحصن » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ . وحصن الأكراد : من أعمال حمص وهو قلعة حصينة مقابل حمص من غربيها على الجبل المتصل بجبل لبنان ولها ربض ، وكانت مقر ولاية السلطنة قبل فتح طرابلس وهى على مرحلة من حمص وكذلك عن طرابلس وهى بين حمص وطرابلس . (تقويم البلدان ص ٢٥٨) .

إلى أَفَامِيَة[1] ثم سار ونزل منزلةً أخرى، ثم رحَل ليلًا وأمر العسكر بلُبْس آلة الحرب، ونزل أنطاكِيَة فى غُرّة شهر رمضان، فخرج إليه جماعة من أهلها يطلبون الأمان وشرطوا شروطا لم يُجب إليها، وزَحف عليها فملكها يوم السبت رابع الشهر، ورتّب على أبوابها جماعةً من الأمراء لئلّا يخرج أحدٌ من الحرافشة بشىء من النهب، ومن يوجد معه شىء يُؤخذ منه، فجمع من ذلك ما أمكن جمعُه وفرّقه على الأمراء والأجناد بحسب مراتبهم. وحُصِر مَنْ قُتِل بأنطاكِيَة فكانوا فوق الأربعين ألفا، وأطلق جماعةً من المسلمين كانوا فيها أسراء من الحلبيّين، وكتب البشائر بذلك إلى مصر وإلى سائر الأقطار. وأنطاكِيَةُ: مدينة عظيمة مشهورة، مسافة سورها اثنا عشر ميلا، وعدد أبراجها مائة وستة وثلاثون بُرْجًا، وعَدَدُ شُرُفاتها أربع وعشرون ألفا. ولم يفتحها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيُّوب[2] — رحمه الله — فيما فتح.

قلت: كم ترك الأوّل للآخر!

ولمّا ملَك الملك الظاهر أنطاكِيَةَ وصل إليه قُصّاد من أهل القُصَير[3] يطلبون تسليمها إليه، فسيّر السلطان الأميرَ شمس الدين آق سنقر الفارِقانىّ بالعساكر إليها فوصلها

(١) أفامية: مدينة حصينة فى ساحل الشام وكورة من كور حمص. ويسميها بعضهم «فامية» بغير همز (عن معجم البلدان لياقوت).

(٢) كان بيموند صاحب طرابلس وأنطاكية قد كثر تعديه على بلاد الإسلام. وأخذ البلاد المجاورة له بعد زوال الأيام الناصرية (صلاح الدين يوسف) وكان من أكبر أعوان التتار، فلما وصل السلطان الظاهر إلى الشقيف طالبا أنطاكية وعرّ بيموند الطرقات. ولم يمنع ذلك السلطان من الإغارة على أنطاكية، فأغار عليها فى مستهل رمضان ثم ملكها يوم السبت رابع الشهر كما فى الأصلين. وكتب إلى بيموند بخبر هذا الفتح وهو فى طرابلس كتابا كله تقريع وتهكم. راجع نص الكتاب فى نهاية الأرب ص ٩٤ — ٩٥ من الجزء ٢٨. وفى الصفحات ٩٦ — ٩٨ فذلكة تاريخية عن أنطاكية فلتراجع هناك، وانظر السلوك ص ٥٦٧ — ٥٦٨.

(٣) يريد به حصن القصير وهى قلعة حصينة من قلاع حلب (ياقوت ج ٥ ص ٢٧). وعبارة عيون التواريخ والنهج السديد: «ووصل إليه قصاد من بغراس يطلبون تسليمها إليه فسير الأمير شمس الدين الفارقانى بالعساكر فوصل إليها وتسلمها، وصالح القصير على مناصفته ومناصفة القلاع المجاورة له».

ووجد أكثر أهلها قد بَرِح منها، فتسلّمها فى ثالث عشر شهر رمضان، وكان قد تسلّم دَرْكُوش[١] بواسطة فخر الدين الحَنَاجِى فى تاسع شهر رمضان وعاد إلى دمشق، فدخلها فى سابع عشرين شهر رمضان، وعيّد السلطان بقلعة دِمَشْق. ثم عاد إلى القاهرة فدخلها آخر نهار الأربعاء حادى عشر ذى الحِجّة. وبعد وصوله بمدّة جلس فى الإيوان بقلعة الجبل يوم الخميس تاسع[٢] صفر، وأحضرَ القضاة والشهود والأعيان وأمر بتحليف الأمراء ومقدّمى الحَلْقَة لولده الملك السعيد بركة خان [بولاية[٣] عهده وخليفته من بعده] فحَلَفُوا. ثم ركب الملك السعيد يوم الاثنين العشرين من الشهر بأُبّهة السلطنة فى القلعة ومشَى والده أمامه، وكُتِب تقليدٌ[٤] [له][٣] وقُرِئَ على الناس بحضور الملك الظاهر وسائر أرباب الدولة.

ثم فى يوم السبت ثانى عشر جُمَادَى[٥] الآخرة خرج الملك الظاهر من القاهرة متوجّها إلى الشام ومعه الأمراء بأَسْرِهم جرائدَ، وٱستناب بالديار المصريّة فى خدمة ولده الأميرَ بدر الدين بِيلِيك الخَازِنْدَار. ومن هذا التاريخ علّم الملك السعيد على التواقيع وغيرها: ولمّا[٦] صار الملك الظاهر بدمشق وصلت إليه كتب التّتار ورسلُهم، والرسل: مُحِبّ الدين دَوْلَة خان، وسيف الدين سعيد تَرْجُمان وآخرُ، ومعهم جماعة من أصحاب سِيس، فأنزلهم السلطان بالقلعة وأحضرهم من الغد وأدّوا الرسالة

(١) دركوش: حصن قرب أنطاكية من أعمال العواصم (عن معجم البلدان لياقوت). (٢) فى عيون التواريخ: «فى يوم الخميس سادس صفر» من سنة ٦٦٧ هـ. (٣) زيادة عن عيون التواريخ.
(٤) أورده النويرى فى نهاية الأرب فى الجزء الثامن والعشرين نص هذا التقليد، وذكر أنه من إنشاء وخط المولى فخر الدين بن لقمان، وأوله: «الحمد لله الذى جعل العالى [illegible]» فراجع هذا التقليد فى ورقتى ٦٨، ٦٩ من الجزء المذكور. (٥) فى الأصلين: «فى يوم السبت ثالث جمادى الآخرة». وتصحيحه عن السلوك وبما يفهم من التوفيقات الإلهامية لمختار باشا.
(٦) فى الأصلين: «ولما سار» بالسين.

ومضمونها : أنّ الملك أَبْغَا[1] بن هولاكو لمّا خرج من الشرق[2] ملَك جميع البلاد ومن خالفه قُتِل وأنت (يعنى للملك الظاهر) لو صَعِدْت إلى السماء أو هَبَطْتَ إلى الأرض ما تخلُص منّا ، فالمصلحة أن تجعل بيننا صُلْحًا ، وأنت مملوكٌ أُبْعِتَ فى سِيواس فكيف تشاقق ملوك الأرض وأولاد ملوكها ! فأجابه فى وقته بأنّه فى طلب جميع ما آستوْلَوْا عليه من العراق والجزيرة والروم والشام وسفّرهم إليه بسرعة . ثم فى آخر شهر رجب خرج الملك الظاهر من دِمَشْق ونزل خَرِبَةَ[3] اللّصوص فأقام بها أيّاما ؛ ثم ركب ليلة الآثنين ثامن عشر شعبان ولم يشعُر به أحد وتوجّه إلى القاهرة على البريد بعد أن عرّف الفارِقَانِىّ أنّه يغيب أيّاما معلومة، وقرّر معه أنه يُحْضِر الأطِبّاء كلّ يوم ويستوصف منهم ما يُعَالَج به متوعِّكٌ يشكو تغيير مِزَاجِه، ليُوهِم الناس أنّ الملك الظاهر هو المتوعّك؛ فكان يُدْخِل ما يصفونه[4] إلى الخَيْمة ليُوهِم العسكر صحّةَ ذلك، وسار الملك الظاهر حتّى وصل قلعة الجبل ليلة الخميس حادى عشرين شعبان، فأقام بالقاهرة أربعة أيّام؛ ثم توجّه ليلة الآثنين خامس عشرين الشهر على البريد، فوصل إلى العسكر يوم تاسع عشرين الشهر . وكان غرضه بهذا السّفر كشفَ أحوال ولده الملك السعيد وغير ذلك . ثم فى يوم الأحد سادس عشر[5] شهر رمضان

(١) رواية السلوك (ص ٥٧٤) وعيون التواريخ هكذا : « إن الملك أبغا لما خرج من الشرق تملك جميع العالم وما خالفه أحد ، ومن خالفه هلك وقتل ، فأنت لو صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تحصلت منا ، فالمصلحة أن تجعل بيننا صلحا » . وكان فى المشافهة : « أنت مملوك وأبعت فى سيواس ، فكيف تشاقق الملوك ملوك الأرض ؟ » .

(٢) أبغا (أو أباغا) هو ابن هولاكو تولى بعد أبيه فى شهر ربيع الأوّل سنة ٦٦٣ هـ . وكان لهولاكو عدا أباغا المذكور ستة عشر ولدا ذكورا (السلوك ص ٥٤١) .

(٣) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٣٠٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٤) فى الأصلين : « ما يوصفوا به » .

(٥) فى الأصلين والسلوك : « يوم الأحد سادس عشرين شهر رمضان » وتصحيحه عن التوفيقات الإلهامية وما سيأتى بعد قليل للمؤلف .

تسلّم نوّاب الملك الظاهر قلعة بَلاطُنُس (١) وقلعة كرابيل (٢) من عزّ الدين أحمد بن مظفّر الدين عثمان (٣) بن مَنْكُورس صاحب صِهْيَوْن (٤)، وعوّضه غيرهما قريةً تعرف بالحميلة (٥) من أعمال شَيْزَر (٦). ثم فى يوم الخميس العشرين من شهر رمضان توجّه الملك الظاهر إلى صَفَد فأقام بها يومين ثم شنّ الغارة على بلد صُور، وأخذ منهـا شيئًا كثيرا. ثم عاد الملك الظاهر إلى دِمَشْق وعيّد بهـا (٧). ثم خرج منها فى خامس عشرين شوّال يريد الكَرَك فوصله فى أوائل ذى القعدة. ثم توجّه فى سادسه إلى الحجاز، وصحبته بِيلِيك الخَازِنْدَار والقاضى صدر الدين سليمان الحنفى وفخر الدين إبراهيم بن لقمان وتاج الدين ابن الأثير ونحو ثلثمائة مملوك وجمـاعة من أعيان الحَلْقة، فوصل المدينــة الشريفة فى العَشْر الأخير من الشهر فأقام بها ثلاثة أيام، وكان جَمّاز (٨) قد طرق المدينة وملكها، فلمّا قَدِم الظاهر هرب؛ فقال الملك الظاهر : لو كان جَمّاز يستحقّ القتل ما قتلته! لأنه فى حَرَم النبىّ صلّى الله عليه وسلم؛ ثم تصدّق فى المدينة بصدَقات كثيرة، وخرج منها متوجّها إلى مكّة فوصلها فى ثامن ذى الحجّة، فخرج إليه أبو نُمَىّ وعمّه إدريس صاحبا مكّة، وبذلا له الطاعة فخلع عليهما وسارا بين يديه إلى عَرَفات، فوقف بها يوم الجمعة ثم عاد إلى مِنًى، ثم إلى مكّة وطاف بها طوافَ الإفاضة، وصَعِد الكعبة

---

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة. (٢) بحثنا عن هذه القلعة فى المصادر التى تحت أيدينا فلم نهتد إليها. (٣) فى الأصلين : «مظفر الدين حماد». والتصحيح عن عيون التواريخ وتاريخ أبى الفدا. (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة. (٥) أطلنا البحث عن هذا المكان فى المصادر التى تحت يدنا فلم نوفق للعثور عليه. (٦) شيزر : (بفتح الشين المعجمة وسكون الياء) : مدينة من جند حمص غربى حلب، وهى ذات أشجار فى بساتين وفواكه كثيرة، ولها ذكر فى شعر آمرئ القيس (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٢٣ وتقويم البلدان ص ٢٦٣). (٧) عبارة عيون التواريخ : «وعيد الملك الظاهر بالجابية ثم رحل الى الفوار وأقام به الى خامس عشرين شوّال ثم توجه الى الكرك».

(٨) هو جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا بن الحسين الأصغر. توفى سنة ٧٠٤ هـ. وقد ضبطت كلمتا جماز وشيحة بالعبارة فى المنهل الصافى.

وغسلها بماء الوَرْد وطيّبها بيده، وأقام يوم الاثنين ثم ركب وتوجّه إلى المدينة الشريفة، فزار بها قبر النبيّ صلى الله عليه وسلم ثانيا . ثم توجّه إلى الكَرَك فوصله فى يوم الخميس تاسع عشرين ذى الحجة فصلّى به الجمعةَ . ثم توجه إلى دِمَشْق فوصل يومَ الأحد ثانى المحرّم سنة ثمانٍ وستين وستمائة فى السَّحَر، فخرج الأمير جمال الدين آقوش فصادفه فى سوق الخيل واجتمع به . ثم سار إلى حلب فوصلها فى سادس المحرّم ؛ ثم خرج منها فى عاشره وسار[1] إلى حَمَاة ثم إلى دِمَشْق ثم إلى مصر، وصحبته الأمير عزّ الدين الأَفْرَم فدخلها يوم الأربعاء رابع صفر،[2] واتّفق ذلك اليوم دخول رَكْب الحاجّ، وكانت العادة يوم ذاك بدخول الحاج إلى القاهرة بعد عاشر صفر، فأقام الملك الظاهر بالقاهرة أيّاما، وخرج منها فى صفر المذكور إلى الإسكندرية ومعه ولده الملك السعيد وسائر الأمراء فتصيّد أيّاما وعاد إلى نحو القاهرة فى يوم الثلاثاء ثامن شهر ربيع الأوّل ، وخَلَع فى هذه السَّفْرة على الأمراء وفرّق فيهم الخيلَ والحوائص الذهب والسيوفَ المحلّاة والذهب والدراهم والقماش وغير ذلك ، فلم يُقِم بالقاهرة إلا مدّة يسيرة ، وخرج منها متوجّها إلى الشام فى يوم الاثنين حادى عشرين شهر ربيع الأوّل فى طائفة يسيرة من أمرائه وخواصّه، فوصل إلى دِمَشْق فى يوم الثلاثاء سابع شهر ربيع الآخر[3]، ولَقِىَ أصحابُه فى الطريق مَشَقّةً شديدةً من البَرْد . ثم خرج عَقِيب ذلك إلى الساحل وأَسَر مَلِك عَكّا[4] ؛ وقَتَل وأَسَر وسَبَى . ثم

(١) فى الأصلين : « وعاد إلى حماة » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ .

(٢) فى التوفيقات الإلهامية أن أوّل صفر من هذه السنة كان يوم الاثنين .

(٣) فى الأصلين : «الثلاثاء سابع عشر شهر ربيع الآخر» . والتصحيح عن السلوك وما يفهم من سياق كلام المؤلف فيا تقدّم .

(٤) عبارة عيون التواريخ : « وخيم على الزبنقية وبلغه أن ابن أخت زيتون خرج من عكا ، فساق الملك الظاهر بعد ماعرف عسكر دمشق فصادف ابن أخت زيتون قد خرج فالتقاه وكسره واستأسره وجماعة من أصحابه » .

قصد الغارة على المَرْقَب[1] فوجد من الأمطار والثلوج ما منعه، فرجع إلى حِمْص فأقام بها نحو عشرين يوما . ثم خرج إلى جهة حصن[2] الأكراد ونزل تحتها، وأقام يركب كلّ يوم و يعود من غير قتـال إلى الثـامن والعشرين من شهر رجب، فبلغـه أنّ مراكب الفرنج دخلت ميناء الإسكندرية وأخذت[3] مركبين للسلمين، فرحّل من فوره إلى نحو الديار المصريّة فوصلها ثانى عشر شعبان، فحين دخوله إلى مصر امر بعمارة القناطر التى على بحر أبى المُنَجّا[4]، وهى من المبانى العجيبة فى الحسن والإتقان؛ و بينما هو فى ذلك ورد عليه البَرِيد من الشام أنّ الفرنج قاصدون الساحل، والمقدّم عليهم

---

(١) المرقب : بلد وقلعة حصينة حسنة البناء تشرف على ساحل بحر الشام و بانياس اسم لبلدتها و بينهما قريب من فرسخ (عن معجم البلدان لياقوت وتقويم البلدان) .
(٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٤٢ من هذا الجزء .
(٣) فى الأصلين : «وأخذت المسلمون منهم مركبين» . والتصحيح عن عيون التواريخ وعقد الجمان .
(٤) بحر أبى المنجا : يستفاد مما ورد فى الجزء الخامس من كتاب الانتصار لابن دقاق ص ٤٦ عند الكلام عن سواقى بحر أبى المنجا ، ومما ورد فى الجزء الثانى ص ١٥١ من الخطط المقريزية عند الكلام على قناطر أبى المنجا : أن هـذا البحر أنشاه أمير الجيـوش الأفضل شاهنشاه وقت وزارته للخليفـة الآمر بأحكام الله منصور بن أحمـد الفاطمى فى سـنة ٥٠٦ هـ ، تحت إشراف أبى المنجا يشـعيا اليهودى الذى كان مشرفا على أعمال الرى فى ذلك الوقت ، ولذلك عرف البحر باسم أبى المنجا .

وأقول بعد الاطلاع على ما ورد فى كتابى وقف الملك الأشرف برسباى والملك الأشرف قايتباى وعلى ما ورد بخصوص عمارة قنطرة بحر أبى المنجا عنـد شبين القناطر (ص ١٦٨ ج ١) من كتاب تاريخ مصر لابن إياس تبين لى من هذا ومن البحث أن بحر أبى المنجا هو الذى يعرف اليوم بترعة الشرقاوية من فمها القـديم إلى شبين القناطر ثم يسير باسم بحر أبى الأخضر الى نهايته بترعة الوادى . و فى سنة ١٢٤٨ هـ . أنشئ فم جديد لترعة الشرقاوية بدل الفم القـديم الذى أصبح خاصا بتغذية الترعة التى تعـرف اليوم بترعة أبى المنجا لأنها فرع منه وتسير من فمه القديم بالقرب من باسوس بمركز قليوب الى ناحية سنديون .

وأما القناطر التى أنشأها الملك الظاهر بيبرس على هذا البحر فى سنة ٦٦٥ هـ فلا تزال موجودة إلى اليوم وقد شاهدتها واقعة غربى سكن ناحية ميت نما بمركز قليوب ، و بسبب تغيير مجرى بحر أبى المنجا عند هذه القناطر وتركها بغير استعمال طمت عيونها حتى أصبحت قائمة على أرض زراعية ، ولا تزال هذه القناطر العظيمة بعناية إدارة حفظ الآثار العربية حافظة لشكلها ومزينة بعدة من صور السباع التى هى رنك (شعار) منشئها ، رحمه الله .

شارل[1] أخو ريدا فرنس[2] ، وربّما كان محطّهم عكّا؛ فتقدّم الملك الظاهر إلى العسكر بالتوجّه إلى الشام . ثم وَرَد الخبر أيضا بأنّ آثنى عشر مَرْكَبًا للفرنج عَبَرُوا على الإسكندرية ودخلوا ميناءها وأخذوا مركبا للتّجار وآستأصلوا ما فيه وأحرقوه ، ولم يَجْسُر والى الإسكندرية أن يُخْرِج الشوانى من الصناعة لغَيْبة رئيسها فى مُهِمّ آستدعاه الملك الظاهر بسببه . ولمّا بلغ الملكَ الظاهرَ ذلك بَعث أمرَ بقتْل الكلاب فى الإسكندرية وألّا يَفْتَح أحد حانوتًا بعد المَغْرِب ولا يُوقِد نارًا فى البلد ليلًا ، ثم تجهّز بسرعة وخرج نحو دِمْياط يوم الخميس خامس ذى القعدة فى البحر . وفى ذى الحِجّة أمر السلطان بعمل جِسْرَين : أحدهما من مصر إلى الجزيرة[3] (أعنى الروضة) ، والآخر من الجزيرة إلى الجيزة على مراكب لتجوز العساكر عليهما . ثم عاد الملك الظاهر من دِمْياط بسرعة ولم يَلْقَ حَرْبًا ؛ وخرج من مصر إلى عَسْقلان فى يوم السبت عاشر صفر سنة تسع وستين وستمائة فى جماعة يسيرة من الأمراء والأجناد ، فوصل إلى عَسْقلانَ وهدَم من سُورها ما كان أُهْمِل هدمُه فى أيام الملك الصالح ، ووُجِد فيما هُدِم كُوزانِ مملوءان ذهبًا مقدار ألفى دينار ففرّقها على مَنْ صَحِبَه ، ووَرَد عليه الخبر وهو بعَسْقَلان بأنّ عسكرَ آبن أخى بركة خان المُغْلِى كَسَر عسكر أبْغَا بن هولاكو ، فسُرّ الملك الظاهر بذلك سرورًا زائدًا . وعاد إلى مصر يوم السبت ثامن شهر ربيع الأوّل . وفى هذه السنة آنتهى الجسر والقناطر الذى عمل على بحر أبى المنجا ، ووقف عليه الملك الظاهر وقفًا يعمر منه ما دَثَر منه على طول السنين . وفى هذه

(١) فى الأصلين : «شرون» . وما أثبتناه عن هامش السلوك (ص ٥٠٢) وهو شارل ملك صقلية أخو لويس التاسع ، وهو الذى تولى قيادة الجيوش فى الحملة الصليبية الثامنة بعد وفاة أخيه لويس التاسع (ريدا فرنس) ملك فرنسا ، غير أن القائد الجديد آنصرف عن غرض الحملة إلى ما تطلبته مصالح مملكته الصقلية .

(٢) هو الذى أسر فى وقعة دمياط وسجن بدار ابن لقمان ، وراجع الحاشية رقم ١ ص ٣٦٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٢٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

الســنة أيضا بَنَى[٢] الملك الظاهر جامع المنشيّة[١]، وأقيمت فيــه الخطبة يوم الجمعــة ثامن عشرين شهر ربيع الآخر من سنة تسع وستين وستمائة المذكورة . ثم فى السنة المذكورة أيضًــا خرج الملك الظاهر من الديار المصريّة متــوجّها إلى نحو حِصن الأكراد فى ثانى عشر جُمادَى الآخرة، ودخل دِمَشْق يوم الخميس ثامن شهر رجب، وكان معه فى هذه السُّفْرة ولده الملك السعيد والصاحب بهاء الدين بن حِنَّا، وآستخلَف بمصر الأمير شمس الدين آقْسُنْقُر الفَــارِقانِيّ ، وفى الوزارة الصاحبَ تاج الدين ابن حِنّا . ثمّ خرج الملك الظاهر من دِمَشْــق فى يوم السبت عاشره وتوجّه بطائفة من العسكر إلى جهة، وولدُه وبِيلِيك الخازِنْدَار بطائفة أخرى إلى جهة ، وتواعدوا الأجتماع فى يوم واحد بمكان مُعيَّــن لِيَشُنُّوا الغــارة على جَبَلة[٣] واللاذِقيّة[٤] والمَرْقَب[٥] وعِرْقَة[٦] ومَرَقِيّة[٧] والقُلَيْعَات[٨] وصافيثا[٩] والمَجْــدَل وأَنْطَرْطُوس[١٠]، فلمّــا آجتمعوا [على] أن يشنّوا الغارة فتحوا صافيثا والمجدل، ثم ساروا ونزلوا حِصْن الأكراد يومَ الثلاثاء تاسع عشر شهر رجب من سنة تسع وستين وستمائة[١١]؛ وأخذوا فى نَصْب المجانيق وعَمَل

---

(١) جامع المنشية ، ذكر آبن دقاق فى ص ١١٩ من الجزء الرابع من كتاب الانتصار أن هــذا الجامع أنشأه الملك الظاهر بيبرس فى سنة ٦٧١ هـ بمنشأة المهرانى . وأقول : إن هذا الجامع كان واقعا فى الأرض الواقعة على شارع قصر العينى تجاه معهد ومستشفى الكلب من الجهة الشرقية بقرب فم الخليج، وقد اندثر وليس له أثر اليوم . (٢) فى التوفيقات الإلهامية أن أوّل ربيع الآخر من هذه السنة كان يوم الاثنين . (٣) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٣٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٠٥ من هذا الجزء . (٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٨ من هذا الجزء

(٦) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٩ من الجزء الرابع من هــذه الطبعة . (٧) مرقية : قلعة فى سواحل حمص (عن معجم البلدان لياقوت) . (٨) القليعات وصافيثا والمجدل : قلاع من حصن الأكراد (راجع خريطة كتاب (الصليبيون فى المشرق لاستفن سوف طبع كمبردج سنة ١٩٠٧م) .

(٩) فى الأصلين : « وصافيتا » بالتاء المثناة . وما أثبتناه عن عيون التواريخ والنهج السديد وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات . (١٠) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٣ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (١١) فى عقد الجمان : « ونزلوا على حصن الأكراد فى تاسع شهر شعبان من هذه السنة » .

الساير[1]، ولهذا الحِصْن ثلاثة أسوار ؛ فاشتدّ عليه الزحف والقتال وفُتحت الباشورة الأولى يوم الخميس حادى عشرين الشهر ، وفُتحت الثانية يوم السبت سابع شعبان ، وفُتحت الثالثة الملاصقة للقلعة فى يوم الأحد خامس عشره ، وكان المحاصر لهـا الملك السعيد آبن الملك الظاهر ومعه بيليك الخَازْنْدار و بَيْسَرِى ، ودخلت العساكر البلد بالسيف وأَسَرُوا مَنْ فيــه من الجبليّـــة والفلّاحين ثم أطلقوهم . فلمّا رأى أهل القلعة ذلك أذعنوا بالتسليم وطلّبوا الأمان ، فأمّنهم الملك الظاهر وتَسَلّم القلعة يوم الآثنين[2] ثالث عشرين شــعبان ، وكُتِبت البشائر بهذا الفتح إلى الأقطار ، وأطلق الملك الظاهر مَنْ كان فيها من الفرنج فتوجّهوا إلى طرابُلُس . ثم رحَل الملك الظاهر بعــد أن رتّب الأميرَ عزّ الدين أَيْبَــك الأفرم لعمارته ، وأُقيمت فيــه الجمعة ، ورتّب نائبـا وقاضـيًا . ولمّـا وقع ذلك بعث صـاحبُ أَنْطَرْطُوس إلى الملك الظاهر يطلب المهادنة ، وبعث إليــه بمفاتيح أَنْطَرْطُوسُ فصالحه على نصف ما يتحصّل من غلال بلده ، وجعل عندهم نائبًا من قِبَله . ثم صالح صاحبَ المَرْقَب على المناصفة أيضا ، وذلك فى يوم الآثنين مستهلّ شهر رمضان من ســنة تسع وستين ، وقُرِّرت الهُدْنة عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيّام .

ثم سار الملك الظاهر فى يوم الأحد رابع عشر شهر رمضان فأشرف على حِصْن ابن عَكّار[3]، وعاد إلى المَرْج[4] فأقام به إلى أن سار ونزل على الحصن المــذكور ثانيًـا فى يوم الآثنين ثانى عشرين شهر رمضان ، ونَصَب المجانيق عليه فى يوم الثلاثاء ،

---

(١) فى الأصلين : « وعمل البساسير » وما أثبتناه عن عيون التواريخ والنهج السديد .
(٢) فى الأصلين : « يوم الاثنين خامس عشرين شعبان » والتصويب عما تقدّم وما سيأتى ذكره للمؤلف .
(٣) فى الأصلين : « على حصن من عكا » . وصوابه عن عيون التواريخ ونهاية الأرب والسلوك والنهج السديد . وهو حصن منى على جبل يسمى بنفس الاسم وموقعه شمالى طرابلس . ويسمى أيضا حصن عكار . انظر هامش السلوك (ص ٥٩٢) .
(٤) المراد به مرج صافيثا كما فى عيون التواريخ .

وفى يوم الأحد ثامن(١) عشرينه رمى المنجنيق الذى قُبالة البـاب الشرقىّ رَمْيًا كثيرا نخَسَف خَسْـفًا كبيرا إلى جانب البَـدَنة ، ودام ذلك إلى اللّيـل فطلبوا الأمان على أنفسهم من القتـل وأن يمكّنهـم من التوجه إلى طرابُلُس فأجابهم، فخـرجوا يوم الثلاثاء سَـلْخ الشهر، وكُتِبت البشائر بالفتح والنصر إلى سائر الأقطار . ثم فى يوم السبت رابع شوّال خيّم السلطان الملك الظاهر بعساكر[ه] على طرابُلُس فسيّر صاحبها(٢) إليه يستعطفه فبعث إليـه الملك الظاهر [فارس الدين](٣) الأتابَك [و](٤) سيف الدين [بَلَبَان](٣) الرومىّ على أن يكون له من أعمال طرابُلُس نصفٌ بالسويّة، وأن يكون له دارُ وكالة فيها ، وأن يُعْطَى جَبلة واللّاذِقِيّة بخراجهما من يوم خروجهما عن الملك الناصر إلى يوم تاريخه، وأن يُعْطَى نفقاتِ العساكر من يوم خروجه؛ فلمّا علم الرساله عَزَم على القتال وحَصّن طرابُلُس ، فنصَب الملك الظاهر المجانيق؛ ثم تردّدت الرُّسُـل ثانيا وتقرر الصلح أن تكون عِرْقَةُ وجِبِلّة(٥) وأعمالها للبرنس صاحب طرابلس، وأن يكون ساحل أنْطَرْطُوس(٦) والمَرْقَب وبَانْيَاس وبلاد هذه النواحى بينه وبين الدّاوِيّة(٧)، والتى كانت خاصالهم، وهى بارين(٨) وحِمص القديمة تعود خاصا للملك الظاهر، وشَرَط أن تكون عِرْقَةُ وأعمالها، وهى ست وخمسون قرية ، صدقةً من الملك الظاهر عليه، فتوقّف صاحب طرابُلُس وأنِف ؛ فلمّا بلغ الملك الظاهر امتناعه صمّم على ما شَرَط عليه حتى أجابه ، وعُقِد الصلح بينهما مدّة عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام .

---

(١) فى الأصـلين : « وفى يوم الأحد خامس عشرينه » وهو خطأ وتصحيحه عن النهج الســديد وما تقدّم وما سيأتى ذكره للؤلف . (٢) يريد الأبرنس صاحب طرابلس كما فى النهج السديد وما سيأتى بعد قليل ذكره للؤلف . (٣) زيادة عن النهج السديد . (٤) التكملة عن عيون التواريخ والسلوك ونهاية الأرب والنهج السـديد . (٥) فى الأصلين هكذا : « أن تكون عرقة وصل وأعمالها » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ . (٦) فى الأصلين : « وأن يكون صاحب أنطرطوس... الخ » . وتصحيحه عن عيون التواريخ والنهج السديد . (٧) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٣ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٨) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٥ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

وفى يوم السبت حادى عشر شوّال رَحَل الملك الظاهر عن مَرْج صافيثا ، وأذِن إلى صاحب حَمَاة وصاحب حِمْص بالعَوْد إلى بلادهم ، وسار الظاهر حتى دخل دِمَشْق يوم الأربعاء خامس عشر شوّال ، وعَزَل القاضىَ شمسَ الدين أحمد بن خلّكان عن قضاء دِمَشْق، وكانت مدّة ولايته عشر سنين[1] ، وولّى عِوضَه القاضىَ عِزَّ الدين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق المعروف بآبن الصائغ . ثم فى يوم الجمعة رابع[2] عشرين شوّال خرج الملك الظاهر من دِمَشْق قاصدًا القُرَيْن[3] ، فنزل عليه يوم الآثنين سابع عشرين[4] الشهر ، ونصَب عليه المجانيق ، ولم يكن به نساء ولا أطفال بل مُقاتِلة ، فقاتلوا قتالا شديدًا ، وأخذت النُّقُوب للحِصْن من كلّ جانب ، فطلب مَنْ فيه الأمان ، فأُمِّنوا يوم الآثنين ثالث عشر ذى القعدة ، وتَسلّم السلطانُ الحِصْن بما فيه من السلاح ثمّ هدمه ، وكان بناؤه من الحجر الصّلْد وبين كلّ حجرين عُود حديد ملزوم بالرصاص ، فأقاموا فى هدمه آثنى عشر يوما وفى حِصاره خمسة عشر يوما .

وفى يوم الآثنين سادس عشرين[5] الشهر نزل الملك الظاهر على كُردانة قرية قريبة من عكّا ، ولَبِس العسكرُ وسار إلى عَكّا وأشرف عليها ، ثم عاد إلى منزله . ثمّ رحل منها يوم الثلاثاء قاصدًا مصر ، فدخلها يومَ الخميس ثالث عشر ذى الحجّة ، وكان جملة ما صرَفه الملك الظاهر فى هذه السَّفْرة من حين خروجه من مصر إلى حين عَوْده إليها ما يُنِيف على مائة[6] ألف دينار وثمانين ألف دينار عَيْنًا . وفى اليوم الثانى من وصوله إلى قلعة الجبل قَبَض على جماعة من الأمراء منهم : الأمير علم الدين سَنْجَر

---

(١) سيذكره المؤلف سنة ٦٨٣ هـ. (٢) فى الأصلين : « يوم الجمعة خامس عشرين شوّال » وهو خطأ كما يفهم مما تقدّم. (٣) القرين : حصن من حصون الأرمن ، وكان لطائفة يقال لهم الإسبنار ، وهو من أمنع الحصون على صفد (عن نهاية الأرب ج ٢٨ ص ١٠٣) . (٤) فى الأصلين : « ثامن عشرين » وهو خطأ . (٥) فى عيون التواريخ : « سادس عشر القعدة » . (٦) عبارة عيون التواريخ : « وجملة ما صرفه السلطان فى هذه السفرة على العسكر ثمانمائة ألف دينار » .

الحلبيّ الكبير، الذى كان تسلطن بدِمَشْق فى أوّل سـلطنة الملك الظاهر بِيبَرْس، والأمير جمال الدين آقوش المحمّدىّ، والأمير جمال الدين أَيدُغْدى الحاجيّ الناصرىّ، والأمير شمس الدين سُنْقُر المسّاح[1] والأمير سيف الدين بيدغان[2] الرُّكْنِي والأمير علم الدين سَنْجَر طرطح وغيرهم، وحُبِسوا الجميع بقلعة الجبـل؛ وسبب ذلك أنّه بلغه أنّهم تآمروا على قبضه لمّـا كان بالشَّقِيف، فأسرّها فى نفسه إلى وقتها . وكان بلغ الملكَ الظاهرَ وهو على حِصْن الأكراد أنّ صاحب قُبْرُص خرج منها فى مراكبه إلى عكا، فأراد السلطان آغتنام خلوّها، فجهّز سبعة عشر شِينِيًّا، فيها الرئيس ناصر الدين عمر بن منصـور رئيس مصر وشهـاب الدين محمد بن إبراهيم بن عبد السلام رئيس الإسـكندرية، وشرف [الدين][3] علوى بن أبى المجـد بن علوى العَسْقلانى رئيس دِمْيـاط، وجمال الدين مَكّى بن حَسّون مقدّما على الجميع؛ فوصلوا الجزيرة ليـلًا، فهاجت عليهـم ريحٌ طردتْهـم عن المَرْسَى، وألقتْ بعض الشَّـوانى على بعض، فتحطّم منهـا أكثر من أحد عشر شِينِيًّا وأخذ مَنْ فيها من الرجال والصنّاع أَسْراء، وكانوا زُهَاءَ ألف وثمانمائة نفس، وسلِم الرئيس ناصر الدين وآبن حَسّون فى الشَّوانى السالمة، وعادت إلى مراكزها؛ فعظُم ذلك على الملك الظاهر بِيبَرْس إلى الغاية .

وفى يوم الآثنين سـابع عشر ذى الحجّـة أمر الملك الظاهر بإراقة الخمور فى سـائر بلاده، وأوعد مَنْ يَعْصِرُها بالقتل، فأُرِيق على الأجناد والعوامّ منهـا مالا تُحْصَى قيمتُه، وكان ضمانُ ذلك فى ديار مصر خاصّة ألفَ دينار فى كلّ يوم، وكُتِب بذلك توقيعٌ قُرِئ على مِنْبر مصر والقـاهرة . وفى العَشْر الأخير من ذى الحجّة آهتمّ الملك

(١) فى الأصلين : « سنقر النساح » . وما أثبتناه عن السلوك (ص ٥٩٥) وعيون التواريخ ونهاية الأرب والنهج السديد . (٢) فى الأصلين : « طرغان » . وما أثبتناه عن السلوك وعيون التواريخ . (٣) زيادة عن عيون التواريخ .

الظاهر بإنشاء شَـوَانٍ عِوَضًا عمّـا ذهب على قُبْرُص، وآنتهى العمل من الشوانى فى يوم الأحد رابع عشر المحرّم سنة سبعين ، ورَكِب السلطان إلى الصِّناعة[(١)] لإلقـاء الشَّوَانى فى بحر النيل، ورَكب السلطان فى شِينِيٍّ منها ومعـه الأمير بدر الدين بِيلِيك الخَازِنْدار، فلمّا صار الشِّينِي فى المـاء مال بمَنْ فيـه فوقع الخازندار منه إلى البحر، فنَهض بعض رجال الشِّينِي ورَمَى بنفسه خَلْفه فأدركه وأخذ بشَعْره وخلّصه ، وقد كاد يَهْلِك ، فخلَع عليه الملك الظاهر وأحسن إليه .

وفى ليلة السبت السابع والعشرين منه خرج الملك الظاهر من الديار المصرّية إلى الشـام فى نَفَرٍ يَسِيرٍ من خواصّـه وأمرائه ودَخَل حِصْن الكَرَك ، وخرج منه وصَحِب معه نائبه الأميرَ عِزّ الدين أَيْدَمُر وسار إلى دِمَشْق، فوصل إليه يوم الجمعة ثانى عشر صفر، فَعَزل عنها الأمير جمال الدين آقوش النَّجِيبِيّ، وولّى مكانه الأمير عِزّ الدين أَيْدَمُر المعزول عن نيابة الكَرَك. ثم خرج منهـا إلى حَمَاة فى سادس عشره ثم عاد منها فى السادس والعشرين .

وفيهـا أَمَر مَلِكُ التَّتارِ أَبْغَا بن هُولَاكُو عساكِرَه بقصد البلاد الشاميّة، فخرج عسكره فى عِدّة عشرة آلاف فارس وعليهم الأمير صَمغرا[(٢)] والبَرْوَاناه[(٣)]، فلمّا بلغهم أنّ الملك الظاهر بالشـام أرسلوا ألفًا وخمسمائة من المُغْل ليتجسّسوا الأخبار ويُغِيروا

---

(١) الصناعة ، يستفاد ممـا ورد فى الجزء الثانى من الخطط المقريزية (ص ١٨٩ — ١٩٧) عند ذكر المواضع المعروفة بالصناعة أن الصناعة ، وهى مكان صناعة السفن ، كانت فى زمن الملك الظاهر بيبرس وفى زمن دولتى المماليك على النيل بساحل مصر القديمة بخط دير النحاس (وراجع الحاشية رقم ٤ ص ٩٩ بالجزء الرابع من هذه الطبعة .

(٢) كذا فى الأصلين وعيون التواريخ . وفى عقد الجمان ونهاية الأرب (ج ٢٨ ص ٥٩) وتاريخ الدول والملوك : « صمغار » .

(٣) البرواناه : لفظ فارسى ، معناه فى الأصل الحاجب ، وقد أطلق فى دول الروم السلاجقة بآسيا الصغرى على الوزير الأكبر . وهو سليمان ابن على بن محمد بن حسن الصاحب معين الدين البرواناه . توفى فى أواخر سـنة ٦٧٦ هـ شهيدا فى واقعة التتار مع الملك الظاهر (عن المنهل الصافى وعيون التواريخ وشذرات الذهب) .

على أطراف بلاد حلب ، وكان مقدّمهم أمال[1] بن بَيْجُونُوين[2] ووصلت غارتهم إلى عَيْنْتاب[3] ثم إلى قَسْطُون[4] ووَقَعُوا على تُرْكمَان نازلين بين حارِم وأنْطاكِيَة فآستأصلوهم ؛ فتقدّم الملك الظاهر بتجفيل البلاد ليَحْمِلَ التّتارَ الطمعُ فيدخلوا فيتمكّن منهم . وبعث إلى مصر بخروج العساكر فخرجت ومقدّمها الأمير بَيْسَرِى ، فوصلوا إلى السلطان فى خامس[5] الشهر وخرج بهم فى السابع منه ، فسبَق إلى التّتار خبرُه ، فوَلّوْا على أعقابهم . وكان الظاهر لمّا مرّ بحَمَاة آستصحب معه الملك المنصور صاحب حَمَاة[6]، ونَزَل الظاهر حَلَب يوم الاثنين ثانى عشر شهر ربيع الآخر من سنة سبعين وستمائة وخيّم بالمَيْدان الأخضر، ثم جهّز الأمير شمس الدين آق سنقر الفارِقانِىّ فى عسكر وأمَره أن يَمْضى إلى بلاد حلب الشماليّة ولا يتعرّض ببلاد صاحب سِيس ، وجهّز الأمير علاء الدين طَيْبَرْس الوَزِيرِىّ فى عسكر وأمره بالتوجّه إلى حرّان . فأمّا الفارِقانِىّ فإنه سار خَلْف التّتار إلى مَرْعَش[7] فلم يجد منهم أحدًا ، ثم عاد إلى حلب فوجد الملك الظاهر مقيمًا بها ، وقد أمر بإنشاء دار شمالىّ القَلْعة كانت تعرف بدار الأمير بَكْتُوت ، أستادار الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب واضاف إليها دارًا أخرى ، ووكّل بعمارتها الأمير عِزّ الدين آقوش الأفرم .

ولمّا عاد الفَارِقَانِىّ إلى حلب رَحَل الملك الظاهر منها نحو الديار المصريّة فى ثامن عشرين شهر ربيع الآخر، ودخل مصر فى الثالث والعشرين من جُمادى الأولى .

---

(١) فى النهج السديد : «أداك بن بجونوين» . (٢) راجع معنى نوين فى الحاشية رقم ٣ ص ٧٨ من هذا الجزء . (٣) عينتاب : بلدة كبيرة ، بها قلعة حصينة و رستاق بين حلب وأنطاكية .

(٤) فى الأصلين : « مسطوق » وهو تحريف ، وتصحيحه عن النهج السديد . وقسطون : حصن كان بالروج من أعمال حلب (عن معجم البلدان لياقوت) . (٥) يريد شهر ربيع الآخر ، كما فى عيون التواريخ وما يفهم من السلوك . (٦) فى الأصلين : « ربيع الأول » . والذى قدّمناه عن عيون التواريخ يقتضى ذلك . (٧) مرعش : مدينة فى الثغور بين الشام و بلاد الروم ، لها سوران وخندق ، وفى وسطها حصن عليه سور (عن معجم البلدان لياقوت) .

ولمّا وصل الظاهر إلى مصر قبَض على الأمراء الذين كانوا مجرّدين على قاقون[(١)] بسبب الفرنج لمّا أغاروا على الساحل ما عدا آقوش الشّمْسِيّ، ثم شُفِع فيهم فأطلقهم.

وفى يوم الأربعاء ثالث جُمادى الآخرة عَدّى الملك الظاهر إلى برّ الجيزة فأُخبر أن بُوصِير السِّدْر[(٢)] مَغَارةً فيها مَطْلَب، فجمع لها خَلْقًا فحَفَرُوا مَدًى بعيدًا، فوجدوا قِطاطًا ميتة وكلابَ صيد وطيورًا وغير ذلك من الحيوانات ملفوفا فى عصائب وخِرَق، فإذا حُلّت اللفائفُ ولاقَى الهواءَ ما كان فيها صار هباءً منثورًا؛ وأقام الناس ينقُلون من ذلك مُدّة ولم يَنْفَد ما فيها، فأمر الملك الظاهر بتركها وعاد من الجيزة.

وفى يوم السبت سابع عشرين جُمادى الآخرة ركب السلطان الملك الظاهر إلى الصِّناعة[(٣)] ليرى الشوانى التى عُمِلت وهى أربعون شِينِيًّا فسُرّ بها. وعند عَوْده إلى القلعة وَلَدتْ زَرافةٌ بقلعة الجبل [وهذا[(٤)] أمر لم يُعْهد] وأرضع ولدها لبن بقرة.

ثم سافر الملك الظاهر إلى الشام فى شعبان وسار حتى وصل الساحل وخيّم بين قَيْسَارِيّة وأَرْسُوف، وكان مركَّزًا بها الفَارِقَانِيّ، فرحل الفارقانيّ عنها إلى مصر. ثم إنّ الملك الظاهر شنّ الغارة على عكا، فطلب منه أهلها الصلح وتردّدوا فى ذلك حتى تقرّرت الهُدْنَة بينهم مدّة عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيّام وعشر ساعات، أوّلها ثانى عشرين شهر رمضان سنة سبعين وستمائة.

---

(١) قاقون: حصن بفلسطين قرب الرملة. وقيل هو من عمل قيسارية من ساحل الشام (عن معجم البلدان لياقوت). والمقصود هنا المعنى الثانى، كما يفهم من عبارة المؤلف.

(٢) أبو صير السدر، هى من القرى القديمة، وردت فى معجم البلدان لياقوت باسم بوصير السدر فى كورة الجيزة. وفى التحفة السنية لابن الجيعان أبو صير السدر من أعمال الجيزية. ولا تزال هذه القرية موجودة إلى اليوم باسم «أبو صير» ضمن قرى مركز الجيزة بمديرية الجيزة عند حاجر الجبل الغربى غربى محطة الحوامدية على بعد خمسة كيلومترات.

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٥٥ من هذا الجزء.

(٤) زيادة عن عيون التواريخ.

ثم رحل الملك الظاهر إلى خَربة اللّصوص، ثم سار منها إلى دِمَشْق فدخلها فى الثامن من شوّال؛ وبينما هو فى دمشق تردّدت الرسل بينه وبين التّتار وآنفصل الأمر من غير آتّفاق . وفى ذى الحِجّة توجّه الملك الظاهر منْ دِمشق إلى حصن الأكراد لينقُل حجارة المجانيق إليها(١) ورؤية ما عُمّر فيها(٢) ففُعِل ذلك . ثم سار إلى حِصْن عَكّار(٣) فأشرف عليها . ثم عاد إلى دِمَشْق فى خامس المحرّم من سنة إحدى وسبعين وستمائة ، وفى ثانى عشر المحرّم المذكور أفرج(٤) الملك الظاهر عن الأمير أَيْبَك النَّجِيبِي الصغير، وأَيْدَمُر الحِلِّىّ العَزِيزِىّ وكانا محبوسين بالقاهرة . ثم خرج الملك الظاهر من دِمَشق فى المحرم أيضا عائدًا إلى الديار المصريّة وصحبته الأمير بدر الدين بَيْسَرِى والأمير آقوش الرومىّ وجرمك(٥) الناصرىّ، فوصل إليها فى يوم السبت ثالث عشرين المحرّم، فأقام بالقاهرة إلى ليلة الجمعة تاسع عشرينه، خرج من مصر وتوجّه إلى دِمَشق فدخل قلعتها ليلة الثلاثاء رابع صفر ، فأقام بدمشق إلى خامس جُمادَى الأولى آتّصل به أنّ فرقة من التّتار قصدت الرَّحْبَة، فبرز إلى القُصَيْر فبلغه أنّهم عادوا من الرَّحْبَة ونزلوا على البِيرة، فسار إلى حِمْص وأخذ مراكب الصيّادين على الجمال ليجوز عليها، ثم سار حتّى وصل إلى الباب من أعمال حلب ،

---

(١) يريد إلى قلعة حصن الأكراد، كما يفهم من عبارة السلوك (ص ٦٠٢) وعبارة تاريخ الدول والملوك لابن الفرات . (٢) عبارة تاريخ الدول والملوك لابن الفرات ، والسلوك للمقريزى : « ونقل معهم بنفسه » . (٣) فى الأصلين : « إلى حصن عكا » . وما أثبتناه عن السلوك (ص ٦٠٢) وتاريخ الدول والملوك وراجع الحاشية رقم ٣ ص ١٥١ من هذا الجزء . (٤) راجعنا هذا الخبر فى المصادر التى تحت أيدينا مثل عيون التواريخ وعقد الجمان وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات والسلوك للمقريزى وتاريخ أبى الفدا وتاريخ ابن الوردى فى حوادث سنه ٦٧١ هـ فلم نجد له ذكرا فى تلك المصادر . (٥) فى المنهج السديد : « وسيف الدين جريك » .

(٦) القصير: يريد القصير التى هى ضيعة أوّل منزل لمن يريد حمص من دمشق وهى غير حصن القصير الذى تقدّم ذكره .

و بعث جماعة من الأجناد والعُرْبان لكشف أخبارهم، وسار إلى مَنْبِج فعادوا وأخبروا أنّ طائفة من التّتار مقدار ثلاثة آلاف فارس على شطّ الفُرات ممّا يلي الجزيرة، فرحل عن مَنْبِج[(١)] يوم الأحد ثامن عشر جُمادَى الأولى ووصل شطّ الفُرات، وتقدّم إلى العسكر بخَوْضها، فخاض الأمير سيف الدين قلاوون الألفيّ والأمير بدر الدين بَيْسَرِى فى أوّل الناس، ثم تَبِعهما هو بنفسه وتبعتْه العساكر، فوقعوا على التّتار فقتَلوا منهم مَقْتَلةً عظيمة وَأَسَرُوا تقدير مائتى نفس ولم ينجُ منهم إلّا القليل، وتَبِعهم بَيْسَرِى إلى قريب سَرُوج[(٢)] ثم عاد . وكان على البِيرة[(٣)] جماعة كثيرة من عسكر التّتار، وكانوا قد أشرفوا على أخذها ، فلمّا بلغهم الخبرُ رحلوا عن البِيرة؛ ودخلها السلطان فى ثانى عشرين الشهر وخلَع على نائبها وفرّق فى أهلها مائة ألف درهم، وأنعم عليهم ببعض ما تركه التّتار عندهم لمّا هربوا . ثم رحل الملك الظاهر عنها بعساكره وعاد إلى دِمَشْق . وفى هذه النُّصْرة قال العلّامة شهاب الدين[(٤)] أبو الثناء محمود كاتب الإنشاء — رحمه الله — قصيدة طنانة؛ أوّلها :

سِرْ حيث شئتَ لك المهيمن جارُ * وٱحكُمْ فَطَوْعُ مرادك الأقدارُ
لم يبقَ للدين الذى أظهرتَه * يا ركنَه عند الأعادى ثارُ
لمّا تراقصت الرءوس وحرّكت * من مطربات قِسِيِّك الأوتارُ
خُضتَ الفُرات بسابح أقصى منًى * هُوج الصَّبَا من نعله[(٥)] آثارُ
حملتْك أمواجُ الفُراتِ ومَنْ رأى * بحرًا سواك تقلّه الأنهار
وتقطّعت فِرَقًا ولم يك طودَها * إذ ذاك إلا جيشُكَ الجرّارُ .

(١) فى الأصلين : « فدخل منبج » وتصحيحه عن عيون التواريخ وما يفهم من عبارة النهج السديد والمؤلف . (٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٨٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٦ من الجزء السادس من هذه الطبعه . (٤) سيذكره المؤلف سنة ٧٢٥ ه .
(٥) فى الأصلين : « من نعله الأوتار» . والتصحيح عن عيون التواريخ .

رَشّت دماؤهم لصعيـدَ فلم يَطِرْ * منهـم على الجيش السـعيد غُبارُ
شكَرَتْ مساعيك المعاقلُ والوَرَى * والـتُّرب والآسـادُ والأطيـارُ
هـذى منعتَ وهؤلاء حميتَهـم * وسَقَيتَ تلك وعمّ ذا الإيسـارُ
فلأَمْلأَنَّ الدهرَ فيك مدائحًا * تبـقَى بَقيتَ وتذهب الأعصـارُ

وهى أطول من ذلك . وقال الشيخ ناصر الدين حسن بن النَّقيب الكِنانى[1] الشاعر — رحمه الله تعالى — قصيدة وكان حاضر الوقعة منها :

ولمـا ترامَيْنا الفُـرات بخيلنا * سَكَرْناه[2] منـا بالقُوَى والقوائمِ
فأوقفتِ التيـارَ عن جَرَيانه * إلى حيث عُدْنا بالغِنى والغنائمِ

وقال الموفّق[3] عبد الله بن عمر الأنصارى — رحمه الله — وأجاد :

الملك الظاهر سلطاننا * نَفْـديه بالأموال والأهلِ
اِقتحم المـاءَ ليُطْفِى به * حرارةَ القلب من المُغْـلِ

ثم توجّه الملك الظاهر إلى نحـو الديار المصريّة ، فخرج ولده الملك السـعيد لتلقيه فى يوم الثلاثاء تاسع عشر جُمادى الآخرة ، فآجتمع به بين القُصَيْر[4] والصالحيّة فى يوم الجمعـة ثانى عشرينـه[5] ، فترجلا وآعتنقا طويلا ؛ ثم ركبا وسارا جميعا إلى القلعـة وبين يديهـم أسارى التّتار رُكّابا على الخيـل ، ثم فى سابع شهر رجب أفـرج الملك الظـاهر عن الأمير عز الدين أَيْبَك الدِّمْياطى من الآعتقال ، وكانت مدّة آعتقاله تسع سنين وعشرة أيام ، ثم خَلَع الملك الظاهر على أمراء الدولة ومقدّمى الحَلْقة وأعطى ،

(١) هو ناصر الدين الحسن بن شاور بن طرخان بن الحسن المعروف بالنفيسى وبابن النقيب الكنانى . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨٧ هـ . (٢) فى الأصلين : « سكاه » . وتصحيحه عن عيون التواريخ والمنهل الصافى وفوات الوفيات . (٣) هو موفق الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن نصر الله الأنصارى المعروف بالوزن . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٧٧ هـ .
(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨٣ من هذا الجزء . (٥) فى الأصلين : «حادى عشرينه» . والتصحيح عن التوفيقات الالهامية وما تقدّم ذكره للمؤلف قريبا .

كلّ واحد منهم ما يليق به من الخيل والذهب والحوائص والثّياب والسيوف ، وكان قيمة ما صرفه فيهم فوق ثلثمائة ألف دينار ، وفى سادس عشرين شعبان أفرج الملك الظاهر عن الأمير علم الدين سَنْجَر الحلبي الغَتْمِى المُعزّى . وفى يوم الأثنين ثانى عشر شوّال آستدعى الملك الظاهر الشيخ خَضِرًا إلى القلعة وأحضره بين يديه .

قلت : والشيخ خَضِر هذا هو صاحب الزاوية (١) بالحسينية بالقرب من جامع الظاهر (٢) . [illegible]ى . وأَحْضر معه جماعة من الفقراء حاققوه على أشياء كثيرة مُنكَرة ، وكثُرَ

(١) زاوية الشيخ خضر ، قال المقريزى فى (ص ٤٣٠) من الجزء الثانى من خططه : إن هذه الزاوية خارج باب الفتوح من القاهرة بخط زقاق الكحل ، تشرف على الخليج الكبير ، عرفت بالشيخ خضر ابن أبي بكر بن موسى المهرانى العدوى شيخ الملك الظاهر بيبرس ، بناها له الظاهر فى سنة ٦٦٠ هـ ودفن الشيخ خضر بها فى سنة ٦٧٦ هـ . وأقول : يتضح مما ذكر بالمصادر الخاصة بهذه الزاوية أنها كانت واقعة بزقاق الكحل خارج باب الفتوح وعلى الجانب الشرقى من الخليج المصرى تجاه أرض الطبالة ، وأنها كانت بالقرب من جامع الظاهر بخط الحسينية وأنها كانت موجودة لغاية القرن العاشر الهجرى بدليل أن الشيخ عبد الوهاب الشعرانى الذى توفى سنة ٩٧٣ هـ قال : إن قبر الشيخ خضر ظاهر يزار . وبالبحث عن موقع زقاق الكحل تبين لى من المصادر الصريحة أن مكان هذا الزقاق اليوم الطريق الذى يسمى فى مصلحة التنظيم سكة الظاهر ، وعلى ألسنة العامة شارع المنسى فيما بين ميدان الظاهر وضريح المنسى .

وبالبحث فى سكة الظاهر عن مكان زاوية الشيخ خضر تبين لى أنها اندثرت ودخلت فى المساكن . ومكانها اليوم المربع القائم عليه المنزلان رقما ٢٩ و ٣١ الواقعان فى نهاية شارع الإمبابى من الجهة الشرقية على يسار الداخل من سكة الظاهر فيما بين هذه السكة وشارع الخليج المصرى .

(٢) جامع الظاهر ، ذكر المقريزى فى (ص ٢٩٩) من الجزء الثانى من خططه أن هذا الجامع أنشأه الملك الظاهر صاحب الترجمة فى ميدان قراقوش خارج باب الفتوح من القاهرة فى سنة ٦٦٥ هـ ويسمى جامع العافية . وأقول : إن هذا الجامع يقع بميدان الظاهر بين شارعى الظاهر والعباسية بالقاهرة وهو من أكبر جوامعها يبلغ مسطحه ١١٨٨٠ مترا مربعا وهو ما يقرب من ثلاثة أفدنة . وبالبحث تبين أن هذا الجامع تعطلت منه إقامة الشعائر من أوّل القرن العاشر الهجرى بسبب سعته وتعذر الصرف عليه ، ثم تخرب وسقطت قبته الكبيرة التى كانت فوق إيوان المحراب ، ثم سقطت مئذنته ولم يبق منه الآن إلا جدرانه الخارجية المبنية بالحجر النحيت . وذكر الجبرتى أن هذا الجامع جعل فى العهد العثمانى مخزنا للمهمات الحربية كالخيام والسروج وغيرها ، ثم جعل قلعة وثكنة للجنود فى زمن الحملة الفرنسية ، ثم جعل مخبزا للجراية ومعملا للصابون فى زمن محمد على باشا الكبير ثم جعل فى زمننا مذبحا لجيش الاحتلال الانجليزى . وقد بطل الذبح فيه من سنة ١٩١٥ ولهذا يعرف الى اليوم باسم المذبح . وفى سنة ١٩١٨ غرست مصلحة التنظيم أرض صحن الجامع وجعلته منتزها عاما . وفى سنة ١٩٢٨ عمرت لجنة حفظ الآثار العربية الجزء الواقع عند المحراب وجعلته مصلى .

بينه وبينهم فيها المقالة ورمَوْه بفواحش كثيرة ونسبُوه إلى قبائح عظيمة؛ فرَسم الملك الظاهر بآعتقاله؛ وكان للشيخ خَضِر المذكور منزلة عظيمة عند الملك الظاهر بحيث إنّه كان ينزل عنده فى الجمعة المرة والمرتين ويُباسِطه ويُمازِحه ويقبَل شفاعته ويستصحبه فى سائر سَفَرَاته، ومتى فَتَح مكانا أفرض له منه أوفر نَصيب، فآمتدت يد الشيخ خَضِر بذلك فى سائر المملكة يفعل مايختار لا يمنعه أحدٌ من النوّاب، حتّى إنّه دخل إلى كنيسة قُمامة[1] ذَبَح قِسِّيسَها بيده، وآنتهب ما كان فيها تلامذته، وهجم كنيسة اليهود بدِمَشْق ونهبها، وكان فيها مالا يُعَبَّر[2] من الأموال، وعمرها مسجدا وعَمِل بها سَمَاعا ومدّ بها سِماطًا . ودخل كنيسة الإسكندريّة وهى عظيمة عند النصارى فنهبها وصيَّرها مسجدا، وسمّاها المدرسة الخضراء[3] وأنفق فى تعميرها مالًا كثيرًا

(١) قمامة (كنيسة القيامة) : أشهر الكنائس المسيحية طرا ، بنتها الملكة هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين عاهل الامبراطورية الرومانية الشرقية ، ومؤسس مدينة القسطنطينية ، وهو أوّل إمبراطور تنصر وأمر بنشر الديانة المسيحية وجعلها دين الحكومة الرسمى ، وكان الفراغ من بنائها سنة ٣٣٥ م ومن ذلك التاريخ للآن هى الكنيسة التى يحج إليها المسيحيون من كافة أصقاع الأرض، هدمها الفرس أثناء إغارتهم على سوريا وفلسطين سنة ٦١٤ م وفى سنة ٦٢٨م أجلى هرقل الفرس وآسترجع سوريا وخشبة الصليب ، ومن ثم أعاد بناءها الميديون سنة ٦٢٩ م ، ثم جاء الفتح الاسلامى سنة ٦٣٧ م . ودخل عمر القدس وزار كنيسة القيامة فلما أدركته الصلاة خرج منها وصلى أمامها ولم يصل فى القيامة خشية أن يدعيها المسلمون ويحولوها إلى مسجد . وقد كتب عنها جغرافيو العرب ومؤرخوهم كالمقدسى والمسعودى وابن الأثير وناصر خسرو والإدريسى والهروى وياقوت وكلهم قالوا : إن كنيسة القيامة وسط المدينة يحيط بها سور عظيم وفيها مقبرة يسمونها القيامة لاعتقادهم أن المسيح قامت قيامته منها . وهى تحتوى على ٢٤ كنيسة ومصلى ومدخل لجميع المسيحيين على اختلاف ألوانهم ومذاهبهم . (راجع فلسطين الاسلامية لاسترانج ص ٢٠٢ — ص ٢١٢ وبقية المصادر المذكورة) . (٢) عبارة عيون التواريخ : « مالا يعبر عنه من الآلات والفرش » . (٣) المدرسة الخضراء ، لما تكلم المقريزى على زاوية الشيخ خضر التى بالقاهرة فى ص ٤٣٠ ج ٢ من خططه — قال : وهدم الشيخ خضر كنيسة للروم بالاسكندرية كانت من كراسى النصارى ويزعمون أن بها رأس يحى بن زكريا . وعملها مسجدا سماه الخضر . وأقول : تبين لى من البحث أن هذا المسجد هو بذاته المدرسة الخضراء التى تعرف اليوم بزاوية سيدى خضر الكائنة تحت رقم ١٠ بشارع رأس التين بالإسكندرية .

من بيت المال . وبنى له الملك الظاهر زاويةً بالحسينية ظاهر القاهرة ووقف عليها وحبّس عليها أرضا تجاورها تحتكر للبناء . وبنى لأجله جامع الحسينية .

وفى يوم الاثنين سابع المحرم سنه اثنتين وسبعين وستمائة جلس الملك الظاهر بدار العدل(١) وحكّم بين الناس ونَظَر فى أمور الرعيّة، فأنصف المظلومَ وخلّص الحقوق ومال على القوىّ ورَفَق بالضعيف . وفى العاشر منه هُـدِمت غرفةٌ على باب قصر من قصور الخلفاء الفاطميّين بالقاهرة، ويُعرف هذا الباب بباب البحر(٢)، وهو من بناء الخليفة الحاكم بأمر الله منصور المقدّم ذكره، فوُجِد فى القصر الذى هُدِم آمرأة فى صندوق منقوش عليها كتابة آسم الملك الظاهر(٣) بيبرس هـذا وصفته، وبَقِى منها مالم يمكن قراءته .

وفيهـا قُبِض على ملك الكُرْج(٤) وهو أنّه كان قد خرج من بلاده قاصدًا زيارة القُدْس الشريف متنكّرا فى زِىّ الرهبان ومعه جماعة يسيرة من خواصّه، فسلك بلاد

(١) دار العدل : ذكر المقريزى فى ص ٢٠٥ ج ٢ من خططه أن دار العدل القديمة أنشأها الملك الظاهر فى سنة ٦٦١ هـ وأن موضعها كان تحت القلعة فى المكان الذى يعرف بالطبلخاناه، ولما تكلم على الطبلخاناه فى ص ٢١٣ من هذا الجزء قال : إنما كانت تحت القلعة فيما بين باب السلسلة وباب المدرج . أقول : إن باب السلسلة لايزال موجودا، وعرف قديما بباب الإصطبل وباب الانكشارية، وأما اليوم فيعرف بباب العزب نسبة إلى طائفة من العسكر تسمى عربان، وظيفتهم المحافظة على القلاع — وأن باب المدرج لايزال موجودا غير مستعمل بجوار باب القلعة العمومى الذى يعرف بالباب الجديد من الداخل . ومما ذكر يتضح أن دار العدل مكانها اليوم فى المنطقة الواقعة على يسار الداخل من باب العزب متجها إلى الشرق نحو الباب الجديد المشغولة بمخازن مهمات وملابس الجيش المصرى، ويحدها من الغرب سكة المحجر، ومن الشمال شارع الدفترخانة، وهذا التحديد ينطبق أيضا على مكان الطبلخاناه .

(٢) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٣٥ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

(٣) قصة هـذا الطلسم مستفيضة فى نهاية الأرب ج٢٨ ص ٤٣، وفى المقريزى الخطط ج ١ ص ٤٣٣ — ٤٣٤، وتاريخ الدول والملوك، والسلوك (ص ٦٠٩) فلتراجع هناك .

(٤) الكرج (بالضم ثم السكون وآخره جيم) : جيل من الناس نصارى كانوا يسكنون فى جبال القبق وبلد السرير، فقويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة تفليس، ولهم ولاية تنسب اليهم . (من معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٢٥١) .

الروم إلى سِيس فركب البحر إلى عكّا، ثم خرج منها إلى بيت المقدس فآطّلع الأمير بدر الدين الخازِنْدار على أمره وهو على يافا، فبعث إليه من قبَض عليه، فلمّا حضر بين يديه بعثه مع الأمير ركن الدين مَنْكُورس إلى السلطان؛ وكان السلطان قد توجّه إلى دِمَشق فوصل إلى دمشق فى رابع عشر جُمَادى الأولى، فأقبل عليه السلطان وسأله حتى آعترف، فحبسه فى بُرْجٍ من أبراج قلعة دِمَشق، وأمره أن يبعث من جهته إلى بلاده مَنْ يُعرِّفهم بأَمْره، فبعث تَقْرِبَيْن. وخرج الملك الظاهر من دِمَشق ثالث عشرين جُمادَى الآخرة، وقَدِم القاهرة يوم الخميس سابع شهر رجب من سنة آثنتين وسبعين المذكورة . ثم فى يوم الخميس خامس عشرين شهر رمضان أمَر السلطان العسكر أن يركب بالزينة الفاخرة ويلعب فى المَيْدان تحت القلعة، فآستمّر ذلك كلّ يوم إلى يوم عِيد الفِطْر ختَنَ السلطان الملك الظاهر ولَدَه خَيضرًا ومعه جماعة من أولاد الأمراء وغيرهم، وكان الملك السعيد آبن الملك الظاهر فى يوم الأربعاء سابع(٢) عشر شهر رمضان خرج من القاهرة وتوجّه إلى دِمشق ومعه شمس الدين آقسنقر الفارِقانِىّ وأربعون نفرا من خواصّه على خيل البريد، وعاد إلى القاهرة فى يوم الخميس الرابع والعشرين من شوّال .

وفى يوم الأحد سابع صفر من سنة ثلاث وسبعين وستمائة ركب الملك الظاهر المُجْنِى وتوجّه إلى الكَرَك ومعه بَيْسَرِى وأُتَامِش السَّعْدِى ، وسببُ توجُّهه أن وقع بالكَرَك بُرْج فأحبّ أن يكون إصلاحه بحضوره . ثم عاد إلى مصر فدخلها فى يوم الثلاثاء ثانى عشرين شهر ربيع الأوّل ، فأقام بها مدّة يسيرة . ثم توجّه إلى دِمَشق وأقام به إلى أن أرسل فى رابع(٣) عشرين المحرّم سنة أربع وسبعين وستمائة الأمير

(١) كذا فى الأصلين وعقد الجمان . وفى السلوك وتاريخ الدول والملوك : « فدخل قلعة الجبل فى رابع عشرين جمادى الآخرة » . (٢) فى الأصلين : « ثالث عشر » . وهو خطأ .

(٣) فى الأصلين : «فى رابع عشر المحرم» . وتصحيحه عن تاريخ الدول والملوك وعقد الجمان والسلوك.

بدر الدين بيليك الخازندار على البريد إلى مصر لإحضار الملك السعيد، فعاد به إلى دمشق فى يوم الأربعاء سادس صفر من السنة . وفى الثالث والعشرين من جمادى الأولى فتح حصن القصير[1] وهو بين حارم وأنطاكية ، وكان فيه قسيس عظيم عند الفرنج يقصدونه للتبرك به ، وكان الملك الظاهر قد أمر التركمان وبعض العرب بمحاصرته، وبعد أخذه عاد الملك الظاهر إلى مصر فلم تطل مدته به وعاد إلى دمشق ، فدخله يوم ثالث المحرم من سنة خمس وسبعين، فأقام به مدة يسيرة أيضا، وعاد إلى الديار المصرية فى يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الآخر[2]، وأمر بعمل عرس ولده الملك السعيد، واهتم فى ذلك إلى يوم الخميس خامس جمادى الأولى أمر العسكر بالركوب إلى الميدان[3] الأسود تحت القلعة فى أحسن زى، وأقاموا يركبون كل يوم كذلك ويتراكضون فى الميدان، والناس تزدحم للفرجة عليهم خمسة أيام، وفى اليوم السادس افترق الجيش فرقتين ، وحملت كل فرقة على الأخرى وجرى من اللعب والزينة مالا يوصف، وفى اليوم السابع خلع على سائر الأمراء والوزراء والقضاة والكتاب والأطباء مقدار ألف وثلثمائة خلعة ، وأرسل

---

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٤٣ من هذا الجزء . (٢) فى السلوك : « وعاد السلطان من حلب إلى مصر فدخل قلعة الجبل فى رابع عشر ربيع الأول» . (٣) الميدان الأسود ، لما تكلم المقريزى فى ص ١١١ من الجزء الثانى من خططه على ميدان القبق قال : إن هذا الموضع خارج القاهرة من شرقيها فيما بين القرة التى ينزل من قلعة الجبل اليها و بين قبة النصر التى تحت الجبل الأحمر تجاه قبة الأمير يونس الدوادار الظاهرى ويقال له أيضا : الميدان الأسود، وميدان العيد، والميدان الأخضر، وميدان السباق ، وهو ميدان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى بنى به مصطبة فى المحرم من سنة ٦٦٦ هـ بعد ما احتفل فيه برمى النشاب وحث الناس على أمور الحرب ولعب الرمح ورمى النشاب ونحو ذلك .

وأقول : إن هذا الميدان مكانه اليوم الأرض المشغولة بترب جبانة باب الوزير وقرافة المجاورين وجبانة المماليك وينتهى عند قبة الأمير يونس الدوادار التى لاتزال موجوده بالجهة البحرية من مدفن السلطان برقوق وتعرف الآن بقبة أنس والد السلطان برقوق ، لأنها أنشئت باسمه ودفن فيها قبل أن ينقل رفاته إلى جامع ولده السلطان برقوق الكائن بشارع المعز لدين الله (شارع بين القصرين سابقا) .

إلى دِمَشق الخِلَع ففرقت كذلك ، وفى يوم الخميس مدّ السِّماط فى الميدان المذكور فى أربعة خِيَم ، وحضر السِّماط مَنْ علا ومن دنا ، ورُسُلُ التتار ورُسُلُ الفرنج ، وعليهم الخِلَع أيضا ، وجلس السلطان فى صدر الخَيْمة على تخت من آبنُوس وعاج مصفّح بالذهب مسمّر بالفضّة غرِم عليه ألف دينار ؛ ولمّا آنقضى السِّماط قدم الأمراء الهدايا من الخيل والسلاح والتُّحف وسائر الملابس ، فلم يقبل السلطان من أحد منهم سوى ثوب واحد جَبْرًا له ؛ فلمّا كان وقت العصر وركب [illegible] القلعة وأخذ فى تجهيز ما يليق بالزِّفاف والدخول ؛ ولم يمكّن أحد من نساء الأمراء على الإطلاق من الدخول إلى البيوت ، ودخل الملك السعيد إلى الحمّام ثم دخل إلى بيته الذى هُيِّئ له بأهله ، وجُلِيَت العَرُوس فدخل عليها . ولمّا بلغ الملك المنصور(1) صاحب حماة ذلك قدم القاهرة مهنّئا للسلطان ومعه هديّة سنيّة ، فوصل القاهرة فى ثامن جُمادى الآخرة ، فركب الملك السعيد لتلقّيه ونزل بالكبش(2) ، وأقام مدّة يسيرة ثم عاد إلى بلده .

ثم خرج الملك الظاهر بعد ذلك من القاهرة فى يوم الخميس العشرين من شهر رمضان بعد أن آستناب الأمير آقْ سنقر الفارقانىّ الأستادار نائبا عنه فى خدمة ولده الملك السعيد ، وترك معه من العسكر بالديار المصريّة لحفظ البلاد خمسة آلاف فارس ، ورحل من المنزلة يوم السبت ثانى عشر شوّال قاصداً بلاد الروم فدخل دِمَشق ثم خرج منها ودخل حلب يوم الأربعاء مستهلّ ذى القعدة ، وخرج منها

(1) المنصور محمد هذا سليل الملك المظفر تقى الدين عمر ، الذى أقطعه عمه صلاح الدين الأيوبى حماة سنة ٥٧٤ هـ ، وقد ظلت حماة بيد أبناء هذا الفرع الأيوبى . وكان صاحبها أيام غارات التتار على الشام المنصور محمد المذكور ، فخضع لهولاكو والتتار ، ثم انقلب بعد هزيمتهم إلى مصادقة سلاطين المماليك والاعتراف بسيادتهم كما هو معروف مما سبق (السلوك هامش ص ٦١٤) .

(2) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٢ من هذا الجزء .

يوم الخميس إلى حَيْلَانَ[1]، فنزلها ببعض الثِّقَل، وأمر الأمير نور الدين علىّ بن مُجَلِّى[2] نائب حلب أن يتوجّه إلى الساجور[3] ويُقيمَ على الفُرات بمَنْ معه من عسكر حلب ويحفظ مَعابِر الفُرات لئلا يعبُر منها أحدٌ من التّتار قاصدًا الشام، ووصل إلى الأمير[4] نور الدين الأميرُ شرف الدين عيسى بن مُهَنّا وأنجده بعسكره، فبلغ نوّاب التّتار ذلك فجهّزوا إليهم جماعة من عَرَب خَفَاجة[5] لكَبْسهم فحشدُوا وتوجّهوا نحوهم . فاتّصل بالأمير نائب حلب الخبرُ وكان يَقِظًا، فركب إليهم والتقاهم وكسرهم أقبح كَسْرة، وأخذ منهم ألفا ومائتى جمل .

وأمّا الملك الظاهر فإنّه ركب من حَيْلَانَ يوم الجمعة ثالث الشهر، وسار إلى عَيْنتَاب، ثم إلى دُلُوك[6]، ثم إلى منزلة أخرى[7] ثم إلى كَيْنُوك[8]، ثم إلى كُكْ صُو (ومعناه الماء الأزرق باللّغة التركيّة)[9]. ثم رَحَل عنه إلى أَقْجَادَرْبَنْد[10] فقطعه فى نصف نهار،

---

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٧٥ من هذا الجزء . (٢) فى الأصلين : « سيف الدين » . وما أثبتناه عن السلوك وعيون التواريخ ونهاية الأرب للنويرى (ج ٢٨ ص ١١١) . وفى النهج السديد ونهاية الأرب : «على بن محلى» بالحاء المهملة بدل الجيم . (٣) الساجور : اسم نهر بمنبج (عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) فى الأصلين : « ووصل إليه الأمير نور الدين ابن الأمير شرف الدين ... » . وتصحيحه عن نهاية الأرب والسلوك . (٥) عرب خفاجة : هم بنو خفاجة بن عمرو بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . قال صاحب صبح الأعشى : وفيهم الإمرة بالعراق إلى الآن (صبح الأعشى أوّل ص ٣٤٣) . (٦) دلوك : بليدة من نواحى حلب بالعواصم ، كان بها وقعة أبى فراس بن حمدان (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٧) يريد منزلة مرج الديباج كما فى نهاية الأرب وعيون التواريخ ، وهو واد عجيب المنظر نزه بين الجبال ، بينه وبين المصيصة عشرة أميال (عن معجم البلدان لياقوت) . (٨) كينوك : فى الأصلين « حينوك » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ ونهاية الأرب . وهى بلدة من بلاد الروم من أعمال آسيا الصغرى والعرب يسمونها « الحدث الحمراء » لأن سيف الدولة على بن حمدان بناها من حجارة حمر، وللمتنبى فيها شعر يمدح به سيف الدولة (انظر نهاية الأرب ج ٢٨ ص ١٠٥) . (٩) فى عيون التواريخ وعقد الجمان وصبح الأعشى (ج ١٤ ص ١٤٣) والنهج السديد . « ومعناه النهر الأزرق » .

(١٠) فى الأصلين : « ثم رحل عنه إلى أن جاء إلى دربند » . وما أثبتناه عن صبح الأعشى (ج ١٤ ص ١٤٤) وما سيذكره المؤلف فى هذه الترجمة . وأقجا دربند : قرية على فم الطريق الجبلى بين نهر كوكصو وأبلستين . راجع صبح الأعشى فى الصفحة والجزء المتقدّمين .

فلمّـا خرجت عساكره وملكت المَفَاوِز ، قَــدّم الأميرُ شمس الدين سُنْقُرَ الأشقر على جماعةٍ من العسكر وأَمَره بالمَسِير بين يديه ، فوقع على كَتِيبة التّار وعِدّتُهم ثلاثة آلاف فارس ، ومقــدّمُهم كراى فهزمهم سُـنْقُر الأشقر وأَسَرَ منهم طائفة ، وذلك فى يوم الخميس تاسع ذى القعدة .

ثم ورد الخبرُ على الملك الظاهر بأنّ عسكر الروم والتّتـار مع البَرْوَانَاه اجتمعوا على نهر جَيْحَان[1] ، فلمّـا صَعِد العسكرُ الجبلَ أشرف على صحراء أَبُلُسْتَيْ[2] [redacted] التّار قد رتّبوا عساكرهم أحدَ عَشرَ طُلْبًا فى كلّ طُلْب ألف فارس ، وعَزَلوا عسكر الروم عنهم خوفًا من باطنٍ يكون لهم مع المسلمين ، وجعلوا عسكر الكُرْج طُلْبًا واحدا ؛ فلمّا تَرَاءى الجَمْعَانِ حَمَلت مَيسرة التّتـار حَمْلةً واحدة وصدموا سَـنْجَق الملك الظاهر ، ودخلت طائفة منهم بينهم ، وشقّوا المَيْسَرة وساقوا إلى المَيْمَنة ؛ فلمّـا رأى الملك الظاهر ذلك أَرْدفهم بنفسه ، ثم لاحت منه آلتفاتةٌ فرأى المَيْسرة قد أتت عليها ميمنةُ التّتار ، فأمر الملك الظاهر جماعةً من أصحابه الشُّجْعان بإردافها ، ثم حَمَل هو بنفسه — رحمه الله — فلمّا رأته العساكر حَمَلت نحوه بُرمّتهـا حملةَ رجل واحد ، فترجّل التّتار عن خيولهم وقاتلوا قتالَ الموت فلم يُغْنِ عنهم ذلك شيئًا ، وصَبرَ لهم الملك الظاهر وعسكره وهو يَكُرّ فى القوم كالأسد الضّارِى ويقتحم الأهوال بنفسه ويُشجّع أصحابَه ويُطَيّب لهم الموت فى الجهاد إلى أن أنزل الله تعالى نصره عليه ، وآنكسر التّتارُ أقبح كَسْرة وقُتِـلوا وأُسِروا وفَرّ مَنْ نجا منهم ، فآعتصموا بالجبال فقصدتْهم العسـاكرُ الإسلاميّة وأحاطوا بهم ، فترجّلوا عن خيولهم وقاتلوا فقُتِل منهم جماعة كثيرة ، وقُتِلَ

---

(١) جيحان (بالفتح ثم السكون) : نهر بالمصيصة بالثغر الشامى ومخرجه من بلاد الروم و يمر حتى يصب بمدينة تعرف بكفر بيا بإزاء المصيصة . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) أبلستين : مدينة مشهورة ببلاد الروم وسلطانها ولد قليج أرسلان السلجوقى قريبة من أبسس مدينة أصحاب الكهف (ياقوت أوّل ٩٣ — ٩٤) .

ممّن قاتلهم من عساكر المسلمين الأميرُ ضياء الدين [محمود](١) بن الخَطير، وكان من الشُّجعان الفُرسان، والأميرُ شرف الدين قيران العَلائيّ(٢)، والأميرُ عزّ الدين أخو المحمّديّ(٣)، وسيفُ الدين قفجاق(٤) الجاشنكير، والأميرُ [عزّ الدين](٥) أَيبَك الشَّقيفيّ — رحمهم الله تعالى وأسكنهم الجنّة — . وأُسِر من كِبار الروميّين مُهذَّب(٦) الدين ابن مُعين الدين البَرْوَاناه، وابن بنت معين الدين المذكور، والأميرُ نور(٧) الدين جبريل [[illegible]]، والأميرُ قُطْب الدين محمود أخو مجد الدين الأتابَك، والأمير سِراج الدين إسماعيل [بن جاجا](٨)، والأميرُ سيف الدين سُنْقُرجاه(٩) الزُّوباشيّ، والأمير نصرة الدين بَهمَن أخو تاج الدين كيوى (يعني الصهر) صاحبُ سِيواس(١٠)، والأمير كمال الدين إسماعيل عارض الجيش، والأميرُ حُسام الدين كاوك(١١)، والأميرُ سيف الدين بن الجاويش(١٢)، والأميرُ شهاب الدين غازى بن على شير التُّركمانى،

---

(١) التكملة عن عيون التواريخ والنهج السديد . (٢) كذا فى الأصلين وعيون التواريخ ونهاية الأرب وصبح الأعشى . وفى السلوك وعقد الجمان : «سيف الدين» . (٣) فى الأصلين : «أخو المجدى» . وما أثبتناه عن عيون التواريخ ونهاية الأرب وصبح الأعشى . (٤) فى الأصلين : «قلعق» . وما أثبتناه عن السلوك . وفى النهج السديد لابن أبى الفضائل، وعيون التواريخ : «قليج» . (٥) زيادة عن عيون التواريخ وعقد الجمان والنهج السديد .

(٦) فى عقد الجمان : «علاء الدين بكلاربكى بن البروانا» . وبكلاربكى لقب ترك (معناه أمير الأمراء) . وهو على بن سليمان بن على بن محمد بن حسن . توفى سنة ٧٠٩ (عن المنهل الصافى) .

(٧) فى الأصلين : «تق الدين» . والزيادة والتصحيح عن عيون التواريخ وعقد الجمان والنهج السديد .

(٨) زيادة عن عيون التواريخ ونهاية الأرب والنهج السديد، وهو أخو نور الدين المتقدم .

(٩) واتفقت المصادر التى تحت أيدينا الأصلين على أنه «الزوباشى» . وانفرد صاحب عقد الجمان بأنه «سنقرجاه السيواسى» . (١٠) سيواس : بلدة كبيرة مشهورة وبها قلعة صغيرة وهى ذات أعين . والشجر بها قليل ونهرها الكبير يبعد عنها بمقدار نصف فرسخ، ويقول المسافرون : إن مسافة الطريق بين سيواس وقيسارية ستون ميلا، فيها أربع وعشرون خانا للسبيل، وفيها ما يحتاج اليه المسافرون المنقطعون، لاسيما فى أيام الثلوج، وفى شرقيها مدينة أرزن الروم (عن تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل ص ٢٨٥) . (١١) كذا فى الأصلين وعيون التواريخ . وفى عقد الجمان : «كاوك» . وفى نهاية الأرب : «بركاول» . وفى النهج السديد : «بوكاول» . (١٢) كذا فى الأصلين وعيون التواريخ والنهج السديد . وفى نهاية الأرب وعقد الجمان : «والأمير سيف الدين جاليش» .

فوبّخهم السلطان الملك الظاهر من كونهم قاتلوه فى مساعدة التتار الكفَرة، ثم سلّمهم لمن آحتفظ بهم . وأسر من مقدّمى التّتار على الألوف والمئين بَركة صهر أَبْغا بن هولاكو[1] ملك التّتار، وسَرْطَق، وخيزكدوس[2] وسركده[3] وتماديه[4] . ولمّـا أُسر مَنْ أُسر وقُتِل مَنْ قُتِل نجـا البَرْوَاناه وساق حتّى دخل قَيْصَرِيّة[5] يوم الأحد ثانى عشر ذى القعـدة[6] وآجتمع بالســلطان غِياث الدين، والصــاحب فخر الدين، والأتابَك مجـد الدين، والأمير جلال الدين المُسْتَوْفِى، والأمير بدر الدين مِيكائيل النــائب [illegible]ة، وقال لهم : إنّ التّتــار المنهزمين متى دخلوا قَيْصَرِيّة فتكُوا[7] بمَنْ فيهـا حَنَقًا على المسلمين، وأشار عليهم بالخروج منهـا فخرج السلطان غيــاث الدين بأهله وماله إلى تَوْقَات[8] وبينها وبين قَيْصَرِيّة أربعةُ أيام . وعملت شعراء الإسلام فى هذه الوقعة عِدّة قصائد ومدائح، من ذلك ماقاله العلّامة شهاب الدين أبو الثناء محمود كاتب الدَّرْج قصيدته التى أوّلها :

كذا فلتكن فى الله تَمْضى[9] العــزائمُ * وإلّا فــلا تجفو الجفونَ الصّــوارِمُ

---

(١) فى عيون التواريخ وعقد الجمان والنهج السديد : « زيزك » . وفى إحدى روايتى النهج السديد «زيرك» بدل « زيزك» . (٢) فى الأصلين هكذا : «حمراه» . وفى عقد الجمان : «جوديه» وفى النهج السديد : «جيركبر» . وما أثبتناه عن عيون التواريخ . (٣) فى الأصلين : «شركوه» . وفى عقد الجمان : « بردكيه » وفى النهج الســديد : » شركده » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ .

(٤) فى النهج السديد : «ونماديه» بالنون بدل التاء المثناة من فوق . (٥) قيسارية : مدينة كبيرة عظيمة فى بلاد الروم (آســيا الصغرى) وهى كرسى ملك بنى سلجوق ملوك الروم أولاد قليج بن أرسلان . قال ابن سعيد : وهى منسوبة إلى قيصر وهى مدينة جليلة وفى شرقيها مدينة سيواس وبين قيسارية وأقصرا أربعة مراحل (عن ياقوت ج ٤ ص ٢١٤ وأبى الفدا ص ٣٨٣) . (٦) فى الأصلين : « يوم الأحد ثانى عشر ذى الحجة » . والتصويب عن السلوك والنهج السديد .

(٧) فى الأصلين : « تمكنوا » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان وما يفهم من عبارة السلوك . (٨) توقات : بلدة فى أرض الروم بين قونية وسيواس ذات قلعة حصينة وأبنية مكينة، بينها وبين سيواس يومان (عن معجم البلدان لياقوت) وقد ضبطه أبو الفدا إسماعيل فى تقويم البلدان (بضم التاء) المثناة . (٩) فى الأصلين : « عز العزائم» . وما أثبتناه عن عيون التواريخ .

عزائمُ حاذَتْها الرياحُ فأصبحتْ * مخلَّفةً تبكى عليها الغمائمُ
سَرَتْ من حِمى مصرٍ إلى الرومِ فاحتوتْ * عليه [و](1) سُوراه الظُّبَا واللهاذِمُ
بجيشٍ تَظَلّ الأرضُ منه كأنّها * على سعة الأرجاء فى الضِّيق خاتَمُ
كتائبُ كالبحرِ الخِضَمِّ جيادُها * إذا ما تهادَتْ موجُه المتلاطمُ
تُحيط بمنصورِ اللّواء مظفَّرٍ * له النَّصْرُ والتأييدُ عبدٌ وخادمُ
يلوذ الدين من عَزَماتِه * بركنٍ له الفتح المبين دعائمُ
مليكٌ لأبكارِ الأقاليم نحوَه * حنينٌ كذا تهوَى الكِرامَ الكرائمُ
فكم وَطِئَتْ طَوْعًا وكرها جيادُه * معاقلَ قُرْطاها(2) السُّها والنعائمُ
مليكٌ به للدين فى كلِّ ساعةٍ * بشائرُ للكُفّار منها مآتمُ
جلاجِينَ أقذَى [ناظرَ](3) الكفرِ للهُدَى * ثغورًا بكى الشيطانُ وهى بواسمُ
إذا رام شيئًا لم يَعقْه ابعدها * وشُقَّتْها عنه الإكامُ الطَّواسمُ
فلو نازع النَّسْرَيْن أمرًا لنالَه * وذا واقعٌ عجزًا وذا بعدُ حائمُ
ولمّا رمى الرومَ المنيعَ بخيلِه * ومن دونه سدٌّ من الصخر عاصمُ
يروم عُقابُ الجوِّ قطعَ عِقابِه * إليه فلا تقوَى عليها القوادمُ

ومنها :

وسالتْ عليهم(4) أرضُهم بمواكبٍ * لها النَّصْرُ طوعٌ والزمانُ مُسالِمُ
أدارتْ بهم سُورا مَنيعًا مُشرَّفًا * بسمرِ العوالى ما له الدهرَ هادمُ

(١) التكملة عن عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان. (٢) فى الأصلين هكذا : «مرقاها» . وما أثبتناه عن عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان . (٣) فى الأصلين هكذا :

* جلاجين أقرى الكفر للهدى *

التكملة والتصحيح عن عيون التواريخ .

(٤) فى الأصلين : « إليهم » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان .

من التُّرْك أمّا فى المغـانى فإنّهـــم * شمـــوسٌ وأما فى الوَغَى فضراغمُ
غَدَا ظاهرًا بالظاهر النصرُ فيهـــمُ * تَبِيـــد الليـالى والعِـدَا وهو دائمُ
فاهْـوَوْا إلى لَثْم الأسِنَّة فى الوَغَى * كأنّهُمُ العُشّـاقُ وهى المباسمُ
وصـافَحت البِيضَ الصِّفاح رِقابُهُمْ * وعانقت السُّمْرَ القـدودُ
فَكم حاكمٍ منهـــم على ألفِ دارعٍ * غدا حاسرًا والرمحُ [فى][1] إ
وكم مَلِكٍ منهـم رأى وهـو مُوثَقٌ * خزائنَ ما يَحْـوِيهِ وم

ومنهـا :

فـلا زلتَ منصـورَ اللِّـواء مُؤَيّدًا * على الكُفْر ما ناحت وأبكتْ حمائمُ

ثم جرّد الملك الظاهر الأميرَ سُنْقُر الأشقر لإدراك ما فات من التُّرْك[2] والتـوجّه إلى قَيْصَرِيّة ، وكتب معه كتّابا بتأمين أهلها وإخراج الأسـواق والتعامل بالدراهم الظاهريّة . ثم رحل الملك الظاهر بكْرة السبت حادى عشر ذى القعدة قاصـدا قَيْصَرِيّة ، فمرّ فى طريقه بقرية أهل الكهف[3] ثم إلى قلعة سَمَنْدو[4] فنزل إليـه واليها مذعِنًـا للطاعة، ثم سار إلى قلعــة دَرَنْدة[5] وقلعة فالو[6] ففعل متولّيهـا كذلك، ثم نزل بقـرية من قرى قيصريّة فبات بهـا ، فلمّـا أصبح رتّب عساكره وخرج أهـل

(١) تكملة عن عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان . (٢) فى عيون التواريخ والنهج السديد وذيل مرآة الزمان : « ما فات من المغل » . (٣) هى أبسس (بالفتح ثم السكون) : اسم لمدينة خراب قرب أبلستين من نواحى الروم يقال منها أصحاب الكهف و لرقيم قيـل هى مدينة دقيانوس ، وفيها آثار عجيبة مع خرابها ، و راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٦٨ من هذا الجزء . (٤) سمندو : فى وسط بلاد الروم ، غزاه سيف الدولة فى سنة ٣٣٩ ﻫ وهرب منه الدمستق ، فقال المتنبي :

رضينا والدمستق غير راض * بما حكم القواضب والوشيج
فان يقـدم فقد زرنا سمندو * وإن يحجم فوعـدنا الخليج

(عن معجم البلدان لياقوت) . (٥) درندة : مدينة فى جهة الغرب من ملطية و بينها و بين حلب عشرة أيام . وهى قريبة من قيسارية (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٣٢) .

(٦) فى نهاية الأرب : «دوالو» . وفى النهج السديد وذيل مرآة الزمان : «قلعة دالو» .

قَيْصَرِيّة بأجمعهم مستبشرين بلقائه، وكانوا لنزوله نصبوا الخيام بوطاة(١)، فلمّا قرب الظاهر منها ترجّل وجوهُ الناس على طبقاتهم ومشَوْا بين يديه إلى أن وصلها .

فلمّا كان يوم الجمعة سابع عشر الشهر ركِبَ السلطان للجمعة، فدخل قَيْصَرِيّة ونزل دار السلطنة وجلس على التَّخْت وحضر بين يديه القضاة والفقهاء والصوفيّة والأ[illegible] جلسوا فى مراتبهم على عادة ملوك السَّلْجُوقيّة ، فأقبل عليهم السلطان ومدّ[illegible] فأكلوا وآنصرفوا، ثمّ حضر الجمعة بالجامع وخُطِب له ، وحُضِّر بين يديه الدراهم التى ضُرِبت له بآسمه. وكتب إليه البَرْوَانَاه يهنّئه بالجلوس على تَخْت المُلك بقَيْصَرِيّة، فكتب الملك الظاهر إليه بعَوْده ليولّيَه مكانه، فكتب إليه يسأله أن ينتظره خمسة عشر يومًا، وكان مراد البَرْوَانَاه أن يَصل أبَغا ويحثّه على المسير ليدرك الملك الظاهر بالبلاد ، فآجتمع نتاوون(٢) بالأمير شمس الدين سنقر الأشقر وعرّفه مكر البَرْوَانَاه فى ذلك، فكان ذلك سببا لرحيل الملك الظاهر عن قَيْصَرِيّة مع ما آنضاف إلى ذلك من قلَق العساكر ؛ فرحل يوم الآثنين ، وكان على اليَزَك(٣) عِزّ الدين أيبك الشَّيْخِىّ، وكان الملك الظاهر ضربه بسبب سَبْقه الناس فغضب وهرب إلى التّتار. وكان أولاد قرمان(٤) قد رهنوا أخاهم الصغير علىّ بك بقيصريّة، فأخرجه الملك الظاهر وأنعم عليه ، وسأل السلطانَ فى تواقيع وسَنَاجق له ولإخوته فأعطاه ، وتوجّه نحو إخوته بجبل لارَنْدة(٥) .

---

(١) الوطاة : الأرض السهلة غير الجبلية . (٢) هو مقدّم جيش التتار، كما فى السلوك .

(٣) فى الأصلين : «البرك» وهو تصحيف. واليزك (محركة) : رئيس العسس ومن يراقب من مضى فيتبعه . فارسية ، والنسبة اليها «يزكى» . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٥) لارندة : بلام وألف وراء مهملة مفتوحة ، وهى قرية من قونية على مسافة يوم بين الشرق والشمال (عن تقويم البلدان لأبى الفدا ص ٣٧٨) .

وعاد السلطان وأخذ فى عَوْده أيضًا عِدّة بلاد إلى أن وصل مكان المَعْرَكة يوم السبت، فرأى القَتْلَى، فسأل عن عِدّتهم فأُخبِر أنّ المُغْل خاصّة ستة آلاف وسبعمائة وسبعون نفسا؛ ثم رَحَل حتّى وصل أقْجَادَرْبَنْد(1)، بعث الخزائن والدّهليز والسناجق صحبةَ الأمير بدر الدين بيليك الخازِنْدار ليعبُر بها الدَرْبَنْد، وأقام السلطان فى ساقة العسكر بقيّةَ اليوم و يوم الأحد، وَرَحل يوم الاثنين فدخل الدَرْبَنْد

ثم سار إلى أن وصل دِمَشْق فى سابع المحرّم سنة ست وسبعين بالجَوْسَق المعروف بالقصر الأبلق جِوَار المَيْدَان(2) الأخضر وتواترت عليه الأخبار بوصول أبْغَا ملك التتار إلى مكان الوقعة، فجمع السلطان الأمراء وضرب مَشُورة، فوقع الاتفاق على الخروج من دِمَشق بالعساكر وتلقّيه حيث كان، فأمر الملك الظاهر بضرب الدّهليز على القُصَيْر، وفى أثناء ذلك وصل رجُلٌ من التُّرْكمان وأخبر أنّ أبْغَا عاد إلى بلاده هاربًا خائفا؛ ثم وصل الأمير سابق الدين بَيْسَرى أمير مجلس الملك الناصر صلاح الدين، وهو غير بَيْسَرى الكبير، وأخبر بمثل ما أخبر التركمانيّ، فعند ذلك أمر الملك الظاهر بردّ الدّهليز إلى الشام . وكان عَوْد أبْغَا من ألطاف الله تعالى بالمسلمين، فإنّ الملك الظاهر فى يوم الجمعة نصف المحرّم من سنة ست وسبعين ابتدأ به مرضُ الموت .

(1) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٧ من هذا الجزء.

(2) أمر بإنشائه سلطان الملك الظاهر بالميدان الأخضر بظاهر دمشق سنة ٦٦٥ هـ فعمر على ما هو عليه الآن (عن النويرى صاحب نهاية الأرب) . وقد وقع فى عمارته حادث غريب ذكره صاحب نهاية الأرب فى الجزء ٢٨ ص ٤٠ طبع أحمر. وسيأتى له شرح واف فى ترجمة الملك السعيد .

ذكر مرض الملك الظاهر ووفاته

لمّا كان يوم الخميس رابع عشر المحرّم سنة ستّ وسبعين وستمائة جلس الملك الظاهر بالجَوْسَق الأبلق بمَيدان دِمَشق يشْرَب القِمزْ[1] وبات على هذه الحالة، فلمّا كان يوم الجمعة خامس عشره وَجَد في نفسه فُتورًا وتوعُّكًا فشكا ذلك إلى الأمير شمس الدين سُنْقُر الألفِيّ[2] السلحدار فأشار عليه بالقىء، فآستدعاه فآستعصى عليه القىء، فلمّا كان بعد صلاة الجمعة رَكِب من الجَوْسَق إلى المَيْدان على عادته، والألم مع ذلك يَقْوَى عليه، وعند الغروب عاد إلى الجَوْسَق. فلمّا أصبح آشتكى حرارة في باطنه فصَنَع له بعضُ خواصّه دواءً، ولم يكن عن رأى طبيب فلم يَنْجَع وتضاعف أَلَمُه، فأحضر الأطِبّاء فأنكروا آستعماله الدواء، وأجمعوا على آستعمال دواء مُسهِل فسقَوْه فلم ينجع، فحرّكوه بدواء آخر كان سبب الإفراط في الإسهال ودَفَع دمًا، فتضاعفت حُمّاه وضعُفت قواه، فتخيّل خواصّه أنّ كَبِده يتقَطّع وأنّ ذلك عن سمّ سُقِيه فعُولِج بالجَوْهر، وأخذ أمره في آنحطاط، وجَهَده المرضُ وتزايد به إلى أن قَضَى نَحْبَه يوم الخميس بعد صلاة الظهر الثامن والعشرين[3] من المحرّم، فآتفق رأى الأمراء على إخفائه وحَمْله إلى القلعة لئلّا تَشْعُر العامّة بوفاته، ومنعوا مَن هو داخل من المماليك من الخروج ومن هو خارج منهم من الدخول. فلمّا كان آخر الليل حَمَله من كِبار الأمراء سيف الدين قلاوون الألفِيّ وشمس الدين سُنْقُر الأشقر، وبدر الدين بَيْسَرى، وبدر الدين بيليك الخازِنْدار، وعِزّ الدين آقوس الأفرم،

---

(١) القمز: نبيذ يعمل من لبن الخيل، واللفظ تركى الأصل، وقد كان السلطان بيبرس شغفا بهذا النوع من الشراب. (انظر السلوك حاشية رقم ٢ ص ٦٠٧). (٢) سيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٨٠ هـ.

(٣) في الأصلين: «التاسع والعشرين» والتصحيح عن التوفيقات الإلهامية وذيل مرآة الزمان والنهج والسديد وما تقدّم ذكره للمؤلف قبل ذلك بقليل.

وعزّ الدين أيبك الحموى، وشمس الدين سُنْقُر الألفى الظاهرى، وعلم الدين سنجر الحموى أبو خُرْص، وجماعة من أكابر خواصّه. وتولّى غُسله وتحنيطه وتصبيره وتكفينه مِهْتارُه(١) الشُّجاعُ عَنْبَر، والفقيه كمال الدين الإسكندرى المعروف بابن المَنْبِجى(٢)، والأمير عزّ الدين الأفرم؛ ثم جُعل فى تابوت وعُلّق فى بيت من بيوت البحريّة بقلعة دِمَشق إلى أن حصل الاتّفاق على موضع دفنه. ثم كتب الأمير بدر الدين بيليك الخازندار إلى ولده الملك السعيد مطالعةً بيده وسيّرها إلى مصر على يد بدر الدين بَكْتُوت الجُوكَنْدارى الحَموى، وعلاء الدين أيدغمش الحكيمى الجاشْنَكير، فلمّا وصلا وأوصلاه المطالعة خَلَع عليهما وأعطى كلّ واحد منهما خمسين ألف درهم، على أنّ ذلك بِشارةٌ بعَوْد السلطان إلى الديار المصريّة. ولمّا كان يوم السبت رَكب الأمراء إلى سوق الخيل بدِمَشق على عادتهم ولم يُظْهِروا شيئا من زىّ الحُزْن. وكان أوصى أن يُدْفَن على الطريق السالكة قريباً من داريّا(٣) وأن يُبْنَى عليه هناك، فرأى ولده الملك السعيد أن يَدْفِنه داخل السور، فابتاع دار العقيقى بثمانية وأربعين ألف درهم(٤) نقرة(٥)، وأمر أن تُغيَّر معالمها وتُبْنَى مدرسة [للشافعية والحنفية](٦): انتهى.

وأمّا الملك السعيد فإنّه جهّز الأمير علم الدين سنجر الحموى المعروف بأبى خُرْص، والطواشى صفىّ الدين جوهر الهندىّ إلى دمشق لدفن والده الملك الظاهر، فلمّا وصلاها اجتمعا بالأمير عزّ الدين أَيْدَمُر نائب السلطنة بدمشق، وعرّفاه المرسوم

(١) المهتار: ناظر الخاصة. (٢) المنبجى: نسبة إلى منبج، وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٧ من الجزء الثالث من هذه الطبعة. (٣) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٢٨٦ من الجزء الخامس من هذه الطبعة. (٤) فى عيون التواريخ: «بستين ألف درهم». (٥) سيأتى لها شرح واف عن صبح الأعشى فى هذا الجزء. (٦) زيادة عن ذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ.

فبادر إليه ، وحُمِل الملك الظاهر من القلعة إلى التّربة ليلًا على أعناق الرجال ، ودُفِن بها ليلة الجمعة خامس شهر رجب الفَرْد، وكان قد ظهر موتُه بدِمَشْق في يوم السبت رابع عشر صفر، وشُرِع العمل في أعْزِيته بالبلاد الشاميّة والديار المصريّة.

قال الأمير بِيبَرْس الدَّوَادار (1) في تاريخه — وهو أعرف بأحواله من غيره — قال: وكان القَمَر قد كَسَف كُسُوفًا كاملًا أظلم له الجوُّ وتأوّل ذلك المتأوِّلون بموت رجل جليل القَدْر، فقيل : إنّ الملك الظاهر لمّا بلغه ذلك حَذِر على نفسه وخاف وقَصَد أن يُصرف التأويل إلى غيره لعلّه يَسْلَم من شرّه، وكان بدِمَشْق شخصٌ من أولاد الملوك الأيّوبيّة ، وهو الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك ٱبن السلطان الملك المعظّم عيسى ٱبن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيُّوب ، فأراد الظاهر ، على ماقيل، ٱغتياله بالسمّ، فأحضره في مجلس شَرَابه فأمر الساقيَ أن يَسْقِيَه قِمزًّا ممزوجا، فيما يقال ، بسمّ ، فسقاه الساقي تلك الكأس فأحسّ به وخرج من وقته، ثم غَلِط الساقي وملأ الكأس المذكورة وفيها أثر السمّ، ووقعت الكأس في يد الملك الظاهر فشربه، فكان من أمره ما كان. ٱنتهى كلام بِيبَرْس الدَّوَادار بٱختصار .

قلت : وهذا القول مشهورٌ وأظنّه هو الأصحّ في عِلّة موته، والله أعلم .

وكانت مدّةُ مُلْكه تسع عشرة سنة وشهرين ونصفًا ، ومَلَك بعده ٱبنه الملك السعيد ناصر الدين محمد المعروف ببركة خان؛ وكان تسلطن في حياته من مدّة سنين حسب ما تقدّم ذكره .

وكان الملك الظاهر رحمه الله مَلِكًا شُجاعا مِقْداما غازِيًا مُجاهِدا مُرابطا خليقا بالملك خفيفَ الوَطْأة سريعَ الحركة يُباشر الحروب بنفسه .

(1) هو الأمير ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصوري الدوادار صاحب التاريخ . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٧٢٥ هـ .

قال الحافظ أبو عبـد الله الذهبيّ فى تاريخه بعـد ما أثنى عليه : « وكان خليقًا بالملك لولا ما كان فيه من الظُّلم، والله يرحمـه ويغفر له، فإنّ له أيامًا بيضًا فى الإسلام ومواقفَ مشهورة وفتوحات معدودة» . انتهى كلام الذهبى بآختصار .

وقال الشـيخ قطب الدين اليُونِينِيّ فى الذّيْل على مرآة الزمان فى موت[1] الملك الظاهر هذا نوعا ممّا قاله الأمير بيبَرْس الدَّاوَادَار لكنّه زاد أمورا نحكيها ، قال : حَكى لى آبن شـيخ[2] السلامية عن الأمير أَزْدَمُر العَلَائِيّ نائب السلطنة بقلعـة صَفَد قال : كان الملك الظاهر مُولَعًا بالنجوم ومايقوله أربابُ التقاويم، كثيرَ البحث عن ذلك، فأُخْبِر أنّه يموت فى سـنة ستّ وسبعين مَلِكٌ بالسمّ، فحصل عنده من ذلك أثر كبير، وكان عنده حسدٌ شديد لمن يُوصف بالشجاعة ، وآتفق أنّ الملك القاهر عبـد الملك بن المعظّم عيسى الآتى ذكره لمّـا دخل مع الملك الظاهر إلى الروم ، وكان يوم المصافّ ، فدام الملك القاهر فى القتال فتأثّر الظاهر منـه ، ثم آنضاف إلى ذلك أنّ الملك الظاهر حصَل منه فى ذلك اليـوم فُتُور على خلاف العـادة ، وظَهر عليه الخوفُ والنَّدَمُ على تورُّطه فى بلاد الروم، فحدّثه الملك القاهر عبد الملك المذكور بمـا فيه نوعٌ من الإنكار عليه والتّقبيح لأفعاله ، فأثّر[3] ذلك عنده أثرًا آخر . فلمّـا عاد الظاهر من غَزْوته سَمِـع النّاس يَلْهَجُون بما فعله الملك القاهر، فزاد على ما فى نفسه وحَقَد عليـه، فخيّل فى ذهنـه أنّه إذا سمّه كان هو الذى ذكره أرباب النجوم، فأحضره عنده ليشرب القِمزّ معه، وجعل الذى أعدّه له من السمّ فى ورقة

(١) هـذه القصة واردة فى ذيل مرآة الزمان وفى تاريخ الا سـلام للذهبى فى ترجمة الملك القاهر عبد الملك بن عيسى بن محمد بن أيوب المتوفى سنة ٦٧٦ د

(٢) هو تاج الدين نوح بن إسحاق بن شيخ السلامية كما فى ذيل مرآة الزمان وتاريخ الإسلام .

(٣) عبارة السلوك : « فأسرله السلطان ذلك » .

فى جيبه من غير أن يَطَّلِع على ذلك أحد، وكان للسلطان هَنَّابات[(١)] ثلاثة مختصّة به مع ثلاثة سُقاة لا يَشْرَب فيها إلّا مَنْ يُكْرِمه السلطان، فأخذ الملك الظاهر الكأس بيده وجعل فيه ما فى الورقة خِفْيَةً، وأسقاه للملك القاهر وقام الملك الظاهر إلى الخلاء وعاد، فنَسِى الساقى وأسقى الملك الظاهر فيه وفيه بقايا السمّ. انتهى كلام قطب الدين.

وخلّف الملك الظاهر من الأولاد: الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان، ومولده فى صفر سنة ثمانٍ وخمسين وستمائة بضواحى مصر، وأُمّه بنت الأمير حُسام الدين بركة خان بن دولة خان الخُوَارَزْمىّ. والملك [نجم الدين][(٢)] خَضِرًا، أمّه أم ولد. والملك بَدْر الدين سَلَامُش. ووُلِد له من البنات سبع. وأما زَوْجَاتُه فأُمّ الملك السعيد بنت بركة خان، وبنت الأمير سيف الدين نوكاى[(٣)] التَّتَارِىّ، وبنت الأمير سيف الدين كراى التّتارىّ، وبنت الأمير سيف نوغاى التّتَارىّ، وشَهْرُزُورِيّة تزوّجها لمّا قدم غَزّة وحالف الشَّهْرُزُورِيّة قبل سلطنته، فلمّا تسلطن طَلّقها.

وأمّا وزراؤه — لمّا تولى السلطنة آستمرّ زَيْن الدين يعقوب بن عبد الرفيع بن الزُّبَيْر، ثم صرفَه وآستوزر الصاحب بهاء الدِّين علىّ بن محمد بن سليم بن حِنّا. وكان للملك الظاهر أربعة آلاف مملوك مُشْتَرَيَات أمراء وخَاصّكيّة[(٤)] وأصحاب وظائف.

---

(١) هنابات، جمع هناب، وهو قدح الشراب (عن هامش السلوك ص ٦٠٧).

(٢) زيادة عن عيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان ونهاية الأرب للنويرى وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات.

(٣) كذا فى الأصلين. وفى الذيل على مرآة الزمان: «نوكاس». وفى نهاية الأرب: «نوكيه». وفى السلوك: «نوكلى».

(٤) الخاصكية: جعل ذلك علما عليهم لأنهم يدخلون على الملك فى أوقات خلواته وفراغه، وينالون من ذلك ما لا يناله أكابر المقدمين، ويحضرون طرفى كل نهار فى خدمة القصر والاسطبل، ويركبون لركوب الملك ليلا ونهارا ولا يتخلفون فى قرب ولا بعد، ويتميزون عن غيرهم فى الخدمة بحملهم سيوفهم ولباسهم =

وأمّا سيرتُه وأحكامه وشرفُ نفسه حُكِى : أنّ الأشرف صاحب حِمْص كتب إليه يستأذنه فى الحجّ ، وفى ضمن الكتاب شهادةٌ عليه أنّ جميع ما يَمْلِكه آنتقل عنه إلى الملك الظاهر ، فلم يأذن له الملك الظاهر فى تلك السنة غَضباً منه لكونه كتب ذلك ، وآتفق أنّ الأشرف مات بعد ذلك فتسلّم الملك الظاهر حُصونَه التى كانت بيده ولم يتعرّض للتركة ، ومكّن ورثته من الموجود والأملاك ، وكان شيئاً كثيرا إلى الغاية ، ودَفَع الملكُ الظاهر إليهم الشهادةَ وقد تجنّبُوا التّركة لعلمهم بالشهادة . ومنها أن شَعْرا[1] بَانْيَاس وهى إقليم يشتمل على أرض[2] كثيرة عاطلة بحُكم آستيلاء الفرنج على صَفَد، فلمّا آفتتح صَفَد أفتاه بعضُ العلماء بآستحقاق الشعرا فلم يرجع إلى الفُتْيا ، وتقدّم أمره أنّ مَن كان له فيها مِلْك قديم فليتسلّمْه .

وأمّا صدقاته فكان يَتَصدّق فى كلّ سنة بعشرة آلاف إرْدَب قَمْح فى الفقراء والمساكين وأرباب الزوايا ، وكان يُرتّب لأيتام الأجناد ما يقوم بهم على كَثْرتهم ، ووقف وَقْفا على تكفين أموات الغرباء بالقاهرة ومصر ، ووَقْفًا لِيُشتَرى به خُبْزٌ ويُفَرّق فى فقراء المسلمين ، وأصلح قبر خالد بن الوليد ــ رضى الله عنه ــ بِحمْص ، ووقف وَقْفًا على مَنْ هو راتب فيه من إمام ومُؤَذِّن وغير ذلك ، ووقف على قبر أبى عُبَيْدة بن الجَرّاح ــ رضى الله عنه ــ وقْفًا مثل ذلك ، وأجرى على أهل الحرمين والحجاز وأهل بَدْر وغيرهم ما كان آنقطع فى أيّام غيره من الملوك .

= الطرز الزركش ، ويدخلون على الملك فى خلواته بغير إذن ، ويتوجهون فى المهمات الشريفة ، ويتأنقون فى ركوبهم وملبوسهم ، وكانوا فى القديم لا يزيدون على أربعة وعشرين بعد الأمراء المقدمين ، والآن يزيدون على الأربعمائة ، ولهم الرزق الواسع والعطايا الجزيلة من الملوك (كترمير ٢ ص ١٥٩) . وكتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك لغرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى (ص ١١٥ — ١١٦) .

(١) شعرا : فى الجنوب الشرقى من بانياس (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ١٠٤) .

(٢) فى ذيل مرآة الزمان : « يشتمل على قرى كثيرة » .

وأمّا عمائره : المدارس والجوامع والأسْبِلة والأَرْبِطة فكثيرة ، وغالبُها معروفة به ، وكان يُخرِج كلّ سنة جُمْلَةً مستكثرة يَسْتَفِكُّ بها مَنْ حبَسَه القاضي من المُقِلِّين ، وكان يُرَتِّب في أوّل شهر رمضان بمصر والقاهرة مطابخَ لأنواع الأَطْعِمة، وتُفَـرَّق على الفقراء والمساكين .

وأمّا حُرمَتُه ومهابته، منهـا : أنّ يهوديًّا دَفَن بقلعة جَعْبَر عنـد قصد التّتار لها مَصاغا وذَهبًا وهَرَب بأهله إلى الشام وآستوطن حماة، فلمّا أَمِن كَتَب إلى صاحب حَماة يُعَرِّفه ويساله أن يُسَيِّر معـه مَنْ يحفظه ليأخذَ خبيئَته ويدفع لبيت المـال نِصْفه، فطالع صاحبُ حَماة الملك الظاهر بذلك، فردّ عليـه الجواب أنّه يُوَجِّهُهُ مع رجلين لَيَقْضِيَ حاجته؛ فلمّـا توجهوا مع اليهودي، ووصلوا إلى الفُرات آمتنـع مَن كان معـه من العُبور فعبَرَ اليهوديُّ وحْدَه، فلمّا وصل وأخذ في الحَفْر هو وآبنه وإذا بطائفةٍ من العَرَب على رأسه ، فسألوه عن حاله فأخبرهم، فأرادوا قَتْله وأَخْذَ المـال، فأخرج لهم كتابَ الملك الظاهر مُطْلَقًا إلى مَنْ عساه يَقِف عليـه، فلمّا رَأَوْا المرسوم كَفُّوا عنه وساعدوه حتّى آستخلص ماله . ثم توجّهوا به إلى حَمَـاة وسلّموه إلى صاحب حَماة، وأخذوا خَطّه بذلك .

ومنها : أنّ جماعة من التُّجّار خرجوا من بلاد العجم قاصدين مصر، فلمّا مَرُّوا بسِيس منعهم صاحبها من العُبور، وكتب إلى أبْغَا ملك التّتار، فأمره أبْغَا بالحَوْطة عليهم وإرسالهم إليـه ، وبلغ الملكَ الظـاهرَ خبرُهم، فكتب إلى نائب حلب بأن يكتب إلى نائب سِيس ، إنْ هو تعرّض لهم بشيء يُساوِي درهمًـا واحدًا أخذتُ[1] عِوَضه مِرارًا، فكتب إليـه نائبُ حلب بذلك فأطلقهم ، وصانع أبْغَا بن هولاكو

(١) عبارة الذيل على مرآة الزمان : « أخذتك عوضه » .

على ذلك بأموالٍ جليـلة حتّى لا يُخـالف مرسـومَ الظاهر ، وهو تحت حُكْم غيره لا تحت حكم الظاهر .

ومنهـا : أنّ تواقيعه التى كانت بأيدى التُّجّار المتردِّدين إلى بلاد القِبْجَاق [بإعفائهـم من الصادر والوارد] (١) كان يُعمل بهـا حيث حلُّوا من مملكة بَرَكة خان ومَنْكُوتَمُر وبلاد فارس وكَرْمان .

ومنهـا : أنّه أعطى بعض التُّجّار مالًا ليشترى به ممـاليك وجَوَارِىَ من التُّرك فشَرِهَت نفس التاجر فى المـال فدخل به قَرَاقُوم (٢) من بلاد التُّرك وآستوطنها ، فوقع الملك الظاهر على خَبَره ، فبعث إلى مَنْكُوتَمُر فى أمره فأحضروه إليه تحت الحَوْطة إلى مصر . وله أشياء كثيرة من ذلك .

وكان الملك الظاهر يُحبُّ أن يطّلع على أحوال أمرائه وأعيان دولتـه حتّى لم يَخْفَ عليه من أحوالهم شىءٌ . وكان يُقَرِّب أربابَ الكمالات من كلّ فنّ وعِلْم . وكان يَميل إلى التـاريخ وأهلِه مَيْلًا زائدًا ويقول : سمـاعُ التاريخ أعظمُ من التجارب . وكانت تَرِد عليه الأخبار وهو بالقاهرة بحَركة العـدُوّ ، فيأمر العسكر بالخروج وهم زيادة على ثلاثين ألف فارس ، فلا يَبِيت منهـم فارسٌ فى بيتـه ، وإذا خرج من القاهرة لا يُمكّن من العَوْد (٣) إليها ثانيـا .

قلت : كان الملك الظاهر ـــ رحمه الله ـــ يَسِـير على قاعدة ملوك التّتـار وغالب أحكام جِنْكِزْخان من أمر « اليَسَق والتّورا » ، واليَسَق : هو الترتيب ، والتّورا :

(١) هذه الزيادة عن الذيل على مرآة الزمان .

(٢) فى الأصلين : « قراقرم » . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان وتقويم البلدان لأبى الفداء . وقراقوم : من أقصى بلاد الترك الشرقية ، وكانت قاعدة التتار وفى جهاتها بلاد المغل ، وهم خالصة التتار ، ومنها خاناتهم .

(٣) فى الأصلين : « لا يمكن من العبور إليها ثانيا » . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان .

المذهب باللغة التركية؛ وأصل لفظة اليَسَق: سِى يَسَا، وهى لفظة مركبة من كلمتين صدر الكلمة: سِى بالعجمى، وعجزها يَسَا بالتركىّ، لأنّ سِى بالعجمى ثلاثة، ويَسَا بالمُغلىّ الترتيب، فكأنّه قال: التراتيب الثلاثة. وسبب هذه الكلمة أنّ جِنكِزْخان مَلِك المُغُل كان قَسَم ممالكه فى أولاده الثلاثة، وجعلها ثلاثة أقسام، وأوصاهم بوصايا لم يَخْرُجوا عنها التُّرك إلى يومنا هذا، مع كثرتهم واختلاف أديانهم، فصاروا يقولون: سِى يَسَا (يعنى التراتيب الثلاثة التى رتّبها جِنكِزْخان)، وقد أوضحنا هذا فى غير هذا الكتاب(1) بأوسعَ من هذا. انتهى. فصارت التُّرك يقولون: «سِى يَسَا» فثَقُل ذلك على العامّة فحرّفوها على عادة تحاريفهم، وقالوا: سِياسَة. ثم إنّ الترك أيضا حذفوا صَدْر الكلمة، فقالوا: يَسَا مدّةً طويلة، ثم قالوا: يَسَق، واستمرّ ذلك إلى يومنا هذا. انتهى.

قلت: والملك الظاهر هذا هو الذى ابتدأ فى دولته بأرباب الوظائف من الأمراء والأجناد، وإن كان بعضُها قبله فلم تكن على هذه الصِّيغة أبدًا؛ وأُمَثِّل لذلك مثلا فيُقاس عليه، وهو أنّ الدَّوادار كان قديمًا لا يُباشره إلا مُتعمِّمٌ يَحْمِل الدّواة ويحفظها. وأمير مجلس(2) هو الذى كان يحرُس مجلس قعود السلطان وفرشه. والحاجب(3) هو البوّاب الآن، لكونه يحجُب الناس عن الدخول؛ وقِسْ على هذا. فجاء الملك الظاهر جَدّد جماعةً كثيرةً من الأمراء والجند ورتّبهم فى وظائف:

(1) تقدّم الكلام على هذين اللفظين فى ص ٢٦٨ — ٢٦٩ من الجزء السادس من هذه الطبعة.
(2) سيأتى للؤلف بعد قليل شرح لها يخالف هذا الشرح و يوافق ما ذكر فى صبح الأعشى.
(3) راجع الكلام على الحجوبية فى صبح الأعشى (ج ٤ ص ١٩) وسيذكر المؤلف شرحا لها بعد قليل

كالدّوادار والخازندار وأمير آخور والسّراخور[1] والسّقاة والجمداريّة[2] والحجّاب ورءوس[3] النّوب[4] وأمير سلاح وأمير مجلس وأمير شكار[5] .

فأمّا موضوع أمير سلاح في أيّام الملك الظاهر فهو الذى كان يتحدّث على السّلاح داريّة ، ويناول السلطان آلة الحرب والسّلاح في يوم القتال وغيره ، مثل يوم الأضحى وما أشبهه . ولم يكن إذ ذاك في هذه المرتبة (أعنى الجلوس رأس ميسرة السلطان) ، وإنّما هذا الجلوس كان إذ ذاك مختصًّا بأطابك[6] . ثم بعده في الدولة الناصريّة محمد بن قلاوون برأس نوبة الأمراء كما سيأتى ذكره في محلّه . وتأييد ذلك يأتى في أوّل ترجمة الملك الظاهر برقوق ، فإنّ برقوق نقل أمير سلاح قطلوبغا[7]

---

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٩ من هذا الجزء . (٢) في الأصلين : «السلاخور» . والسراخور هو الذى يتحدّث على علف الدواب من الخيل وغيرها . وهو مركب من لفظين فارسيين ، أحدهما «سرا» ومعناه الكبير ، والثانى «خور» ومعناه العلف ، ويكون المعنى كبير العلف ، والمراد كبير الجماعة الذين يتولون علف الدواب . والعامة يقولون : سراخورى بإثبات ياء النسب في آخره ولا وجه له . ومتشدقو الكتّاب يبدلون الراء فيه لاما (كما ذكره المؤلف) فيقولون : سلاخورى : وهو خطأ (صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٠) . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٥ من هذا الجزء .

(٤) وظيفة رأس النوبة ، معناها الحكم على المماليك السلطانية والأخذ على أيديهم ، وقد جرت العادة أن يكونوا أربعة أمراء ، واحد منهم مقدم ألف وثلاثة طبلخاناة . (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٨) .

(٥) أمير شكار هو لقب على الذى يتحدّث على الجوارح من الطيور وغيرها وسائر أمور الصيد . وهو مركب من لفظين : أحدهما عربي وهو أمير ، والثانى فارسى وهو شكار (بكسر الشين المعجمة) ومعناه : صيد فيكون المراد أمير الصيد (صبح الأعشى ج ٥ ص ١٦١) .

(٦) الأطابك هو الأتابك ، ومعناه الولد الأمير ، وأوّل من لقب بذلك نظام الدولة وزير ملكشاه ابن ألب أرسلان السلجوقى حين فوّض اليه ملكشاه تدبير المملكة سنة ٤٦٥ هـ . وقيل : أطابك معناه أمير أب ، والمراد به أبو الأمراء وهو أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب الكافل ، وليس له وظيفة ترجع إلى حكم وأمر ونهى ، وغايته رفعة المحل وعلو المقام (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٨) .

(٧) في الأصلين : «الطنبغا» . وتصحيحه عن ابن أياس (ج ١ ص ٣٦٠) والمنهل الصافى في ترجمة قطلوبغا الكوكائى المذكور ، وهامش الجزء الخامس من النجوم الزاهرة ص ٣٦٨ طبع كاليفورنيا سنة ١٩٣٢ . وهو قطلوبغا بن عبد الله الكوكائى الأمير سيف الدين نسب إلى معتقه الأمير كوكاى صاحب التربة والمئذنة تجاه قبة النصر بالصحراء ، توفى في حدود سنة ٧٩٦ هـ (عن المنهل الصافى) .

الكُوكَائِىّ إلى حجوبيّـة الحجّاب . وأمير مجلس كان موضوعها فى الدولة الظاهريّة بيبَرْس يَتحدَّث على الأطِبّاء والكحّالين والمجبِّرين ، وكانت وظيفة جليلة أكبر قدرًا من أمير سلاح .

وأمّا الدَّوَادَارِيّة فكانت وظيفةً سافلةً . كان الذى يليها أوّلًا غير جندى ، وكانت نوعًا من أنواع المباشرة ، فجعلها الملك الظاهر بيبَرْس على هذه الهيئة ، غير أنّه كان الذى يليها أمير عشرة . ومعنى دَوَادَار باللغـة العجمية : ماسك الدَّواة ، فإنّ لفظة « دار » بالعَجَمِىّ : ماسـك ، لاما يفهمـه عوامّ المصريّين أنّ دارا هى الدار التى يُسْكَن فيهـا ، كما يقولون فى حقّ الزِّمام : زمام الآدُر ؛ وصوابه زمام دار . وأوّل من أحدث هـذه الوظيفة ملوك السَّلْجُوقيّـة . والجَمَدَار ، الجَمَى هى البُقْجَة باللغة العجمية ، ودار تقدّم الكلام عليه ، فكأنّه قال : ماسك البُقْجة التى للقماش . وقِس على هذا فى كلّ لفظ يكون فيه دار من الوظائف .

وأمّا رأس نَوْبة فهى عظيمة عنـد التّتار ، ويُسَمّون الذى يليها « يَسَوول » بتفخيم السين . والملك الظاهر أوّل من أحدثها فى مملكة مصر . والأمير آخور أيضا وظيفة عظيمة ؛ والمُغُل تسمى الذى يليها « آق طشى » . وأمير آخور لفظ مركب من فارسى وعربى ، فأمير معروف وآخور هو اسم المِذْوَد بالعَجَمِىّ ، فكأنّه يقول : أمير المِذْوَد الذى يأكل فيـه الفَرَس . وكذلك السـلاخورى وغيره ؛ ممّـا أحدثها[1] الملك الظاهر أيضا .

وأمّا الحُجُوبيّة فوظيفةٌ جليلة فى الدولة التركيّة ، وليس هى الوظيفـة التى كان يليهـا حَجَبة الخلفاء ، فأولئك كانوا حَجَبةً يحجُبون الناس عن الدخول على الخليفة ، ليس من شأنهم الحكم بين النـاس والأمر والنهى ؛ وهى ممّـا جدده الملك

(١) هذه الجملة فى الأصلين هكذا : « وكذلك السلاخورى وغيره وممن أحدثهما ... الخ » .

الظاهر بيبَرْس ، لكنها عظُمت فى دولة الملك الناصر محمـد بن قلاوون حتى عادلت النِّيابة[(١)] .

وأمّا ما عدا ذلك من الوظائف فأحدثهـا الملك الناصر محمـد بن قلاوون كما سيأتى بيانه فى تراجمه الثلاث من هذا الكتاب، بعد أن جدّد والده الملك المنصور قلاوون وظائف أُخَرَكما سيأتى ذكره أيضا فى ترجمته على ما شرطناه فى هذا الكتاب من أنّ كلّ من أحدث شيئا عَزَيْناه له . ومّـا أحدثه الملك الظاهر أيضا البَرِيد فى سائر ممالكه ، بحيث إنّه كان يصل إليه أخبارُ أطراف بلاده على آتساع مملكته فى أقرب وقت .

وأمّا ما آفتتحه من البـلاد وصار إليـه من أيدى المسلمين فعِدّة بلاد وقِلاع . والذى آفتتحه من أيدى الفرنج ــ خَذَلهم الله ــ : قَيْسَارِيَّةُ ، وأرْسُوف ، وصَفَد ، وطَبَرِيَّة ، ويافا ، والشُّقيف ، وأنطاكِيَة ، وبَغْرَاس ، والقُصَيْر ، وحِصْنُ الأكراد وعكّار[(٢)] ، والقُرين[(٣)] ، وصافِيثا ، ومَرَقِيّـة . وناصفهم على المَرْقَب وبَانِيَـاس وبلاد أنْطَرْطُوس وعلى سائر ما بَقِى فى أيديهم من البلاد والحصون وغيرها . وآستعاد من صاحب سِيس دَرْبَسَاك ، وَدَرْكُوش ، ورَعْبَان[(٤)] ، والمرزُبان[(٥)] وبلاداً أُخَر . والذى

(١) النيابة ، ويعبر عن صاحبها بالنائب الكافل ، وكافل الممالك الإسلامية ، وهو يحكم فى كل ما يحكم فيه السلطان ويعلم فى التقاليد والتواقيع والمناشير وغير ذلك مما هو من هـذا النوع على كل ما يعلم عليه السلطان . وسائر النواب لا يعلم الرجل منهم إلا على ما يتعلق بخاصة نيابته ، وهذه رتبة لا يخفى ما لها من التميز (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٦) .
(٢) فى الأصلين : « عكا » . والتصويب عن عيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان والسلوك . وراجع الحاشية رقم ٣ ص ١٥٣ من هـذا الجزء .
(٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٥٢ من هذا الجزء .
(٤) فى الأصلين : «ورعيان» بالياء آخر الحروف . والتصحيح عن السلوك وعيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان . وهى مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات معدودة فى العواصم ، وهى قلعة تحت جبل (عن معجم البلدان لياقوت) .
(٥) عرف هذا اللفظ أبو الفدا إسماعيل فى تقويم البلدان فى الكلام على قلعة الروم بأنه نهر يجىء من ناحية الجبل ويصب فى الفرات تحت قلعة الروم (تقويم البلدان ص ٢٦٩) .

صار إليه من أيدى المسلمين: دِمَشْق وبَعْلَبَكّ وعَجْلُون وبُصْرَى وصَرْخَد والصَّلْت، وكانت هذه البلاد التى تغلّب عليها الأمير علم الدين سَنْجَر الحلَبى بعد موت الملك المظفّر قُطُز، لما تسلطن بدِمَشْق وتلقب بالملك المجاهد. انتهى. وحِمْص، وتَدْمُر، والرَّحْبة، ودلويا[١]، وتَلّ باشر، وهذه البلاد انتقلت إليه عن الملك الأشرف صاحب حِمْص فى سنة اثنتين وستين[٢] وستمائة. وصِهْيَوْن وبَلاطُنُس، وبُرْزَيْه، وهذه مُنْتَقِلة إليه عن الأمير سابق الدين سليمان بن سيف الدين أحمد وعمّه عزّ الدين. وحصون الإسماعيلية[٣] وهى: الكَهْف، والقَدْمُوس، والمَيْنَقة[٤]، والعُلَيْقة، والخَوَابِى[٥]، والرُّصَافة، ومِصْيَاف[٦]، والقُلَيْعة[٧]. وأمّا ما انتقل إليه عن الملك المغيث ابن الملك العادل أبى بكر ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيُّوب: الشَّوْبَك، والكَرَك. وما انتقل إليه عن التَّتار: بلاد حلب الشمالية بأسرها، وشَيْزَر، والبِيرَة.

---

(١) فى الذيل على مرآة الزمان: «زلوبيا». وفى عيون التواريخ: «زوليا». وفى المنهج السديد: «زلوبتا» وقد بحثنا فى كتب المعاجم عن كل هذه الأسماء فلم نوفق إلى معرفة الصواب فيها.

(٢) فى الأصلين: «اثنتين وسبعين». وما أثبتناه عن الذيل على الروضتين وعيون التواريخ.

(٣) وتسمى أيضا قلاع الدعوة، سميت بذلك لأنها كانت بيد الإسماعيلية من الشيعة المنتسبين إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، وهم يسمون أنفسهم أصحاب الدعوة الهادية؛ وهؤلاء هم المعروفون فى ديوان الإنشاء بالقصاد، وبين العامة بالفداوية. قال صاحب صبح الأعشى (ج ٤ ص ١٤٦ — ١٤٧) وهى سبع قلاع، كانت كلها مضافة إلى طرابلس ثم نقلت مصياف منها إلى دمشق وقد أوضحها صاحب صبح الأعشى وبين مواقعها فلتراجع.

(٤) فى الأصلين: «المنيعة». وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان وصبح الأعشى.

(٥) فى الأصلين: «الحواقى». وما أثبتناه عن صبح الأعشى وذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ والنهج السديد.

(٦) فى الأصلين والذيل على مرآة الزمان وعيون التواريخ: «مصيات» بالتاء المثناة. وما أثبتناه عن صبح الأعشى ونهاية الأرب للنويرى والسلوك.

(٧) كذا فى الأصلين وعيون التواريخ. ولعلها: «القليعات» التى تقدم ذكرها فى ص ١٥٠ من هذا الجزء.

وفَتَح الله على يديه بلاد النُّوبَة [1] ، وفيها من البلاد ممّا يلى أسْوان جزيرةُ بِلاّق [2] ؛ ويلى

(١) يطلق اسم بلاد النوبة أو اتيوبيا السفلى على الأراضى التى تمتد على شاطئ النيل من شلال أسوان إلى مدينة مروى قرب الشلال الرابع . وتنقسم بلاد النوبة إلى قسمين : وهما النوبة السفلى والنوبة العليا . فأما بلاد النوبة السفلى وهى الشمالية فتقع بين شـلال أسوان وبين شلال وادى حلفا ، ويطلق عليها اسم بلاد الكنوز نسبة الى بنى الكنز وهم عرب من قبيلة ربيعة ، وهـذه المنطقة تشمل اليوم ثلاث قرى من مركز أسـوان وهى الشلال ودابود ودهميت ، ثم تشمل جميـع قرى مركز الدر ، ثم عشر قرى من مركز وادى حلفا التابع للسودان المصرى . وأما بلاد النوبة العليا وهى الجنوبية فتقع بين شـلال وادى حلفا وبين الشلال الرابع ، وهذه المنطقة تشمل اليوم مديريتى وادى حلفا ودنقلة التابعتين للسودان المصرى .

وأما بلاد اتيوبيا العليـا فتمتد من الشلال الرابع إلى أقاصى بلاد الحبشة وهى تشـمل باقى مديريات السودان المصرى وبلاد الحبشة . وكلمة اتيوبيا : معناها الوجه الأسـود أو المحرق ، وهو الاسم الذى أطلقه اليونان على جميع بلاد السود الشديدى الحمرة .

(٢) جزيرة بلاق : يستفاد مما ذكره الإدريسى عن مدينة بلاق فى ص (٢٤ ج ١) من كتاب نزهة المشتاق ، ومما ذكره ياقوت فى معجم البلدان أن بلاق هذه مدينة واقعة فى أول بلاد النوبة على الشاطئ الشرقى للنيل جنوبى أسوان ، ومتصلة بها بطريق البر ، ولكن لما تكلم المقريزى على بلاق فى (ص ١٩٩ ج ١) من خططه قال : بلاق أجل حصن للسلمين وهى جزيرة تقرب من الجنادل (يقصد شلال أسوان) محيط بها الماء وفيها بلد كبير يسكنه خلق كثير من الناس ، وبهـا جامع بمنبر ونخيل عظيم وإليهـا تنتهى سفن النوبة وسفن المسلمين وبينها وبين أسوان أربعة أميال .

وذكر جغرافيو الإفرنج أن جزيرة بلاق واقعة فى النيل تجاه محطة الشلال جنوبى أسوان بمسافة عشرة كيلومترات ، واسمها المصرى بيلاك والرومى فيلى (بكسر الفاء وإمالة اللام) والقبطى بيلاخ والعربى بلاق وهـو المصرى محرفا . ولما زرت هذه الجهة بحثت هـذا الموضوع فى مكانه فتبين لى وجود ناحيتين : إحداهما كانت تسمى بلاق والثانية جزيرة بلاق نسبة إلى بلدة بلاق الواقعة تجاهها . أما ناحية بلاق فهى بلدة تقع على الشاطئ الشرقى للنيل وإليهـا تنتهى السكة الحديدية المصرية التى تربطها بأسوان كما تنتهى إليها أيضا السفن الذاهبة إلى بلاد النوبة والعائدة منها . وبلاق هـذه مكانها اليوم نجع محطة الشلال الواقعة فى نهاية السكة الحديدية ، ونجع اشكول ونجع الباب القبلى ، وهذه النجوع من توابع ناحية الشلال التابعة لمركز أسوان بمديرية أسوان . وأما جزيرة بلاق فهى عبارة عن جزيرة صخرية صغيرة مساحتها تسعة أفدنة تقريبا مشغولة بمبانى بعض الهياكل والمعابد المصرية القديمة ، وليس فيها من الفضاء ما يسمح بوجود بلد كبير حتى ولا قرية صغيرة ، ولا تصلح أن تكون حصنا للمسلمين كما ذكر المقريزى . وهذه الجزيرة تسمى اليوم جزيرة قصر أنس الوجود أو جزيرة القصر أو جزيرة البربا أو جزيرة المعبد وهى أشهر الجزر التابعـة لناحية الشلال ولا يزال يوجد بجزيرة بلاق هذه بقايا معابد مصرية قديمة من عهد الملك نقطانب الثانى ، وأشهر آثارها المعبـد الكبير الذى أنشأه الملك بطليموس الثـانى فيلادلف . وعلى بعـد ١٧ قصبة =

هـذه البلادَ بلادُ العلى(١) وجزيرة ميكائيل(٢) ، وفيها بلادٌ وجزائر الجنادل(٣) وهى

= من جزيرة بلاق إلى الغرب توجد جزيرة أخرى أكبر منها تسمى بيجة وأسمها المصرى «سنيت» ويوجد أيضا غربي جزيرة بيجة جزيرة أخرى أكبر من بيجة بكثير تعرف بجـزيرة الهيسة ، وهى أكبر الجزر التابعة لناحية الشلال ، وكان بها مساكن وجامع ونخيل قبـل إنشاء خزان أسوان سـنة ١٩٠٢ . ويحتمل كثيرا أن جزيرة الهيسة هى التى يقصدها المقريزى لاتساعها ووقوعها فى صدر مجرى النيل على رأس هذه الجزر من جهة بلاد النوبة . وبسبب بناء قناطر خزان أسوان الذى يقال له «السد» ووقوع هذه الجزر أمام قناطر الخزان (أى من جهة المياه الواردة) فالمياه المخزونة أصبحت بسبب ارتفاع منسوبها تغمر أرض هـذه الجزر وما فيها من المساكن والنخيل والآثار فى المدّة من شهر ديسمبر إلى يوليو سنويا . وأما وقت فيضان النيل فتفتح القناطر كلها من شهر أغسطس إلى نوفبر سنويا . وفى هذه المدّة يكون النيل فى منسوبه العادى فتنكشف الأرض وتظهر الآثار وبذلك يمكن مشاهدتها .

(١) بلاد العلى أو بلاد علوة : يستفاد مما ذكره المقريزى فى ص (١٩١ ج ١) من خططه عند الكلام على ذكر تشعب النيل من بلاد علوة ومما ورد فى كتاب تاريخ السودان لمؤلفه نعوم شقير بك أن بلاد علوة وهى المعروفة ببلاد النوبة العليا أو بمملكة العنج كانت تطلق على منطقة الأراضى التى تمتد اليوم على شاطئ النيل من أول الشلال الرابع وهو شـلال كسنجر إلى أرض جزيرة سنار الواقعـة بين النيل الأبيض والنيل الأزرق ، وكانت قاعدة بلاد علوة مدينة «سوبه» الواقعـة على النيل الأزرق جنوبى الخرطوم بمسافة ٢٤ كيلومترا .

(٢) جزيرة ميكائيل : لما تكلم المقريزى فى ص (١٩٩ ج ١) من خططه على البقط (وهو أسم الجزية التى كانت لملوك مصر على بلاد النوبة) ذكر جملة حوادث منها أن الملك الظاهر بيبرس أرسل فى أول شعبان سـنة ٦٧٤ هـ تجريدة تحت قيادة الأمير شمس الدين آق سـنقر الفارقانى والأمير عز الدين أيبك الأفرم لرد اعتداء متملك النوبة ، ولما وصل الجند إلى أرض النوبة اقتتل الفريقان قتالا عنيفا انهزم فيـه عسكر النوبة وأغار الأفرم على قلعة الدر وأوغل الفارقانى فى أرض النوبة برا وبحرا يقتل ويأسر حتى نزل بجزيرة ميكائيل برأس الجنادل .

وأقول : بالبحث تبين لى أن الجنادل المقصودة بالذكر هنا هى شلال وادى حلفا وأن جزيرة ميكائيل هى التى تعرف اليوم باسم جزيرة «جانا الساب» ويقال «جانساب» وهـذه الجزيرة واقعـة فى النيل على رأس شلال وادى حلفا تجاه خورموسى باشا .

(٣) الجنادل : مفردها جندل ويقال لها الشلالات مفردها شلال وهو عبارة عن مجتمع صخور كبيرة وجزر صخرية صغيرة تعـترض مجرى النيل فتنحدر من فوقها المياه بقوّة عظيمة ويسمع لهـا دوى هائل . ولا تمر منها المراكب إلا بالحيلة ودلالة الخبيرين بأوضاعها وطرقها من الصيادين . والشـلالات التى فى النيل تقع فى المنطقة التى بين مدينتى أسوان والخرطوم يبعد بعضها عن بعض على مسافات مختلفـة ، وهى كثيرة بين كبيرة وصغيرة . فأما الشلالات الكبيرة فأشهرها ستة وهى : الأول شلال أسوان ، والثانى شلال وادى حلفا ويقال له شـلال عكة ، والثالث شلال حنك ، والرابع شلال وادى الأدرميـة ويقال له شلال كسنجر (وهو اسم محطة السكة الحديدية الواقعة تجاه هـذا الشلال) ، والخامس شلال وادى الحمار ويقال له =

أيضا بلاد ، ولمّا فتحها أنْعَم بها على آبن عم المأخوذة منه ، ثم ناصفه عليها ، ووضع عليــه عَبِيدًا وجوارِىَ وهُجُنًا وبَقَرًا ، وعن كلّ بالغ من رعيّته دينارًا فى كلّ سنة . وكانت حدود مملكة الملك الظاهر من أقصى بلاد النُّوبَة إلى قاطع الفرات . ووَفَد عليــه من التّتار زُهَاء عن ثلاثة آلاف فارس ، فمنهم من أمَّرَه طبلخاناه ، ومنهم مَنْ جعـله أميرَ عشرة إلى عشرين ، ومنهم مَنْ جعـله من السُّقّاة ، ثم جعل منهم سِلَحْدَارِيّة و جَمَدَارِيّة ومنهم من أضافه إلى الأمراء .

وأمّا مبانيه فكثيرة منهـا ماهدمه التّتار من المعاقل والحصون . وعمّر بقلعة الجبل دارَ الذهب ، و برحبـة الخارج(1) قبّة عظيمة محمـولة على آثنى عشر عمودا من الرخام الملوّن ، وصُوِّرَ فيهـا سائر حاشيته وأمرائه على هيئتهم ، وعمّر بالقلعة أيضا طبقتين مُطِلّتين على رحبـة الجامع(2) وأنشأ برج الزاوية(3) المجاورة لبـاب القلعة(4) ، وأخرج منـه

= شلال بجزيرة العشير (لوقوعها أمامه) ، والسادس شلال سبلوكه وهو أقربها إلى الخرطوم . و يوجد فى أعالى النيل من الشلالات الكبيرة شلال الروصيرص فى النيل الأزرق وشلال الفولة فى النيل الأبيض .

و بسبب بناء خزان أســوان فوق صخور شلال أسوان أنشئ فى نهايته الغربية قناة وهويس بأبواب معدنية كبيرة تفتح وتقفل لحفظ توازن المياه عند مرور المراكب الصاعدة والنازلة من الشلال المذكور .

(١) فى الأصلين هكذا : « و برحبة الخارج فيه قبة » . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان وفوات الوفيات لابن شاكر . (٢) الجـامع : المقصود هنا الجامع الذى كان موجودا بالقلعة فى ذلك العهد . و يستفاد مما ذكره المقريزى فى ص (٣٢٥ ج ٢) من خططه عنـد الكلام على جامع القلعة أن الجامع المذكور قد هدمه الملك الناصر محمد بن قلاوون وأدخله فى الجامع الذى أنشأه بالقلعة سنة ٧١٨ هـ . وهـذا الجامع لا يزال موجودا ، و يعرف بجامع الناصر بقلعة الجبل بجوار جامع محمد على باشا الكبير .

(٣) برج الزاوية : هذا البرج لايزال موجودا فى الزاوية البحرية الغربية من السور القديم البحرى للقلعة ؛ ولما جدد محمد على باشا الكبير ســورها الحالى أصبح البرج فى داخله و يعلوه الآن الجناح العربى لمستشفى الجيش بالقلعة . (٤) باب القلعة : المقصود هنا باب القلعة العمومى القديم الذى أنشأه صلاح الدين فى سنة ٥٧٩ هـ . وورد فى الخطط المقريزية (ج ١ ص ٢٠٤) باسم الباب المدرج ، ولا يزال موجودا ولكن بطل استعماله وســد الطريق الذى كان يوصل بينه و بين حوش القلعة بسبب وجود الباب الجديد الذى أنشأه محمد على باشا الكبير فى ســنة ١٢٤٢ هـ بجوار الباب القديم المذكور ، والبـاب الحالى يعرف بالباب الجديد أو الباب العمومى أو الباب البحرى . وفى ذيل مرآة الزمان وفوات الوفيات : « برج الزاوية المجاور لبـاب السر » .

رواشن، وبَنَى عليه قبّة وزخرف سقفها، وأنشأ جواره طِباقا للماليك أيضا. وأنشأ[1] برحبة باب القلعة دارا كبيرة لولده الملك السعيد، وكان في موضعها حَفِيرٌ فعقد عليه ستة عشر عَقْدًا، وأنشأ دورًا كثيرة بظاهر القاهرة [[2] ممّا يلى القلعة وإصطبلات] برسم الأمراء، فإنّه كان يكره سكنى الأمير بالقاهرة مخافةً من حواشيه على الرعيّة. وأنشأ حمّاما[3] بسوق الخيل لولده الملك السعيد، وأنشأ الجسر[4] الأعظم والقنطرة التى على الخليج، وأظنّها قنطرة السّباع[5]، وأنشأ الميْدان بالبُورَجِى[6] ونَقَل إليه النخيل بالثمن الزائد من الديار المصريّة، فكانت أُجْرَةُ نَقْله ستة عشر ألف دينار، وأنشأ به

(١) في الأصلين: «وأنشأ تجاه برحبه بباب القلعة دارا ... الخ». وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان وفوات الوفيات. (٢) زيادة عن فوات الوفيات والذيل على مرآة الزمان.

(٣) حمام سوق الخيل: لما تكلم صاحب الخطط التوفيقية على أعمال الظاهر بيبرس (في ص ٢٨ ج أول) قال: إن هذا الحمام هدم ومحله القره قول وبعض عمارة والدة الخديوى إسماعيل باشا بجهة ميدان محمد علي. وأقول إن هذا الحمام هو الذى كان يعرف أخيرا باسم حمام المنود، وإن القره قول الذى يشير إليه هو مبنى قسم بوليس الخليفة القديم وقد هدم هذا المبنى أيضا، ومكانه اليوم الفضاء الواقع شرقى عمارة خليل آغا بينها وبين ميدان صلاح الدين. (٤) الجسر الأعظم: ذكر المقريزى (في ج ٢ ص ١٦٠) من خططه أن الجسر الأعظم كان يفصل بين بركة قارون وبركة الفيل ثم صار شارعا مسلوكا يمشى فيه من الكبش إلى قناطر السباع. وأقول: إن الجسر المذكور لا يزال طريقا عاما يعرف الآن بشارع مراسينا ويوصل بين ميدان السيدة زينب حيث كانت قناطر السباع وبين جامع الجاولى الواقع تحت قلعة الكبش وهناك يتقابل مع شارع الخضيرى. (٥) هي بذاتها قنطرة السباع، يؤيد ذلك ما ذكره عنها المقريزى في (ص ١٤٦ ج ٢) من خططه حيث قال: إن قناطر السباع أنشأها الملك الظاهر بيبرس ونصب عليها سباعا من الحجارة لأن رنكه (شعاره) كان على شكل سبع فقيل لها قناطر السباع. وسماها ابن دقاق في كتاب الانتصار بالقنطرة الظاهرية. وأقول: إن هذه القنطرة كانت موجودة على الخليج المصرى ومعروفة كما شاهدتها باسم قنطرة السيدة زينب، وكانت تتكون من قنطرتين احداهما توصل بين شارع الكومى وبين شارع السد. والثانية كانت توصل بين شارع مراسينا وبين شارع الكومى وفي سنة ١٨٩٨ تم ردم الجزء الوسط من الخليج وبردمه اختفت هذه القنطرة من تلك السنة تحت ميدان السيدة زينب الذى دخل فيه جزء من شارع الكومى وجزء آخر من شارع مراسينا. (٦) الميدان بالبورجى: لما تكلم المقريزى على اللوق (في ص ١١٧ ج ٢) من خططه ذكر بستان البورجى بين البساتين التى كانت في حدود بستان ابن ثعلب، ومن هذا ومما ذكره مؤلف هذا الكتاب يعلم أن المنطقة الواقعة غربى باب اللوق كانت تعرف قديما بالبورجى، ولما تكلم المقريزى في (ص ١٩٨ ج ٢) من خططه على الميدان الظاهرى قال: إنه كان بطرف أراضى اللوق يشرف على النيل بينه وبين قنطرة قدادار الواقعة بجهة باب اللوق، أنشأه الملك الظاهر بيبرس، في الأرض التى انحسر عنها ماء النيل غربى الميدان الصالحى، وما زال الملك =

المناظر والقاعات والبيوتات . وجدّد جامع الأنور(1) (أعنى جامع الظافر العُبَيْدىّ) المعروف الآن بجامع الفاكهيين والجامع الأزهر(2)، وبنى جامع العاقبة(3) بالحُسَيْنِيَّة وأنفق عليه فوق الألف ألف درهم، وأنشأ قريبا منه زاوية الشيخ خَضِر(4) وحمّاما وطاحونا وفُرْنًا وعمّر بالمِقْيَاس(5) قُبّة رفيعة [مزخرفة](6)، وأنشأ عدّة جوامع بالديار المصريّة؛ وجدّد قلعة الجزيرة(7)، وقلعة العمودين ببَرْقَة(8)، وقلعة السُّوَيْس(9)، وعمّر جِسْرًا بالقليوبيّة، والقناطر على

= الظاهر يلعب فيه بالكرة هو ومن خلفه من ملوك مصر إلى سنة ٧١٤ هـ . ثم عمله الملك الناصر محمد ابن قلاوون بستانا ، وأقول : إن قنطرة قدادار التى كانت على الخليج الناصرى هى التى وردت فى خريطة الحملة الفرنسية باسم قنطرة المدابغ ، ومكانها اليوم نقطة تلاقى شارع جامع جركس بشارع الحوياتى ، ومن هذا الوصف يتضح أن الميدان الظاهرى كان فى المنطقة التى تحد اليوم من الشرق بشارع الحوياتى ومن الشمال بشارع الأنتيكخانة ومن الغرب النيل ومن الجنوب شارع الخديوى إسماعيل بقسم عابدين بالقاهرة .

(1) فى فوات الوفيات : « الجامع الأقمر » . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٩٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة. (2) الجامع الأزهر ، قال المقريزى فى (ص ٢٣٧ ج ٢) من خططه فى الكلام على الجامع الأزهر : ما يفيد أن الأمير عز الدين أيدمر الحلى تبرع بمبلغ عظيم من المال فى إصلاح الجامع الأزهر فى سنة ٦٦٥ هـ وأن الملك الظاهر بيبرس أطلق أيضا جملة من المال لعمارته فى تلك السنة .

(3) هو بذاته جامع الظاهر وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٦١ من هذا الجزء . (4) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦١ من هذا الجزء . (5) المقصود هنا مقياس النيل بجزيرة الروضة ، وراجع الحاشية رقم ٣ ص ٩٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (6) زيادة عن فوات الوفيات وذيل مرآة الزمان . (7) قلعة الجزيرة : المقصود هنا قلعة جزيرة الروضة التى أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب فى سنة ٦٣٨ هـ وقد سبق الكلام عليها وعلى مكانها وحدودها فى الحاشية رقم ٣ ص ٣٢٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة . ويستفاد مما ذكره المقريزى فى (ص ١٨٣ ج ٢) من خططه أن الملك المعز أيبك التركمانى قد هدمها وعمر منها المدرسة المعزية على النيل بمدينة مصر ، ولما صارت مملكة مصر إلى الملك الظاهر بيبرس اهتم بعمارة هذه القلعة وأصلح بعض ما تهدم منها وأعادها الى ما كانت عليه وفرق أبراجها على الأمراء ، وأمر أن تكون بيوتهم وإصطبلاتهم فيها ، ولكن لم تطل عمارتها فانه لما تولى الملك المنصور قلاوون حكم مصر هدم هذه القلعة ونقل منها كل ما احتاج اليه من العمد الصوان والرخام لبناء المدرسة المنصورية والمارستان والقبة التى دفن فيها بشارع (المعز لدين الله بين القصرين سابقا) ، ثم أخذ منها أيضا الملك الناصر محمد بن قلاوون ما احتاج اليه لبناء الإيوان والجامع بالقلعة والجامع الجديد على النيل بمدينة مصر ، وبذلك ذهبت هذه القلعة فى زمن قصير كأنها لم تكن . (8) كذا فى الأصلين والذيل على الروضتين . وفى فوات الوفيات : « قلعة العمد » . (9) قلعة السويس ، هذه القلعة قد اندثرت إلا أن مكانها لا يزال معروفا إلى اليوم باسم قلعة القلزم ، وهى عبارة عن تل مرتفع واقع فى الجهة الشمالية الشرقية من مسكن مدينة السويس ويشرف على خليج السويس .

بحر أبى المُنَجَّا[1] وقنطرة بمُنْية السّيرج[2]، وقنطرتين عند القُصَيْر[3] على بحر إبراش بسبعة أبواب مثل قنطرة بحر أبى المُنَجَّا، وأنشأ فى الجسر الذى يُسلك فيه إلى دِمْياط ستّ عشرة قنطرة، وبَنَى على خليج الإسكندرية قريبا من قنطرتها [القديمة][4] قنطرة عظيمة بعَقْد واحد، وحَفَر خليج الإسكندرية[5] وكان قد ٱرتدم بالطِّين، وحَفَر بحر أُشْموم[6]، وكان قد عَمِى، وحَفَر ترعة الصلاح[7] وخورسخا[8] وحَفَر المحامدى والكافورى، وحَفَر فى ترعة أبى الفضل ألف قصبة، وحَفَر بَحْر الصَّمْصَام[9] بالقليوبيّة، وحَفَر بحر سردوس[10].

---

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٤٨ من هــذا الجزء. (٢) قنطرة بمنية السيرج: هذه القنطرة كانت واقعة على ترعة قديمة تعرف اليوم بالترعة البولاقية، كانت تأخذ مياهها من النيل جنوبى بولاق ثم ردمت فى المسافة الواقعة بين المبانى فى قسمى بولاق وشبرا بمدينة القاهرة ولا زالت بقايا هذه الترعة تمر بجوار ناحية منية السيرج بضواحى القاهرة. وأما القنطرة فقد كانت تجاه منية السيرج وليس لها أثر اليوم.

(٣) كذا فى الأصلين والذيل على مرآة الزمان. وفى فوات الوفيات: «قنطرة عند القصير».

(٤) زيادة عن ذيل مرآة الزمان. (٥) خليج الإسكندرية: يستفاد مما ذكره المقريزى عند الكلام على خليج الإسكندرية فى (ص ١٦٩ ج ١) من خططه أن الملك الظاهر أمر بحفر هذا الخليج فى سنتى ٦٦٢ﻫ، ٦٦٤ ﻫ، ومن البحث تبين لى أن الخليج المذكور كان فمه فى ذلك الوقت واقعا على فرع النيل الغربى فى نقطة بأراضى ناحيــة منية بيبج شرقى سكن ناحية كنيسة الضهرية وكان الحفر من فم هــذا الى النقيدى أى الى ترعة النقيدى التى كانت وقتها هى المجرى الأصلى للخليج المــذكور. ومن ذلك الوقت عرفت منية بيبج بالظاهرية نسبة الى الملك الظاهر وهى التى تعرف اليوم بالضهرية إحدى قرى مركز إيتاى البارود بمديرية البحيرة. (٦) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة.

(٧) ترع الصلاح والمحامدى والمجابرى والنحاريرى والكافورى وأبى الفضل، كانت هــذه الترع قديما مخصصة للرى بالوجه البحرى وقد ٱختفت أسماؤها الآن، إما بسبب اندثارها وإما بسبب تغيير أسمائها بأخرى من زمن قديم ولذلك أصبحت مجهولة فى زمننا هذا. (٨) فى الأصلين: «خورمنجا». وما أثبتناه عن فوات الوفيات. وفى الذيل على مرآة الزمان «خورسرختا».

(٩) بحر الصمصام: يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على بحر أبى المنجا (ص ٤٨٧ ج ١) أن إقليم الشرقية كان يروى قبل حفر بحر أبى المنجا من بحر السردوسى ومن الصماصم. وبالبحث تبين لى أن بحر الصمصام أو الصماصم صار بعد حفر بحر أبى المنجا يأخذ مياهه من بحر أبى المنجا المذكور وبذلك أصبح فرعا منه ويعرف اليوم بترعة المصيصة المحرفة عن الصماصم بمركز قليوب. وبما أن بحر أبى المنجا يعرف اليوم بالترعة الشرقاوية التى بمديرية القليوبية فترعة المصيصة تأخذ مياهها الآن من ترعة الشرقاوية فى شمال ناحية ميت حلفا بمركز قليوب. (١٠) بحر سردوس: سمى بهذا الاسم نسبة الى قرية سردوس التى كانت واقعة على النيل عند فم هذا البحر وٱندثرت وقد ورد اسمها فى كتاب التحفة السنية لابن =

وتمم عِمَارة حَرَم رســول الله صلّى الله عليــه وسلّم وعَمِل مِنْبَره ، وجعــل بالضريح النّبــوىّ درابزينا ، وذهّب سقوفه وجدّدها وبيّض حيطانَه ؛ وجدّد البِيمَارِسْـتان بالمدينة النبويّة ، ونَقَل إليه سائر المعاجين والأكحال والأشربة ، وبعث إليــه طبيباً [من الديار المصريّة] (١) .

وجدّد فى الخليل عليــه السلام قُبّته ، ورَمّ شَـعَثَه وأصلح أبوابه [وميضأته] (٢) وبيّضه وزاد فى راتبــه . وجدّد بالقُدْس الشريف ما كان قد تهـدّم من [قُبّة] (٢) الصخرة ، وجدّد قُبّة السلسلة وزخرفها وأنشأ بها خانًا للسبيل، نَقَل بابه من دِهْليز كان للخلفاء المصريّين بالقــاهرة ، وبَنَى به مسجدًا وطاحونًا وفُرْنًا وبُستانا . وبَنَى على قبر موسى عليه الســلام قُبّة ومسجدًا ، وهو عنــد الكَثِيب الأحمر قبــلى أَرِيحا (٣) ووقف عليه وقفا . وجدّد بالكَرَك بُرْجَيْن كانا صغيرين فهدمهما وغيّرهما (٤) . ووسّع عمارة مشهد جعفر الطيّار (٥) — رضى الله عنه — ووقف عليــه وقفًا زيادة على وقفه على الزائرين له والوافدين عليــه . وعمّر جسرًا بقرية دَامِية بالغَــوْر على نهر الشّريعة ، ووقف عليه وقفا برَسْم ما عساه يتهدّم منه . وأنشأ جسوراً كثيرةً بالغَوْر والساحل .

= الجيمان مع قرية بيسوس التى يقال لها اليوم باسوس بمركز قليوب . وقد ذكر ابن دقاق فى كتاب الانتصار ص ٤٧ ج ٥ عند الكلام على قليوب أن هذا البحر كان يمر عليها . وبالبحث تبين أن هذا البحر قد اندثر ولم يبق منه إلا ترعة صغيرة تعرف بترعة الزيتون تأخذ مياهها من ترعة أبى المنجا الخارجة من النيل بأراضى باسوس بمركز قليوب ثم تسـير إلى الشمال حيث تمر بجوار سكن بلدة قليوب من الجهة الغربية .

(١) زيادة عن فوات الوفيات والذيل على مرآة الزمان .

(٢) زيادة عن فوات الوفيات والذيل على مرآة الزمان .

(٣) أريحا ، وقد رواه بعضهم بالخاء المعجمة . وهى مدينـة الجبارين فى الغور من أرض الأردن بالشام ، بينها وبين بيت المقـدس يوم للفـارس فى جبال صـعبة المسلك (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٤) فى الذيل على مرآة الزمان وفوات الوفيات : « فهـدمهما وكبرهما وعلاهما » .

(٥) هو جعفر بن أبى طالب ابن عبد المطلب بن هاشم أبو عبـد الله الطيار ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . أسلم قديما واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على غزوة مؤتة ، وهى قرية من قرى البلقاء فى حدود الشام وتبين فى مشارف الشام ؛ استشهد بها جعفر الطيار وبها قبره (راجع تهذيب التهذيب ومعجم البلدان لياقوت فى الكلام على مؤتة) .

وأنشأ قلعة قَاقُون(١) وبَنَى بهـا جامعا ووقف عليـه وقفًا، وبَنَى على طريقها حَوْضًا للسبيل . وجدّد جامع مدينة الرملة ، وأصلح جامعًا لبنى أُمَيّة(٢) ووقف عليه وقفا . وعِدّة جوامع ومساجد بالساحل .

وجدّد باشورةَ لقلعة صَفَد وأنشأها بالحجر الهِرَقْلِيّ، وعَمّر لهـا(٣) أبراجا وبَدَنَاتٍ، وصَنَع بَغَلاتٍ مصفّحة دائر الباشورة بالحَجَر المنحوت، وأنشأ بالقلعة صِهْرِيجًا كبيرا مدرّجا من أربع جهاته ، وبَنَى عليـه بُرْجا زائدَ [الارتفاع](٤) ، قيل إن ارتفاعه مائة ذراع، وبنى تحت البُرْج حَمّاما، وصَنَع الكنيسة جامعا وأنشأ رِباطًا ثانيا، وبنى حَمّاما ودارًا لنائب السلطنة .

وكانت قلعة الصُّبَيْبَة قد أخربها التّتار، ولم يُبْقُوا منها إلّا الآثار فجدّدها، وأنشأ لجامعها مَنَارةً، وبَنَى بها دارًا لنائب السلطنة، وعَمِل جسرًا يُمْشَى عليه إلى القلعة .

وكان التّتار قد هدموا شراريفَ قلعة دِمَشْق، ورءوسَ أبراجها ، فجدّد ذلك كُلَّه، وبنى فوق بُرْج الزاوية المُطِلّ على الميادين وسوق الخيل طارمةً كبيرةً، وجدّد منظرةً على قائمة مُسْتَجَدّة على البُرْج المجاور لباب النصر، وبيّض البَحْرَةَ وجدّد دِهان سقوفها : وبنى حَمّـاما(٥) خارج باب النصر بدِمَشْـق ، وجدّد ثلاثة إسطبلات على الشَّرَف الأعلى ، وبَنَى القَصْر الأبلق بالمَيْدان بدِمَشق وما حوله من العمائر . وجدّد مَشْهد زَيْن العابدين رضى الله عنـه بجامع دمشق ، وأمَر بترخيم الحـائط الشمالى،

(١) فى الأصلين : «قانون» . وفى فوات الوفيات «قابون» وسياق كلام المؤلف يقتضى ما أثبتناه . وقاقون : حصن بفلسطين قرب الرملة، وقيل هو من عمل قيسارية من ساحل الشام (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) فى الأصلين غير واضح . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان . (٣) فى الأصلين : «وعمر له» والسياق يقتضى ما أثبتناه . (٤) الزيادة عن الذيل على مرآة الزمان .
(٥) فى الأصلين : «وبنى جامعا» . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان وفوات الوفيات .

وتجـديد باب البريد(١) وفرشـه بالبلاط . ورَمّ شَعَث مغارة الدم(٢) . وجدّد المبـانى التى هدموها التّتار من قلعة صرخد . وجدّد قبر نوح عليه السلام بالكَرَك . وجدّد أسوار حِصن الأكراد، وعمّر قلعتها . وعمّر جوامع ومساجد بالساحل يطول الشرح فى ذكرها حذفتها خوف الإطالة .

وبُنِىَ فى أيامه بالديار المصريّة ما لم يُبْنَ فى أيام الخلفـاء المصريّين، ولا ملوك بنى أيُّوب من الأبنيـة والرِّباع والخانات والقواسير والدُّور والمساجد والحمّامات، من قريب مسجد التِّبن(٣) إلى أسـوار القاهرة إلى الخليج وأرض الطَّبّالة(٤)، واتّصلت العمائر إلى باب المَقْسِم(٥) إلى اللُّوق(٦) إلى البُـورْجى(٧)؛ ومن الشارع إلى الكَبْش(٨)

(١) باب البريد، هو الباب الثانى لدمشق، كما فى نزهة الأنام فى محاسن الشام (ص ٢١) .

(٢) فى الأصلين : « قبة الدم » . وما أثبتناه من فوات الوفيات . ومغارة الدم : مغارة تزار حسنة فى لحف الجبل الذى يعرف بجبل قاسيون . سميت بذلك لأن بها حجرا عليه شىء كالدم ويزعم أهل الشام أنه الحجر الذى قتل قابيل به هابيل (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٣) مسجد التبن : ذكر المقريزى فى (ص ٤١٣ ج ٢) من خططه أن هذا المسجد خارج القاهرة مما يلى الخندق قريبا من المطرية، بنى فى سنة ٤٥١ هـ وعرف بمسجد البئر وبمسجد الجيزة . وفى زمن الدولة الإخشيدية عمره الأمير تبر أحد الأمراء الأكابر فى أيام الأستاذ كافور الإخشيدى فعرف بمسجد تبر وتسميه العامة مسجد التبن وهو خطأ . وأقول : إن هذا المسجد لا يزال قائما إلى اليوم باسم زاوية الشيخ محمد التبرى فى وسط أرض زراعية تابعة لسراى القبة، وفى الشمال الغربى لمحطة حمامات القبة وبالقرب منها .

(٤) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٥) باب المقسم : يستفاد مما ذكره المقريزى فى آخر كلامه على المقس (ص ١٢١ ج ٢) من خططه أن باب المقس ويعرف بباب البحر كان واقعا بقرية المقس التى يقال لها المقسم فى نهاية السور الشمالى لمدينة القاهرة من الجهة الغربية، ويعرف هذا الباب اليوم بباب الحديد وينسب إليه ميدان باب الحديد الواقع بجوار ميدان محطة مصر، ويتفرع منه شوارع : الملكة نازلى وإبراهيم باشا وفم باب البحر وكلوت بك والفجالة، وكان هذا الباب واقعا على مدخل شارع فم باب البحر من جهة الميدان المذكور .

(٦) اللوق، لما تكلم المقريزى على اللوق فى (ص ١١٧ ج ٢) من خططه قال : ويطلق اللوق فى زماننا على المكان الذى يعرف اليوم بباب اللوق المجاور لجامع الطباخ . وأقول : وغرض المؤلف أنه يشير إلى أن المبانى فى زمن الظاهر بيبرس كانت امتدت خارج القاهرة الأصلية حتى وصلت إلى باب اللوق الذى مكانه اليوم مدخل شارع الصنافيرى تجاه جامع الطباخ بميدان باب اللوق بقسم عابدين . (٧) راجع الحاشية رقم ٦ ص ١٩١ من هذا الجزء . (٨) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٢ من هذا الجزء .

وحدرة آبن قُمَيحة[1] إلى تحت القلعة ومشهد السيدة[2] نفيسة رضى الله عنها إلى السُّور القَرَاقُوشىّ[3] . وكلّ ذلك من كثرة عدله وإنصافه للرعيّة والنّظَرِ فى أمورهم وإنصاف الضعيف من المستضعِف والذّبّ عنهم من العدوّ المخذول رحمه الله وعفا عنه .

ذِكْرُ ما كان ينوب دولتَه من الكُلَف — كانت عِدّة العساكر بالديار المصريّة أيّام الملك الكامل محمد وولده الملك الصالح أيُّوب عشرة آلاف فارس، فضاعفها أربعةَ أضعاف ؛ وكان اولئك الذين كانوا قبله العشرة آلاف مقتصدين فى الملبوس والنفقات والعُدَد، وهؤلاء (أعنى عسكر الظاهر الأربعين ألفا) ، كانوا بالضدّ من ذلك ؛ وكانت كُلَفُ ما يلوذ بهم من إقطاعهم، وهؤلاء كُلَفُهم على الملك الظاهر ؛ ولذلك تضاعفت الكُلَفُ فى أيّامه . فإنّه كان يُصْرَف فى كُلَف مطبخ أستاذه الملك الصالح أيُّوب أَلْفُ رطل [لحم[4]] بالمصرىّ خاصّةَ نفسه فى كلّ يوم ؛

---

(١) فى الأصلين : « حوض قيحة » . والتصويب عن الجزء الأوّل من هذا الكتاب ص ٤٣ ويستفاد مما ذكره المقريزى عند الكلام على الخطط التى كانت بمدينة مصر فى (ص ٢٩٦ ج ١) فى كلامه على تحديد الحمراوات ، وماذكره عند الكلام على العسكر فى ص (٣٠٤ ج ١) فيا يختص بمارستان أحمد بن طولون وتحديد العسكر والقطائع ، وما ذكره عند الكلام على بركة قارون فى (ص ١٦١ ج ٢) أقول : يستفاد من كل ذلك أن هذه الحدرة كانت واقعة على الحافة الغربية من جبل يشكر فى الجهة الجنوبية الغربية من قلعة الكبش . ومكانها اليوم الموضع المنحدر من تلول زين العابدين حيث يتزلون منها إلى خطى البغالة والمذبح فى نقطة تلاقى شارع العسكر بشارع أمير الجيش فى منطقة التلول المذكورة بقسم السيدة زينب بالقاهرة . ولهذه المناسبة أذكر : أولا أن صاحب الخطط التوفيقية لما تكلم على شارع قلعة الكبش فى الجزء الثانى ص ١١٧ من خططه قال : إن حدرة آبن قميحة هى الحدرة الواقعة فى أول شارع قلعة الكبش بجوار جامع صرغتمش من الجهة الغربية ويصعد منها الى قلعة الكبش ، ثانيا أن مصلحة التنظيم أطلقت اسم هذه الحدرة على زقاق فى عطفة الغنائمة بشارع السيدة عائشة جنوبى جامع البرديني بقسم الخليفة . وأقول : إن كلا الوضعين خطأ والصواب ما ذكرته . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٧٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٣) راجع ص ٤٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

(٤) زيادة عن ذيل مرآة الزمان .

والمصروف فى مطبخ الملك الظاهر عشرةُ آلاف رطل كلّ يوم عنها وعن توابلها عشرون ألف درهم نُقْرَة(1)، ويُصْرَف فى خزانة(2) الكسوة فى كل يوم عشرون ألف درهم، ويُصْرَف فى الكُلَف الطارئة المتعلّقة بالرُّسُل والوفود فى كلّ يوم عشرون ألفَ درهم، ويُصْرَف فى ثمن قُرْط دوابّه ودوابّ مَن يلوذُ به فى كلّ سـنة ثمانمائة ألف درهم، ويقوم بكُلَف الخيل والبغال والجمال والحَمير من العلوفات خمس عشرة ألفَ عليقة فى اليوم، عنها ستمـائة إردب؛ وما كان(3) يقوم به لمَنْ أوجب نفقتَه وألزمها عليـه تُطْحَنُ وتُحْمَل إلى المخابز المُعَدّة لعمل الجرايات خلا ما يصرف على أرباب الرواتب فى(4) كلّ شهر عشرون ألف إردب؛ وذلك بالديار المصريّة خاصة. وهذا خلاف الطوارئ التى كانت تَفِد عليه فما يُمْكِن حصرُها. وكُلَفُ أسفاره وتجديد السـلاح فى كلّ قليل؛ وما كان عليه من الجوامك(5) والجرايات لممـاليكه ولأرباب الخدَم؛ فكان ديوانه يفِى بذلك كلّه؛ ويحمل لخاصـله جملةً كبيرة فى السـنة من الذهب. وكان سبب ذلك أنه رَفع أيدى الأقباط من غالب تعلقّاته فافتقر أكثرُهم فى أيّامه؛ وباشروا الصنائع كالنجارة والبناية؛ ولا زال أمرهم على ذلك حتى تراجع فى أواخر الدولة الناصريّة محمد بن قلاوون. إنتهت ترجمـة الملك الظاهر بِيبَرْس، رحمـه الله تعـالى.

(1) الدراهم النقرة: أصل موضوعها أن يكون ثلثاها من فضة وثلثها من نحاس، وتطبع بدور الضرب بالسكة السلطانية، ويكون منها دراهم صحاح وقراضات مكسرة والعبرة فى وزنها بالدرهم وهو معتبر بأربعة وعشرين قيراطا وقدّر بست عشرة حبة من حب الخروب فتكون كل خروبتين ثمن درهم وهى أربع حبات من حب البر المعتدل (عن صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٣). (2) فى الأصلين: «فى جراية الكسوة». وما أثبتناه عن فوات الوفيات والذيل على مرآة الزمان. (3) عبارة فوات الوفيات: «ويصرف للمخابز للجرايات، خلاما يصرف لأرباب المراتب لمصر خاصـة كل شهر عشرون ألف إردب». (4) عبارة الذيل على مرآة الزمان: «وأما الطوارئ التى كانت تطرأ عليه فما يمكن حصرها». (5) فى ذيل مرآة الزمان «الجامكيات».

ونذكر بعض أحواله، إن شاء الله تعالى، فى حوادث سنينه كما هو عادة هذا الكتاب على سبيل الآختصار. وقد أطلتُ فى ترجمته وهو مستحقّ لذلك، لأنّه فرع فاق أصله، كونَه كان من جملة مماليك الملك الصالح نجم الدين أيّوب فزادت محاسنه عليه.

وأمّا مَنْ يأتى بعده فلا سبيل إليه. ويُعجبنى فى هذا المعنى المقالةُ الثانية عشرة من قول الشيخ الإمام العالم العارف الرّبّانىّ شرف الدين عبد المؤمن بن هبة الله الأصفهانىّ المعروف بشَوَرْوَة(١) رحمه الله فى كتابه الذى فى اللّغة وسمّاه «أطباق الذهب» يشتمل على مائة مقالة [وآثنتين] أحسن فيها غاية الإحسان، وهى :

«ليس الشريفُ مَنْ تطاول وتكاثر(٢)، إنّما الشريف مَنْ تطوّل وآثر؛ وليس المحسنُ من رَوَى القرآن، إنما المحسن مَنْ أَرْوَى الظمآن؛ وليس البِرُّ إبانةَ الحروف بالإمالة والإشباع، لكنّ البِرّ إغاثةُ الملهوف بالإنالة والإشباع؛ ولا خيرَ فى زُكَأَةٍ(٣) لا يُسْدِى معروفا، ولا بَرَكةَ فى لِبْنة(٤) لا تُروِى(٥) خَروفا؛ فوا[لد]هر(٦) إنّك، لمن تدّخر أموالك! أَنْفِق أَلْفَك، قبل أن يُقسم خَلْفَك؛ إنّ منازل الخَلْق سَواسِيَة، إلّا من له يدٌ مُواسِيَة؛ فأرفعُهم أنفعُهم، وأسودُهم أجودُهم، وأفضلُهم أبذلُهم؛ وخيرُ الناس مَنْ سَقَى مِلْوَاحا(٧)،

(١) فى الأصلين: «بشفروة». وتصحيحه عن ترجمته بأوّل إحدى نسخ هذا الكتاب المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥١٠٩ أدب. وقد ضبط بالقلم فى النسخة المذكورة (بالشين المعجمة والواو وسكون الراء وفتح الواو الثانية ثم هاء).

(٢) فى أطباق الذهب: «من تطاول وكاثر بل الشريف... الخ».

(٣) زكأة (كهمزة) من يكثر إعطاء الزكاة.

(٤) اللبنة من الإبل والغنم: الغزيرة اللبن.

(٥) فى أطباق الذهب: «لا تشبع».

(٦) تكملة عن أطباق الذهب.

(٧) الملواح: هنا العطشان.

ونَصَب للجنّة مِلْوَاحا(١)، والكرم نوعان، أحسنهما إطعام الجوْعَان، والحازمُ من قدّم الزادَ لعَقَبة العُقْبَى، وآتى المالَ على حُبّه ذَوِى القُرْبَى » . انتهت المقالة . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

⁂

السنة الأولى من ولاية السلطان الملك الظاهر بيبَرْس البُنْدُقْدَارِىّ على مصر، وهى سنة تسع وخمسين وستمائة ، على أنه حَكَم فى آخر السنة الماضية نحو الشهر .

قلت : ودخلت سنة تسع وخمسين المذكورة وليس للسلمين خليفة ، وكان أوّلُها يوم الاثنين لأيام خَلَوْن من كانون أحد شهور الروم ؛ وكانون بالقِبْطِىّ كيهك . فدخلت السنة والسلطان بديار مصر الملك الظاهر بيبَرْس، وصاحب مكّة نجم الدين أبو نُمَىّ(٢) بن أبى سعد الحَسَنِىّ، وصاحب المدينة جمّاز بن شيحة الحُسَيْنىّ، وصاحب دِمَشق وبَعْلَبكّ وبَانْيَاس والصُّبَيْبَة الأمير علم الدين سَنْجَر الحلَبِىّ، تغلّب عليها وتسلطن وتلقّب بالملك المجاهد ، ونائب حلب من قِبَل الملك الظاهر بيبَرْس الأمير حسام الدين لاچِين الجُوكَنْدَار العَزِيزِىّ ، وصاحب المَوْصل الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الرحيم لؤلؤ ، وصاحب جزيرة ابن عمر أخوه الملك المجاهد سيف الدين إسحاق بن لؤلؤ المذكور ، وصاحب مَارِدِين الملك السعيد نجم الدين إيلغَازِى الأُرْتُقِىّ ، وصاحب بلاد الروم ركن الدين قليج أَرْسلان ابن السلطان غِياث الدين كَيْخُسْرُو بن علاء الدين كَيْقُبَاد السَّلْجُوقِىّ وأخوه عِزّ الدين كَيْكَاوُس ،

(١) الملواح : أن يعمد الى بومة فيخيط عينها ويشدّ فى رجلها صوفة سوداء ويجعل لها مربأة يرتبئ الصائد فى القترة ويطيرها ساعة بعد ساعة فاذا رآه الصقر أو البازى سقط عليه فأخذه الصياد فالبومة وما يليها تسمى ملواحا ، والمراد ما يقدمه من فعل الخير حتى يصل الى الجنة .

(٢) هو نجم الدين أبو نمى إبراهيم بن أبى سعد بن على بن قتادة الحسنى .

والبلاد بينهما مناصفة ، وصاحبُ الكَرَك والشُّوبَك الملك المغيث [فتح الدين عمر](١) آبن الملك العادل آبن الملك الكامل آبن الملك العادل بن أيُّوب ، وصاحبُ حماة الملك المنصور محمد الأيُّوبي(٢) ، وصاحب حِمْص وتَدْمُر والرَّحْبَة الملك الأشرف مظفَّر الدين موسى ، وصاحب مَرَّاكُش من بلاد المغرب أبو حفص عمر(٣) الملقّب بالمُرْتَضَى ، وصاحب تُونس أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا(٤) ، وصاحب اليَمَن الملك المظفَّر(٥) شمس الدين يوسف بن عمر التُّرْكُمَاني من بني رَسُول .

وفيها كانت كَسْرة التّتار على حِمْص ، وقد تقدّم ذكرُ ذلك .

وفيها مَلَك السلطان الملك الظاهر دِمَشْق وأخرج منها علم الدين سَنْجَر الحَلَبي ، ووَلّى نيابتها الأميرَ علاء الدين أَيْدَكين البُنْدُقْدارِي ، أستاذ الملك الظاهر بيبَرْس هذا ، الذي أخذه الملك الصالح نجم الدين أيُّوب منه ، حسب ما ذكرنا ذلك أوّل ترجمة الملك الظاهر .

وفيها وصل الخليفة المستنصر بالله إلى القاهرة وبُويع بالخلافة ، وسافر صُحْبَة الملك الظاهر إلى الشام ، ثم فارقه وتوجّه إلى العِراق فقُتِل ، وقد مَرّ ذكرُ ذلك كلّه أيضا .

وفيها تُوُفِّي الملك الصالح نور الدين إسماعيل آبن الملك المجاهد أسد الدين شِيرِكُوه بن محمد بن أسد الدين شِيرِكُوه الكبير، كان الملك الصالح هذا صاحب حِمْص

(١) الزيادة عن عقد الجمان . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٧ من هذا الجزء .

(٣) هو صاحب المغرب المرتضى أبو حفص عمر بن إبراهيم بن يوسف بن حفص القيسي المؤمني ؛ ولى الملك بعد عمه المعتضد . توفى سنة ٦٦٥ هـ (عن المنهل الصافي وشذرات الذهب) .

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن عمر الأمير المستنصر بالله الهنتاني البربري الموحدي المغربي صاحب تونس . توفى سنة ٦٧٥ هـ (عن المنهل الصافي وشذرات الذهب) .

(٥) هو السلطان الملك المظفر شمس الدين أبو المحاسن يوسف آبن السلطان الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٩٤ هـ .

مَلَكها بعد موت أبيه ، وكان له ٱختصاص كبير بابن عمّه الملك الناصر صلاح الدين يوسـف صاحب حلب والشام ، وكان الصالح هـذا يُدارى التّتار ولا يُشاققهم ، وآخر الأمر أنه قُتِـل فى وقعة هولاكو بيـد التّتار رحمه الله تعالى لمّـا توجّه إليهم صحبةَ الملك الناصر صـلاح الدين يوسف المذكور، وكان عنده حَزْمٌ وشجاعة .

وفيها تُوُفِّى الشيخ الأديب الفقيه مُخْلِص الدين إسماعيل بن عمر[بن يوسف][1] ابن قُرْناص الحَمَوِىّ الشاعر المشهور، كان فصيحًا شاعرًا من بيت علم وأدب . ومن شعره رحمه الله تعالى :

أَمَا واللهِ لو شُقّتْ قلوبٌ * لِيُعْلَم ما بها من فَرْط حُبّى
لأرضاك الذى لك فى فؤادى * وأرضانى رضاك بشَقّ قلْبى

وفيها تُوفِّى الملك السعيد إيلْغَازِى نجم الدين [ٱبن أبى الفتح أُرْتُق بن إيلْغَازِى ابن أَلْبِى بن تِمِرتاش بن إيلغازِى][2] الأُرْتُقِى صاحب مارِدِين، مات فى سادس صفر، وقيل فى ذى الحِجّة سنة ثمـانٍ وخمسين .

وفيها تُوُفِّى الشـيخ الإمام الواعظ المحـدّث أبو عمرو عثمان بن مَكِّى بن عثمان السَّعْدِىّ الشّارِعِىّ الشّافِعِىّ، سَمِـع الكثير وٱعتنى به والده فأسمعه من نفسه وغيره، وكان يُنْشِد لأبى العَتَاهِيَة :

اِصـبِرْ لِدهرٍ نال منـ * ـكَ فهكذا مضتِ الدُّهـورُ
فَـرَحٌ وحُزْنٌ مرّةً * لا الحزنُ دام ولا السُّرورُ

وفيها تُوُفِّى الأديب الفاضل نور الدين أبو الحسن علىّ بن يوسف بن أبى المكارم عبـد الله الأنصارِىّ المِصْرِىّ المعروف بالعَطّار، كان شاعرًا فاضلًا ، مات قبـل الأربعين سـنة من عُمره . ومن شعره مُلْغِزًا فى كُوز الزِّير :

(١) التكملة عن السلوك (ص ٤٦٦) . (٢) الزيادة عن المنهل الصافى .

وذى أُذُنٍ بلا سَمْعٍ * له قَلْبٌ(١) بلا لُبِّ
مَدَى الأيّام فى خَفْضٍ * وفى رَفْعٍ وفى نَصْبِ
إذا آستولى على الحُبِّ * فقل ما شئتَ فى الصَّبِّ(٢)

وفيها كانت مقتلة السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف، وكُنْيَتُه أبو المظفَّر، آبن السلطان الملك العزيز محمد آبن السلطان الملك الظاهر غازِى آبن السلطان صلاح الدين يوسف آبن الأمير نجم الدين أَيُّوب الأَيُّوبِى الحَلَبِىّ، وكان صاحب حلب ثم صاحب الشام. وُلِد بقلعة حلب فى شهر رمضان سنة سبع وعشرين وستمائة، وسلطنوه عند موت أبيه سنة أربع وثلاثين، وقام بتدبير مملكته الأمير شمس الدين لؤلؤ الأَمِينِى، وعز الدين بن المحلى(٣)، والوزير الأكرم جمال الدين(٤) القِفْطِى(٥)، والطواشى جمال الدولة إقبال الخاتونى، والأمر كلّه راجع لأمّ [أبيه] الصاحبة صفيّة خاتون بنت الملك العادل أبى بكر بن أَيُّوب. وماتت سنة أربعين واستقلّ(٦) الملك الناصر هذا وأَمَرَ ونَهَى. ووَقَع للملك الناصر هذا أمور ووقائع ومِحَنٌ، وهو الذى كان الملك الظاهر بِيبَرْس لمّا خرج من مصر فى نَوْبة البحرية توجّه إليه وصار فى خدمته. وقد مرّ ذكره فى مواطن كثيرة من هذا الكتاب، من قدومه نحو القاهرة فى جَفْلة التَّتار، ورجوعه من قَطْيَة(٧) إلى البلاد الشاميّة، وغير ذلك، ثم آلَ أمره إلى أن توجّه إلى ملك التّتار هولاكو وتوجّه معه أخوه

---

(١) رواية عيون التواريخ وشذرات الذهب : * له جسم بلا قلب * .
(٢) فى الأصلين : * فقل ما شئت فى الحب * وما أثبتناه عن عيون التواريخ وشذرات الذهب .
(٣) فى المنهل الصافى : «عز الدين ابن المجلى» بالجيم. (٤) هو الوزير الأكرم جمال الدين على بن يوسف الشيبانى القفطى، وراجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٦١ من الجزء السادس من هذه الطبعة.
(٥) التكلة عن عيون التواريخ وشذرات الذهب والمنهل الصافى .
(٦) فى الأصلين : « بعد أن آشتد ولدها الملك ... الخ » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ
(٧) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٧ من هذا الجزء .

الملك الظاهر سيف الدين غازى، وكان رُشِّح لِلْمُلْك، والملك الصالح نور الدين إسماعيل صاحب حِمْص المقدّم ذكره فى هذه السنة؛ ولـمّا وصل الملك النـاصر إلى هولاكو أحسن إليـه وأكرمه إلى أن بلَغَه كَسْرةُ عَيْن جالوت غَضِب عليـه وأمر بقتـله، فاعتذر إليه فأمسك عن قتله، لكن أعرض عنه، فلمّا بلغه كَسْرة بَيْدَرا[1] على حِمْص قتَله وقتَل أخاه سيف الدين غازيا[2] المذكور، وقتَل الملك الصالح نور الدين صاحب حِمْص وجميعَ من كان معه سوى ولده الملك العزيز. وكان الملك الناصر مَليحَ الشكل إلّا أنّه كان أحول؛ وكان عنـده فصاحةٌ ومعرفةٌ بالأدب، وكان كريمًـا عاقلًا فاضلًا جليلًا متجمِّلا فى مماليكه ومَلْبَسه ومَرْكَبه، وكان فصيحًا شاعرا لطيفًا. قال ابن العَديم[3]: أنشدَنى لنفسه. (يعنى الملك الناصر هذا).

البـدرُ يَجْنَحُ للغـروب ومُهْجَتِى * لِفـراقِ مشبهِهِ أسًى تتقطّـعُ
والشَّرْبُ قد خاط النعاسُ جفونَهم * والصبحُ من جِلْبابِه يَتَطَلّعُ

قال وأنشدنى لنفسه رحمه الله تعالى:

اليـومُ يومُ الأربِعا * فيـه يَطيب المُرْتَعَى
يا صاحبِى أما ترى * شمل المُنَى قـد جُمِّعَا
وقـد حَوَى مجلسُنا * جُلَّ السرور أجمعَا
فقُمْ بنـا نشربهـا * ثلاثةً وأربعَـا

(١) هو بيدرا مقدم التتار من قبل هولاكو، وهو الذى وقعت بينه و بين الأمير حسام الدين الجوكندار مقدم عساكر حلب والملك المنصور صاحب حماة والملك الأشرف صاحب حمص موقعة عظيمة انهزم التتار فيها وهرب بيدرا إلى هولاكو بخيبة وصغار (عن المنهل الصافى). (٢) فى الأصلين هنا: «سيف الدين على». وما أثبتناه عن شذرات الذهب والمنهل وما تقدّم ذكره للمؤلف قريبا وهو الملك الظاهر سيف الدين غازى ابن الملك العزيز محمد بن غازى بن صلاح الدين يوسف بن أيوب.

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٢ من هذا الجزء.

من كفّ ساقٍ أهيف * شَبِيهِ بدرٍ طَلَعَا
فى خدّه وثغــرِه * وَرْدٌ وَدُرٌّ صُــنِعَا
يَسْــطُو ويَرْنو تارةً * والليثُ والظبيُ معا

وله لمّا مرّت به التّتار على حلب، وهى خاويةٌ على عُروشها وقد تهدّمت والنّيران بها تَعْمَل، فقال:

يَعِزُّ علينا أن نَرى رَبْعَكُمْ يَبْلَى * وكانت به آياتُ حُسنِكُمُ تُتْلَى

وله يَشْتَاق إلى حلب ومنازلها:

سَــقَى(١) حَلَبَ الشَّهْبَاءَ فى كل لَزْبَةٍ * سحابةُ غيثٍ نَوْءُها ليس يُقْلِــعُ
فتلك ديارى لا العقيقُ ولا الغَضا * وتلك ربوعى لا زَرُودُ ولَعْلَعُ

قلت: وقد ذكرنا من محاسنه وفضله نُبْذَةً كبيرةً فى تاريخنا «المنهل الصافى والمُسْتَوْفَى بعد الوافى» إذ هو كتاب تراجم يحسُن التطويل فيه. انتهى.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها تُوُفِّى الجمال عثمان بن مكىّ ابن السَّــعْدِىّ الشارِعىّ الواعظ فى شهر ربيع الآخر، وله خمس وسبعون سنة. وأبو الحسن محمد بن الأنجب(٢) بن أبى‌عبد الله الصوفىّ فى رجب، وله ثلاث وثمانون سنة. وحافظ المَغرِب أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيِّد الناس اليَعْمُرِىّ بتُونِس فى رجب، وله واحد وستون عاما. وكمال الدين أبو حامد محمد ابن القاضى صدر الدين عبد الملك بن عيسى بن دِرْبَاس الصدر العَدْل فى شوّال، وله اثنتان وثمانون سنة. وصاحب الشام الملك الناصر يوسف بن العزيز قُتِل صَبْراً،

(١) رواية هذا البيت فى الأصلين والمنهل الصافى:
سق حلب الشهباء فى كل لزمة * سحابة غيث نوءها ليس يطلع
وما أثبتناه عن عيون التوارخ.
(٢) فى الأصلين غير ظاهر. وما أثبتناه عن شذرات الذهب وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ.

وله آثنتان وثلاثون ســنة ، وقُتِل معه شقيقُه الملك الظاهر غَازِى ، والملك الصالح إسمـاعيل آبن الملك المجاهــد أسد الدين شِيرِكُوه صاحب حِمْص . وتُوُفّى بِصِهْيَوْن صاحبها مظفَّر الدين عثمان بن مَنْكُورس فى شهر ربيع الأوّل عن سِنٍّ عالية ؛ تملّك بعد أبيه ثلاثًا وثلاثين سنة(١)، وولى بعد آبنه محمد .

§ أمر النيل فى هذه السنة ــ المـاء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا .



السـنة الثـانية مِن ولاية الملك الظاهر بِيبرْس على مصر، وهى سنة ستين وستمائة .

فيهـا آستولى الملك الظاهر بِيبرْس صاحب الترجمـة على دِمَشْق وبَعْلَبَكّ والصُّبَيْبَة وحلب وأعمالهـا خلا الْبِيرَة .

وفيها آستولى التّتار على الموصل، وقتلوا الملك الصالح صاحبها الذى كان خرج مع الخليفة المستنصر من ديار مصر ؛ على ما يأتى ذكْرُهما فى محلّه من هذه السنة .

وفيهـا تُوُفّىَ الخليفة أمير المؤمنين المستنصر بالله أبو القاسم أحمـد آبن الخليفة الظاهر بأمر الله محمـد آبن الناصر لدين الله أحمد ، الذى بُويِـع بالقاهرة بالخلافة بعد شُغُور الخلافة نحو سنتين ونصف ، وخرج الملك الظاهر بِيبرْس معه إلى البلاد الشاميّة، وقد مرّ ذكْرُ قدومه القاهرة وبَيْعَتِه وسَفَرِه وقتلِه ورَفْع نسبه إلى العبّاس رضى الله عنــه فى ترجمة الملك الظاهر هــذا، ولا حاجة للإعادة؛ ومَنْ أراد ذلك فلينظره هناك .

---

٢ (١) فى الأصـلين : « ثلاثا وعشرين سنة » . وما أثبتناه عن شذرات الذهب وما يفهم من عبارة المنهل الصافى .

وفيها قُتِل الملك الصالح إسماعيل آبن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل. وقد ذكرنا وُفُودَه على الملك وخروجَه مع أخيه والخليفة المستنصر بالله المقدّم ذكره، فلا حاجةَ لذكره هنا ثانيًا؛ قُتِل بأيدى التّتار فى ذى القعدة، وكان عارفًا عادلًا حسن السِّيرة.

وفيها تُوفّى الأمير سيف الدين بَلَبَان[1] الزردكاش، كان من أعيان أمراء دِمَشْق، وكان الأمير طَيْبَرْس[2] الوزيرى نائبُ الشام إذا خرج من الشام آستنابه عليها، وكان دَيِّنًا خيِّرًا. مات بدمشق فى ذى الحجّة.

وفيهـا تُوُفّى الحسن بن محمد بن أحمد بن نجا الشيخ الأديب أبو محمد الغَنَوِىّ النَّصيبِىّ الشافِعِىّ الإرْبِلِىّ المَنْشأ الضَّرير الملقَّب بالعِزّ. قال صاحب الذَّيْل على مرآة الزمان: المشهور بعدم الدِّين والزَّندقة. كان فاضلًا فى العربيّة والنحو والأدب وعلوم الأوائل، منقطِعًا فى منزله يتردّد إليه مَنْ يقرأ عليه تلك العلوم، وكان يتردّد إليه جماعةٌ من المسلمين واليهود والنصارَى والسامرة يُقرئ الجميع؛ قال: وكان يَصْدُر عنه من الأقوال ما يُشعِر بآنحلال عقيدته. ومات فى شهر ربيع الآخر بدِمَشْق. ومن شعره قوله:

تَوَهَّم واشِينا بليل مَزَارِه * فهم ليسعى بيننا بالتباعُدِ
فعانقتُه حتّى اتحدْنا تعانُقًا * [فلمّا][3] أتانا ما رأى غيرَ واحِدِ

قال الشهاب[4] محمود: ولمّا أنشدتُ هذين البيتين يعنى قول العزّ.

* توهم واشينا بليل مزاره *

(١) هو بلبان بن عبد الله الأمير سيف الدين كان من أمراء أعيان دمشق (عن المنهل الصافى).
(٢) هو طيبرس بن عبد الله الوزيرى الأمير الكبير الحاج علاء الدين صهر الملك الظاهر بيبرس. سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨٩ هـ. (٣) تكملة عن عيون التواريخ وشذرات الذهب والمنهل الصافى. (٤) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٥٩ من هذا الجزء.

بين يدى الملك الناصر صـلاح الديـن صاحب دِمَشْق قال[1] : لا تَلُمْهُ فإنّه لزِمه لزومَ أعْمَى؛ فلمّا بلغ العِزَّ قولُ الملك الناصر؛ قال: والله هذا الكلام أحْلى من شِعْرِى.

وفيها تُوفّى الشيخ الإمام العلّامة شيخ الإسلام عِزّ الدين أبو محمد عبـد العزيز آبن عبد السلام بن أبى القاسم بن الحسـن بن محمد بن المُهَذّب السلمى الدِّمَشْقِىّ الشافعىّ المعروف بآبن عبـد السلام . مولده سنة سبع أو ثمانٍ وسبعين وخمسمائة . قال الذهبىّ : وتفقّه على الإمام فخر الدين آبن عساكر[2] ، وقرأ الأصول والعربيـّة، ودرّس وأفتى وصنّف وبَرع فى المذهب و بلغ رتبـة الآجتهاد، وقَصده الطلبة من الآفاق وتخرّج به أئمّةٌ ، وله التصانيف المفيـدةُ والفتاوى السـديدةُ، وكان إماما ناسكا عابدا ، وتولّى قضاء مصر القديمة مدّة ، ودرّس بعدّة بلاد . ومات فى عاشر جُمادى الأولى .

وفيـا تُوُفِّى الشيخ الإمام الواعظ عزّ الدين أبو محمـد عبـد العزيز آبن الشيخ الإمام العلّامة أبى المظفر شمس الدين يوسف بن قَزَاوُغْلِي الدمشقِىّ الحنفىّ هو آبن صاحب مرآة الزمان . كان عزّ الدين فقيهًا واعظا فصيحًا مفتّنًا درّس بعد أبيـه فى المدرسـة المُعِزِّية ووعَظ وكان لوَعْظه موقعٌ فى القلوب ، وكانت وفاته بدِمَشق فى شوّال ودُفِن عند أبيه بسفح قاسِيون .

وفيها تُوفّى الإمام العلّامة كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد ابن هبة الله بن أحمـد بن يحيى بن زُهَيْر بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله

---

(١) عبارة عيون التواريخ وشذرات الذهب : « قال الصاحب كمال الدين بن العديم : لما سمع هذين البيتين ، قال : مسكه مسكة أعمى » .

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله ابن عبد الله بن الحسين بن الإمام المفتى فخر الدين أبو منصور الدمشقى الشافعى المعروف بابن عساكر شيخ الشافعية بالشام . تقدّمت وفاته سنة ٦٢٠ هـ . وفى الأصلين : « فخر الدين بن شاكر » والتصحيح عن المنهل الصافى وشذرات الذهب .

آبن محمد بن أبي جَرَادة عامر بن ربيعة بن خُوَيْلِد بن عَوْف بن عامر بن عُقَيْل العُقَيْلِيّ الحلبيّ الفقيه الحنفي الكاتب المعروف بآبن العَديم، ورفع نسبه بعض المؤرّخين إلى قَيْلان . مولده بحلب في العشر الأول من ذي الحجّة سنة ستّ وثمانين وخمسمائة، وسمع الحديث من أبيه وعمّه أبي غانم محمد (١) ومن غيرهما، وحدّث بالكثير في بلاد متعدّدة، ودرّس وأفتى وصنّف، وكان إماما عالما فاضلا مُفْتنًا في علوم كثيرة، وهو أحد الرؤساء المشهورين والعلماء المذكورين . وأمّا خَطُّه ففي غاية الحسن يُضاهي آبن البوّاب (٢) الكاتب، وقيل : إنّه هو الذي آخترع قلم الحواشي، وعرّض بهذا في شعره القَيْسَرانِيّ رحمه الله تعالى بقوله :

بوجهِ معذِّبي آياتُ حسنٍ * فقل ماشئتَ فيه ولا تُحاشِي
ونسخةُ حسنِه قُرِئت وصحّت * وهاخَطُّ الكمال على الحواشِي

وجمع لحلب تاريخا كبيرا في غاية الحسن، ومات وبعضه مسودّة .

قلت : وذيّل عليه القاضي علاء الدين (٣) علي آبن خطيب الناصريّة قاضي قضاة الشافعية بحلب ذيلاً (٤) إلّا أنّه قصيرٌ إلى الرُّكْبة، وقفتُ عليه فلم أجده جال حول الحِمَى، ولا سلك فيه مَسْلك المُذَيَّل عليه من الشروط، إلّا أنّه أخذ علم التاريخ بقوّة الفقه، على أنّه كان من الفضلاء العلماء ولكنّه ليس من خيل هذا المَيْدان، وكان يقال في الأمثال : مَن مُدِح بما ليس فيه فقد تعرّض للضُّحْكة . انتهى .

---

(١) هو محمد بن هبة بن محمد بن هبة الله بن أبي جرادة أبو غانم . توفي سنة ٦٢٨ هـ (عن الجواهر المضية في طبقات الحنفية) . (٢) ابن البواب هو علي بن هلال الإمام الأستاذ أبو الحسن صاحب الخط المنسوب المعروف بآبن البواب . ويقال خط منسوب : ذو قاعدة . تقدّمت وفاته سنة ٤١٣ هـ .
(٣) هو قاضي قضاة حلب علاء الدين علي بن محمد بن سعد بن محمد بن علي بن عثمان الحلبي الشافعي . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٨٤٣ هـ . (٤) هو « المنتخب في تاريخ حلب » في أربعة مجلدات، كما في المنهل الصافي .

ومحاسن آبن العَـديم كثيرة وعلومه غَزِيرة، وهم بيتُ علم ورِياسة وعَرَاقة . يأتى ذكر جماعة من ذرّيّته وأقاربه فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . ومن شعر الصاحب كمال الدين المذكور ممّا كتبه على ديوان الشيخ أَيْدَمُر(١) مولى وزير الجزيرة، وهو :

وكنتُ أظنّ التُّرْكَ تختصّ أعينٌ * لهم إن رَنَتْ بالسِّحر منها وأجفانُ
إلى أن أتانى من بديع قريضهم * قوافٍ هى السحرُ الحلالُ وديوانُ
فأيقنتُ أنّ السحر أجمعَه(٢) لهم * يُقِرُّ لهم هاروتُ فيه وسَحْبَانُ

ومن شعره أيضا رحمه الله وأجاد فيه إلى الغاية :

فواعجبا من رِيقها وهو طاهرٌ * حلالٌ وقد أمسى علىّ مُحَرَّما
هو الخمر لكنْ أين للخمر طَعْمُه * ولَذَّتُه مع أنّنى لم أَذُقهما

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال . وفيها تُوُفّى العلّامة عِزّ الدين عبد العزيز بن عبدالسلام السلمىّ الدِّمَشْقِىّ بالقاهرة فى جُمادى الأولى عن ثلاث وثمانين سنة . والصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن العَدِيم العُقَيْلىّ بعد ابن عبد السلام بأيام، وكان له آثنتان وسبعون سنة . ونقيب الأشراف بهاء الدين علىّ بن محمد بن إبراهيم بن أبى الجنّ(٣) الحُسَيْنِىّ فى رجب عن إحدى وثمانين سنة . وضياء الدين عِيسى بن سليمان التَّغْلَبِىّ فى رمضان ، وله تسعون سنة . وآستُشْهِد فى المصافّ المستنصرُ بالله أحمد آبن الظاهر محمد آبن الناصر فى أوائل المحرّم بالعراق،

(١) هو علم الدين أيدمر بن عبد الله المحيوى فخر الترك عتيق محيي الدين محمد بن محمد بن سعيد بن ندى (عن فوات الوفيات) . (٢) كذا فى عيون التواريخ وتاريخ الدول والملوك . وفى الأصلين :

فأيقنت أن السحر راجعة لهم * يقرّ لهم هاروت فيها وسحبان

(٣) فى الأصلين : « ابن أبى الحسن » . وتصحيحه عن شذرات الذهب والذيل على الروضتين .

وتفرّق جمعه . وقَتَلت التَّتارُ في ذى القعدة الملك الصالح ركنَ الدين إسماعيل بن لؤلؤ صاحب المَوْصِل بعد الأمان . وفي شهر ربيع الآخر العزّ الضرير الفيلسوف حسن آبن محمد بن أحمد الإربلى، وله أربع وسبعون سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة ــ المــاء القديم ستّ أذرع وسبع أصابع . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا سواء .

*
* *

السـنة الثالثـة من ولاية السلطان الملك الظـاهر بيبَرْس على مصر، وهى سنة إحدى وستين وستمائة .

فيهـا بايع السلطان الملك الظـاهر بيبَرْس المذكور الخليفـةَ الحاكم بأمر الله أبا العباس أحمد آبن الأمير أبي علىّ الحسن؛ وقيل: آبن محمد بن الحسن بن علىّ القُبّي آبن الخليفة الراشد، وهو التاسع والثلاثون من خلفاء بنى العبّاس ، وهو أوّل خليفة من بنى العبّاس سكن بمصر ومات بهـا؛ وبُويِـع يوم الخميس تاسع المحرّم من سنة إحدى وستين وستمائة، وكان وصوله إلى الديار المصريّة في السنة الخاليّة .

وفيها هلك رِيدًا[(1)] فرنس ، وآسمه بواش المعروف بالفرنْسيس ملك الفرنج الذى كان مَلَك دِمْياط في دولة الملك الصالح أيُّوب .

وفيهـا تُوفّى[(2)] المحدّث الفاضل عزّ الدين أبو محمد عبـد الرّزاق [بن رزق الله] ابن أبى بكر بن خلف الرَّسْعَنِىّ[(3)]، كان إماما فاضلا شاعرا محدّثا . ومن شعره :

[(4)][و]لو أنّ إنسانا يُبَلَّغ لَوْعتي * وشوقى وأشجانى إلى ذلك الرَّشَا

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٩ من هذا الجزء . (٢) التكملة عن شذرات الذهب وعيون التواريخ والسلوك . (٣) الرسعنى : نسبة إلى رأس عين . وفي الأصلين : «الرسغنى» بالغين المعجمة وهو تصحيف . (٤) التكملة عن عيون التواريخ .

لأسكنتُه عينى ولم أرضها له * فلولا لهيبُ القلبِ أسكنتُه الحشا

وفيها تُوُفّى الأمير مجير الدين[(١)] أبو الهيجاء [بن[(٢)]] عيسى الأزْكشِى الكُرْدىّ الأُمَوىّ، كان من أعيان الأمراء وشُجْعانهم، ولمّا وَلِى الملك المظفّر قُطُزُ السلطنة، ووَلّى الأمير علم الدين سَنْجَر الحلبىّ نيابةَ الشام جعَله مشاركًا له فى الرأى والتدبير فى نيابة الشام، وكان الملك الأشرف موسى بن العادل سجنه مدّةً لأمرٍ آقتضى ذلك . فلمّا كان فى السجن كتب بعض الأدباء يقول :

يا أحمدُ ما زِلتَ عمادَ الدين * يا أشجعَ مَن أمسك رمحًا بيمين

لا تيْئَسَنْ إن حصلت فى سجنهم * ها يوسفُ قد أقام فى السجن سنين

وكان مولده بمصر فى سنة ثمانٍ وستين وخمسمائة، ومات فى جمادى الأولى بمدينة أربل .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوُفّى عبد الغنى بن سليمان آبن بَنين البنانىّ فى شهر ربيع الأوّل، وله ستّ وثمانون سنة، وهو آخر من روى عن عمر . والعلّامة علم الدين القاسم بن أحمد الأندلُسىّ[(٤)] فى رجب بدمشق، وله ستّ وثمانون سنة . والإمام تقىّ الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن مُرْهَف النّاشرىّ[(٥)] المصرىّ المقرئ فى شعبان، وله إحدى وثمانون سنة . والإمام كمال الدين علىّ بن شجاع ابن سالم العبّاسىّ الضرير فى ذى الحجّة، وله تسعون سنة إلّا شهرا .

(١) فى الأصلين : « مجد الدين » . وتصحيحه عن السلوك والذيل على الروضتين وعقد الجمان .
(٢) التكملة عن السلوك وعقد الجمان وابن كثير . (٣) فى عقد الجمان والذيل على الروضتين : « أبوه الأمير حسام الدين مات شهيدا مع عماد الدين آبن المشطوب فى البلاد الشرقية التى للأشرف » .
(٤) كذا فى الأصلين . وفى حسن المحاضرة للسيوطى (ج ١ ص ٢١٥) وشذرات الذهب : « وسمع من عشير الحنبلى فكان آخر أصحابه » . (٥) فى الأصلين : « الماشرى » والتصحيح عن غاية النهاية . . . الذهب والناشرى : نسبة إلى ناشرة، جدّله .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وسبع أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا .

* * *

السنة الرابعة من ولاية السلطان الملك الظاهر بيبرس على مصر، وهي سنة آثنتين وستين وستمائة .

فيها آنتهت عمارة مدرسة السلطان[1] الملك الظاهر بيبرس ببين القصرين من القاهرة . وقد تقدّم ذكرها في ترجمته .

وفيها آستدعى الملك الظاهر الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري إلى القاهرة، وأمره أن يجعل نائبه بحلب بعد خروجه الأمير نور الدين علي بن مجلّي ففعل ذلك، وقدم القاهرة؛ فلمّا وصل إليها عزله وأقام نور الدين عوضه في نيابة حلب. وقد تقدّم أنّ علاء الدين أيدكين هو أستاذ الملك الظاهر بيبرس الذي آشتراه منه الملك الصالح نجم الدين أيوب .

وفيها كان الغلاء بديار مصر فبلغ الإردبّ القمح مائة[2] درهم وخمسة دراهم نقرة[3]، والشعير سبعين درهما الإردبّ، وثلاثة أرطال خبز بالمصريّ بدرهم نقرة، ورطل اللحم بالمصريّ وهو مائة وأربعة وأربعون درهما بدرهم[4]؛ وكان هذا الغلاء عظيما بديار مصر . فلمّا وقع ذلك فرّق الملك الظاهر الفقراء على الأغنياء والأمراء وألزمهم بإطعامهم، ثم فرّق من شونه القمح على الزوايا والأربطة، ورتّب للفقراء

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٠ من هذا الجزء .　(٢) في عيون التواريخ : « فبلغ الإردب القمح مائة وخمسين درهما نقرة » .　(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٩٨ من هذا الجزء .
(٤) في السلوك : « واللحم كل رطل بدرهم وثلث » . وفي عيون التواريخ : « ورطل اللحم المصري بدرهم ونصف نقرة » .

كلّ يوم مائة إردبّ مخبوزة تُفَرّق بجامع ابن طولون . ودام على ذلك إلى أن دخلت السنة الجديدة والمُغَلّ الجديد ، وأُبيع القمح فى الإسكندريّة فى هذا الغلاء الإردبّ بثلثمائة وعشرين درهما .

وفيهــا أُحْضِر بين يدى السلطان طفلٌ ميّت له رأسان[1] وأربع أعين وأربع أيد وأربع أَرْجُل ، فأمر بدفنه .

وفيها تُوفّى القــاضى كمال الدين أبو العبّاس[2] أحمــد بن عبد الله بن عبد الرحمن الأسدىّ الحلبىّ الشافعىّ المعروف بابن الأستاذ قاضى حلب ، مولده ســنة إحدى عشرة وستمائة ، سَمِــع الكثير وحدّث ودرّس ، وكان فاضلا عالمــا مشكور السِّيرة مات فى شوّال .

وفيها تُوفّى شيخ الشيوخ الصاحب شرف الديــن عبد العزيز بن محمــد بن عبدالمحسن بن منصور[3] الأنصارىّ الأوسىّ الدمشقىّ المولد الحَمَوِىّ الدار والوفاة الإمام الأديب العلّامة ، مولده يوم الأربعاء ثانى عشرين جمادى الأولى سنة ستّ وثمانين وخمسمائة ، وسمِــع الحديث وتفقّه وبَرَع فى الفقه والحديث والأدب ، وأفتى ودرّس وتقدّم عند الملوك ، وترسّل عنهم غيرَ مرّة . وكانت له الوَجاهة التامّة وله اليد الطُّولَى فى الترسّل والنظم ، وشعره فى غاية الحسن . ومن شعره — رحمه الله — قوله :

إنّ قومًا يَلْحَوْنَ فى حُبِّ سُعْدَى * لايكادون يفقهونــ حديثــا

---

(١) على هامش أحد الأصلين بخط غير خط الأصــل : « ولقد رأينا فى ســنة آثنتين وثمانين بعد الألف عجلا جنينا تام الأعضاء له رأسان وأربع أعين وعنقان وأربع قوائم وذنب واحد ، خرج من بقرة مذبوحة ، فسبحان الخالق » . (٢) فى السلوك : « أبو بكر أحمد » .

(٣) فى الأصلين : « عبد العزيز بن عبــد المحسن بن محمد بن منصور الأنصارى » . وتصحيحه عن السلوك وشــذرات الذهب والمنهل الصافى وطبقات الشافعيــة وما سيذكره المؤلف فيمن نقل وفاتهم عن الذهبى .

سَمِعوا وصفها ولاموا عليها * أخذوا طيِّبًا وأعطَوْا خبيثا

وله رحمه الله :

قلتُ وقد عقرب صُدْغًا له * عن شِقّة الحاجب لم يُحْجَبِ
قُدّستَ يا ربَّ الجمالِ الذى * ألّف بين النون والعقرب

وله عفا الله عنه :

مرِضتُ ولى جِيرةٌ كلُّهم * عن الرُّشْد فى صحبتى حائدُ
فأصبحتُ فى النقص مثلَ الذى * ولا صِلَةٌ لى ولا عائدُ

وله غفر الله له :

ولقد عجِبتُ لعاذلى فى حُبّه * لمّا دجَى ليلُ العِذار المُظْلِم
أوَمَا دَرَى من سُنّتى وطريقتى * أنّى أميل مع السواد الأعظمِ

قلتُ : وقد آستوعبنا ترجمة شيخ الشيوخ بأوسع من ذلك فى تاريخنا « المنهل الصافى » وذكرنا من محاسنه وشعره نبذةً كبيرة، وكانت وفاته ليلة الجمعة ثامن شهر رمضان بحَماة رحمه الله تعالى .

وفيها تُوفّى الملك المُغيث فتح الدين أبو الفتح عمر صاحب الكَرَك آبن السلطان الملك العادل أبى بكر محمد آبن السلطان الملك الكامل محمد آبن الملك العادل أبى بكر محمد آبن الأمير نجم الدين أيّوب الأيّوبىّ المصرىّ ثم الكَرَكىّ. وقد ذكرنا من أمره نبذة كبيرة فى ترجمة عمّه الملك الصالح ثم من بعده فى عدّة تراجم لا سيما لمّا توجّه إليه الملك الظاهر بيبَرْس مع جماعة البحريّة، وأقام عنده وحرّكه على مُلْك مصر حسب ما تقدّم ذكر ذلك كلّه . انتهى .

قلتُ : ومولد الملك المغيث هذا بالديار المصرية ورُبِّى يتيما عند عمّاته القُطْبيّات بنات الملك العادل ، والقطبيات عُرِفن بالقطبيات لأنهنّ أشقّاء الملك المفضّل[1] قطب الدين آبن الملك العادل ، وبقى المغيث هذا عندهنّ إلى أن أُخْرِج إلى الكَرَك واعتقل بها ثم مَلَكها بعد موت عمّه الملك الصالح نجم الدين أيّوب ، ووقع له بها أمور ، إلى أن قدم فى العام الماضى على الملك الظاهر بيبرس بمصر ، فقبض عليه وقتله فى محبسه ، رحمه الله تعالى ، لِمَا كان فى نفسه منه أيامَ كان بخدمته فى الكَرَك مع البحريّة .

وفيها تُوفّى الأمير حُسام الدين لاجين بن عبد الله العزيزىّ [الجُوكَنْدار][2] ، كان من أكابر الأمراء وأعظمهم ، وكان شجاعا جَوادًا ديِّنًا له اليد البيضاء فى غزو التتار ، وكان يجمع الفقراءَ ويصنعَ لهم الأوقات[3] والسماعات ، وكان كبيرَ القَدْر عظيم الشأن ، رحمه الله تعالى .

وفيها تُوفّى الشيخ محيى الدين أبو بكر محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسين بن سُراقة الأنصارىّ الأندلسىّ الشاطبىّ ، كان فاضلا محدّثا ، سمع الكثير ووَلِىَ مشيخة دار الحديث بحلب ، ثم وَلِىَ مشيخة الحديث بمصر بالمدرسة الكامليّة[4] وحدّث بها .

ومن شعره ، رحمه الله تعالى :

وصاحبٍ كالزُّلال يمحو * صفاؤه الشكَّ باليقين
لم يُحْصِ إلّا الجميلَ منّى * كأنّه كاتبُ اليمين

(١) فى الأصلين هنا : « الأفضل » . والتصويب عما تقدّم ذكره فى الحاشية رقم ١٦ ص ١٧٢ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
(٢) زيادة عما تقدّم ذكره غير مرة والمنهل الصافى وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات .
(٣) كذا فى الأصلين . ولعلها محرفة عن « الإقامات » لأنه تقدّم ذكرها للؤلف فى غير موضع .
(٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٢٩ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

قلت : وهذا بعكس قول الأديب شهاب الدين المَنَازِىّ[1]، رحمه الله تعالى :

وصاحب خلته خليلا * وما جرى غدره ببالى

لم يحص إلّا القبيح منّى * كأنّه كاتب الشمال

وفيها تُوفّى الملك الأشرف مظفّر الدين موسى آبن الملك المنصور إبراهيم بن الملك المجاهد أسد الدين شيركُوه بن محمد آبن الملك المنصور أسد الدين شيركُوه الكبير، ملَك الأشرفُ هذا حِمْص بعد وفاة أبيه، وطالت مدّته به ووقع له أمور، وكان فيه مداراةٌ للتّتار وآستمرّ على ذلك إلى أن تُوفّى بحِمْص فى حادى عشر صفر قبل صلاة الجمعة، ودُفن ليلًا على جَدّه الملك المجاهد أسد الدين شيركُوه .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها توفّى المحدّث ضياء الدين علىّ بن محمد البالِسىّ[2] فى صفر، وله سبع وخمسون سنة. وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصارىّ البَابْشَرْقىّ فى شهر ربيع الأوّل . والحافظ رشيد الدين أبو الحسين يحيى ابن علىّ الأُمَوىّ العطّار المالكىّ فى جمادى الأولى ، وله ثمانٍ وسبعون سنة . وأبو الطاهر إسماعيل بن صارم[3] الخيّاط بعده بأيام . والخطيب عماد الدين عبد الكريم [آبن جمال الدين أبى القاسم عبد الصمد][4] بن محمد الأنصارىّ بن الحَرَسْتانىّ[5] فى جمادى الأولى . والورِع الزاهد أبو القاسم بن منصور[6] فى شعبان . والإمام محيي الدين

(١) فى الأصلين : «شهاب الدين الأنبارى» وهو خطأ والتصويب عن شذرات الذهب وعيون التواريخ وفوات الوفيات . وهو أبو نصر أحمد بن يوسف السلبكى المنازى توفى سنة ٤٣٧ هـ . والمنازى : نسبة إلى منازجرد بزيادة جيم مكسورة وبعدها راء ساكنة ثم دال، وهى مدينة عند خرتبرت التى هى حصن زياد المشهور (عن ابن خلكان) .

(٢) البالسىّ : نسبة إلى بالس، وراجع الحاشية رقم ٥ ص ٣١٩ من الجزء الثانى من هذه الطبعة .

(٣) كذا فى الأصلين والمنهل الصافى . وفى شذرات الذهب : «إسماعيل بن سالم» .

(٤) تكملة عن عيون التواريخ وشذرات الذهب والسلوك وتاريخ الدول والملوك .

(٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ٦٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٦) فى تاريخ الدول والملوك : «محمد بن عيسى وقيل ابن منصور» يكنى أبا القاسم ويعرف بالقبارى الإسكندرانى .

أبو بكر محمد بن محمد بن سُراقة الشاطبيّ بمصر، وله سبعون سنة . وشيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصاريّ بحَمَاة فى رمضان. والملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبى بكر بن الكامل محمد صاحب الكَرَك، أعدمه الملك الظاهر . والأمير الكبير حسام الدين لاچين الجُوكَنْدار العزيزيّ فى المحرّم، ودفن بقاسيون . وصاحب حِمْص الملك الأشرف موسى ٱبن المنصور إبراهيم بن أسد الدين بحِمْص فى صفر، وله خمس وثلاثون سنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وأربع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وٱثنتا عشرة إصبعا .

*
* *

السنة الخامسة من ولاية الملك الظاهر بيبَرْس على مصر، وهى سنة ثلاث وستين وستمائة .

فيها وَلّى الملكُ الظاهرُ بيبرس من كلّ مذهب قاضيًا وقد تقدّم ذكر ذلك .

وفيها تُوُفّى الأديب البارع شرف الدين محاسن [الكتبيّ][(1)] الصُّوريّ، كان عالمـا فاضلا أديبا شاعرا، ومات فى شهر رجب . ومن شعره، رحمه الله :

عَتَبتْ علىّ فقلتُ إن عاتبتُها * كان العتابُ لوصلها ٱستهلاكَا
وأردتُ أن تبقى المودّةُ بيننا * موقوفةً فتركتُ ذاك لذاك

وفيها تُوُفّى الأمير جمال الدين موسى بن يَغْمُور بن جلدك بن بُلَيْمان[(2)] بن عبد الله أبو الفتح، مولده فى جُمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وخمسمائة بالقُوب[(3)] من أعمال

(1) زيادة عن عيون التواريخ . (2) كذا فى الأصلين . وفى تاريخ الدول والملوك : « ابن بلمان » . وفى عقد الجمان : « ابن بلهان » . (3) القوب أو قرية ابن يغمور : من قرى سمهود من أعمال قوص . لما تكلم الادفوى على بلاد الصعيد الأعلى فى مقدّمة كتابه الطالع السعيد =

قُوص(١) بصعيد مصر وسمع الحديث، وتنقّل فى الولايات الجليلة مثل نيابة السلطنة بالقاهرة ونيابة دِمَشق، ولم يكن فى الأمراء من يضاهيه فى منزلته وشجاعته وقُربه من الملوك، وكان أميرًا جليلا خبيرا حازمًا سَيُوسا مدبّرا جَوّادا ممدّحا، وكان الملك الظاهر إذا عَمِل مشورة وتكلّم جمعُ خُشْداشِيّته من الأمراء فلا يصغى إلّا إلى قول أبن يَغْمُور هذا ويفعل ما أشار به عليه . وكانت وفاته فى مستهلّ شعبان بالقُصَيْر(٢) من أعمال الفاقوسيّة بين الغَرَابى والصالحيّة(٣) . ومن شعره قوله :

ما أحسن ما جاء كتابُ الحِبِّ * يُبْدى حرقًا كأنّه عن قلبى
فازددتُ بما قرأتُ شوقًا وضَنًا * لا يُبرّده إلا نسيمُ القُرْب

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها تُوفّى المحدّث مُعين الدين إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القُرشىّ الزَّكَوِىّ. والحافظ زَيْن الدين أبو البقاء خالد ابن يوسف بن سعد النابُلُسىّ بدِمَشق، وله ثمان وسبعون سنة فى سَلْخ جُمادى الأولى . والأمير الكبير جمال الدين موسى بن يَغْمُور . والنجيب فِرَاس بن علىّ بن زَيْد العَسْقَلانىّ التاجر . وقاضى الديار المصريّة بدر الدين يوسف بن الحسن السِّنْجَارِىّ فى رجب . والشيخ أبو القاسم الحُوَارِىّ(٤) الزاهد .

= ذكر قرية ابن يغمور بين سمهود وبخانس . وبالبحث تبين لى أن قرية ابن يغمور تقع فى الجهة الجنوبية من سمهود وأنها هى القرية التى وردت فى تاريخ (دفتر المساحة) سنة ١٢٣١ ﻫ باسم كوم عقوب ثم حرف اسمها فى تاريخ سنة ١٢٧٥ ﻫ إلى كوم يعقوب بقسم فرشوط . ومما ذكر يتضح أن القوب هى القرية التى تعرف اليوم باسم كوم يعقوب إحدى قرى مركز نجع حمادى بمديرية قنا .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس وص ٣٨٣ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨٣ من هذا الجزء . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٤) فى الأصلين : «الجوزى» . وتصحيحه عن المشتبه وعقد الجمان وشذرات الذهب . وضبط بالقلم فى المشتبه . وهو أبو القاسم يوسف بن أبى القاسم بن عبد السلام الأموى الحوارى العوفى الزاهد المشهور الحنبلى .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم سبع أذرع وإصبعان . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وأربع عشرة إصبعا .

***

السنة السادسة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، وهى سنة أربع وستين وستمائة .

فيها توفّى شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن صالح ، كان فاضلا أديبا . ومن شعره رحمه الله فى مكارٍ مليح :

عِلقته مُكاريّا * شرّدَ عن عينى الكرَى
قد أشبه البدرَ فلا * يملُّ من طول السُّرَى

وفيها توفّى طاغية التتار وملكهم هُولاكو وقيل هُولاوُون وقيل هولاو بن تُولى خان بن جِنكزخان المُغلى التُّركى، مَلَك مكان أبيه بعد موته وكان من أعظم ملوك التتار، وكان حازما شجاعا مدبّرا، استولى على الممالك والأقاليم فى أيسر مدّة، وفتح بلاد خُراسان وأذْرَبيجان وعِراق العجم وعِراق العرب والمَوْصل والجزيرة وديار بكر والشام والروم والشرق وغير ذلك . وهو الذى قتل الخليفة المستعصم المقدّم ذكره، وكان على قاعدة المُغل لا يتديّن بدين، وإنّما كانت زوجته ظَفَر خاتون قد تنصّرت، فكانت تَعْضُد النصارى وتُقيم شعائرهم فى تلك البلاد . وكان هُولاكو سعيدا فى حروبه لا يروم أمرا إلّا ويسهُل عليه، وكانت وفاته بعلّة الصَّرْع، وكان الصَّرْع يعتريه من عدّة سنين فى كلّ وقت ، حتّى إنّه كان يعتريه فى اليوم الواحد المرّة والمرّتين والثلاث، ثم زاد به مَرض ولم يزل ضعيفا نحو شهرين وهَلَك، فأخفَوا موته وصبّروه حتى حضر ولده أبغا وجلس مكانه فى المُلك، وقيل : إنّه لم يدفن

وعلّق بسلاسل، ومات وله ستون سنة أو نحوها، وخلّف من الأولاد الذكور سبعة عشر ولدًا: وهم أبغا الذى ملكه بعده وأشموط وتمشين (١) وتكشى (٢) وكان [تكشى فاتكًا (٣)] جبّارًا، وأجاى وتستر (٤) ومنكوتمر الذى التقى مع الملك المنصور قلاوون على حمص وآنهزم جريحًا، كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى، وباكودر وأرغون وتغاى تمر (٥) والملك أحمد وجماعة أخر.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها توفّى أبو الفضل إسماعيل ابن إبراهيم بن يحيى القرشى بن الدّرجىّ فى صفر (٦). والشيخ جمال الدين أحمد بن عبد الله بن شُعيب التّميمىّ فى شهر ربيع الآخر (٧)، وله آثنتان وسبعون سنة. ورضىّ الدين إبراهيم بن البُرهان عمر الواسطىّ التاجر بالإسكندرية فى رجب، وله إحدى وسبعون سنة، وخلّف أموالًا عظيمة. والأمير الكبير جمال الدين أيدُغدى العَزيزىّ. والشيخ أحمد بن سالم المصرىّ النحوىّ فى شوّال بدمَشق. والطاغية هولاكو بمراغة (٨).

§أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وسبع وعشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وآثنتا عشرة إصبعا.

***

السنة السابعة من ولاية الملك الظاهر بيبَرس على مصر، وهى سنة خمس وستين وستمائة.

---

(١) فى عقد الجمان: «تبشين» بالباء الموحدة بدل الميم. (٢) فى تاريخ الإسلام: «بكشى» بالباء أيضا بدل التاء. (٣) زيادة عن تاريخ الإسلام. (٤) فى تاريخ الإسلام: «يستر» بالياء التحية. (٥) فى تاريخ الإسلام: «نغاى دمر» بالنون فى تغاى، والدال فى تمر.

(٦) فى تاريخ الإسلام وشذرات الذهب: «توفى فى السادس والعشرين من شهر ربيع الأول».

(٧) فى تاريخ الإسلام وشذرات الذهب: «توفى فى جمادى الأولى ليلة خامسه».

(٨) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٨٤ من الجزء الثالث من هذه الطبعة.

فيها تُوفّى بَرَكة خان [بن تُوشى] (١) بن جِنْكِزخان مَلِك التّتار، هو آبن عمّ هولاكو المقدّم ذكره، وكانت مملكته عظيمةً متّسعة جدًّا وهى بعيدة عن بلادنا وله عساكر وافرة العدد، وكان بَرَكة هذا يَميل إلى المسلمين مَيْلًا زائدًا ويُعظِّم أهل العلم ويَقْصد الصلَحاء ويتبرّك بهم . ووقع بينه وبين آبن عمّه هُولاكو، وقاتَله بسبب قتله للخليفة المستعصم بالله وغيره من المسلمين؛ وكان بينه وبين الملك الظاهر مودّة ويُعظِّم رُسُلَه، وكان قد أسلم هو وكثير من جُنْده وبنى المساجد وأُقيمت الجُمُعة ببلاده، وكان جَوَادًا عادلا شجاعًا، ومات ببلاده فى هذه السنة وهو فى عشر الستين، وقام مقامه مَنْكُوتَمُر .

وفيها تُوفّى الأمير ناصر الدين أبو المعالى حسين (٢) بن عزيز بن أبى الفوارس القَيْمُرِىّ، كان من أكابر الأمراء وأجلّهم قَدْرًا وأكبرهم شأنا، وكان شجاعًا كريما عادلا، وكان الملك الظاهر قد جعله مقدّم العساكر بالساحل فتوجّه إليه فمات به مرابطًا فى يوم الأحد ثالث عشر شهر ربيع الأوّل، وهو صاحب المدرسة القَيْمُرِيّة (٣) بدمشق، وكان عالى الهمة يُضاهِى السلاطين فى مَوْكبه وخيله ومماليكه وحواشيه .

وفيها تُوفّى القاضى تاج الدين عبد الوهاب بن خَلَف بن محمود بن بدر أبو محمد العَلَامىّ (٤) الفقيه الشافعىّ المعروف بآبن بنت الأعزّ، كان إماما عالما فاضلا وولى

(١) التكملة عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافى . وفى عقد الجمان : « بركة خان بن صاين خان ابن دوشى خان بن جنكز خان » . وفى عيون التواريخ : « بركة خان بن تولى حان بن جنكز خان » . وفى السلوك (ص ٥٦١) : « بركة حان بن دوشى خان » .
(٢) فى الأصلين : « حسن بن عزيز » . والتصويب عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ وشذرات الذهب وابن كثير والسلوك .
(٣) القيمرية، من مدارس الشافعية بدمشق، تعرف اليوم بآسم القيمرية الجوانية بحارة القيمرية . درّس بها جملة من فقهاء الشافعية، ولا تزال معروفة (عن خطط الشام لكرد على ج ٥ ص ٨٨) .
(٤) ضبطه صاحب عقد الجمان بالقلم (بفتح العين واللام مع التخفيف) .

المناصب الجليلة كنظر الدواوين والوزارة وقضاء القضاة ودرّس بالشافعيّ، وكانت له مكانة عند الملك الظاهر، ومولده سنة أربع عشرة وستمائة، ومات ليلة السابع والعشرين من شهر رجب ودُفن من الغد بسَفْح المقطّم .

وفيها تُوُفّي الشيخ الإمام المحدّث تاج الدين أبو الحسين عليّ بن أحمد بن عليّ ابن محمد بن الحسن(١) بن عبد الله بن أحمد بن مَيْمُون القَيْسي المصريّ المالكيّ المعروف بآبن القَسْطَلّانيّ، وُلِد سنة ثمانٍ وثمانين وخمسمائة بمصر، وبها تفقّه وسمع الحديث من جماعة كثيرة وحدّث بالكثير ودرّس وأفتى وتولّى مشيخة دار الحديث الكامليّة(٢) بالقاهرة إلى أن مات بُكْرة السابع(٣) والعشرين من شوّال ودُفِن من يومه بسَفْح المقطّم .

وفيها تُوُفّي الشيخ الإمام الفقيه المحدّث شمس الدين مَلِكشاه بن عبد الملك ابن يوسف بن إبراهيم المَقْدِسيّ الأصل المصريّ المولد الدِّمَشقيّ الدار الحنفيّ المعروف بقاضي بَيْسان(٤)(٥)، كان فقيهًا عالمًا فاضلا مُفْتنًا في علوم، وُلِد بحارة زويله بالقاهرة سنة ثلاثٍ وسبعين وخمسمائة ومات في سادس عشر صفر بِدمَشْق، رحمه الله .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها تُوُفّي أبو الحجّاج يوسف ابن مَكْتوم السُّوَيْديّ(٦) الحبّال(٧). والشيخ الصالح الأَثَرِيّ محمود بن أبي القاسم [اسفنديار ابن بَدْرَان بن أيّان] الدَّشْتِيّ(٨) بالقاهرة في رجب . وقاضي القضاة تاج الدين

(١) في الأصلين : « ابن الحسين » . وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافي .
(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٢٩ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
(٣) في تاريخ الإسلام : «في سابع عشر شوّال» . (٤) في الأصلين غير واضح . وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام للذهبي . (٥) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٥٢ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .
(٦) السويدي : نسبة الى سويد ، رجل. (٧) التكملة عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافي . (٨) الدشتي : نسبة الى دشت قرية بأصبهان (عن لب اللباب) .

عبد الوهاب بن خلف بن بنت الأعز(١) فى رجب، وله إحدى وخمسون سنة . والعلّامة شهاب الدين أبو شامة أبو القاسم(٢) عبد الرحمن بن إسماعيل المَقْدِسىّ ثم الدِّمَشْقىّ فى رمضان، وله ستّ وستون سنة . والإمام تاج الدين علىّ آبن الشيخ أبى العبّاس أحمد بن على القسطلّانىّ بمصر، وله سبع وسبعون سنة . والسلطان بركة خان بن توشى بن جنكزخان(٣) . والأمير الكبير ناصر الدين حسين بن عزيز بن أبى الفوارس القَيْمُرِىّ صاحب القَيْمُرِيّة(٤) .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وأربع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وأربع عشرة إصبعا .

***

السنة الثامنة من ولاية الملك الظاهر بيبَرْس على مصر، وهى سنة ستّ وستين وستمائة .

فيها تُوُفّى الرئيس كمال الدين أبو يوسف أحمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الله الحلبىّ المعروف بآبن العَجَمِىّ، كان شاعرًا رئيسًا عالما فاضلا حسن الخط والإنشاء، كَتَب للملك الناصر صلاح الدين يوسف، وكان من أعيان الكُتّاب وأماثلهم، بلغ من العمر ستًّا وأربعين سنة، ومات بظاهر صُور من بلاد الساحل فى العشر الأوّل(٥) من ذى الحجّة وحُمِل إلى ظاهر دِمَشق فدُفِن بها . ومن شعره فى خال مَلِيح، قال :

---

(١) هذا مخالف لما تقدّم ذكره للؤلف من أن مولده كان سنة ٦١٤ هـ ووافقه عليه بعض المصادر التى تحت يدنا مثل الذهبى وشذرات الذهب وغيرهما . (٢) فى عقد الجمان : « أبو شامة وأبو محمد وأبو القاسم » . (٣) فى الأصلين هنا : « ابن تولى » . والتصحيح عما تقدم ذكره قريبا فى ص ٢٢٢ وتاريخ الإسلام والمنهل الصافى . (٤) يريد المدرسة القيمرية بدمشق التى تقدم ذكرها فى الحاشية رقم ٣ ص ٢٢٢ من هذا الجزء . (٥) فى أحد الأصلين : « فى العشر الأواخر » .

وما خالُه ذاك الذى خالَه الوَرَى * على خده نَقْطًا من المِسْك فى وَرْدِ
ولكنّ نارَ الخـدّ للقلب أحرقتْ * فصار سوادُ القلب خالًا على الخدِّ

قلت : يعجبنى قولُ آبن صابر المَنْجَنِيقِىّ (١) فى هذا المعنى :

أهـلًا بوجهٍ كالبـدر حسنًا * صـيّرنى حبُّـه هِـلالَا
قـد رقّ حتّى لحَظْتُ فيـه * سـوادَ عيـنى تخلتُ خالا

ومثل هـذا أيضا قول القائل فى هـذا المعنى، ولم أدرِ لمن هو غير أنّنى أحفظه قديمًا ، وهو فى خالٍ تحت العِذار .

له خالٌ تغشّاه هـلالٌ * يفوت العينَ إنْ نَظَرتْ إليـه
كشُـحْرُورٍ تخبّأ فى سـياجٍ * مخافةَ جارحٍ من مُقْلتَيْـهِ

وفى هذا المعنى للعزّ الموصِلىّ (٢) وأبدع إلى الغاية :

لحَظْتُ من وجنتهـا شامـةً ، فآبتسمتْ تَعْجَب من حالِى
قالتْ قِفُوا وآستمعوا ما جَرَى * قـد هام عمّى الشيخُ فى خَالِى

وفى هذا المعنى :

تفاخر الحسنُ فى آنتسابِ (٣) * لمّـا بـدَا خالُه الأنيـقُ
فقـالت العينُ ذا آبنُ أختى * وقال لى الخـدُّ ذا شـقيقُ

وقد استوعبنا هـذا النوع وغيره فى كتابنـا « حليـة الصفات فى الأسمـاء والصناعات » فلينظر هناك .

---

(١) هو يعقوب بن صابر بن أبى البركات . توفى سنة ٦٢٦ ﻫ (عن الشذرات والوافى بالوفيات) .

(٢) هو على بن الحسين بن على بن أبى بكر بن محمد بن أبى الخير عز الدين الموصلى ثم الدمشقى الشاعر ، صاحب البديعية المشهورة وهى قصيدة مئوية عارض بها بديعية الصفى الحلى وزاد عليه أن التزم أن يودع كل بيت اسم النوع البديعى بطريق التورية أو الاستخدام . توفى سنة ٧٨٩ ﻫ (عن الدرر الكامنة والمنهل الصافى) .

(٣) فى أحد الأصلين : « فى آبتسام » .

وفيها تُوُفّى عَفيف الدين أبو الحسن على بن عدلان بن حَمّاد(١) بن على الموصلىّ النحوىّ المترجم، كان إماما عالمـا أديبا مُفْتَنًّا شاعرا، مات بمصر فى يوم الجمعـة تاسع شوّال . ومن شعره، رحمه الله :

لا تعجبنّ إذا ما فاتـك المَطْلَبْ * وعوِّد النفس أن تَشْقَى وأن تَتْعَبْ
إن دام ذا الفقرُ فى الدنيا فلا تَعْجَب * مات الكِرام وما فيهم فتًى أعقب

وفيها تُوفّى السلطان ركن الدين كَيْقُبَاد آبن السلطان غياث الدين كَيْخُسْرو آبن السلطان علاء الدين كَيْقُبَـاد بن كَيْخُسْرُو بن قِليج أرْسـلان بن مسعود بن قِليج أرسلان بن سليمان بن قُتُلْمِش بن أَتْسِز(٢) بن إسرائيل بن سَلْجُوق بن دُقْمَاق السَّلْجُوقىّ صاحب الروم ، كان مَلِكًا جليلا شجاعا لكنّه كان غير سديد الرأى، كان قد جعل أمره بيد البَرْوَاناه فآستفحل أمرُ البَرْوَاناه ، فأراد ركنُ الدين هـذا قتله فعاجله البرواناه وعمِل على قتله حتى قُتِل (وكَيْقُباد بفتح الكاف وسكون الياء آخر الحروف وضم القاف وفتح الباء ثانية الحروف وبعد الألف دال مهملة ساكنة). وكَيْخُسْرُو مثـل ذلك غير أن الخـاء المعجمة مضمومة وبعدها سـين مهملة سـاكنة وراء مهملة مضمومة . وقِليج أرسلان بكسر القاف واللام وسكون اليـاء والجيم معا . وأرْسلان معروف .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هـذه السنة، قال : وفيها تُوُفّى أيُّوب بن أبى بكر عمر(٣) الحَمّامى آبن الفُقّاعِىّ . ومجد الدين أحمد بن عبد الله [بن أبى الغنائم(٤)] المسلم بن

---

(١) فى الأصـلين : « ابن خالد » . والتصـحيح عن تاريخ الإسـلام للذهبى وعيون التواريخ وعقد الجمان وفوات الوفيات والسلوك وبغية الوعاة للسيوطى . (٢) فى الأصلين غير واضح . وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ . (٣) فى الأصلين : « أيوب بن أبى بكر ابن عمر» . وما أثبتناه عن عقد الجمان وتاريخ الإسلام والمنهل الصافى .
(٤) التكملة عن تاريخ الإسلام .

حمّاد بن محفوظ] بن مَيْسرة الأَزْدِيّ آبن الحَلَوَانِيّة في شهر ربيع الأوّل . والشيخ القُدْوة إبراهيم بن عبد الله آبن الشيخ أبي عمر [محمد(١) بن أحمد بن محمد بن قُدَامة] المَقْدِسيّ في شهر ربيع الأوّل، وله ستون سنة . وأبو بكر عبد الله بن أحمد بن ناصر النّحّاس في ذي(٢) القعدة . وفيها قَتَلت التّتار السلطان ركن الدين كَيْقُبَاد آبن السلطان غِياث الدين كَيْخُسْرُو آبن السلطان علاء الدين كَيْقُبَاد صاحب الروم، وله ثمانٍ وعشرون سنة وأجلسوا ولده كَيْخُسْرُه على التخت وهو آبن عشر سنين .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعا سواء .

*
* *

السنة التاسعة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، وهي سنة سبع وستين وستمائة .

فيها تُوفّي الأمير عزّ الدين أَيْدَمُر بن عبد الله الحِلّيّ(٣) الصالحيّ النجميّ، كان من أكبر أمراء الدولة وأعظمهم محلًّا عند الملك الظاهر، وكان نائب السلطنة عنه بالديار المصرية في غَيْبَته عنها لوثوقه به وآعتماده عليه، وكان قليل الخِبْرة لكن رُزِق السعادة .

قلت : له أُسْوَةٌ بأمثاله . قال : وكان محظوظا(٤) من الدنيا له الأموال الجمّة والمتاجر الكثيرة والأملاك الوافرة . وأمّا ما خلّفه من الأموال والخيول والجمال والبغال

---

(١) الزيادة عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافي . (٢) في تاريخ الاسلام للذهبي : « توفي في السادس والعشرين من شوّال» . (٣) في أحد الأصلين والمنهل الصافي : « الحلبي » بالباء الموحدة . وما أثبتناه عن الأصل الآخر وتاريخ الإسلام وعيون التواريخ والسلوك وعقد الجمان .
(٤) في الأصلين : « مخصوصا » . وما أثبتناه عن المنهل الصافي .

والعدد فيقصُر الوصف عنه . ومات بقلعة دِمَشق فى يوم الخميس سابع شعبان ودفِن بتربته بجوار مسجد الأمير موسى بن يَغْمور . ومات وقد نيّف على الستين .

وفيها تُوُفّى الشيخ المحدّث عماد الدين محمد بن محمد بن علىّ أبو عبـد الله ، كان فاضلًا سَمِـع الكثير، ومات بدِمَشق فى شهر ربيع الأوّل؛ ولمـا كان بحلب كتَب إليه أخوه سعد الدين سعد يقول :

ما للنّــوَى رِقَّةٌ تَرْثِى لمكتئِبٍ * حرّان فى قلبــه والدمعُ فى حلبِ
قد أصبحتْ حلبٌ ذاتَ العِماد بكم * وجِلّقٌ إِرمًا هذا من العجبِ

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوُفِّى زَيْن الدين إسماعيل ابن عبد القَوِىّ بن عَزّون(١) الأنصارىّ فى المحرّم . والإمام مجد الدين علىّ بن وَهْب القُشَيْرِى [والد](٢) ابن دَقِيق العِيد . والحافظ زين الدين أبوالفتح محمد بن محمد [بن أبى بكر](٣) الأَبِيوَرْدِىّ الصوفىّ فى جمادى الأولى . واللغوىّ مجد الدين عبد المَجِيد بن أبى الفرج [بن محمد](٤) الرُّوذْرَاوَرِىّ(٥) بدِمَشْق فى صفر .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع وست عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع أصابع .

* * *

السنة العاشرة من ولاية الملك الظاهر بِيبَرْس على مصر ، وهى سنة ثمـان وستين وستّمائة .

(١) فى أحد الأصلين : « ابن عصرون » وهو خطأ . وفى الأصل الآخر : « ابن عرون » وهو تصحيف . وتصحيحه عن تاريخ الاسلام وعقد الجمان وشذرات الذهب . (٢) التكملة عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافى . (٣) الزيادة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب . (٤) زيادة عن تاريخ الإسلام . (٥) فى الأصلين : «الروزراوردى» . والتصحيح عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب والسلوك .

فيهـا تُوفّى الشيخ موفّق الدين أبو العبّاس أحمد بن القاسم بن خليفة الخَزْرَجىّ المعـروف بآبن أبى أُصَيْبِعَة الحكيم الفاضـل صاحب المصنّفات منهـا « طبقات الأطباء » . مات بصَرْخَد فى جمادى الأولى، وقد نيّف على سبعين سنة، وكان فاضلًا عالمـا فى الطِّبّ والأدب والتاريخ وله شِـعْر كثير، من ذلك ما مَدَح به الصاحب أمين الدولة(١)، وهى قصيدة طَنّانة أوّلهـا :

فُؤادِى فى محبّتهـم أسـيرُ * وأنّى(٢) سار ركبُهُمْ يَسـيرُ
يَحِنّ إلى العُذَيْب وساكنيـه * حَنِينًا قـد تضمّنه سَعِـيرُ
ويَهْـوَى نَسْمَةً هبّت سُحَيْرًا * بهـا من طِيب نشرِهُم عَبِـيرُ
وإنّى قانعٌ بعــد التّـدانِى * بطيفٍ من خيالهمُ يزورُ
ومعسولُ اللَّمَى مُرُّ التجـنِّى * يجـورُ على المحبّ ولا يُجـيرُ
تصدّى للصـدود ففى فؤادى * بوافـر هَجْـره أبدًا هَجِـيرُ
وقد وصلَتْ جفونى فيه سُهْدِى * فمـا هـذِى القطيعـةُ والنفورُ

وهى طويلة كلُّها(٣) على هذا النَّمَط .

وفيها تُوفّى الأمير عزّ الدين أيْبَك بن عبد الله الظاهرىّ نائب حِمْص، كان فيه صَرَامةٌ مُفرِطة، وكان موصوفا بالعَسْف والظلم وسِيرةٍ قبيحةٍ، ومع هذه المساوئ كان أيضا فيه رَفْض . مات بحِمْص وفَرِح بموته أهل بلده .

(١) هو أمين الدولة السامرى أبو الحسن بن غزال المسلمانى وزير الصالح إسماعيل . تقدّمت وفاته سنة ٦٤٨ هـ . (٢) هـذه رواية عيون الأنبا فى طبقات الأطبا (ج ٢ ص ٢٣٧) . وفى أحد الأصلين : «وأين سار» وهو محرف عن هذه الرواية . وفى الأصل الآخر : « وحيث يسير » .
(٣) عدة أبياتها كما فى عيون الأنبا فى طبقات الأطبا اثنان وثلاثون بيتا .

وفيهـا تُوفّى الأمير عزّ الدين أَيْبَك بن عبـد الله المعروف بالزّرّاد ، كان نائب قلعـة دِمَشْق ، وكان من المماليك الصالحيّة النّجْميّة ، وكانت حرمته وافرة وسيرته جميلة . ومات فى ذى القعدة .

وفيها تُوفّى موسى بن غانم بن علىّ بن إبراهيم بن عساكر بن حسين الأنصارىّ[(١)] المَقْدِسىّ ، كان كبيرَ القدْر صَدْرًا كبيرًا شُجاعًا وافر الحُرمة ، تَوَلّى مشيخة الحَرَم بالقُدْس الشريف ، وكان كريمًا وله سُمعةٌ وصِيتٌ . مات بالقُدْس فى المحرّم وقد جاوز سبعين سنة .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوفّى المحدّث زَيْن الدين أحمد بن عبد الدائم بن نِعْمة المَقْدِسىّ فى رجب ، وله ثلاث وتسعون سنة ؛ وقاضى القضاة محيى الدين يحيى بن محمد بن الزَّكِىّ القُرَشىّ فى رجب ، وله اثنتان وسبعون سنة ، وأبو حَفْص عمر بن محمد بن أبى سـعد الكِرْمانىّ[(٢)] الواعظ فى شعبان ، وله ثمانٍ وتسعون سنة . وفيها قُتِل فى المصاف[(٣)] صاحبُ المغرب الملك أبو دَبّوس أبو العلاء [الواثق بالله] إدريس بن عبد الله بن محمد المؤمنىّ[(٤)] .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستّ أذرع واثنتان وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا واثنتان وعشرون إصبعا .

---

(١) [illegible] المصادر التى تحت يدنا [illegible] وجدنا [illegible] وفاته هـذه [illegible] فى تاريخ الإسلام [illegible] والملوك [illegible] الحافظ [illegible]

(٢) فى الأصلين : [illegible] وما أثبتناه من تاريخ الإسلام [illegible]

(٣) فى الأصلين هنا : [illegible] تاريخ الإسلام وشذرات الذهب [illegible] السلوك (ص [illegible]) . (٤) [illegible] فى الأصلين ومرآة [illegible] الذهب والسلوك . وفى تاريخ الإسلام : « [illegible] بن [illegible] عبد الله بن [illegible] حفص » وفى [illegible] : « [illegible] بن عبد الله ابن يعقوب » .

*
* *

السنة الحادية عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس البُنْدُقْدارِىّ على مصر، وهى سنة تسع وستين وستمائة .

فيها تُوفّى الشيخ شمس الدين أبو إسحاق إبراهيم بن المسلم بن هبة الله [المعروف[1] بآ]بن البارِزِىّ الفقيه الحَمَوِىّ الشافعىّ، مولده سنة ثمانين وخمسمائة، وكان فقيها فاضلا ورِعا، وله شِعْر جيّد وأفتى ودرّس بمَعرّة[2] النُّعمان وغيرها، ومات فى شعبان بحَماة. ومن شعره، رحمه الله، يصف دِمَشق :

دِمَشْقُ لها منظــرٌ رائقٌ * وكلٌّ إلى وصلها[3] تائقٌ
وأنّى يُقاس بها بلدةٌ * أبى الله والجامعُ الفارقُ

وفيها تُوُفّى القاضى كمال الدين أبو السعادات أحمد بن مِقْدَام بن أحمد بن شُكْر المعروف بآبن القاضى الأعَزّ، كان أحد الأكابر بالديار المصريّة متأهّلا للوزارة وغيرها، وتولّى المناصب الجليلة. وكان له يد فى النظم ومعرفة بالأدب ومشاركة فى غيره . ومات فى شهر رمضان بالقاهرة .

وفيها تُوُفّى الأمير علم الدين سَنْجَر بن عبد الله الصَّيْرَفىّ، كان من أعيان الأمراء بالديار المصريّة وممّن يُخْشَى جانبه، فلمّا تمكّن الملك الظّاهر بيبرس أخرجه إلى دِمَشق ليأمَن غائلته وأقطعه بها خُبزًا جيّدًا، فدام به إلى أن ماتَ بَعْلَبَكّ وهو فى عشر الستين .

---

(١) الزيادة عن عيون التواريخ .
(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة .
(٣) فى الأصول : [illegible] * وكل إلى وصفها تائق [illegible]

وفيها تُوُفّى الأمير قطب الدين سَنْجَر بن عبد الله المستنصرىّ البغدادىّ المعروف بالياغز (١)، كان من مماليك الخليفة المستنصر بالله، وكان محترما فى الدولة الظاهريّة وعنده معرفةٌ وحسنُ عِشرة ومحاضرة بالأشعار والحكايات .

وفيها تُوُفّى الملك الأمجد تقىّ الدين عبّاس ابن الملك العادل أبى بكر محمد بن أيّوب ابن شادى، وكنيته أبو الفضل (٢)، كان مُحترماً عند الملك الظاهر لا يرتفع عليه أحدٌ فى المجالس ، وهو آخرُ مَنْ مات من أولاد الملك العادل لصُلْبه ، وكان دَمِث الأخلاق حسن العِشْرة لا يُمَلّ مجالسته . ومات بدمشق فى جُمادى الآخرة ودُفِن بسَفْح قاسيون .

وفيها تُوفّى قطب الدين عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن نصر ابن محمد بن سبعين أبو محمد المُرسىّ الرَّقُوطىّ (٣) الصوفىّ المعروف بابن سبعين . قال الذهبىّ فى تاريخ الإسلام : كان صوفيًّا على قاعدة زُهّاد الفلاسفة وتصوّفهم، وله كلامٌ كثير فى العِرْفان على طريق الاتّحاد والزَّنْدَقة . وقد ذكرنا محطّ هؤلاء الجنس فى ترجمة ابن الفارض (٤) وابن العربىّ (٥) وغيرهما ، فيا حسرةً على العباد ! كيف لا يغضبون لله تعالى ولا يقومون فى الذبّ عن معبودهم ، تبارك الله وتقدّس فى ذاته عن أن يمتزج بخَلْقه أو يَحُلّ فيهم ، وتعالى الله عن أن يكون هو عَيْن السموات والأرض وما بينهما ، فإنّ هذا الكلام شرٌّ من مقالة مَن قال بِقدَم العالم.

---

(١) فى الأصلين «المعروف بالباغر» . وما أثبتناه عن عيون التواريخ وتاريخ الإسلام والوافى بالوفيات للصفدى .

(٢) فى نهاية الأرب (ج ٢٨ ص ٥٦) : «أبو الفضائل» .

(٣) فى الأصلين : «الزفرطى» . وفى عيون التواريخ : «البرقوطى» . وفى المنهل الصافى «المرقوطى» . والتصحيح عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وعقد الجمان وابن كثير .

(٤) هو شرف الدين أبو حفص عمر بن أبى الحسن على بن المرشد بن على المعروف بابن الفارض . تقدمت وفاته سنة ٦٣٢ هـ .

(٥) هو محيى الدين أبو بكر محمد بن على بن محمد المعروف بابن العربى الطائى الحاتمى . تقدمت وفاته سنة ٦٣٨ هـ .

ومَن عَرَف هؤلاء الباطنيّـة عَذَرنى أو هو زِنْدِيق مُبْطِنٌ للاتّحاد يذُبُّ عن الاتّحاديّة والحُلوليّة، ومَن لم يعرفهم فالله يُثيبه على حسن قصده. ثم قال بعد كلام طويل: وآشتهر عنه (يعنى عن آبن سبعين هذا) أنّه قال: لقد تحجّر آبن آمنة واسعًا بقوله: "لانَبيّ بَعْدِى". ثم ساق الذهبيّ أيضا من جنس هذه المقولة أشياء أضربتُ عنها إجلالًا فى حقّ الله ورسوله لا لأجل هذا النَّجس.

قلتُ: إن صحّ عنه ما نقله الحافظ الذهبيّ وهو حجّـة فى نقله فهو كافرٌ زنديق مارقٌ من الدين مطرودٌ من رحمة الله تعالى. انتهى. والرُّقُوطِيّ نسبة إلى حصن من عمل مُرْسِيَة يقال له رُقُوطة.

وفيهـا توفى الأمير شرف الدين أبو محمد عيسى بن محمد بن أبى القاسم بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كامل الكُرْدِيّ الهَكَّارِى، كان أحد أعيان الأمراء سمع الحديث وحدّث، ومولده سـنة ثلاث وتسـعين وخمسمائة بالقُـدْس، وكان أحد الأمراء المشهورين بالشجاعة والإقدام وله وقائعُ معدودةٌ ومواقفُ مشهورةٌ مع العدوّ بأرض الساحل، ولى الأعمال الجليلة وقدّمه الملك الظاهر بِيبَرْس على العساكر فى الحروب غيرَ مرّة، ومات بدمشـق فى شهر ربيع الآخر. ومن شعره ممـا كتبه للوزير شرف الدين بن المبارك وزير إِرْبِل:

أأحبابَنا إن غِبتُ عنكم وكان لى * إلى غير مَغْنـا كم مراحٌ وَإِيْنَاسُ
فما عن رِضًا كانت سُـلَيْمَى بديلةً * بلَيْـلَى ولكن للضرورات أحكامُ

وفيها تُوفّى محمد بن عبد المنعم بن نصر [الله](1) بن جعفر بن أحمـد بن حَوَارَى الفقيه الأديب أبو المكارم تاج الدين التَّنُوخى المَعَرِّى الأصل الحنفيّ الدّمشقى المولد

(١) تكملة عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافى وعيون التواريخ والجواهر المضية فى طبقات الحنفية.

والدار والوفاة المعروف بابن شُقَيْر . وُلِد سنة ست (١) وستمائة وسمع وحدّث بدمشق والقاهرة، وكان فقيها محدّثا فاضلا بارعا أديبا وعنده رياسة ومكارم ودَمَاثة أخلاق وحسن محاضرة، وهو معدودٌ من شعراء الملك النـاصر [صلاح (٢) الدين يوسف بن العزيز] ومات فى صفر . ومن شعره :

قد أقبل الصيفُ وولّى الشّتا * وعن قريب نشتكى الحَرّا
أما ترى البانَ بأغصانِه * قـد قَلَب الفَـرْوَ إلى بَـرّا

وقال، رحمه الله :

واحَيْرَةَ القمـرين منه إذا بدا * وإذا انثنى واخجلةَ الأغصـانِ
كتبَ الجمالُ ويالَهُ من كاتبٍ * سطرين فى خَدّيه بالرَّيحانِ

قلتُ : ويعجبنى قول ابن المعتز (٣) فى هذا المعنى وقد أبدع فى التشبيه فقال :

كأنّ خَطّ عِذارٍ شقَّ عارضـه * مَيْـدان آسٍ على ورد ونِسْرينِ
وخطّ فوق حِجاب الدر شاربُه * بنصف صادٍ ودار الصُّدْغُ كالنونِ

ولمحمد بن يوسف [بن عبد الله المعروف با (٤)] لخيّاط الدّمشقى فى معنى العِذار :

عِــذارُ حِبّى دقيــقُ معنًى * تَجِـلُّ عن حسنه الصفـاتُ
حـلا لرائيـه وهـو نبتٌ * هــذا هــو السكّر النّبـاتُ

---

(١) فى الأصلين : « ولد سنة سبع وستمائة » . والتصحيح عن المنهل الصافى وتاريخ الإسلام وعيون التواريخ والجواهر المضية فى طبقات الحنفية . (٢) زيادة عن المصادر المتقدمة .

(٣) هو أمير المؤمنين أبو العباس عبد الله ابن الخليفة المعتز بالله محمد ابن الخليفة المتوكل على الله جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة هارون الرشيد . تقدمت وفاته سنة ٢٩٦ هـ

(٤) زيادة عن المنهل الصافى وما سيذكره المؤلف فى وفاته سنة ٧٥٦ هـ

ولابن نُباتة[1] :

وبمُهجتى رَشَأُيميس قَـوَامُه * فكأنّه نَشوانُ من شَــفَتَيْهِ
شُغِف العِذارُ بخدّه ورآه قد * نَعَسَتْ لواحظُه فدبّ عليـه

والصَّفَدىّ[2] :

عيناه قد شَهِدتْ بأنّى مخطئٌ * وأَتَت تَخُطّ عِذاره تذكارَا
ياحاكمَ الحُبّ آتّئِـدْ فى قِتْلتِى * فالخطُّ زورٌ والشهودُ سُكَارَى

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها توفّى الشيخ حسن ابن أبى عبد الله بن صَدَقة الصَّقَلّىّ القرمىّ فى شهر ربيع الأوّل وقد نيّف على سبعين . وشيخُ السَّبْعِينيّة[3] قطب الدين عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين الـ... فى شوّال، وله خمس وخمسون سنة . ومجد الدين محمد بن إسماعيل بن عثمان آبن مظفّر[4] بن هبة الله بن عساكر فى ذى القعدة . وقاضى حَماة شمس الدين إبراهيم آبن المسلم بن البارزىّ فى شعبان، وله تسع[5] وثمانون سنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ست أذرع وإحدى وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وآثنتا عشرة إصبعا .

*
* *

السنة الثانية عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، وهى سنة سبعين وستمائة .

---

(١) هو جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن صالح بن على بن يحيى بن طاهر بن محمد ابن الخطيب أبى يحيى عبد الرحيم بن نباتة الفارقى الأصل المصرى المولد والدار المعروف بابن نباتة . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٦٨ هـ . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٧٣ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٣) السبعينية : مريدوه وأتباعه (عن المنهل الصافى) . (٤) فى المنهل الصافى : « عثمان بن أبى المظفر هبة الله » (٥) فى الأصلين : « وله إحدى وثمانون سنة » وتصحيحه عن شذرات الذهب والمنهل الصافى وتاريخ الإسلام .

فيهـا تُوفّى الملك الأمجـد مجد الدين أبو محمـد الحسن آبن الملك الناصر داود ابن الملك المعظّم عيسى آبن الملك العادل أبى بكر بن أيُّوب ، كان الملك الأمجد هذا من الفضلاء وعنده مشاركةٌ جيّدة فى كثير من العلوم ، وله معرفةٌ تامّة بالأدب .

وفيها تُوفّى الشيخ عِماد الدين عبد الرحيم بن عبدالرحيم بن عبد الرحيم (١) بن عبد الرحمن آبن الحسن بن عبـد الرحمن بن طاهر بن محمد بن محمد بن الحسين الحَلَبِىّ الشافعىّ المعروف بآبن العَجَمِىّ ، كان فاضلا سمع الحديث وتفقّه وحدّث ودرّس وتولّى الحكم بمدينة الفَيُّوم (٢) من أعمال مصر وغيرها وناب فى الحكم بدمشق ، وكان مشكور السِّيرة . ومات بحلب فى رابع (٣) عشر شهر رمضان . ومولده فى سـنة خمس وستمائة بحلب .

وفيها تُوفّى الأديب أمين (٤) الدين علىّ بن عثمان (٥) بن علىّ بن سليمان بن علىّ بن سليمان آبن علىّ أبو الحسن (٦) المعروف بأمين الدين السُّلَيْمانِىّ الصوفى الإرْبِلِىّ الشاعر المشهور ، ولد سنة آثنتين (٧) وستمائة . ومات بمدينة الفَيُّوم من أعمال مصر فى جُمادى الأولى ، وكان فاضـلًا مقتدرًا على النظم ، وهو من أعيان شـعراء الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام ، وكان أوّلا جنـديًّا ثم ترك ذلك وتزهّد . ومن شعره وقد أرسل إلى بعض الرؤساء هديّة فقال :

---

(١) فى الأصلين . «عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم» . وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ وهما المصدران اللذان ترجما له من المصادر التى تحت يدنا . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٥٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٣) فى عيون التواريخ وتاريخ الإسـلام : «فى رابع رمضان» . (٤) فى الأصلين : «أمين الدولة» . وتصحيحه عن تاريخ الإسـلام وعيون التواريخ والمنهل الصافى والسلوك .

(٥) فى الأصلين : «على بن عماد بن على» . والتصويب عن المصادر المتقدّمة وعقد الجمان .

(٦) فى الأصلين : «أبو الحسين» . وتصحيحه عن المنهل الصافى وعقد الجمان والسلوك .

(٧) كذا فى الأصلين وعيون التواريخ . وفى المنهل الصافى : «ولد سنة ثلاث وستمائة» .

هـديّةُ عَبْـدٍ مخلص في وَلائه * لها شاهدٌ منهـا على عدم المـالِ
وليستْ على قدري ولا قدر مالكي * ولكنّهـا جاءت على قَـدَر الحـالِ

وقال رحمه الله :

ألا فآحفظ لسـانك فهـــو خيرٌ * وطـرفَك وآستمع نُصْحِي ووعظي
فـربّ عـــداوةٍ حصلتْ بلفظٍ * وربّ صبـابةٍ حصلتْ بلَحْظِ

وفيهـا تُوفّى الرئيس الصدر عماد الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن الحسن بن محمد بن الحسن بن أحمد[1] بن الحسين بن صَصْرَى التَّغْلَبيّ[2]، البَلَدِيّ[3] الأصل الدِّمشقي المولد والدار والوفاة العـدل الكبير، مولده سـنة ثمـانٍ وتسعين وخمسمائة وسمِـع الكثير وحدّث ، وكان شيخا جليلا من بيت العلم والحديث، وقد حدّث هو وأبوه وجدّه وجدّ أبيه وجدّ جدّه وغير واحد من بيته . ومات في ذي القعدة .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي العلّامة الكمال سَلّار بن الحسن الإِرْبِليّ الشـافعيّ في جُمـادى الآخرة، ومُعين الدين أحمـد آبن القـاضي زَيْن الدين[4] عليّ بن يوسف الدمشقيّ العدل بمصر في رجب . والإمام جمال الدين عبد الرحمن بن سَلْمان[5] الحَرّانيّ[6] البغداديّ الحنبليّ في شعبان، وله خمس وثمانون سنة. والقاضي عماد الدين أبو عبد الله محمـد بن سالم بن الحسن بن هبة الله الدِّمشقي آبن

(١) « أحمد بن الحسين » . هذان الجدان غير موجودين في أحد الأصلين ولا في المصادر التي تحت يدنا . (٢) في الأصلين : « الرسعني » وما أثبتناه عن السلوك وتاريخ الإسلام وما تقدم ذكره في وفاة أبي القـاسم الحسن بن هبة الله بن محفوظ أحد أجداده سنة ٦٢٦ هـ . (٣) البلدي : نسـبة الى بلد الحطب بقرب الموصـل (عن لب اللبـاب) . (٤) في أحد الأصلين : « كمال الدين » والتصحيح عن الأصل الآخر وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبي .
(٥) في الأصلين : « ابن سليمان » والتصحيح عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب .
(٦) في تاريخ الإسلام : « البغيدادي » .

صَصْرَى فى ذى القعدة. والملك الأمجد السيد الجليل حسن ابن الناصر داود صاحب الكرك فى جمادى الأولى كهلا. والصدر وجيه الدين محمد بن على [بن أبى طالب](1) ابن سُوَيْد التكريتى التاجر فى ذى القعدة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم سبع أذرع وإصبعان . مبلغ الزيادة ثمـانى عشرة ذراعا وإحدى عشرة إصبعا .

السنة الثالثة عشرة من ولاية الملك الظـاهر بيبرس على مصر، وهى سنة إحدى وسبعين وستمائة .

فيها توفى الأديب الفاضل مُخْلِص الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن هبة الله ابن أحمد بن قُرْناص الخُزَاعِى(2) الحَمَوِىّ الشاعر المشهور، كان أديبًا فاضلا وله اليـد الطُّولَى فى النظم، ومات بحَمَاة يوم الأحد رابع شوّال . ومن شعره :

لَيْــلِى ولَيْلُكِ يا سُؤْلِى ويا أملى * ضِــدان هــذا به طُولٌ وذا قِصَرُ
وذاك أنّ جفونى لا يُلِمّ بهـا * نومٌ وجَفْنُــك لا يَحْظَى به السَّهَرُ

قلت : وهذا يشبه قول القائل(3) وما أدرى أيهما أسبق إلى هذا المعنى وهو :

لَيْلِى ولَيْــلَى نَفَى نومى اختلافُهما * بالطُّولِ والطُّوْل ياطُوبَى لو اعتدلا
يجودُ بالطُّول لَيْــلِى كلَّمـا بَخِلَتْ * بالطُّوْل لَيْـلَى وإن جادت به بَخِلا

(1) تكملة عن عقد الجمان وتاريخ الإسلام. (2) لم تذكر الكتب التى ترجمت له هذه النسبة .

(3) تقدم ذكر هذين البيتين فى موضعين : فى الجزء الخامس ص ٢٠٣ ، والجزء السادس ص ١٩٥ من هذه الطبعة . وذكر المؤلف أنهما من قول الفضل بن عبد القاهر جدّ محمود بن على بن المهنا بن أبى المكارم وهو أقدم من هذا الشاعر فقد توفى سنة ٥٠٥ ه .

وفيها تُوفّى الشريف شرف الدين أبو عبد الله محمد بن رِضْوان بن علىّ بن أبى المظفّر بن أبى العَتَاهِيَة المعروف بالشريف الناسخ . مات بِدَمَشق فى شهر ربيع الآخر، وكان من الفضلاء وله مشاركةٌ فى كثير من العلوم وله اليد الطُّولَى فى النظم والنثر . ومن شعره :

عانقتُه عند الوَدَاع وقد جرتْ * عَيْنِى دموعًا كالنَّجيع القَانِى
ورجعتُ عنه وطرفُه فى فَتْرة * يُمْلِى علىّ مقاتلَ الفُرْسانِ

قلت : وما أحسن قول القاضى ناصح الدين الأَرّجانىّ (1) فى هذا المعنى :

إذا رأيتَ الوداع فآصبِر * ولا يَهُمَّنْك البِعادُ
وآنتظِر العَوْد عن قريبٍ * فإنّ قلبَ الوداع عادوا

وأجاد أيضا من قال فى هذا المعنى :

فإنْ سِرتُ بالجُثمان عنكم فإنّنى * أُخَلّف قلبى عندكم وأسيرُ
فكونوا عليه مُشفقين فإنّهُ * رَهِينٌ لديكم فى الهوى وأسيرُ

وفيها تُوفّى المحدّث شرف الدين أبو المظفّر يوسف بن الحسن بن بَدْر بن الحسن ابن مفرّج بن بَكّار النّابُلُسى الأصل الدِّمَشْقىّ المولد والدار والمنشأ والوفاة المحدّث المشهور ، كان فاضلًا وسمع الكثير وحدّث ، وكانت لديه فضيلةٌ ومشاركةٌ ومعرفةٌ بالأدب . ومن شعره :

عَرِّج بعِيسك وآحْبِس أيّها الحادِى * عند الكَثِيب وعرِّسْ يَمْنَةَ الوادِى .

---

(1) فى الأصلين هنا : «ناصر الدين» والتصويب عن ابن خلكان وما تقدم ذكره للمؤلف فى حوادث سنة ٥٤٤ هـ . وهو القاضى الإمام الأديب العلامة ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرجانى قاضى تستر . توفى فى السنة المذكورة .

وٱقْرَ السّـــلام على سُـــكّان كاظمةٍ * مِنّى وعرِّض بتَهْيَامِى وتَسْهَـــادِى
وقُل مُحِبٌّ بنارالشَّـوْق مُحـــتَرِقٌ * أودَى به الوَجْدُ خلّفنـــاه بالنّادِى (١)

الذين ذكرالذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى الحافظ شرف الدين أبو المظفّر يوسف بن الحسن بن النابُلُسى الدِّمَشْقىّ فى المحرّم . وخطيب المِقياس (٢) أبو الفتح عبد الهـــادى بن عبـــد الكريم القَيْسىّ المقرئ ، وله أربع وتسعون ســـنة فى شـــعبان . والمحدّث شمس الدين محمد بن عبـــد المنعم بن عمّار بن هامل الحَرّانىّ (٣) فى رمضان . وأبو العبّاس أحمـــد بن هبة الله بن أحمد السُّلَمِىّ الكَهْفِى (٤) فى رجب . وصاحب « التعجيز » (٥) الإمام تاج الدين أبو القـــاسم عبد الرحيم بن محمـــد ٱبنُ يونس (٦) المَوْصِلِىّ فى جُمادى الأولى ببغداد، وله ثلاث وسبعون سنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـــاء القديم سبع أذرع و إحدى عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا .



السنة الرابعة عشرة من ولاية الملك الظاهر بِيبَرْس على مصر، وهى ســـنة أثنتين وسبعين وستمائة .

---

(١) فى الأصلين : « خلفناه بالوادى » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان .
(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٣) كذا فى الأصلين والمنهل الصافى وعيون التواريخ وشذرات الذهب وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ وذيل مرآة الزمان . وفى تاريخ الإسلام : « ابن كاهل » . (٤) فى الأصلين : « اللهفى » . والتصحيح عن شذرات الذهب وتاريخ الإســـلام . والكهفى : نسبة إلى كهف جبل قاسيون ، وراجع الحاشية رقم ١ ص ٢٤٦ من الجزء الرابع من هـــذه الطبعة . (٥) هو التعجيز فى مختصر الوجيز فى فروع الشافعية كما فى كشف الظنون . (٦) فى الأصلين : « ابن يوسف » . والتصحيح عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ وشذرات الذهب وعقد الجمان وكشف الظنون وذيل مرآة الزمان .

فيها ملك الملك الظاهر بيبرس برقة[1] بعد حروب كثيرة .

وفيها توفّي الصاحب محيي الدين أحمد بن عليّ بن محمد بن سليم الصاحب محيي الدين أبو العباس ابن الصاحب بهاء الدين[2] بن حنّا في ثامن شعبان بمصر ودُفن بسفح المقطّم ، ووجد عليه والده وَجْدًا شديدا ، وعُملت له الأعزية والختم ، وكان فاضلا وسمع من جماعة وحدّث ودرّس بمدرسة[3] والده التي أنشأها بزقاق القناديل بمصر إلى حين وفاته .

وفيها توفّي المحدّث مؤيّد الدين أبو المعالي أسعد بن المظفّر بن أسعد بن حمزة بن أسد بن عليّ بن محمد التميميّ المعروف بابن القَلانسيّ ، مولده بدمشق سنة ثمان أو تسع وتسعين وخمسمائة ، وسمع الكثير وحدّث بدمشق ومصر ، وهو من البيوتات

---

(١) وصف برقة ياقوت واليعقوبي وابن دقاق بأنها صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية (تونس) أى ساحل طرابلس . ووصفها أحد كتّاب الافرنج بأنها نوع جزيرة صخرية واقعة بين البحر الأبيض المتوسط من خليج بومبي إلى سدرة العظمى . وغور عظيم يختلف ارتفاع أرضه عن سطح البحر بين مترين إلى ثلاثة أمتار ، وقد يزيد ارتفاع الجبل الأخضر المحاذى للشط عن ألف متر . ومن محصولاتها الزراعية الحبوب بأنواعها كالقمح والشعير ، وتكثر بها المراعى فيجود الضأن والماعز والبقر . وبها أشجار الفاكهة المختلفة خصوصا التي تغرس في البلاد الحارة كالنخيل والموز . ومن أشهر مدنها ثغر بنى غازى ، وعدد سكانه أكثر من ثلاثين ألفا .

وكانت طرابلس بما فيها برقة تابعة لقرطاجنة ثم للروم . وفي القرن السابع آلت للعرب . وفي سنة ١١٤٦م صارت تابعة لملوك نابلى بإيطاليا ، ثم احتلها الأسبان سنة ١٧١٤ م ثم امتلكها الترك الى سنة ١٩١١ م ثم احتلتها إيطاليا ، ثم تملكتها بعد حروب طويلة بين الترك والعرب وهى الآن ضمن أملاكها (عن الحبيان لرأفت بك ص ٣٤٩ وقاموس الأمكنة لعلى بك بهجت ص ٥٠) .

(٢) في الأصلين : « تاج الدين » . وتصحيحه عما تقدّم ذكره للؤلف غير مرة والذيل على مرآة الزمان وتاريخ الإسلام وشذرات الذهب . (٣) هى مدرسة الصاحب بهاء الدين بن حنا . ويستفاد مما ذكره المقريزى عند الكلام على المدرسة الصاحبية البهائية في ص ٣٧٠ ج ٢ من خططه أن هذه المدرسة قد اندثرت ولم يبق لها أثر من سنة ٨١٧هـ . وأما زقاق القناديل الذى كانت به المدرسة فقد كان واقعا في الجهة الشرقية من جامع عمرو بمصر القديمة ، وسمى زقاق القناديل لأنه كان سكن الأشراف وكانت أبواب الدور يعلق على كل واحد منها قنديل . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

المشهورة بالحديث والعدالة والتقدّم . ومات فى ثالث [عشر](١) المحرّم ببستانه ظاهر دمشق، وكان وافر الحُرْمة متأهِّلا للوزارة كثير الأملاك واسع الصدر

وفيها تُوفّى الأمير فارس الدين أُقْطاى بن عبد الله الأَتَابَكىّ المعروف بالمُسْتَعْرِب الصالِحىّ النجمىّ ، كان من أكابر الأمراء وأعيانهم ، وكان الملك المظفّر قُطُزْ قرّبه وجعله أتابكا وعلّق جميع أمور المملكة به . فلمّا تسلطن الملك الظاهر قام معه وحلَف له وسلطنه فلم يَسَع الملك الظاهر إلّا أن أبقاه على حاله ، وصار الظاهر فى الباطن يتبرّم منه ولا يَسَعُه إلّا تعظيمه لعدم وجود مَن يقوم مقامه ، فإنّه كان من رجال الدهر حزمًا وعزمًا ورأيًا ، فلمّا أنشأ الملك الظاهر بيليك الخازِندار أمَره بملازمته والاقتباس منه فلازمه مدّة ، فلمّا علِم الظاهر منه الاستقلال جعله مشاركا له فى الجيش ، وقطَع الرواتب التى كانت لأُقْطاى المذكور؛ فجمع أقطاى نفسه وتعلّل قريب السنة وصارَ يَتَدَاوَى إلى أن مات ، وكان أظهَر أن به طَرَف(٢) جُذَام ولم يكن به شىء من ذلك ، رحمه الله تعالى .

وفيها تُوُفّى مجاهد(٣) بن سليمان بن مُرْهَف بن أبى الفتح التَّميمىّ المصرىّ الخياط الشاعر المشهور ، وكان يُعرف بابن أبى الربيع . مات فى جُمادى الآخرة بالقرافة الكبرى ، وكان بها سَكَنُه وبها دُفِن ، وكان فاضلًا أديبًا . ومن شعره فى أبى الحسين الجَزّار وكان بينهما مُهاجاة :

(١) الزيادة عن تاريخ الإسلام والذيل على مرآة الزمان . (٢) فى الأصلين : « أظهر أن به عرق جذام » . وما أثبتناه عن المنهل الصافى والذيل على مرآة الزمان وشذرات الذهب ، وما يفهم من عبارة تاريخ الإسلام . (٣) فى أحد الأصلين : « مجاهد الدين » . وما أثبتناه عن الأصل الآخر وذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ وفوات الوفيات .

أبا الحُسين تأدّبْ * ما الفخرُ بالشّعر فخرُ
وما ترشّحتَ (١) منه * بقطرةٍ وهو بحرُ

وفيه يقول أيضا :

إنْ تاه جزاركم عليكمْ * بفِطْنةٍ عنده وكَيْس
فليس يرجوه غيرُ كَلْبٍ * وليس يخشاه غيرُ تَيْس

ومن شعره قوله : لُغز في إبرة وكُشْتبان :

ثلاثةٌ في أمر خَصْمَين * إلفَين لكن غير إلفين
هما قريبان وإن فرّقت * بينهما الأيام فُرْقَتَيْن
فواحدٌ يَعْضُده واحدٌ (٢) * ويُعْضَدُ الآخرُ باثنين
تراهما بينهما وقعة * إذْ تقع العين على العين

وفيها تُوُفّى الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن سليمان [بن محمد (٣) بن سليمان] بن عبد الملك بن علىّ المَعَافِرىّ الشاطبيّ المقرئ الزاهد نزيل الإسكندرية ، قرأ بالسّبع في الأَنْدَلُس وبَرَع في القراءات والتفسير وله تفسير صغير . ومات في العشرين من شهر رمضان ، وله سبع وثمانون سَنة .

وفيها تُوفّى الشيخ الإمام العلّامة فريدُ عصره جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله [بن عبدالله (٤)] بن مالك النحوىّ الجَيّانِيّ (٥) الشافعيّ الطائيّ العالم المشهور

(١) كذا في الأصلين والذيل على مرآة الزمان . ورواية المنهل الصافي وفوات الوفيات :
* وما تبللت منه *
(٢) رواية هذا البيت في الأصلين :
وواحد بعضه واحد * وبعض الآخر اثنين
وما أثبتناه عن الذيل على مرآة الزمان . (٣) التكملة عن غاية النهاية وتاريخ الإسلام .
(٤) التكملة عن المصدر بن المتقدمين والمشتبه . (٥) الجياني : نسبة إلى جيان : بلد بالأندلس .

صاحب التصانيف فى النحو والعربيّة نزيل دِمَشْق مولده سنة إحدى وستمائة ، وسَمِع الحديث وتصدّر بحلب لإقراء العربيّة ، وصَرف همّته إلى النحو حتى بلَغ فيه الغايه ، وصنّف التصانيف المفيدة ، وكان إمامًا فى القراءات ، وصنّف فيهـا أيضا قصيدة مرموزة فى مقدار الشاطبيّة ، وكان إمامًا فى اللّغة .

قلت : وشهرته تُغْنِى عن الإطناب فى ذكره . ومات فى ثانى عشر شعبان وقد نيّف على السبعين ، رحمه الله تعالى .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفّى مؤيّد الدين أسعد ابن المظفر التّميمىّ ابن القَلانِسىّ عن ثلاث وسبعين سنة فى المحرم . والشيخ نجيب الدين عبد اللطيف بن أبى محمد عبد المنعم [بن علىّ(١) بن نصر بن منصور بن هبة الله أبو الفرج ابن الإمام الواعظ أبى محمد] بن الصُّيقل الحرانىّ فى صفر ، وله ثمان وثمانون سنة . والمسند تقىّ الدين إسماعيل بن إبراهيم بن أبى اليُسْر [شاكر بن عبد الله(٢)] التَّنُوخىّ الكاتب فى صفر ، وله ثلاث وثمانون سنة . وأبو عيسى عبد الله بن عبد الواحد ابن محمد [بن عبد الواحد](٣) بن عَلّاق(٤) الأنصارىّ الرزاز فى شهر ربيع الأوّل عن ستّ وثمانين سنة . والقاضى كمال الدين عمر بن بُنْدار التّفليسىّ بمصر فى شهر ربيع الأوّل وقد جاوز السبعين . والمحدّث نجم الدين علىّ بن عبد الكافى الرَّبَعِىّ الشافعىّ فى شهر ربيع الآخر شابّا . والشيخ كمال الدين عبد العزيز بن عبد المنعم فى شعبان عن ثلاث وثمـانين سنة . والعلّامة جمال الدين محمد بن عبد الله [بن عبد الله] بن مالك الطائى الجَيّانىّ فى شعبان عن نحو سـبعين سنة . والأمير الكبير أتَابَك المُسْتَعْرِب ، واسمه

---

(١) زيادة عن تاريخ الإسلام وذيل مرآة الزمان . (٢) زيادة عن المصدرين المتقدمين وشذرات الذهب . (٣) تكملة عن تاريخ الإسلام والسلوك (ص [illegible]) .

(٤) فى الأصلين : « الرّدّاد » . وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب .

فارس الدين أَقْطاى الصالحىّ، وقد ولِى نيابة المظفر قُطُز؛ توفى فى جمادى الأولى. والزاهد الكبير الشيخ محمد بن سليمان [بن محمد بن سليمان] الشاطبىّ بالإسكندرية[1] وخواجا [محمد بن محمد بن الحسن أبو عبد الله] نصير [الدين][1] الطُّوسىّ فى ذى الحجة.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستّ أذرع وإحدى وعشرون إصبعا، مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وست أصابع.

* * *

السنة الخامسة عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبَرْس على مصر، وهى سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

فيها كانت أعجوبة فى السابع والعشرين من شعبان وهو أنّه وقع رمل بمدينة المَوْصِل طبق من القِبْلة وآستمر يمينًا وشمالا حتى ملأ الآفاق وعُمِّيت الطّرق؛ فخرج العالم إلى ظاهر البلد، ولم يزالوا يبتهلون إلى الله تعالى ويدعونه إلى أن كشف الله ذلك عنهم.

وفيها توُفِّى الأمير شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن موسى بن يَغْمور بن جَلْدَك، وقد تقدّم ذكر والده الأمير جمال الدين موسى. كان شهاب الدين هذا [illegible] شجاعة والشهامة والصَّرامة والحرمة، وولاه الملك الظاهر المحلّة وعمله من العربيّة من إقليم مصر، فهذّبها ومهّد قواعدها وأباد المفسدين بها بحيث إنّه قطع من الأيدى والأرجل مالا يُحْصَى كثرةً، وشنق ووسّط وخافه البرىء والسقيم، ومات بالمحلّة فى الرابع والعشرين

من جُمادى الأولى، وكان عنده رياسة وحِشْمَة وبِرّلمن يَقْصِده، وله نظمٌ وعنده فضيلة. ومن شعره يُخاطب الأمير علم الدين الدّوَادَارى [١] :

إنْ صـدَدتم عن منزلى فلكم فـ يـ * ـه ثنـاءٌ كنَشْر رَوْض بهىّ
أو رددتُم فأنا المحبُّ الذى من * آل موسى فى الجانب الغربىّ

وله :

خَطْبٌ أتى مُسرعًا فآذَى * أصبح جسمى به جداذا
خَضّـد [٢] قلبى وعمّ غيرى * يا ليتنى مِتُّ قبل هـذا

وله فى مَليح نحوىّ :

ومليح تعلّمَ النحو يَحْكِى * مشكلاتٍ له بلفظٍ وَجيزِ
ما تميزتُ حسنَه قطّ إلّا * قام أيْرِى نصبًا على التمييزِ

وفيهـا هلك بِيمُنْد الفرنجىّ متملّك طرابُلُس بها فى العشر الأوّل من شهر رمضان ودُفِن فى كنيسة بها، وتملّك بعده آبنه، وكان حسن الشكل مليح الصورة.

وفيها تُوُفّى الشيخ الإمام أبو محمد شمس الدين عبد الله آبن شرف الدين محمد بن عطاء الأَذْرَعىّ [٣] الأصل الدِّمَشقىّ الوفاة الحنفىّ، كان إماما فقيها مفتيًا عالمـا مُفْتَنًّا، أفتى ودرّس بعـدّة مدارس، وهو أوّل قاضٍ ولى القضاء آسـتقلالا بدمشق من الحنفيّة فى العصر الثانى. وأمّا أوّل الزمان فوليها جماعة كثيرة من العلمـاء فى أوائل الدولة العبّاسيّة. وحسُنت سِيرتُه فى القضاء إلى الغاية؛ وقصّته مع الملك الظاهر بِيبرس مشهورة لمّـا أوقع الظاهر الحَوطة على الأملاك والبساتين بدمشق، وقعـد

(١) عبارة الذيل على مرآة الز[مان] وعيون التواريخ: «وقال يخاطب صاحبا له ورد عليـه من الإسكندرية الى المحلة». (٢) فى الأصلين: «خضض». (٣) فى الأصلين: «البعلبكى». وما أثبتناه عن الجواهر المضية فى طبقات الحنفية وتاريخ الاسـلام وشـذرات الذهب والمنهل الصافى وعقد الجمان والسلوك.

الظاهر فى دار العدل بدمَشق وجرى الحديث فى هذا المعنى بحضور القضاة الأربعة والعلماء وغيرهم ، فكلٌّ من القضاة ألآن له القول وخَشِىَ سَطْوة الملك الظاهر إلّا شمس الدين هذا ، فإنّه صدَع بالحقّ وقال : ما يَحِلُّ لمسلم أن يتعرّض لهذه الأملاك والبساتين ! فإنّها بيد أربابها ويدُهم ثابتةٌ عليها . فغَضِب الملك الظاهر من هذا القول وقام من دار العدل وقال : إذا كُنّا ما نحن مسلمون إيش قعودنا ! فشرَع الأمراء يتألّفوه[1] ولا زالوا به حتى سكن غضبُه ؛ فلمّا رأى الظاهر صلابة دينه حَظِى عنده وقال : أثبتوا كتبنا عند هذا القاضى الحنفىّ وعظُم فى عينه وهابه . وكان من العلماء الأعيان تامّ الفضيلة وافر الديانة كريم الأخلاق حَسَن العِشرة كثير التواضع عديم النظير ، وآنتفع بعلمه جمّ غفير ، رحمه الله تعالى .

وفيها تُوُفّى الشيخ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد آبن محمد التَّكْرِيتىّ الجدّ ، المَوْصِلىّ الأب ، الدمشقىّ المولد ، الحلىّ الوفاة المعروف بابن الطّحان الشهير بالحافظ اليَغْمُورِىّ ، كان فاضلا سمع الكثير بعدّة بلاد ، وكان له مشاركة فى فنون ، وكان أديبًا شاعرًا . ومن شعره :

رجَع الودُّ على رَغْم الأعادى * وأتى الوصلُ على وَفْق مرادى
ما على الأيام ذنبٌ بعد ما * كفّر القربُ إساءات البِعاد

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها توفى الحافظ وجيه الدين أبو المظفّر منصور بن سليم الهَمْدانِى[2] بالإسكندريّة فى شوّال . وقاضى القضاة

(١) فى المنهل الصافى وتاريخ الإسلام : « فشرع الأمراء فى التلطف ... الخ » .
(٢) فى الأصلين . « الهدبانى » . والتصحيح عن الذيل على مرآة الزمان وتاريخ الإسلام وعقد الجمان . والهمدانى « بسكون الميم » : نسبة الى القبيلة المشهورة ؛ كما فى شذرات الذهب .

شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطاء الحنفىّ فى جمادى الأولى وهو فى عشر الثمانين.
وأبو الفتح عمر بن يعقوب الإربلىّ الصوفىّ فى يوم النحر.

§ أمر النيل فى هذه السنة المباركة — الماء القديم خمس أذرع وأربع أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث أصابع.

*
* *

السنة السادسة عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، وهى سنة أربع وسبعين وستمائة.

فيها توفّى الأمير عزّ الدين أبو محمد أيبك بن عبد الله الإسكندرانى الصالحىّ النجمىّ، كان أستاذه الملك الصالح نجم أيوب يثق به ويعتمد عليه ورتّبه أتابك، وجعل عنده جماعة كثيرة من خواصّه: منهم الأمير عزّ الدين أيبك الحلّى، والأمير سنجر الحِمْصىّ(١)، والأمير أيبك الزرّاد؛ وكان عنده كفاية وخبرة تامّة وصرامة شديدة ومهابة عظيمة يُقيم الحدود على ما يجب، ثم نُقل فى عدّة وظائف إلى أن مات فى شهر رمضان بقلعة الرَّحْبة(٢) ودُفن بظاهرها.

وفيها توفّى الحسن بن على بن الحسن بن ماهان(٣) [illegible] أبو محمد فخر الدين الحُسَيْنى نقيب الأشراف وابن نقيبهم، مولده سنة ثمان وستمائة [illegible] تاسع شهر ربيع الأول [illegible] بأنساب العلويين [illegible] ونظم نظما متوسّطا وكان مؤثرا للأمراء.

(١) فى الأصلين: «الحلبى». وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان. وهو الأمير علم الدين سنجر الحمصى كان من أمراء الألوف، وكان فى وقت نائب السلطنة [illegible] ومات فى هذه السنة (عن الوافى بالوفيات للصفدى). (٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٢ من الجزء السادس من هذه الطبعة.
(٣) فى الذيل على مرآة الزمان: «ماهان».

وفيها توفّى الأمير الكبير ركن الدين خاص ترك بن عبد الله الصالحيّ النجميّ، وكان شجاعا مِقداما مقدّما عند الملوك . مات فى شهر ربيع الأوّل بدمشق .

وفيها توفى الشيخ زَيْن الدين أبو المظفّر عبد الملك بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن الحسن بن عبد الرحمن بن طاهر الحلبيّ الشافعيّ المعروف بآبن العَجَميّ، مولده بحلب سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ، وسمع الحديث وحدّث، وكان شيخا فاضلا . مات فى ذى القعدة بالقاهرة ، ودُفن بسفح المقطّم وهو خال قاضى القضاة كمال الدين[1] أحمد بن الأستاذ .

وفيها توفّى الشيخ بهاء الدين[2] أبو عبد الله محمد بن عُبَيْد الله[3] [بن جبريل] كان صَدْرًا كبيرا عالما فاضلا شاعرا . مات بالقاهرة ودُفن بالقرافة وهو فى عشر الستين . ومن شعره رحمه الله تعالى :

ولقد شكوتُ لمُتلفى * حالى ونمّقتُ العباره
فكأنّنى أشكو إلى * حَجَرٍ وإنّ من الحجارهْ

وله :

يا راحلًا قد كنتُ أقضى بعدَه * أسفًا وأحشائى عليه تَقَطَّعُ
شطَّ المَزَارُ فما القلوب سواكنٌ * لكنّ دمعَ العين بعدَك يَتْبَعُ

وفيها تُوُفّى الشيخ الإمام تاج الدين أبو الثناء محمود بن عابد[4] بن الحسين بن محمد [بن][5] الحسين بن جعفر بن عمارة بن يحيى بن علىّ بن عمارة التميمى الصَّرْخَدىّ

(١) هو كمال الدين أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الأستاذ الشافعى المعروف بابن الأستاذ . تقدمت وفاته سنة ٦٦٢ هـ . (٢) كذا فى الأصلين وذيل مرآة الزمان . وفى المنهل الصافى وتاريخ الإسلام والسلوك : «زين الدين» . (٣) زيادة عن تاريخ الإسلام وذيل مرآة الزمان والمنهل الصافى وعيون التواريخ . (٤) فى الأصلين : «ابن عابد» بالباء الموحدة من الحروف ، وهو تصحيف . وتصحيحه عن عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان والمنهل الصافى وشذرات الذهب والدليل الشافى . (٥) التكملة عن الدليل على مرآة الزمان .

الحنفىّ، مولدُه ســنة ثمانٍ وسـبعين وخمسمائة بصَرْخَد[1] . ومات ليلة الجمعة السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر بدمشق ، ودُفِن بمقـابر الصوفيّة عنـد قبر شـيخه جمال الدين الحَصِيرِىّ[2]، كان من الصلحاء العلماء العاملين ، كان كثير التواضع قَنُوعا من الدنيا مُعْرِضا عنها، وكانت له وجاهة عظيمة عند الملوك وٱنتفع به جمٌّ غفير من الطلبة، وكانت له اليد الطُّولى فى النظم والنثر . ومن شعره قوله :

[3]ما نلتُ من حُبّ من كلِفتُ به * إلّا غرامًا عليــه أو وَلَهـا
[4]ومِحْنَــتِى فى هــواه دائرةٌ * آخِرُهـا ما يــزال أوّلَهـا

قلت : وأرشق من هذا مَنْ قال :

محبّتى ماتَنْقضى * لجَفْوةٍ تُبْطِلُهـا
كأنّها دائرة * آخرُها أوّلُها

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوُفّى المحدّث مَكِين الدين أبو الحسن بن عبـد العظيم الحِصْنِىّ المصرىّ فى رجب، وله أربع وسبعون سنة . وسعد الدين أبو الفضل محمد بن مهلهل بن بَدْران[5] الأنصارىّ الجبتى المصرى سمِـع الأَرْتاحىّ[6]. وتوفى تاج الدين محمود بن عابد التميمىّ الصَّرْخدِى الحنفى الشاعر المشهور

(١) كذا فى الأصلين وذيل مرآة الزمان وعقد الجمان وما يفهم من عبارة السلوك . وفى تاريخ الإسلام وعيون التواريخ والمنهل الصافى : « ولد بصرخد سنة ثمان وتسعين وخمسمائة » . (٢) هو محمود ابن أحمد بن عبد السيد الشيخ الإمام جمال الدين بن الحصيرى الحنفى . تقدمت وفاته سنة ٦٣٦ ﻫ .

(٣) رواية هذا المصراع فى الأصلين : * ما قلت من حب من ذا كامت به * والتصحيح عن عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان . (٤) فى الأصلين : « ومحبتى فى هواه ... الخ » . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان . (٥) كذا فى الأصلين . وفى حسن المحاضرة : « محمد بن بدران سعد الدين أبو الفضل الهيثمى » . وقد أورده فى تذكرة الحفاظ فى ترجمة الحافظ عبد الغنى وقال عنه : « محمد بن مهلهل الحيثى » بالحاء والياء وهو ممن روى عن الحافظ المذكور . ولم يرد هذا الاسم فى الذهبى فى وفيات هذه السنة . (٦) هو أبو العباس أحمد بن حامد بن أحمد ابن حمد بن الشيخ المقرئ الأنصارى الأرتاحى ثم المصرى الحنبلى . توفى سنة ٦٥٩ ﻫ (عن المنهل الصافى وتذكرة الحفاظ وحسن المحاضرة للسيوطى) .

فى شهر ربيع الآخر عن نيّف وتسعين سنة . وسعد الدين الخضر(١) بن شيخ الشيوخ تاج الدين عبد الله [بن شيخ الشيوخ أبى الفتح عمر](٢) بن حمّويه الجُوَيْنى فى ذى الحجّة عن ثلاث وثمانين سنة . وأبو الفتح عثمان بن هبة الله بن عبد الرحمن [بن مكّى ابن إسماعيل](٣) بن عوف الزهرى آخر أصحاب ابن مُوقا(٤) فى شهر ربيع الآخر بالإسكندرية .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم القاعدة(٥) لم تُحرّر لاختلاف المؤرّخين . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وخمس عشرة إصبعا .

* * *

السنة السابعة عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، وهى سنة خمس وسبعين وستمائة .

فيها تُوُفّى إبراهيم بن سعد [الله](٦) بن جماعة بن على بن جماعة بن حازم بن صخر أبو إسحاق الحَمَوِىّ الكِنانىّ المعروف بابن جماعة، سمع الفخر(٧) بن عساكر وغيره وحدّث . ومولده يوم الاثنين منتصف رجب سنة ست(٨) وتسعين وخمسمائة بحَماة، وهو والد القاضى بدر الدين(٩) بن جماعة . مات يوم عيد النَّحْر

(١) سماه الذهبى أيضا مسعود بن عبد الله، ووافقه فى ذلك عيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات والسلوك . (٢) التكملة عن حسن المحاضرة وتاريخ الإسلام وشذرات الذهب . (٣) التكملة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وعيون التواريخ . (٤) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن مكى بن حمزة بن موقا الأنصارى الإسكندرانى التاجر . تقدّمت وفاته سنة ٥٩٩ هـ . (٥) وقد راجعنا أيضا كنز الدرر ودرر التيجان فلم يكتبا عن الماء القديم شيئا . (٦) التكملة عن تاريخ الإسلام للذهبى والذيل على مرآة الزمان والمنهل الصافى وعقد الجمان وتاريخ الدول والملوك . (٧) هو عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين فخر الدين بن عساكر . تقدّمت وفاته سنة ٦٢٠ هـ . (٨) فى الأصلين : « سنة سبع وتسعين » . والتصحيح عن تاريخ الاسلام وعيون التواريخ وعقد الجمان وتاريخ الدول والملوك . (٩) هو القاضى بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الحموى الكنانى . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٣٣ هـ .

وفيها تُوفّى الأمير ناصر الدين محمد بن أَيْبَك [بن عبد الله بن] (١) الإسكندرىّ، وكان ممّن جمع بين حسن الصورة وحسن السِّيرة ووفور العقل والرياسة ومكارم الأخلاق . مات غريقًا ، مَرّ بفرسه على جسر جِجر فزَلِق الفَرَس ووقع به فى النهر وخرج الفرس سباحةً ومات هو . فكأنّ (٢) الجلال بن الصفّار المَارديىّ عناه بقوله :

يأيها الرَّشَأُ المكحولُ ناظرُه * بالسِّحر (٣) حَسْبُك قد أحرقتَ أحشائى
إنّ انغماسك فى التّيار حقّق أ * نّ الشمس تغرُب فى عين من الماء

أو بقوله (٤) أيضا . وقيل إنهما لأبى إسحاق الشِّيرازىّ (٥)، والله أعلم :

غريقٌ كأنّ الموتَ رقّ لحُسْنه * فلَان له فى صفحة المـاء جانبُهْ
أَبَى اللهُ أن يسلُوه قلبى فإنّه * توفّاه فى المـاء الذى أنا شاربُهْ

وفيها تُوفّى الشيخ المُعتَقد الصالح أبو الفِتْيان أحمد بن علىّ بن إبراهيم [بن محمد] (٦) ابن أبى بكر المَقْدِسىّ (٧) الأصل البَدَوِىّ المعروف بأبى اللّثامَيْن السطوحىّ (٨) . مولده

---

(١) زيادة عن ذيل مرآة الزمان . (٢) فى الأصلين : « فقال فيه الجلال ... » . وتصحيحه عن ذيل مرآة الزمان . وهو جلال الدين المارديى على بن يوسف بن شيبان المعروف بابن الصفار ، كاتب الإنشاء للملك الناصر ناصر الدين أرتق صاحب ماردين . قتل بيد التتار سنة ٦٥٨ هـ أى قبل وفاة هذا المتحدث عنه بسبع عشرة سنة . وقد قال هذين البيتين فى غلام مليح غرق فى الماء كما فى المنهل الصافى وفوات الوفيات . (٣) رواية هذا المصراع فى فوات الوفيات : * إنى أعيذك من نار بأحشائى * (٤) عبارة الأصلين : « وقال فيه أيضا » وفى ذيل مرآة الزمان : « ولإيراده بقوله أيضا » . والسياق يقتضى ما أثبتناه .
(٥) هو أبو إسحاق الفيروزابادى الشيرازى إبراهيم بن على بن يوسف الشافعى . تقدّمت وفاته سنة ٤٧٦ هـ . وقد ذكر المؤلف فى ترجمته أنه قال هذين البيتين فى غريق فى الماء، وروايتهما تختلف عما هنا قليلا . (٦) تكملة عن شذرات الذهب والخطط التوفيقية . (٧) كذا فى أحد الأصلين . ولعلها : « الفاسى » لأن مولده كان بفاس من بلاد المغرب . والأصل الآخر لم يترجم له .
(٨) سطوحى : نسبة إلى السطوح لأنه مكث على السطوح مدة لم ينزل عنه .

سنة ستّ وتسعين وخمسمائة ، وتوفّى فى سنة خمس وسبعين فى شهر ربيع الأوّل ، ودُفِن بطَنْتَدَتَا[1] وقبره يُقصَــد للزيارة هناك ، وكان من الأولياء المشهورين ، وسُمِّى بأبى اللَّثَامَيْن لملازمته اللِّثَامَيْن صيفًا وشتاءً ، وكان له كرامات ومناقب جمّة ، رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته .

وفيها تُوُفِّى العلّامة بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن حَفّاظ السُّلَمِىّ[2] الحنفىّ المعروف بآبن الفُوَيْرة[3] . مات بدمشق فى يوم السبت حادى عشرين جمادى الأولى وقال الحافظ عبد القادر فى طبقاته : رأيتُ بخط الحافظ الدِّمياطِىّ فى مشيخته أنّه توفّى ليلة الجمعة فجأة منتصف شهر ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وستمائة . وكان إماما عالما متبحِّرا فى العلوم ، درس

---

(١) هى المدينة الشهيرة التى تعرف اليوم باسم طنطا قاعدة مديرية الغربية ، وهى من المدن المصرية القديمة اسمها المصرى «تناسوة» والرومى «تانياتاد» ووردت فى كتب العربية باسماء «طنطدا» «وطندتا» «وطنطنة» «وطندا» «وطندتا» ثم أسقطت الدال للتخفيف فصارت «طنتا» ثم فخمت التاء فصارت «طنطا» وهو اسمها الحالى .

وكانت مدينة المحلة الكبرى قاعدة لإقليم الغربيــة من أيام الفتح العربى لمصر ، فلما عين عباس باشا حلمى الأول مديرا للغربية فى سنة ١٢٤٩ هـ قبل ولايته على مصر سعى لدى جدّه محمد على باشا الكبير لنقل قاعدة المديرية من المحلة الكبرى إلى طنطا فوافقه جدّه على ذلك ، وأصبحت مدينــة طنطا قاعدة لمديرية الغربية من ســنة ١٢٥٢ هـ = ١٨٣٦ م . وهذه المدينة قد زادت شهرتها من يوم أن دفن بها ولى الله تعالى السيد أحمد البدوى المتوفى سنة ٦٧٥ هـ فان وجود قبره بها كان سببا فى زيادة شهرتها حيث يحتفل فيها سنويا باحياء ذكرى مولده العظيم ، و يقصدها خلق كثيرون للتبرك بهذا الولى الذى له فى طنطا ضريح تعلوه قبة عظيمة لاتخلو يوميا من الزائرين . وله جامع من أكبر الجوامع الحافلة بطلبة العلم والمصلين . و إليه ينسب المعهد الدينى الأحمدى .

وطنطا من أكبر مدن مصر وأشهرها ، ومما زاد فى عمارتها وأهميتها التجارية وقوعها فى وسط الوجه البحرى ووجود محطة كبيرة بهـا تتفرّع منها شبكة من السكك الحديدية المنتشرة فى الوجه البحرى .

(٢) ضبطه صاحب المنهل الصافى والجواهر المضية فى طبقات الحنفية بالعبارة فقالا : بفتح الحاء المهملة وتشــديد الفاء) . (٣) ضبطه صاحب الجواهر المضية بالعبارة فقال : (بكسر الراء المهملة . وآشتهر بين الناس بفتح الراء ، كذا قال لى شيخنا قطب الدين) .

بالشِّبْلِيَّة(١) [بجبل](٢) الصالحيّة وأفتى سنين وبرَع فى الفقه والعربيّة وسمِع الكثير، وكان يكتُب خَطّا حسَنا، وله معرفة أيضا بالأصول والأدب وله نَظْمٌ رائق، وكان رئيسا وعنده ديانة ومُروءة ومكارم أخلاق . ومن شعره [فى مليح شاعر](٣) :

وشـاعرٍ يَسْحَرُنى طرفُـه * ورِقّة الألفاظ من شِعْرِه
أنشـدنى نظماً بديعاً فما * أَحسَنَ ذاك النظم من ثَغرِه

وله فى معذّر :

عاينتُ حَبّـةَ(٤) خالِه * فى رَوْضَـةٍ من جُلّنار
فغـدَا فـؤادى طائرًا * فاصطاده شركُ العِذار

وله :

كانتْ دموعىَ حُمْراً يومَ بَيْنهـمُ * فمُـذْ نَأَوْا قصّرتها لَوْعَةُ الحُرَقِ
قطفتُ باللحظ وردًا من خدودِهُم * فاستقطرَ البعدُ ماء الورد من حَدَقِى

وقيل إنّه رُئِى فى المنام بعد موته فسئل عمّا لَقِى بعد موته فكان جوابه .

ما كان لى من شافعٍ عنده * إلّا اعتقـادى أنّه واحدُ

وفيهـا تُوُفّى الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبـد الوهاب بن منصور الحَرّانىّ الحنبلىّ، كان فقيها إماما عالمـا عارفًا بعلم الأصول والخِلاف والفقه ودرّس

(١) المدرسة الشبلية من أقدم مدارس الحنفية بدمشق بسفح قاسيون بالقرب من جسر توره . أنشأها شبل الدولة كافور الحسامى الرومى طواشى حسام الدين بن لاچين ولدست الشام سنة ٦٢٦ هـ وقد دفن بها وهى فوق جسر توره من طريق عين الكرش لم يبق منها إلا قطعة يسيرة قاومت صروف الزمان . درس بها عظماء من الفقهاء منهـم الصفى السنجارى والشمس ابن الجوزى وابن قاضى آمد وابن الغويرة والبصروى والأذرعى والكاشغرى والطوسى والكفيرى والتركمانى والعماد الجيـلى وابن بشارة وغيرهم . (خطط الشام للأستاذ محمد كرد على ص ٩٣ جـ ٦) . (٢) فى الأصلين : « ودرّس بالشبلية وبالصالحية » . والتصحيح والزيادة عن ذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ . (٣) زيادة عن عيون التواريخ .
(٤) فى الأصـلين : « جنـة خاله » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان وشذرات الذهب .

وأفتى واشتغل [على الشيخ علم الدين القاسم في الأصول والعربيّة][1] ومات في جُمادى الأولى . ومن شعره قوله :

طار قلبي يوم ساروا فَرَقَا * وسواءٌ فاض دمعي أو رَقَا
حار في سُقْمِيَ من بعدهم * كلّ من في الحيّ دَاوَى أو رَقَى
بعدهم لا طُلَّ وادى المنحنَى * وكذا بانُ الحِمَى لا أورقا

وفيها توفى الأديب الشاعر شهاب الدين أبو المكارم محمد بن يوسف بن مسعود ابن بركة الشيباني التَّلَّعْفَرِيّ[2] الشاعر المشهور، مولده سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بالمَوْصِل ، ومات بحَمَاة في شوّال . كان أديباً فاضلا حافظا للأشعار وأيّام العرب وأخبارها ، وكان يتشيّع ، وكان من شعراء الملك الأشرف موسى شاه أَرْمن، وكان التَّلَّعْفَرِيّ هذا مع تقدّمه في الأدب وبراعته آبْتُلِي بالقِمار، و وقع له بسبب القِمار أمور منها : أنه نُودِي بحلب من قِبَل السلطان : من قامَرَ مع الشّهاب التَّلَّعْفَرِيّ قطعنا يده ، فضاقت عليه الأرض ، فجاء إلى دِمَشق ولم يزل يَسْتَجْدِي ويُقَامِر حتى بقى في أتُون من الفقر .

قلت : وديوان شعره لطيفٌ في غاية الحسن وهو موجود بأيدي الناس . ومن شعره قصيدته المشهورة :

أيّ دمع من الجفون أَسَالَهْ * إذ أتتْــه مع النسيم رِسالَهْ
حَمَلتْــه الرياحُ أسرارَ عَرْفٍ * أودعتْهـا السحائبَ الهَطّالَهْ
ياخليــلى وللخليلِ حُـقوقٌ * واجباتُ الأداء[3] في كلّ حالَهْ

(١) زيادة عن تاريخ الاسلام وذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ . (٢) التلعفرى (بفتح أوّله واللام المشدّدة والفاء وسكون المهملة وراء) : نسبة الى التل الأعفر ، موضع بنواحى الموصل (عن شذرات الذهب) . وضبطه صاحب لب اللباب بفتح التاء واللام المخففة) . (٣) فى الأصلين والمنهل الصافى وفوات الوفيات : « واجبات الأحوال ... الخ » . وما أثبتناه عن ديوانه المطبوع فى بيروت .

سَـلْ عقيقَ الحِمى وقـل إذ تراه * خاليًـا من ظبائِه المختـاله
أين تلك المَـراشِفُ العسلِيّـا * تُ وتلك المعاطِفُ العسّـاله
وليـالٍ قضيتُهـا كـلآلٍ * بغـزالٍ تَغـارُ منــه الغـزاله
بابلىّ الألحـاظِ والريـقِ والأنـ * ـفاظِ كلٌّ مدامةٌ سلسـالَه
من بنى التُّرْك كلّمـا جذَبَ النو * مَ رأينـا فى بُرْجِــه بَدْرَ هـاله[(1)]
أوقـعَ الوهمَ حين يَرمى فـلم ند * رِ بداه أم جفنُــه النبّـالَه[(2)]
قلتُ لمّـا لَوَى ديونَ وِصـالى * وهــو مــثرٍ وقادرٌ لا محاله
بينمـا تسمعُ قال من معتدى * من صفاتى لكلّ دعوى دلاله
و[illegible] و[من][(3)] فيض دمعى شهودٌ معروفةٌ بالعداله
أنا وكّلتُ مُقلتى فى دم العشـ * ـقِ فقالتْ[(4)] قبِلت هـذى الوكاله

وله موشّحة مدح بهـا شهاب الدين الأعزازى[(5)]، ثم وقع بينهما وتهـاجيا .
وأوّل الموشّحة :

ليس يُروِى[(6)] ما بقلبى من ظمَا * غيرُ برقٍ لائحٍ من إضَم
* إن تبدّى لكَ بانُ الأجرعِ *
* وأُثَيلاتُ النقـا من لَعْلَعِ *

(١) كذا فى الأصلين والمنهل الصافى . ورواية ديوانه : * س رأينـا فى كفه بدرهاله *
(٢) هذه رواية الديوان . ورواية الأصلين والمنهل الصافى :
يقطع الوهم حين يرمى ولا تد * رى يداه أو عينه النبـاله
(٣) التكملة عن الديوان وفوات الوفيات . (٤) فى الأصلين : « فقال » . وما أثبتناه عن ديوانه وفوات الوفيات والمنهل الصافى . (٥) هو شهاب الدين أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم بن عبد العزيز العزازى الأديب الشاعر . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧١٠ هـ .
(٦) كذا فى ديوانه وفوات الوفيات . وفى الأصلين : « كيف يروى ... الخ » .

* يا خَليلى قف على الدّار مَعِى *
* وتأمّلْ كم بهـا من مَصْرَعِ *
وآحترزْ وآحذر فأحداقُ الدُّمَى * كم أراقت فى رُباها من دمِ
* حظّ قلبى فى الغـرام الولَهُ *
* فعـذولى فيـك[1] مالى ولَهُ *
* حسبِيَ[2] الليـلُ فما أطولَهُ *
* لم يـزل آخـرُه أوّلَهُ *
فى هوى أهيفَ معسولِ اللَّمَى * ريقـه كم قـد شفَى من ألم[3]

وله فى القِمار :

ينشَرِح الصـدرُ لمَنْ لاعَبَنِى * والأرضُ بى ضيّقةٌ فُروجُهـا
كم شوّشت شيوشُها[4] عقلى وكم * عهـدًا سـقتنى عامدًا بنوجُها

ومن شعره وأجاد ، عفا الله عنه :

أُحبّ الصالحين ولستُ منهم * رجاءً أن أنال بهـم شـفاعَهْ
وأُبغِض من به أثرُ المعـاصى * وإن كنّا سـواءً فى البِضاعَهْ

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها توفّى القاضى شمس الدين علىّ بن محمود الشهْرُزُورِىّ مدرّس القَيْمُرِيّة فى شوّال . والشيخ قطب الدين أحمد بن عبد السلام [بن المطهّر[5] بن عبد الله بن محمد بن هبة الله بن علىّ] بن أبى عَصْرُون بحلب

(١) فى الأصلين : «فعذولى فى الهوى ... الخ» . والتصحيح عن عيون التواريخ .
(٢) رواية هذا المصراع فى الأصلين : * حتى الليل على ما أطوله * والتصحيح عن ديوانه وفوات الوفيات .
(٣) والموشحة أكثر من هـذا كما فى ديوانه وفوات الوفيات والمنهل الصافى .
(٤) فى الأصلين : «شهوتها» . وفى الذيل على مرآة الزمان هكذا «شنوشها» والسياق يقتضى ما أثبتناه .
(٥) التكملة عن ذيل مرآة الزمان وتاريخ الإسلام والمنهل الصافى والسلوك .

فى جُمادى الآخرة . والإمام شمس الدين محمد بن عبد الوهّاب بن منصور الحَرّانِىّ الحنبلِىّ فى جُمادى الأولى . والشهاب محمد بن يوسف بن مسعود التَّلَّعْفَرِىّ الشاعر بحَمَاة فى شوّال، وله ثلاث وثمانون سنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ستّ أذرع وثلاث عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وإحدى عشرة إصبعا .[1]

---

(١) الى هنا انتهى الجزء الثـالث من تجزئة المؤلف وها هى صورة ماجاء فى آخر الأصـــل الفتوغرافى المأخوذ عن النسخة المخطوطة الموجودة بمكتبة أياصوفيا بالآستانة :

« انتهى الجزء الثالث من كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقــاهرة على يد الفقير إلى الله تعالى الراجى عفو ربه الغنى محمد بن عبد العزيز البلقينى الشافعى ، غفرالله له ولمـالكه ولمؤلفه ولمن نظر فيه ودعا لهم بالمغفرة وجميع المســلمين . وكان الفراغ من ذلك فى اليوم المبارك العشرين من شهر ذى الحجة الحرام عام خمس وثمـانين وثمـانمـائة .

يتلوه الجزء الرابع من أوّل ترجمة الملك السعيد ناصر الدين أبى المعالى محمـــد المعروف ببركة خان . إن شاء الله تعالى . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين » .

وصورة ماجاء فى آخر الأصل الفتوغرافى المأخوذ عن النسخة المخطوطة الموجودة بالمكتبة الأهلية بباريس :

« انتهى الجزء الثالث من كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة على يد كاتبه علىّ المرزوقى فى خامس عشرين شهر ربيع الأوّل سنة إحدى وستين وثمانمائة . نقلت من نسخة بخط المؤلف . فسح الله فى مدّته وأسكنه فسيح جنته بمحمد وآله وصحبه وعترته آمين » .

وورد فى آخره أيضا — بعد العبارة المتقدّمة — ذكر ما اشتمل عليه هذا الجزء من ملوك مصر : فأوّلهم الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيـــد العبيدى الفاطمى أحد خلفاء الفاطميين ، ثم من بعـــده ولى الظافر بالله أبو منصور إسماعيل العبيدى الفاطمى ، ثم من بعـــده الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى بن الظافر العبيدى الفاطمى ، ثم من بعده العاضد بالله أبو محمد عبد الله آبن الأمير يوسف آبن الخليفـــة الحافظ بالله عبد المجيد المقدم ذكره . والعاضد هذا هو آخر خلفاء بنى عبيد بمصر وآنقرض بموته دولة الرفض ولله الحمد . وملكت بنو أيوب الديار المصرية ، وأولهم : السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ثم من بعـــده ولده الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ، ثم من بعـــده ولده الملك المنصور محمد وقيل أخوه الأفضل والأول أصح ، ثم من بعده عمه الملك العادل الكبير أبو بكر محمد بن أيوب إلى أن مات ، ثم من بعده الملك الكامل محمد ناصر الدين أبو المعـالى محمد إلى أن مات ، ثم من بعـــده ولده الملك العـادل الصغير أبو بكر محمد بن الكامل إلى أن خلع من الملك ، فتولى من بعـــده أخوه الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمـــد إلى أن مات ، ثم من بعده ابنـــه الملك المعظم توران شاه مدة يسيرة وخلع ، وتولت =

ذكر ولاية(١) السلطان الملك السعيد محمد ابن الملك الظاهر بيبرس على مصر

هو السلطان الملك السعيد ناصر الدين أبو المعالى محمد المدعو بركة خان ابن السلطان الملك الظاهر بيبرس البُنْدُقْدَارِىّ الصالحىّ النَّجْمىّ، الخامس من ملوك التُّرك بمصر. سُمّى بركة خان على اسم جَدّه لأمّه بركة خان(٢) بن دولة خان الخَوَارَزْمىّ.

تسلطن الملك السعيد هذا فى حياة والده حسب ما ذكرناه فى ترجمة والده فى يوم الخميس ثالث عشر(٣) شوّال سنة اثنتين وستّين وستّمائة. وأقام على ذلك سنين، وليس له من السلطنة إلّا مجرّد الاسم، إلى أن تُوفّى أبوه الملك الظاهر بيبرس فى يوم الخميس بعد صلاة الظهر التاسع والعشرين من المحرّم من سنة ستّ وسبعين وستّمائة بدَمَشْق. اتفق رأى الأمراء [على](٤) إخفاء موت الظاهر، وكتَب الأمير بيليك الخازِندار عرّف الملك السعيد هذا بذلك على يد الأمير بدر الدين بَكْتُوت

= بعده شجرة الدرأم خليل جارية الملك الصالح نجم الدين أيوب وأم ولده خليل أشهرا، ثم من بعدها الملك المعز أيبك الصالحى التركمانىّ أول ملوك الترك بالديار المصرية إلى أن مات قتيلا، ثم من بعده ابنه الملك المنصور على بن أيبك مدّة الى أن خلع، ثم من بعده الملك المظفر قطز المعزى الى أن قتل، وتولى الملك الظاهر بيبرس البندقدارى الصالحى النجمى أحد البحرية، الى أن مات رحمه الله. انتهى ملوك هذا الجزء ولله الحمد.

(١) هذا ابتداء النصف الأوّل من الجزء الرابع من تجزئة المؤلف وأوّله: «بسم الله الرحمن الرحيم وصل الله على سيدنا محمد وآله وسلم». (٢) سيذكر المؤلف وفاته فى هذه الترجمة.

(٣) فى الأصلين: «فى يوم الخميس تاسع صفر سنة سبع وستين وستمائة» وقد ذكر المؤلف ذلك أيضا فى ترجمة الملك الظاهر عند ذكره لتوليته السلطان الملك السعيد هذا ص ١٤٤ من هذا الجزء. والصواب ما أثبتناه هنا نقلا عن السلوك ونهاية الأرب والذهبى والجوهر الثمين وما يفهم من عبارة المؤلف نفسه فى المنهل الصافى. (٤) تكملة يقتضيها السياق.

الجُوكَنْدار الحَمَـوِىّ، وعلى يد الأمير علاء الدين أَيْدُغْمُش[1] الحَكِيمِىّ الجاشْـنكِير . فلمّا بلَغ الملك السعيدَ موتُ والده الملك الظاهر أخفاه أيضاً، وخلَع عليهما وأعطى كلّ واحد منهما خمسين[2] ألف دِرهم، على أنّ ذلك بِشارةٌ بعَوْد السـلطان إلى الديار المصريّة . وسافرت العساكر من دِمَشْـق إلى جهـة الديار المصريّة فدخلوها يوم الخميس سادس عشرين صفر من سنة ستّ وسبعين وستمـائة، ومقـدّمُهم الأمير بدر الدين بِيلِيك الخازِندار، ودخلوا مصر وهم يُخْفُون موت الملك الظاهر فى الصورة الظاهرة، وفى صدر المَوْكب مكانَ تَسْـيِير السلطان تحت العصائب[3]، مِحَفّةٌ وراءها السِّلَحْدَارِيّة[4] والجَمَـدارِيّة[5] وغيرُهم من أرباب الوظائف تُوهِم أنّ السـلطان فى المِحفّة مريض، هـذا مع عمل جِدّ فى إظهار ناموس السلطنة والحُرْمة للمِحَفّة والتأدُّب مع مَن فيها حتى تمّ لهم ذلك .

قلتُ : لله درّهم من أمراء وحاشـية ! ولو كان ذلك فى عصرنا هـذا ما قدر الأمراء على إخفاء ذلك من الظهر إلى العصر .

ولمّـا وصلوا إلى قلعـة الجبل، ترجّل الأمراءُ والعساكر بين يدى المِحَفّة، كما كانت العادة فى الطريق فى كل منزلة من حين خروجهم من دمشق إلى أن وصلوا إلى قلعـة الجبل من باب السرّ، وعند دخولها إلى القلعة ٱجتمع الأمير بدر الدين بِيلِيك الخازِندار بالملك السعيد هـذا، وكان الملك السـعيد لم يركب لتلقّيهم، وقبّل الأرض ورَمَى بعمامته ثم صرَخ، وقام العَزَاء فى جميع القلعة، ولوقتهم جمعوا الأمراء

(١) فى نهاية الأرب (ج ٢٨ ص ١١٧) : «أيدغمش الحكمى» . (٢) فى نهاية الأرب : «وأنعم على كل منهما بخمسة آلاف درهم» . (٣) العصائب : معناها الأعلام، جمع عصابة وهى راية عظيمة من حرير أصفر مطرزة بالذهب عليها ألقاب السلطان وٱسمه (صبح الأعشى ج ٤ ص ٨) . (٤) راجع ص ١٨٤ من هذا الجزء . (٥) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٥ من هذا الجزء

والمقدّمين والجند وحلّفوهم بالإيوان المجاور لجامع القلعة (١) للملك السعيد، وآستثبت له الأمر على هـذه الصورة ، وخُطِب له يوم الجمعـة [سابع عشرين صفر] (٢) بجوامع القاهرة ومصر، وصُلّى على والده صلاة الغائب .

ومولد الملك السعيد هـذا فى صفر سنة ثمانٍ وخمسين وستمائة ؛ وقيل : سنة سبع وخمسـين بالعُش (٣) من ضواحى مصر، ونشأ بديار مصر تحت كَنَف والده إلى أن سلطنه فى حياته ؛ كما تقدّم ذكره .

وأمّا الأمير بدر الدين بيليك الخازندار فإنّه لم تَطُل مدّته، ومات فى ليلة الأحد سابع شهر ربيع الأوّل . وخَلَع الملك السعيد على الأمير شمس الدين آق سُنْقُر الفارِقانيّ بنيابة السلطنة عِوَضًا عن بيليك الخازِنْدار المذكور .

وفى سادس عشر شهر ربيع الأوّل [يوم الأربعاء] (٢) ركب السلطان الملك السعيد من القلعة تحت العَصَائب على عادة والده وسار إلى تحت الجبل الأحمر (٤)، وهذا أوّل ركوبه بعد قدوم العسكر، ثم عاد وشقّ القاهرة وسُرّ الناس به سرورًا زائدا، وكان

---

(١) راجع الحاشـية رقم ٢ ص ١٩٠ من هذا الجزء . (٢) زيادة عن السـلوك .

(٣) العش : بالبحث تبين لى أن ناحيـة العش قرية واقعـة فى منتصف الطريق ما بين القـاهرة وبلبيس، وكانت بهذا الاسم قديمـا . وفى الروك الناصرى (فك الزمام) الذى عمل سنة ٧١٥هـ . سميت منية الرخا حيث وردت فى التحفة السنية لابن الجيعان باسم منية الرخا المجاورة لشبين القصر من الأعمال القليوبية . وفى العهـد العثمانى عرفت شبين القصر باسم شبين القناطر بسبب القناطر التى أنشئت قديمـا على ترعة الشرقاوية المـارّة بجوارها كما عرفت منية الرخا باسم منيـة شبين لمجاورتها لهـا . ولا يزال اسم هذه القرية القديم وهو العش يطلق على الحوض رقم ٣ المجاور لسكن منية شبين . ومن هـذا يتضح أن ناحية العش هى القرية التى تعرف اليوم باسم منية شبين إحدى قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية .

(٤) الجبل الأحمر، ورد فى الجزء الأوّل من الخطط المقريزية (ص ١٢٥) أن هذا الجبل مطل على القاهرة من شرقيها الشمالى ويعرف باليحموم أى الجبل الأسود المظلم، ثم قال : واليحاميم الجبال المتفرّقة المطلة على القاهرة من الجهة الشرقية، وقيل لها اليحاميم لاختلاف ألوانها .

وأقول : إن الجبل الأحمر هـذا لا يزال معروفا إلى اليوم بهـذا الاسم ، وحجارته ورمله لونهما أحمر اكن، وهو واقع فى شمال جبل المقطم ويشرف على الفضاء الواقع شرقى باب النصر من القاهرة وعلى =

عمره يومئذ تسع عشرة ســنة ، وطلع القلعة وأقام إلى يوم الجمعــة خامس عشرين شهـــر ربيع الأوّل المذكور قبَض على الأمير سُنْقُر الأشــقر وعلى الأمير بدر الدين بَيْسَرِى وحبسهما بقلعة الجبل . ثم فى يوم السبت ثامن عشر شهــر ربيع الآخر[1] قَبَض الملك السعيد على الأمير آق سُنْقُر الفارِقانِىّ نائب السلطنة بديار مصر المقدّم ذكره . ثم فى تاســع عشر الشهر المــذكور أفرج الملك الســعيد عن الأمير سُــنْقُر الأشقر و بيسرى وخلَع عليهما وأعادهما إلى مكانتهما .

وفى يوم الاثنين رابع جُمادى الأولى فُتِحت المدرسة[2] التى أنشأها الأمير آق سُنْقُر الفارِقانِىّ المجــاورة للوزيريّة[3] بالقاهرة وجعل شــيخها على مذهب أبى حنيفــة رضى الله عنه .

وفى يوم الجمعة [رابع عشر جُمادى الآخرة][4] قبّض الملك السعيد على خاله الأمير بدر الدين محمد ابن الأمير حسام الدين بركة خان الخُوَارَزْمِىّ وحبسه بقلعة الجبل لأمْرٍ

= الجبانة المستجدّة باسم جبانة العباسية التى تسميها العــامة قرافة الغفير التى يتوسطها قبة السلطان أبى سعيد قنصوه الأشرف ، و يشرف هــذا الجبل أيضا على مقابر المماليك التى يسمونهــا خطأ مقابر الخلفاء فى حين لا يوجد بينها قبر لأى خليفة من الخلفاء ، ومن هذه المقابر مدرســة وتربة السلطان إينــال وخانقاه وتربة السلطان برقوق وتربة السلطان برسباى وغيرها من مقابر المماليك كما ذكرت .

(١) فى عيون التواريخ : « وفى تاسع عشر شهر ربيع الأول قبض الملك السعيد على الأميرين سنقر و بدر الدين بيسرى » . (٢) مدرسة الأمير آق سنقر الفارقانى ، لمــا تكلم المقريزى (فى ج ٢ ص ٣٦٩) من خططه على المدرسة الفارقانية قال : إن هذه المدرسة بابها شارع فى سويقة حارة الوزيرية من القاهرة ، أنشأها الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقانى السلاحدار ، وفتحت يوم ٤ جمادى الأولى سنة ٦٧٦ هـ ، وبهــا دروس للشافعية والحنفية .

وأقول : إن هذه المدرســة لا تزال موجودة إلى اليوم بشارع درب سعادة على رأس سكة النبوية بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة ، وتعرف الآن باسم جامع محمد أغا أو جامع الحبشلى نسبة إلى محمد أغا الحبشلى الذى كان كتخدا مستحفظان بمصر ، وجدّد هذا المسجد فى سنة ١٠٨٠ هـ ، فعرف باسمه من ذاك الوقت . وقد عرف محمد أغا المذكور بالحبشلى لأنه كان يتاجر فى بنــات الحبش . (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٥١ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٤) زيادة عن عيون التواريخ .

نَقَمه عليـه ، ثم أفرج عنـه فى ليـلة (١) خامس عشرينـه ، وخَلَع عليـه وأعاده إلى منزلتـــه .

وكان الملك السعيد هذا أَمَرَ (٢) ببناء مدرسة لَدَفْن أبيه فيها ، حسب ما أوصى به والده ، فنقِل تابوت الملك الظاهر بيبَرْس فى ليلة الجمعة خامس شهر رجب من قلعة دمَشْـق إلى التربة المذكورة بِدمَشْق داخل باب الفرج قُبالة المدرسـة العادِليّة (٣) ، والتربة المذكورة كانت دار الشريف العقيق (٤) فاْشتُريت وهُدِمت ، وبَنى موضع بابها قُبّة الدفن وفتّح لها شبابيك على الطريق وجعَل بقيّة الدار مدرسـة على فريقين : حنفيّة وشافعيّة . وكان دفنه بها فى نصف الليل ولم يحضره سوى الأمير عِزّ الدين أَيْدَمُر الظاهرىّ نائب الشام ، ومن الخواصّ دون العشرة لا غير .

ثم وقع الاهتمام إلى السَّفَر للبلاد الشامية وتجهّز السلطان والعساكر . فلمّا كان يوم السبت سابع ذى القعدة بَرَز الملك السعيد بالعساكر من قلعة الجبل إلى مسجد

(١) فى عيون التواريخ : « وفى ثالث عشرين منه أفرج عنه » .

(٢) راجع آخر ترجمة الظاهر بيبرس . وفى عيون التواريخ : « أن الظاهر أوصى أن يدفن على الطريق السابلة قريبا من داريا وأن يبنى عليه هناك . فرأى ولده الملك السعيد أن يدفنه داخل السور فابتاع له دار العقيق (راجع عيون التواريخ فى ترجمة الملك الظاهر بيبرس) .

(٣) المدرسة العادلية : تجاه باب الظاهرية يفصل بينهما الطـريق المؤدى إلى باب البريد ، بدأ بانشائهـا نور الدين محمود بن زنكى ولم تتم ، ثم عمل فيهـا العادل سيف الدين ولم تتم أيضا ، ثم ولده الملك المعظم عيسى ووقف عليهـا الأوقاف ونسبهـا لوالده الذى دفن فيها سنة ٦١٩ هـ وكانت أعظم المدارس الشافعية بدمشق .

وفيها وضع المقدسى تاريخه الروضتين سنة ٦١٢ وفيها عمل ابن خلكان تاريخه المشهور . ودرس بها ابن مالك النحوى وابن جماعة وفيها نزل ابن خلدون فى أوائل المـائة التاسعة ، وفى القرن الثانى عشر كانت سكنى الشهاب أحمد النينى صاحب التآليف المشهورة . وفى سنة ١٩١٩ م أخذها المجمع العلمى العربى وجعلها مقره ورممها بما يقربها من الأصل وجعل قسما منها متحفا للآثار الاسلامية . (خطط الشام لكرد على جـ ٦ ص ٨٤ — ٨٥) .

(٤) الشريف العقيق هو أحمـد بن الحسين بن احمد بن على العلوى صاحب الدار المشهورة بدمشق تقـدّمت وفاته سـنة ٣٧٨ هـ . وكانت الدار قد انتقلت إلى ملك الأمير فارس الدين أقطاى المستعرب الأتابك فاشتريت من ورثته وهدّمت وبنى موضع بابها قبة الدفن كما فى الأصل . وانظر الذيل على مرآة الزمان ورقة ٦٩٦ ، وعيون التواريخ .

التّبن[(١)] خارج القاهرة فأقام به إلى يوم السبت حادى عشرينه، انتقل بخواصّه إلى المَيْـدان[(٢)] الذى أنشأه بين مصر والقاهرة، ودخلت العساكر إلى منازلهم، وبطَلَت حركة السفر بعـد أن أعاد قاضى القضاة شمس الدين أحمـد بن خِلِّكان إلى قضاء دِمَشْـق وأعمالها من العَرِيش الى سَلَمْيَة ، وتوجّه ٱبن خلكان إلى الشـام ، وطلع الملك السعيد إلى قلعـة الجبل وأبطل حركة السفر بالكلّيّة إلى وقت يريده حسب ما وقع الاتّفاق عليـه ، وٱستمرّ بالقلعـة إلى أن أمر العساكر بالتأهب إلى السفر وتجهّز هو أيضا لأمرٍ ٱقتضى ذلك .

وخرج مر الديار المصريّة فى العشر الأوسط من ذى القعدة من سنة سبع وسبعين وستمائة وخرج من القاهرة بعساكره وأمرائه، وسار حتى وصل إلى الشام فى خامس ذى الحِجّة ، فخرج أهلُ دِمَشْق إلى ملتقاه وزيّنوا له البلد وسُرُّوا بقدومه سرورًا زائدًا . وعَمِل عيد النَّحْر بقلعة دمشق وصلّى العيد بالمَيْدان الأخضر .

وورد عليه الخبر بموت الصاحب بهاء الدين على بن[(٣)] محمد بن سليم بن حِنّا بالقاهرة ، فقَبَض السلطان على حفيده الصاحب تاج الدين[(٤)] محمد، وضرب الحَوْطة على موجوده بسبب موت جَدّه الصاحب بهاء الدين المذكور .

---

(١) راجع الحاشية رقم٣ص ١٩٦ من هذا الجزء .

(٢) ميدان الملك السعيد محمد بركة خان بين مصر والقاهرة . لم يذكر أصحاب الخطط ميدانا معينا باسم الملك السـعيد محمد بركة خان ، وبما أن المؤلف ذكر أن هذا الميدان كان واقعا بين مصر والقاهرة ، فأرجح أن هـذا الميدان هو بذاته ميدان القرافة الذى ذكره المقريزى فى (ص ٤٤٣ ج ٢) من خططه عنـد الكلام على القرافة حيث قال : وكان ما بين قبة الامام الشافعى رحمه الله و بين باب القرافة ميدانا واحدا تتسابق فيه الأمراء والأجناد، ويجتمع النـاس هنا لك للتفرّج على السباق . وفى أوائل القرن الثـامن الهجرى أحدث أمراء دولة الملك النـاصر محمد بن قلاوون الترب بأرض هـذا الميدان . يضاف إلى ذلك أن هذه المنطقة وردت عند ذكر بعض الأماكن الواردة فى الخطط المقريزية بوصف أنها كانت بين مصر والقاهرة . ومن هذا يتبين أن ميدان القرافة المـذكور هو ميدان بركة خان الذى يقصده المؤلف .

(٣) فى الأصلين : «بهاء الدين محمد بن على» . والتصويب عن تاريخ الإسلام والسلوك ونهاية الأرب .

(٤) هو تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن بهاء الدين على . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٠٧ هـ .

ثم أرسل السلطان الملك السعيد إلى بُرْهان(1) الدين الخَضِر بن الحسن السِّنْجارِىّ باستقراره وزيرًا بالديار المصرية ثم خَلَع السلطان على الصاحب فتح الدين عبد الله [آبن محمد(2) بن أحمد بن خالد بن نصر] بن القَيْسَرانِىّ بوزارة دمشق، وبسط يده فى بلاد الشام وأمر القضاة وغيرهم بالركوب معه .

ثم جهز السلطان العساكر إلى بلاد سِيس للنَّهْب والإغارة(3) ، ومقدَّمُهم الأمير سيف الدين قلاوون الألْفِىّ . وأقام الملك السعيد بدَمَشْق فى نَفَر يسير من الأمراء والخواصّ ، فصار فى غَيْبة العسكر يُكثِر التردُّد الى الربعية(4) من قرى المَرْج يُقيم فيها أيّاما ثم يعود . ثم أسقط السلطان ما كان قرّره والده الملك الظاهر على بساتين دِمَشْق فى كلّ سنة، فسُرّ الناس بذلك وتضاعفت أدعِيَتُهم له وآستمرّ السلطان بِدَمَشْق إلى أن وقع الخُلْف فى العَشْر الأوسط من شهر ربيع الأوّل من سنة ثمان وسبعين بين المماليك الخاصّكيّة الملازمين لخدمته وبين الأمراء لأمور(5) يطول شرحها .

---

(1) فى الأصلين : « بهاء الدين الخضر » . وتصحيحه عن السلوك ونهاية الأرب والمنهل الصافى وعيون التواريخ وشذرات الذهب . فى حوادث سنة ٦٨٦ هـ وهى سنة وفاته .

(2) تكملة عن المنهل الصافى وشذرات الذهب وما سيذكره المؤلف فى وفاته سنة ٧٠٣ هـ .

(3) لما آستقر ركاب السلطان بدمشق رسم بتفريق عساكره للتمكن من التدبير عليهم وقرر الخاصكية معه القبض عليهم عند عودهم وأخذ إقطاعاتهم وموجودهم وعينوا خبز كل واحد منهم لواحد منهم ، هذا والأمير سيف الدين كوندك مطلع عليهم فأرسل إلى الأميرين بدر الدين بيسرى وسيف الدين قلاوون سرا فعرفهما بما اتفقت الخاصكية عليه (انظر عقد الجمان للعينى وعيون التواريخ فى حوادث سنة ٦٧٧ هـ) .

(4) فى الذيل على مرآة الزمان : « الزنبقية » .

(5) ذكر فى نهاية الأرب (ج ٢٨ ص ١٢٥) وعقد الجمان وعيون التواريخ والنهج السديد سبب هذه الفتنة هو أن الملك السعيد أكثر من الإنعام على الخاصكية وأوسع فى العطاء لهم فاتفق أنه أنعم على بعضهم بألف دينار فتوقف النائب فى إمضاء المرسوم فاجتمع المنعم عليه ببقية خشداشيته وعرفهم فاجتمعوا وحضروا الى الأمير سيف الدين كوندك ودخلوا الى السلطان وصمموا على عزله فأجابهم إلى ذلك فخرجوا اليه ليوقعوا به و يقبضوا عليه و يقتلوه ، وكان ذلك بحضور الأمير شمس الدين سنقر الأشقر فنعهم من ذلك ثم خرج مغاضبا للملك السعيد مع أربعمائة مملوك من الظاهرية للانضمام إلى الأمير سيف الدين قلاوون وصحبه العائدين من الغزو .

وعَجَز الملك السعيد عن تلافى ذلك، وخرج عن طاعته الأميرُ سيف الدين كَوَنْدَك(١) الظاهرىّ نائب السلطنة ومقدّم العساكر مُغاضباً للسلطان الملك السعيد، وخرج معه نحو أربعمائة مملوك من الظاهريّة : منهم جماعة كثيرة مشهورة بالشجاعة ونزلوا بمنزلة القُطَيِّفة(٢) فى آنتظار العساكر التى ببلاد سِيس ففى العشر الأخير من شهر ربيع الأوّل عادت العساكر من بلاد سِيس إلى جهة دِمَشْق فنزلوا بمَرْج عَذراء(٣) إلى القُصَير(٤)؛ وكان قد آتّصل بهم سيف الدين كَوُنْدَك ومَنْ معه وآستمالوهم فلم يدخل العسكر دِمَشق، وأرسلوا إلى الملك السعيد فى معنى الخُلْف الذى حصل بين الطائفتين، وكان كَوُنْدَك مائلاً إلى الأمير بَيْسَرى . ولـمّا آجتمع بالأمير سيف الدين قلاوون الألفى والأمير بدر الدين بَيْسَرى والأمراء الكبار أوحى إليهم عن السلطان ماغلّت صدورهم، وخوّفهم من الخاصّكيّة وعرّفهم أنّ نيّتهم لهم غير جميلة، وأنّ الملك السعيد موافقٌ على ذلك وأكثر من القول المختلَق ؛ فوقع الكلام بين الأمراء الكبار وبين السلطان الملك السعيد، وتردّدت الرُّسل بينهم، فكان من جملة ما آقترح الأمراءُ على الملك السعيد إبعادُ الخاصّكيّة عنه، وألّا يكون لهم فى الدولة تدبيرٌ ولا حديث، بل يكونوا على أخبازهم ووظائفهم مُقيمين ؛ فلم يُجب الملك السعيد إلى ذلك؛ فرحل العسكر من مَرْج عَذراء إلى ذَيْل عَقَبة الشُّحُورة(٥) بأسرهم ولم يعبُروا المدينة بل جعلوا طريقهم من المَرْج، وأقاموا بهذه المنزلة ثلاثة أيام، والرُّسل تتردّد بينهم وبين

(١) ضبطنا هــذا الأسم بالقلم كما ضبطه صاحب عقد الجمان . وفى كتاب سلاطين المماليك (ص ١٥٤) ضبط بالقلم (بفتح الكاف وضم الواو وسكون النون وضم الدال) .

(٢) القطيفة : قرية دون ثنية العقاب للقاصد إلى دمشق فى طرف البرية من حمص (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) عذراء : قرية بغوطة دمشق من إقليم خولان معروفة ، وإليها ينسب مرج (عذراء) وإذا انحدرت من ثنيــة العقاب وأشرفت على الغوطة فتأملت على يسارك رأيتهـا أوّل قرية تلى الجبـل وبها منارة . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) راجع الحاشية رقم ٦ ص ١٥٨ من هذا الجزء .

(٥) راجع الحاشية رقم ٨ ص ١٢١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

الملك السعيد ؛ ثم رَحَلوا ونزلوا بمَرْج(١) الصُّفَّر وعند رحيلهم رجع الأمير عزّ الدين أَيْدَمُر الظاهرى نائب الشام وأكثرُ عسكر دِمَشق ، وقدِموا مدينة دِمَشق ودخلوا فى طاعة السلطان . وفى يوم رحيلهم من مَرْج الصُّفَّر سَيَّر الملك السعيد والدته بنت بركة خان فى مِحَفّة وفى خدمتها الأمير شمس الدين قَرَاسُنْقُر ، وكان من الذين لم يتوجّهوا إلى بلاد سِيس ولِحقوا العسكر ؛ فلمّا سمِعوا بوصولها خرج الأمراء الأكابر المقدّمون لملتقاها ، وترجّلوا بأجمعهم وقبّلوا الأرض أمام المِحَفّة ، وبَسَطُوا الحرير العَتّابى(٢) وغيره تحت حوافر بغال المِحَفّة ومشَوْا أمام المِحَفّة حتى نزلت فى المنزلة ، فلمّا آستقرت بها تحدّثت معهم فى الصلح والآنقياد وآجتماع الكلمة ، فذكروا ما بلغهم من تغيّر السلطان عليهم ، وموافقته الخاصّكيّة على ما يرومونه من إمساكهم وإبعادهم ؛ فحلَفتْ لهم على بُطلان ما نُقِل إليهم ، فآشترطوا شروطا كثيرة آلتزمتْ لهم بها ، وعادت إلى ولدها وعرّفته الصورة ؛ فمنعه مَن حوله من الخاصّكيّة من الدخول تحت تلك الشروط ، وقالوا : ما القصد إلّا إبعادنا عنك حتّى يتمكنوا منك وينْزِعُوك من الملك ، فمال إلى كلامهم وأَبَى قبول تلك الشروط .

فلمّا بلغ العسكرَ ذلك رحل من مَرْج الصُّفَّر قاصدًا الديار المصريّة ؛ فخرج السلطان الملك السعيد بنفسه فيمن معه من الخاصّكيّة جريدةً ، وساق فى طلبهم ليتلافى الأمر إلى أن بلغ رأس الماء(٣) ، فوجدهم قد عَدَوْه وأبعدوا ، فعاد من يومه ودخل قلعة دِمَشق فى الليل وهى ليلة الخميس سَلْخ شهر ربيع الأوّل سنة ثمانٍ وسبعين وستمائة . وأصبح فى يوم الجمعة مستهلّ شهر ربيع الآخر خرج السلطان

(١) انظر الحاشية رقم ٨ ص ١٤٩ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) الحرير العتابى : كلمة تطلق على صنف من قماش مخطط بحمرة وصفرة . راجع كترمير أول ص ٢٤١ . (٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٥١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

الملك السعيد بجميع من تخلّف معه من العساكر المصريّة والشاميّــة إلى جهة الديار المصريّة بعــد أن صلّى الجمعة بها، وسار بمَن معه فى طلب العساكر المقدّم ذكرهم، وجهّز والدته وخزائنــه إلى الكَرَك؛ وسار حتّى وصــل إلى بُلْبَيْس يوم الجمعــة خامس عشر شهــر ربيع الآخر المذكور، فوجد العسكر قــد سبقه إلى القــاهرة؛ فأَمَر بالرحيل من بُلْبَيْس؛ فلمّا أخذت العساكر فى الرحيل من بُلْبَيْس بعــد العصر فارق الأمير عزّ الدين أَيْدَمُر الظــاهرىّ نائبُ الشام وصحبتُه أكثرُ أمراء دمشق السلطانَ الملكَ السعيد، وآنضاف إلى المصريّين، وبلغ الملكَ الســعيدَ ذلك فلم يَكْتَرِث؛ وركب بمَن بَقِىَ معه من خواصّه وعساكره وسار بهم حتّى وصل ظاهر القاهرة؛ وكان نائبُــه بالديار المصريّة الأميرَ عز الدين أَيْبَك الأفرم، وهو بقلعة الجبل والعساكر مُحْدِقة بها، فتقدّم الملك السعيد بمَنْ معــه لقتال العساكر، وكان الذى بقِىَ مع السلطان الملك السعيد جمــاعة قليلة بالنسبة إلى من يقاتلونه، ووقع المصافّ بينهم وتقاتلوا فحمَلَ الأميرُ علم الدين سَنْجَر الحلبىّ من جهة الملك السعيد وشقّ الأطلاب ودخل إلى قلعة الجبل بعد أن قُتِل من الفريقين نفرٌ يسير، ومَلَك القلعة وشال علَمَ السلطان، ثم نزل وفتح للملك السعيد طريقًا وطلَع به إلى القلعة.

وأمّا سُنْقُر الأشقر فإنّه بَقِىَ فى المطرِيّة[1] وحده وصار لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. ولمّــا طلع السلطان إليها أحاطت العساكر بها وحاصروها وقاتلوا مَنْ بها قتالاً شديدا

---

(١) المطرية : هى من القرى المصرية القديمة وردت فى معجم البلدان لياقوت حيث قال : إنها من قرى مصر وبأرضهـا يزرع شجر البلسان يستخرج منــه نوع من الدهن الطبي، ووردت المطرية فى كتاب التحفة السنية لابن الجيعان بأنها من ضواحى مصر. وفى الخطط المقريزية باسم منية مطر.

وأقول : إن المطرية هذه لا تزال موجودة فى الضواحى الشمالية الشرقية لمدينة القاهرة، وبها محطة للسكة الحديدية الموصلة بين محطة كوبرى الليمون وبين قرية المرج. وكان بأراضى ناحية المطرية مدينة عين شمس القديمة التى تسمى بالمصرى «آن» أو «رع» أى الشمس، وبالعبرى «أون» ويقال لها =

وضايقوها وقطعوا الماء الذى يطلُع إليها و زَحَفُوا عليها فجدُّوا فى القتال ، ورأى الملك السعيد تخلّى من كان معه وتخاذُل من بقى معه من الخاصّكيّة ، وعَلِم أنّه لا طاقة له بهم ، وكان المشار إليه فى العسكر المُحَاصِر الأميرَ سيفَ الدين قلاوون الألْفِىّ ، وهو حمو الملك السعيد فإنّ الملك السعيد كان تزوّج ٱبنته قبل ذلك بمدّة[1] ، فجرت المراسلات بينهم وكثُر الكلام وتردّدت الرُّسل غير مرّة ، حتّى ٱستقرّ الحال على أن الملك السعيد يُخلَع من السلطنة ويُنَصِّبونَ فى السلطنة أخاه بدر الدين سَلَامُش ٱبن الملك الظاهر بيبرس ، ويُقطِعون الملك السعيد هذا وأخاه نجم الدين خَضِرا الكَرَك والشُّوبَك وأعمالها ؛ فسيّر المَلك السعيدُ الأميرَ علم الدين سَنْجَر الحَلَبىّ والقاضىَ تاج الدين محمد بن الأثير إلى الأمير سيف الدين قلاوون وأعيان الأمراء ليستوثِق لنفسه منهم ، فحلَفوا له على الوفاء بما ٱلتزموه من إعطاء الكَرَك والشُّوبَك له ولأخيه . وخرج من قلعة الجبل يوم الأحد سابع عشر شهر ربيع الآخر المذكور ونزل إلى دار

= « عون » وبالرومى هليوبوليس أى مدينة الشمس — وقد ٱندثرت هذه المدينة ولم يبق من آثارها إلا إحدى المسلتين اللتين كان أقامهما على الباب الكبير لمعبد المدينة الملك سانوسريت الأوّل (سيزوستريس) أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة الفرعونية . وأما المسلة الثانية فقد سقطت سنة ١١٩٠ م . واليوم يطلق اسم عين شمس على محطة عين شمس ، وعلى المساكن المجاورة لها الواقعة على السكة الحديدية فى شمالى محطة المطرية ، كما يطلق اسم هيليوبوليس على المدينة الجديدة التى أنشئت فى سنة ١٩٠٦ بالصحراء الشمالية الشرقية لمدينة القاهرة وهى المعروفة بمصر الجديدة . ويوجد بأراضى المطرية بستان قديم يعرف ببستان البلسم ، به شجرة وبئر ، يزعمون أنهما من آثار السيدة مريم العذراء عند مرورها بأرض مصر مع ولدها المسيح عيسى عليه السلام . ولا تزال بقايا هذه الشجرة موجودة إلى اليوم ، وتعرف بشجرة العذراء ، يعظمها المسيحيون ويقصدونها للتبرك بها .

(١) كان الدخول بها فى ربيع الأول سنة خمس وسبعين وستمائة ، واهتمّ السلطان الملك الظاهر بذلك اهتماما عظيما لم يسمع بمثله ، وخلع على جميع أكابر دولته من الأمراء والمقدمين والوزراء والقضاة والكتّاب . وأنعم على الأمير سيف الدين قلاوون بتشريف كامل بشربوش كان السلطان قد لبسه ثم خلعه عليه . وقد سبقت الإشارة إلى ذلك فى ترجمة والده الملك الظاهر ، وانظر نهاية الأرب ص ٧٠ ج ٢٨ تجد تفاصيل كثيرة .

العدل[1] التى على باب القلعة، وكانت مركز الأمير قلاوون فى حال المصافّ والقتال، وكان الحصار ثلاثة أيام بيوم القُدوم لاغير .

ولمّا حضر الملك السعيد إلى عند قلاوون أحضر أعيان القضاة والأمراء والمُفتين وخلعوا الملك السعيد هذا من السلطنة وسلطنوا مكانه[2] أخاه بدر الدين سلامش ولقّبوه بالملك العادل سلامش، وعُمُرُه يومئذ سبع سنين وجعلوا أتابكه الأمير سيف الدين قلاوون الألفى الصالحىّ النَّجْمِىّ . وآستمرّت بنت قلاوون عند زوجها الملك السعيد المذكور إلى ما سيأتى ذكره .

ثم أخذ قلاوون فى تحليف الأمراء للملك العادل فحلفوا له بأجمعهم على العادة، وضُربت السّكّة فى أحد الوجهين: آسم الملك العادل والآخر آسم قلاوون، وخُطِب لهما أيضا معًا على المنابر، وآستمرّ الأمر على ذلك؛ وتصرّف قلاوون فى المملكة والخزائن، وعامله الأمراء والجيوش بما يعاملون به السلطان . ثم عَمِل قلاوون بخَلْع الملك السعيد محضرًا شرعيًّا ووضع الأمراءُ خطوطَهم عليه وشهادتَهم فيه، وكتب فيه المُفتون والقضاةُ وأعطوا الملك السعيد الكَرَك وعملَها، وأخاه نجم الدين خَضِرًا الشَّوبك وعَمَلَها . وخرج الملك السعيد من قلعة الجبل إلى بِرْكة[3] الحُجّاج متوجّهًا إلى الكَرَك فى يوم الآثنين ثامن عشر شهر ربيع الآخر المذكور من سنة ثمانٍ وسبعين (أعنى ثانى يوم من خلعه) ومعه جماعة من العسكر صورة ترسيم، ومقدّمهم الأمير

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من هذا الجزء .

(٢) لما تم خلع السلطان الملك السعيد وإرساله الى الكرك عرضت السلطنة على الأمير سيف الدين قلاوون، وقال له الأمراء الأكابر : أنت أولى بتدبيرها فأبى وقال أنا لم أخلع الملك السعيد شرها إلى السلطنة وحرصا على المملكة، لكن حفظا للنظام وأنفة لجيوش الإسلام أن يتقدم عليهم الأصاغر، والأولى ألا يخرج الأمر من ذرية الملك الظاهر فأقام الأمير بدر سلامش كما فى الأصل . (راجع عقد الجمان فى حوادث سنة ٦٧٨ هـ) .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

سيف الدين بيدغان الرُّكْنى، ثم بَدَا لهم أن يرجعوا به إلى القلعة فعادوا إليها فى نهار الاثنين لأمرٍ أرادوه وقرّروه معه ثم أمَرُوه بالتوجّه؛ فخرج وسافر ليلة الثلاثاء إلى الكَرَك بمن معه فوصلها يوم الاثنين خامس عشرين شهر ربيع الآخر المذكور، وتسلّم أخوه نجم الدين خَضِر الشَّوبَك، وكان الأمير بيدغان ومن معه قد فارقوا الملك السعيد من غَزّة ورجعوا إلى الديار المصريّة؛ وأقام الملك السعيد بالكَرَك وزال مُلْكه؛ فكانت مدّة حُكمه وسلطنته بعد موت أبيه الملك الظاهر بِيبَرْس إلى يوم خلعه سنتين وشهرين[1] وخمسة عشر يوما، واستمرّ بالكَرَك مع مماليكه وعياله، وقصده الناس والأجناد، فصار يُنعم على من يَقصده، واستكثر من استخدام المماليك.

ثم رَسَم الأميرُ سيف الدين قلاوون بانتقال الملك خَضِر من الشَّوبَك إلى عند أخيه الملك السعيد بالكَرَك، وتسلّم نُوّاب قلاوون الشَّوبَك؛ ودام الملك السعيد على ذلك حتى خُلِع سَلَامُش من السلطنة وتسلطن قلاوون حسب ما يأتى ذكر ذلك كلّه فى ترجمتهما.

فلمّا تسلطن قلاوون بلغه عن الملك السعيد أنّه استكثر من استخدام المماليك وأنّه يُنْعِم على مَنْ يقصده فاستوحش منه، وتأثّر من ذلك. فمرض الملك السعيد بعد ذلك بمدّة يسيرة وتُوفّى، رحمه الله تعالى، فى يوم الجمعة حادى عشر ذى القعدة سنة ثمانٍ وسبعين وستمائة بالكَرَك، ودُفن من يومه بأرض مُؤْتة[2] عند جعفر بن أبى طالب، رضى الله عنه، ثم نُقل بعد ذلك إلى دِمَشق فى سنة ثمانين[3] وستمائة فدُفن إلى جنب والده الملك الظاهر بِيبَرْس بالتُّرْبة[4] التى أنشأها قبالة المدرسة العادليّة السّيفيّة، وألحده

(١) رواية عقد الجمان والجوهر الثمين : « سنتين وشهرا وأياما » .
(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٠٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
(٣) عبارة تاريخ الإسلام والمنهل الصافى : « ثم نقل إلى تربته بدمشق بعد سنة وخمسة أشهر » .
(٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٦٣ من هذا الجزء .

قاضى القضاة عِزّ الدين محمد بن الصائغ[(١)] . وكانت مدة إقامته بالكَرَك بعد أن خُلِع من السلطنة ستة أشهر وخمسة وعشرين يوما . ووجد الناس عليه كثيرًا وعُمِل عزاؤُه بسائر البلاد ، وخرجت الخَوَنْدَات حاسراتٍ بجَوَارِيهِنّ يَلْطُمْن بالملاهى والدُّفُوف أيامًا عديدة ، ويُسْمِعْن الملك المنصور قلاوون الكلام الخشن وأنواع السبّ وهو لا يتكلّم ، فإنّه نُسِب اليه أنه آغتاله بالسمّ لمّا سمع كثرة آستخدامه للماليك وغيرهم .

قلتُ : ولا يبعُد ذلك عن الملك المنصور قلاوون لكثرة تخوّفه من عِظَم شَوْكته وكثرة مماليك والده وحواشيه . وأبغض الناسُ الملك المنصور قلاوون سنينا كثيرة إلى أن أرضاهم بكثرة الجهاد والفتوحات ؛ وأبغض الملكَ المنصورَ قلاوون حتى آبنتهُ زوجة الملك السعيد المذكور ، فإنّها وجدت على زوجها الملك السعيد وَجْدًا عظيما وتألّمت لفَقْده ، ولم تزل باكيةً عليه حزينةً لم تتزوّج بعده إلى أن تُوُفِّيت بعد زوجها الملك السعيد بمدّة طويلة فى مستهلّ شهر رجب سنة سبع وثمانين وستمائة . وكانت شقيقةَ الملك الأشرف خليل بن قلاوون ، ودُفِنت فى تربة[(٢)] معروفة بوالدها بين مصر والقاهرة .

---

(١) هو قاضى القضاة عز الدين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل الأنصارى الدمشقى الشافعى . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨٣ هـ فيمن نقل وفاتهم عن الذهبى .

(٢) تربة المنصور قلاون التى دفنت بها آبنته زوجة الملك السعيد بركة خان ، هذه التربة هى التى ذكرها المقريزى فى (ص ٣٩٤ ج ٢) من خططه باسم مدرسة تربة أم الصالح ، وقال : إنها بجوار المدرسة الأشرفية بالقرب من المشهد النفيسى فيما بين القاهرة ومصر . أنشأها الملك المنصور قلاون فى سنة ٦٨٢ هـ برسم زوجته أم ولده الملك الصالح علاء الدين على . ولما توفيت يوم ١٦ شوّال سنة ٦٨٣ هـ دفنت بهذه التربة ، وقد ذكرها آبن دقماق فى كتاب الانتصار (ص ١٢٥ ج ٤) باسم التربة الخاتونية بنت قلاوون وقال إنها بجانب المدرسة الأشرفية ، دفن بها فى سنة ٦٨٧ هـ الملك الصالح علاء الدين على بن قلاوون فى حياة والده ، ثم دفنت بها آبنته خاتون أرملة الملك السعيد محمد بركة خان . وفى سنة ٧٤٦ هـ دفن بها =

وصُـلِّى على الملك السعيد بدمشق صلاة الغائب يوم الجمعة رابع وعشرين ذى الحجّـة . ثم أنعم الملك المنصور بالكَرَك بعـد موته على أخيـه خَضر ولُقِّب بالملك المسعود خَضِر .

وكان الملك السـعيد ، رحمه الله ، سـلطاناً جليلًا كريمـا سَخِيّ الكَفّ ، كثير العدل فى الرعيّة ، محسناً للخاصّ والعامّ ، لا يردّ سائلا ولا يُخيّب آملاً ، وكان متواضعا بَشُوشًا ، حسن الأخلاق ليس فى طبعه عَسْفٌ ولا ظلمٌ ، كثير الشـفقة والرحمة على الناس ، ليِّن الكلمة محبًّا لفعل الخير ، قليـل الحِجَاب على النـاس يتصدّى للأحكام بنفســه ، وكان لا يميل لسَـفْك الدماء مع قدرته على ذلك ، وكان يوم دخوله إلى قلعة الجبل وُلِد له مولود ذَكَر من بعض حظاياه فى شهر ربيع الآخر من هذه السنة . وكان يُحِبّ التجمّل ويُكثر من الإنعام على النـاس ويَخْلَع حتّى فى الأعزية . ولـمّا مات خاله الأمير بدر الدين محمد بن بركة خان بن دولة خان ، وكان من أعيان الأمراء بالديار المصريّة فى الدولة الظاهريّة ، وكان حصل له عند إفضاء الملك لابن أخته الملك السعيد تقـدّمٌ كبير ومكانة عالية ، وتوجّه معه إلى دِمَشق فَمرض بها إلى أن تُوفّى ليلة الخميس تاسع شهر ربيع الأوّل ، ودُفِن بسـفح قاسيون بالتُّربة المجـاورة لرباط الملك الناصر صـلاح الدين يوسف ؛ ومقدار عمره خمسون سنة ، عَمِل[(١)] له

= الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون . و فى سنة ٧٦١ دفن بها الملك الصالح صالح ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون . ومن هذا يتبين أنه دفن بها ثلاث ملوك لقبهم الصالح .

وأقول : إن هـذه التربة لا تزال موجودة إلى اليوم بشارع الأشرف بقسم الخليفة بالقاهرة باسم تربة الست فاطمة خاتون بجرى المدرسة الأشرفية وبالقرب من جامع السيدة نفيسة . ومما يلفت النظر فى قبة هذه التربة المقرنص الذى تحتها والكتابة الكوفية التى حول عقود شبابيكها ثم مئذنتها ذات الشكل المربع المشرفة على الشارع بشكل برج مرتفع . ولانخفاض أرض هذه التربة عن منسوب الأرض المحيطة بها قد أقامت إدارة حفظ الآثار العربية حولها حائطا مرتفعا لمنع تهايل الأتربة عليها .

(١) فى الأصلين : «نعمل ... الخ» .

عدّةَ أعزِيَة وقُرِئ بالتُّربة عِدّةُ خَتَمات، حضر إحداها آبن أخته الملك السعيد، ومُدَّ خِوَانٌ فيه من عظيم فاخر الأطعمة والحلاوات، فأكل مَن حضر، وخَلَع الملك السعيد على والدته ومماليكه وخواصّه، وهو فى العزاء فلبِسُوا الخِلَع وقبّلوا الأرض، وكانت الخلَع خارجةً عن الحدّ . وهذا أيضا ممّا يدلّ على كرمه ووسع نفسه وكثرة إنعامه حتّى فى الأعْزِية . رحمه الله تعالى . انتهت ترجمة الملك السعيد . ويأتى ذكر حوادث سنين سلطنته على عادة هذا الكتاب، إن شاء الله تعالى .



السنة الأولى من ولاية الملك السعيد محمد برَكَة خان على مصر، وهى سنة ستّ وسبعين وستمائة .

فيها توفّى الشيخ كمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل [بن إبراهيم آبن فارس][(١)] الإسكندرى المقرئ، كان عارفًا بالقراءات، وآنتفع به خَلْق كثير، وتَوَلّى نَظَرَ حَبْسِ دِمَشق، ونَظَرَ بيتِ المال بها مضافا إلى نظر الحَبْس، وباشر عدّة وظائف دينيّة . ومات فى صفر . وكان رئيسا فاضلا .

وفيها تُوفّى الأمير جمال الدين آقوش بن عبد الله المحمَّدىّ الصالحىّ النَّجْمىّ، كان من أعيان الأمراء ومن أكابرهم، وكان الملك الظاهر بيبرس يخافه، فحبسه مدّة طويلةً ثم أفرج عنه فمات فى شهر ربيع الأوّل، ودفن بتربته[(٢)] بالقرافة الصغرى .

---

(١) الزيادة عن تاريخ الإسلام وغاية النهاية . (٢) غير ممكن تعيين موقعها الآن لأنه هدم من قديم، بسبب هدم الترب القديمة وإحداث ترب أخرى فى مكانها، لا ما كان منها من الآثار المحفوظة . وهذه ليست منها . والقرافة الصغرى هى التى تعرف اليوم بجبانة الإمام الشافعى .

وفيها تُوفّى الأمير عزّ الدين أَيْبَك بن عبد الله المَوْصِلىّ الظاهرىّ نائب السلطنة بحِمْص، وكان ولى حِمْص مدّة ثم عَزَله الملك الظاهر عنها ونفاه إلى حصن الأكراد[1]، وكان شجاعًا مِقداما .

وفيها تُوفّى الأمير عزّ الدين أَيْبَك بن عبد الله الدِّمْياطِىّ الصالحىّ النَّجْمِىّ أحد أكابر الأمراء المقدّمين على الجيوش، كان قـديم الهِجْرة [بينهم][2] فى علوّ المنزلة وسموّ المكانة، وكان الملك الظاهر أيضا حبسه مدّة طويلة ثم أطلقه وأعاده إلى مكانته. ومات بالقاهرة فى شعبان ودُفِن بتربتـه التى أنشأها بين القاهرة ومصر فى القُبّـة[3] المجاورة لحوض السبيل[4] المعروف به .

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٣ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) زيادة عن الذيل على مرآة الزمان . (٣) قبة أيبك بن عبد الله الدمياطى، لما تكلم المقريزى فى (ص ٤٣٠ ج ٢) من خططه على زاوية الدمياطى قال : إن هـذه الزاوية خارج مصر فيما بين خط السبع سقـايات وبين قنطرة السد . أنشأها الأمير عز الدين أيبك الدمياطى أحد الأمراء المقدّمين الأكابر، وبها دفن لما مات فى سنة ٦٧٦ ﻫ .

وأقول : إن القبة المشار إليها كانت قائمة فوق قبر هـذا الأمير داخل الزاوية من الجهـة البحرية، وقد هدمت هذه القبة . وأما الزاوية فلا تزال موجودة من الجهة البحرية، وتعرف الآن بجامع الحبيبى نسبة إلى الشيخ محمد الحبيبى شيخ الطريقة الحبيبية الذى جدّد هـذا المسجد فى سنة ١٢٤٧ ﻫ . ثم دفن فيـه بجوار قبر الأمير أيبك فعرف بجامع الحبيبى من ذلك الوقت . وفى سـنة ١٣٣٠ ﻫ جدّدت نظارة الأوقاف هـذا الجامع ولا يزال مقام الشعائر إلى اليوم بشارع السد الجوّانى على رأس شارع الشيخ سليم بقسم السيدة زينب بالقاهرة . (٤) فى الأصلين : « المجاورة للحوض والسبيل » وما أثبتناه عن الذيل على مرآة الزمان . وحوض السبيل المجاور لقبـة أيبك الدمياطى، لما تكلم المقريزى على زاوية الدمياطى فى (ص ٤٣٠ ج ٢) من خططه قال : إن هذه الزاوية خارج مصر بين خط السـبع سقايات وبين قنطرة السد بجانب حوض السبيل المعد لشرب الدواب؛ ثم قال : ولا يزال يعرف الحوض المجاور لهذه الزاوية بحوض الدمياطى .

وأقول : إن هذا الحوض قد اندثر، ومكانه الدكاكين الواقعة بجوار جامع الحبيبى من الجهة البحرية والمشرفة على شارع السد، حيث كان الطريق العام من عهد الدولة الفاطمية بين مصر والقاهرة إلى اليوم .

وفيها تُوفّى الأمير عِزّ الدين أَيْدَمُر بن عبد الله العَلاَئِىّ نائب قلعة صَفَد، حضر بعد موت الملك الظاهر إلى القاهرة ومات بها ودُفِن بالقرافة الصغرى، وكان ديّنا عفيفا أمينا، وهو أخو الأمير علاء الدين أَيْدِكين الصالحىّ .

وفيها تُوفّى الأمير بدر الدين بِيلِيك بن عبد الله الظاهرىّ الخَازِنْدار نائب السلطنة بالديار المصريّة بل بالممالك كلّها . قد تقدّم من ذكره نبذةٌ جيّدة فى عِدّة مواطن، وهو الذى أخفى موت الملك الظاهر حتى قَدِم به إلى مصر حسب ماتقدّم ذكرُه، وكانت وفاته بالقاهرة فى سادس شهر ربيع الأوّل بقلعة الجبل ودُفِن بتربته التى أنشأها بالقرافة الصغرى (١)، وحَزِن الناس عليه حُزْنًا شديدًا حتى شَمِل مُصابُه الخاصّ والعامّ، وعُمِل عزاؤه بالقاهرة ثلاثة أيام، فى الليل بالشُّموع وأنواع الملاهى. وصدّعَ موتُه القلوبَ وأبكى العيونَ؛ وقيل : إنّه مات مسموماً، وكان عمره خمسا وأربعين سنة، ومحاسنه كثيرة يطول الشرح فى ذكرها .

وفيها تُوفّى الشيخ المعتَقَد خَضِر بن أبى بكر [محمد] (٢) بن موسى أبو العبّاس المِهْرَانِىّ العَدَوِىّ، كان أصله من قرية المُحَمّدِيّة من أعمال جزيرة آبن عمر، وهو شيخ الملك الظاهر بِيبَرْس (٣)، وصاحب الزاوية التى بناها له الملك الظاهر بالحُسَيْنِيّة (٤) على الخليج بالقرب من جامع الظاهر (٥) . وقد تقدّم من ذكره فى ترجمة الملك الظاهر ما يُغنى عن الإعادة هاهنا . وكان الشيخ خَضِر بَشَّرَ الملك الظاهر قبل سلطنته بالمُلك، فلمّا تسلطن صار له فيه العقيدة العظيمة حتّى إنه كان ينزل إليه فى الجمعة المرّة والمرّتين،

---

(١) غير ممكن تعيين موقعها الآن لاندثارها من قديم . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٧٤ من هذا الجزء .

(٢) زيادة عن المنهل الصافى .

(٣) راجع الحاشيه رقم ١ ص ١٦١ من هذا الجزء

(٤) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٤٣ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

(٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٦١ من هذا الجزء .

وكان يُطْلِعه على غوامض أسراره، ويستشيره فى أموره، ويستصحبه فى أسفاره، وفيه يقول الشريف محمد بن رِضْوان الناسخ (١) .

ما الظاهرُ السلطانُ إلا مالكُ الـ * ـدنيا بذاك لنا الملاحم تُخْبِرُ
ولنا دليلٌ واضحٌ كالشمس فى * وَسَط السماء بكلّ عَيْنٍ تُنْظَرُ
لمّا رأينا الخضر يقدُم جيشَه * أبدًا علمنا أنّه الإسكندرُ

وكان الشيخ يُخبِر الملك الظاهر بأمور قبل وقوعها فتقع على ما يُخبره، ثم تغيّر الملك الظاهر عليه لأمور بلغتْه عنه وأحضر السلطان مَن حاققه، وذكروا عنه من القبائح ما لم يصدُر عن مسلم! والله أعلم بصحّة ذلك؛ فاستشار الملك الظاهر الأمراء فى أمره، فمنهم من أشار بقتله، ومنهم من أشار بحَبْسه، فمال الظاهر إلى قتله ففهم خَضِر، فقال للظاهر: اِسمع ما أقول لك، إنّ أجلى قريب من أجلك، وبينى وبينك مدّة أيّام يسيرة، فمن مات منّا لحقه صاحبه عن قريب! فوَجَم الملك الظاهر وكَفّ عن قتله، فحَبَسه فى مكان لا يُسمع له فيه حديثٌ، وكان حبسه فى شوّال سنة إحدى وسبعين وستمائة، وتُوفّى يوم الخميس أو فى ليلة الجمعة سادس المحرّم سنة ست وسبعين وستمائة، ودُفِن بزوايته بالحُسَيْنِيّة . وكان الملك الظاهر بدمَشْق، فلمّا بلغه موته اضطرب وخاف على نفسه من الموت لمّا كان قال له الشيخ خَضِر: إنّ أجله من أجله قريب، فمَرِض الظاهر بعد أيام يسيرة ومات، فكان بين الشيخ خَضِر وبين الملك الظاهر دون الشهر. انتهى.

(١) هو محمد بن رضوان السيد الشريف العلوى الحسينى الدمشقى الناسخ، كان يكتب خطا متوسط الحسن، وله يد فى النظم والنثر والأخبار. تقدمت وفاته سنة ٦٧١ هـ وراجع فوات الوفيات (جـ ٢ ص ٢٥٢).

وفيها تُوُفِّى شيخ الإسلام محيى الدين أبو زكريّا يحيى بن شرف بن مِرِى(١) بن الحسن ابن الحسين النَّوَوِىّ(٢) الفقيه الشافعىّ الحافظ الزاهد صاحب المصنّفات المشهورة . وُلِد فى العشر الأوسط من المحرّم سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، ومات ليلة الأربعاء رابع عشرين شهر رجب بقرية نَوَى .

قلت : وفضله وعلمه وزُهْـده أشهر من أن يُذْكر . وقـد ذكرنا من أمره نبذةً كبيرة فى تاريخنا « المنهل الصافى والمُسْتَوْفَى بعـد الوافى » ؛ إذ هو كتاب تراجم يحسُن الإطناب فيه . انتهى .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هـذه السنة ، قال : وفيهـا تُوُفِّى الملك القـاهر عبـد الملك بن المعظّم [عيسى](٣) بن العادل [أبى بكر بن أيّوب](٣) فى المحرّم مسمومًا . والسلطان الملك الظاهر ركن الدين الصالحىّ بيبَرْس فى أواخر المحرّم بالقصر الأبلق(٤) ،

(١) ضبطه شارح القاموس بكسر الميم مقصورا . (٢) النووى : نسبة إلى نوى ، بلدة من أعمال حوران وقيل هى قصبتها بينها وبين دمشق منزلان وهى منزل أيوب عليه السلام وبها قبر سام بن نوح عليه السلام فيما زعموا (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) الزيادة عن تاريخ الإسلام والذيل على مرآة الزمان والمنهل الصافى وعيون التواريخ .

(٤) القصر الأبلق : بناه الظاهر فى مرجة دمشق فى الميدان القبلى سنة ٦٦٨ هـ وعلى أنقاضه بنيت التكية السليمانية سنة ٩٧٤ هـ الباقية الى اليوم كأجل أثر للعثمانيين فى دمشق . وكان على واجهة القصر الأبلق مائة أسد منزلة صورها بأسود فى أبيض وعلى الشمالية اثنا عشر أسدا منزلة صورها بأبيض فى أسود . وقد بنى من أسفله الى أعلاه بالحجر الأسود والأصفر بتأليف غريب وإحكام عجيب ، ولذلك سمى بالقصر الأبلق وعلى مثاله بنى الناصر محمـد بن قلاوون القصر الأبلق بقلعة الجبـل بمصر . قال ابن فضـل الله العمرى فى وصفه : وأمام هذا القصر دركاه (عرصه) يدخل منها الى دهليز القصر وهو دهليز فسيح يشتمل على قاعات ملكية مفروشة بالرخام الملون البديع الحسن المؤزر بالرخام ، المفصل بالصدف والفص المذهب إلى سجف السقف . وبالدار الكبرى به إيوانان متقابلان تطل شـبابيك شرقيهما على الميدان الأخضر وغربيهما على شاطئ واد أخضر يجرى فيه نهر . وله رفارف عالية تناغى السحب تشرف من جهاتها الأربع على جميع المدينة والغوطة . رآه ابن طولون المتوفى سنة ٩٥٣ هـ وقرأ عليه أن تاريخ بنائه كان سنة ٦٦٨ وقال : إن على أسكفته ضربا من رخام أبيض وسطه مكتوب ، عمل إبراهيم بن غنائم (المهندس المصرى الشهير) . وقد وصف بهاء الدين الموصلى القصر بعبارة بليغة منها . يبهر الناظر حسن معناه ، ولا يقدر على وصف محاسنه من يراه . (انظر خطط الشام لكرد على ج ٤ ص ١٢٢ وج ٥ ص ٢٨٥ — ٢٨٦) .

وله بِضْعٌ وخمسون سنة . وكمال الدين إبراهيم بن الوزيرى نجيب الدين [أحمد][1] بن إسماعيل [بن إبراهيم][1] بن فارس التّميمىّ الكاتب المقرئ فى صفر، وله ثمانون سنة . والواعظ نجم الدين علىّ بن علىّ بن إسفنديار بِدمَشْق فى رجب، وله خمس وأربعون[2] سنة وأشهر . وبِيليك الظاهرىّ الخازِنْدار نائب مصر . والصاحب معين الدين سليمان بن علىّ [بن محمد بن حسن][3] البَرْوَانَاه الرومىّ، قتله أَبْغَا فى المحرّم . والشيخ خَضِر بن أبى بكر العَدَوِىّ شيخ السلطان . والشيخ الإمام شمس الدين محمد [بن إبراهيم ابن عبد الواحد بن علىّ بن سرور قاضى القضاة أبو بكر وأبو عبدالله المعروف بـ][4] ابن العِماد الحنبلىّ فى المحرّم بمصر . والقاضى تقىّ الدين محمد بن حَيَاة الرَّقّىّ قاضى حلب بتَبُوكَ[5] فى المحرّم .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ست أذرع وثلاث عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وثمانى أصابع .

* * *

السنة الثانيـــة من ولاية الملك السعيد على مصر، وهى سنة سبع وسبعين وستمـائة .

---

(١) تكملة عن الذهبى وغاية النهاية وما تقدّم للؤلف فى وفيات هذه السنة .

(٢) الذى فى تاريخ الإسلام للذهبى وشذرات الذهب أنه ولد سنة ٦١٦هـ . فلهذا يكون قد مات وسنه ستون سنة . وفى ذيل مرآة الزمان : «وقد نيف على ستين سنة» .

(٣) زيادة عن المنهل الصافى وعيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان .

(٤) التكملة عن تاريخ الاسلام وشذرات الذهب .

(٥) فى الأصلين : «قاضى حلب مقتولا» . وتصحيحه عن المنهل الصافى وذيل مرآة الزمان . وتَبوك : موضـع بين وادى القرى والشام (عن معجم البلدان لياقوت) .

فيها تُوفّى الشيخ الإمام زَيْن الدين أبو العباس إبراهيم بن أحمد بن أبى الفَرَج[١] الدّمشقىّ الحنفىّ المعروف بٱبن السَّديد إمام مقصورة الحنفيّة[٢] شمالى جامع دِمشق وناظر وقفها . كان إمامًا فقيها دَيِّنا كثير الخير غَزِير المُرُوءَة . مات فى جُمادى الأولى ببستانه بالمِزّة[٣] ودُفِن بسفح قاسِيون .

وفيها تُوفّى الأمير شمس الدّين آق سُنْقُر بن عبد الله الفارِقانِىّ، كان أصله من مماليك الأمير نجم الدين حاجب الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام، ثم ٱنتقل إلى مِلْك السلطان الملك الظاهر بِيبَرْس، وتقدّم عنده وجعله أستادارا كبيرًا، وكان للملك الظاهر عِدّةُ أستادارية، وكان الملك الظاهر كثيرَ الوثوق به فى أموره ويَسْتَنِيبه فى غَيْبته ويُقَدِّمه على عساكره، ولمّا صار الأمر إلى الملك السعيد جعله نائبه لسائر الممالك بعد بِيلِيك الخازِنْدار، فلمّا ثارت الخاصّكيّة قَبَضُوا عليه وقتلوه، وقيل إنّه بَقِىَ فى هذه السنة، والأصحّ أنّهم قبَضُوا عليه وسجنوه إلى أن مات فى جُمادى الأولى من هذه السنة . وكان أميرًا كبيرًا جسيًما شجاعًا مِقدامًا مُهابًا ذا رأى وتدبير وعقل ودَهاء[٤]، كثير البِرّ والصدقات عالى الهِمّة، وله مدرسة عند داره داخل باب سعادة[٥] بالقاهرة .

---

(١) فى الأصلين: «ٱبن أبى الفتوح» . والتصحيح عن تاريخ الإسلام وذيل مرآة الزمان والجواهر المضية فى طبقات الحنفية والمنهل الصافى . (٢) المقصورة الحنفية، من مدارس الحنفية بدمشق وهى محل التدريس فى حرم الجامع الأموى وقف عليها كاتب الممالك القاضى فخر الدين أوقافا . انظر (خطط الشام الكرد على ج ٦ ص ٩٧) . وفى تاريخ الاسلام: «إمام مقصورة الحلبيين» . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٧ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٦٢ من هذا الجزء .

(٥) باب سعادة، يستفاد مما ذكره المؤلف عن موضع المدرسة المذكورة ومما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على بناء القاهرة (ص ٣٦٠ ج ١) وعلى أبواب القاهرة (ص ٣٨٠ ج ١) وعلى باب سعادة (ص ٣٨٣ ج ١) وعلى بستان العدة (ص ١١٩ ج ٢) وعلى مسجد يانس (ص ٤١١ ج ٢) يستفاد من كل ذلك أن باب سعادة مكانه اليوم الباب الغربى للطرقة الفاصلة بين ديوان محافظة مصر و بين محكمة الاستئناف الأهلية بميدان باب الخلق بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة . وهذه الطرقة كانت طريقا عاما =

وفيها تُوفّى الأمير جمال الدين آقوش بن عبد الله النَّجيبيّ الصالحيّ النَّجْميّ الأَيُّوبِيّ، كان مُقَرَّبا عند أستاذه الملك الصالح وولّاه أُسْتادارا، وكان كثير الاعتماد عليه. ثم ولّاه الملك الظاهر بِيبَرْس نيابة دِمَشْق فأقام بها تسع سنين، ثم عَزَله وتركه بطّالا بالقاهرة إلى أن مات بها في ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر بداره (١) بدرب مُلُوخِيّا من القاهرة، ودُفِن يوم الجمعة بتربته (٢) بالقرافة الصغرى.

وفيها تُوفّى الشيخ جمال الدين طَه بن إبراهيم بن أبي بكر بن أحمد بن بَخْتِيار الهَذَباني الإِرْبِلِيّ، كان عنده فضيلة وأدب ورياسة، وله يَدٌ في النظم. ومات في جُمادى الأولى. ومن شعره في النهي عن النظر في النجوم:

دَع النجومَ لطُرْقِيٍّ (٣) يعيشُ بها * وبالعزيمة فانْهَضْ أيُّها المَلِكُ

إنّ النبيَّ وأصحابَ النبيِّ نَهَوْا * عن النجوم وقد أبصرتَ ما مَلَكُوا.

وفيها تُوُفّى قاضي القضاة مجد الدين أبو المجد عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن هبة الله العقيليّ الحَلَبيّ الحنفيّ ابن الصاحب كمال الدين عمر (٤) بن العَدِيم. كان إماما

= في امتداد سكة النبوية الواقعة تجاه الطرقة من الجهة الشرقية. ولما سدّ باب سعادة بطل استعمال هذا الجزء من الطريق من زمن بعيد. ولما أنشأ منصورباشا يكن سرايه التي بها اليوم ديوان محافظة مصر دخلت هذه الطرقة في السراى وأنشأ بحريها حديقة وعلى أرض هذه الحديقة أنشئت محكمة الاستئناف الأهلية.

وأما سعادة المنسوب إليه هذا الباب فهو سعادة بن حيان أحد قواد جيش الخليفة المعز لدين الله أبي تميم معد الفاطمي. فلما جاء سعادة وجيشه إلى القاهرة في سنة ٣٦٠ هـ دخل إليها من هذا الباب فعرف من ذلك الوقت بباب سعادة.

(١) هذه الدار غير ممكن تعيين موقعها الآن لاندثارها من قديم الزمن، وأما درب ملوخيا فكانه اليوم الطريق المعروفة بحارة قصر الشوك أحد فروع قصر الشوك بقسم الجمالية بالقاهرة. وراجع الحاشية رقم ٦ ص ٤٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة. (٢) هذه التربة قد اندثرت من قديم الزمن ولا يعلم مكانها اليوم. (٣) ذكر المؤلف هذين البيتين في حوادث سنة ٥٨٢ هـ بصدد حكم المنجمين بخراب العالم في تلك السنة وبيان كذبهم؛ وقد رواهما المؤلف هناك وقال إنه يعرف قائلهما. ورواية المصراع الأوّل فيما تقدّم: * دع النجوم لصوفي يعيش بها * والصواب ما روى هنا. (٤) تقدّمت وفاته سنة ٦٦٠ هـ.

عالما فاضلا كبير الديانة والوَرَع، كان جمع بين العلم والعمل والرياسة، وَلِى قضاء دِمَشق مع عِدّة تداريس، ولم يزل قاضياً إلى أن تُوفّى بظاهر دِمَشْق بجَوْسَقه[١] الذى على الشَّرَف [الأعلى][٢] القبلى فى يوم الثلاثاء سادس عشر شهر ربيع الآخر، ودُفن فى تُرْبة أنشأها قُبالة الجَوْسَق المذكور. ومن شعره ما كتبه لخاله عَوْن الدين سليمان[٣] ابن العَجَمِىّ بسبب آبن مالك، فقال :

أمولاىَ عونَ الدين يا راويًا لنـا * حديثَ المعـالى عن عَطاءٍ ونافِع
بعيشك حدّثنى حديثَ آبنِ مالكٍ * فأنت له يا مالكى خيرُ شافِـــع

وفيها تُوُفّى الشيخ موفّق الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن نصر الله الأنصارىّ، كان أديبا فاضلا. قال الشيخ قطب الدين اليُونِينِىّ فى الذيل على المرآة : « صاحبنا [كان أديبًا فاضلا مقتدرًا على النظم][٤]، وله مشاركة فى علوم كثيرة، منها : الكُحْل والطبّ، وغير ذلك من الفقه والنحو والأدب، ويَعظ الناس، حُلْو النادرة حسن المحاضرة ». انتهى كلام قطب الدين. قلتُ ومن شعره :

قَلْبِـــي وطَرْفى فى ديارهمُ * هـــذا يَهِيمُ بهـا وذا يَهْمِى
رَسَمَ الهوى لمـا وَقَفْتُ بها * للدمع أن يجرى على الرَّسْمِ

وفيها تُوفّى الأديب نجم الدين أبو المعالى محمد بن سَوَّار بن إسرائيل بن الخَضِر بن إسرائيل الشَّيْبَانىّ الدمشقىّ المولد والدار والوفاة، كان أديبًا فاضـلا قادرا على النظم

---

(١) الجوسق معرّب جوسك أو جوسه وهو القصر. (٢) زيادة عن عيون التواريخ وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات. (٣) هو سليمان بن عبد المجيد بن الحسن بن أبى غالب ابن عبد الله بن الحسن بن عبد الرحمن الأديب البارع عون الدين بن العجمى الحلبى الكاتب توفى سنة ٦٥٦ هـ بدمشق (عن المنهل الصافى).

(٤) هذه العبارة منقولة عن الذيل على مرآة الزمان وليست بالأصلين.

صوفيًّا ، وقد ذكرنا حكايته مع الشّهاب الخيمىّ[1] لمّا ادّعى كلٌّ منهما القصيدة البائية التى أوّلها :

* يا مَطْلَبًا ليس لى فى غيره أَرَبُ *

وتداعيا عند الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض فأمر ابن الفارض أن يَعْمَل كلٌّ منهما قصيدةً على الوزن والقافية فعملا ذلك ، فحَكَمَ ابنُ الفارض بالقصيدة للشهاب الخيمىّ . وقد ذكرنا القصائد الثلاث فى « المنهل الصافى » فى ترجمة شهاب الدين الخيمىّ . وابن إسرائيل هذا ممّن تكلّموا فيه ورمَوْه بالاتّحاد . والله أعلم بحاله . ومن شعر ابن إسرائيل هذا على مذهب القوم :

خَلَا منه طَرْفى وامتلا منه خاطرى * فطَرْفى له شاكٍ وقلبىَ شاكرُ
ولو أنّنى أنصفتُ لم تَشْكُ مُقْلَتِى * بِعادًا ودَاراتُ الوجود مَظَاهِرُ

وله أيضا :

يا من تناءَى وفؤادى دارُهُ * مُضْناكَ قد أقلقه تَذْكارُه
صددتَ عنه قبل ما وصلتَه * وكان قبل سُكْرِه خُمَاره

وفيها تُوفّى الشيخ الإمام العلّامة مجد الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمر ابن أحمد بن أبى شاكر الإرْبِلىّ الأديب الفقيه الحنفىّ المعروف بابن الظّهِير . مولده بإربل فى ثانى صفر سنة اثنتين وستّمائة ونشأ بها ، وطلب العلم وتفقّه وبَرَع فى الفقه والأصول والعربيّة ، وقَدِم دِمَشْق وتَصَدّى بها للإقراء والتدريس ودرّس بالقايمازيّة[2]

(١) هو محمد بن عبد المنعم بن محمد الشيخ الإمام البارع الشاعر الأديب شهاب الدين بن الخيمى الأنصارى . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨٥ هـ . وقد أورد المؤلف هذه الحكاية فى ترجمته أيضا .

(٢) القايمازية : من مدارس الحنفية بدمشق . داخل بابى الفرج والنصر أنشأها صارم الدين قيماز النجمى المتوفى سنة ٥٩٦ هـ كان خيرا عاقلا يتولى أعمال السلطان صلاح الدين و يعمل عمل أستاذ الدار، وكلما فتح السلطان بلدة سلمها إليه ليروضها . وكانت هذه المدرسة بالمناخلية ثم درست عندما جرى توسيع الطريق . (عن خطط الشام ج ٦ ص ٩٦) .

بدَمشق؛ وهو من أعيان شيوخ الأدب وفحول المتأخرين وله ديوان شعر، وسمع الحـديث ببغداد من أبى بكر بن الخازن[1] والكاشْغَرىّ[2] [و] بدَمشق من السَّخَاوىّ[3] وكَرِيمة[4] وتاج الدين بن حَمّويه[5]؛ ورَوَى عنه أبو شامة[6] والقُوصىّ[7] والدِّمْياطى[8] والشهاب[9] محمود، وعليه تدرّب فى الأدب، و[أبو الحسين][10] اليُونِينِىّ والحافظ جمال الدين المِزّىّ[11].

ولمّا مات رثاه تلميذه الشّهاب محمود بقصيدة أوّلها :

تمكّن[12] ليـلى واطمأنّت كواكبُهْ * وسُدّت على صُبْح[13] الغداة مذاهبُـهْ
بكتْـه معـاليـه ولم يُرَ قبلَه * كريمٌ مضى والمكرماتُ نوادبُهْ[14]

ومن شعر ابن الظَّهير :

قلبى[15] وطَرْفى ذا يَسيل دمًا وذا * دون[16] الوَرَى أنتَ العليم بقَـرْحِهِ

(١) هو أبو بكر محمد بن سعد بن الموفق الصوفى ابن الخازن . تقدّمت وفاته سنة ٦٤٣ هـ فيمن نقل المؤلف وفاتهم عن الذهبى . (٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن يوسف الزركشى الكاشغرى : نسبة إلى كاشغر، مدينة بالمشرق . توفى سنة ٦٤٥ هـ عن شذرات الذهب . (٣) هو علم الدين على بن محمد بن عبد الصمد الهمذانى السخاوى المقرئ المفسّر الشافعى . تقدّمت وفاته سـنة ٦٤٣ هـ .

(٤) هى كريمة بنت عبد الوهاب القرشية . تقدّمت وفاتها سنة ٦٤١ هـ . (٥) هو تاج الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن على بن محمد بن حمويه شيخ الشيوخ . تقدّمت وفاته سنة ٦٤٢ هـ . (٦) هو أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم تقدّمت وفاته سنة ٦٦٥ هـ . (٧) فى الأصلين : «والفرضى» وهو تحريف ، وتصحيحه عن تاريخ الإسلام . وهو الشهاب القوصى أبو المحامد وأبو العرب وأبو الفداء وأبو الطاهر إسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن الفقيه الشافعى الأنصارى الخزرجى . تقـدّمت وفاته سنة ٦٥٣ هـ فيمن نقل المؤلف وفاتهم عن الذهبى . (٨) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٦ من هذا الجزء .

(٩) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٥٩ من هذا الجزء . (١٠) الزيادة عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافى . وهو شرف الدين أبو الحسين على بن محمد بن أحمد اليونينى الحنبلى . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٠١ هـ . (١١) هو جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكى عبد الرحمن بن يوسف بن على بن عبد الملك بن على بن أبى الزهر الكلبى القضاعى الدمشقى المزى . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٤٢ هـ .

(١٢) فى فوات الوفيات : «تنكر ليلى ... الخ» . (١٣) هـذه رواية فوات الوفيات وفى الأصلين : «وسدّت على صحبى الغداة ... الخ» . (١٤) اقتصر المؤلف على هذين البيتين وهى قصيدة طويلة كلها على هـذا النمط وتقع فى خمسـة وأربعين بيتا كما فى عيون التواريخ فى حوادث هـذه السنة . (١٥) هذه الأبيات من قصيدة واردة فى عيون التواريخ وفوات الوفيات، تقع فى نحو ثمانية عشر بيتا أوّلها :

غش المفنـد كامن فى نصحه * فأطل وقوفك بالغوير ومسفحه

(١٦) فى عيون التواريخ وفوات الوفيـات : «بين الورى» .

وهما بحُبّك شاهدان وإنّما * تعديلُ كلٍّ منهما فى جَرْحه
والقلب منزلُك القديمُ فإن تَجِد * فيه سواك من الأنام فَنَحِّه

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها تُوفّى الأديب نجم الدين محمد [بن سِوّار] (١) بن إسرائيل الحَريرى (٢) الشاعر المشهور فى شهر ربيع الآخر. والإمام مجد الدين محمد بن أحمد بن عمر بن الظُّهير الحنفىّ الأديب فى شهر ربيع الآخر أيضا. والأمير شمس الدين آق سنقر الفَارِقَانِىّ فى الحبس فى جُمادى الأولى. والأمير جمال الدين آقوش النَّجِيبىّ بالقاهرة فى شهر ربيع الآخر. وشيخ الحنفية وقاضيهم الصَّدْر سليمان بن أبى العز بن وُهَيْب (٣) الحنفى فى شعبان، وله ثلاث وثمانون سنة. والصاحب مجد الدين أبو المجد عبد الرحمن بن أبى القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلىّ قاضى الحنفية فى شهر ربيع الآخر، وله ثلاث وستون سنة. والوزير بهاء الدين علىّ بن محمد بن سليم المصرىّ بن حِنّا (٤) فى ذى القعدة. والمحدّث ناصر الدين محمد ابن عَرَبْشاه (٥) الهَمَذَانِىّ فى جمادى الأولى. والمحدّث شهاب الدين أحمد بن محمد بن عيسى الجَزَرِىّ. وأبو المُرَجَّى (٦) المؤمَّل بن محمد بن علىّ [بن محمد بن علىّ بن منصور عزّ الدين] (٧) البالِسىّ فى رجب.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم سبع أذرع وإحدى وعشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وخمس أصابع.

(١) التكملة عن تاريخ الاسلام وما تقدّم ذكره للؤلف. (٢) الحريرى: نسبة الى الحريرية وهم أتباع الشيخ على الحريرى الذى تقدّمت وفاته سنة ٦٤٥ هـ. (٣) فى الأصلين والجواهر المضية: «ابن وهب». وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ وعقد الجمان وشذرات الذهب.
(٤) ضبط بالقلم فى تاريخ الإسلام (بفتح السين). وفى عقد الجمان وعيون التواريخ بضمها.
(٥) فى الأصلين: «محمد بن عمرشاه» والتصحيح عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافى وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ وعيون التواريخ وتاريخ الدول والملوك. (٦) فى الأصلين: «أبو الرجا». ما أثبتناه عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب. (٧) زيادة عن تاريخ الإسلام.

ذكر سلطنة الملك العادل سَلَامُش (١) على مصر

هو السلطان الملك العادل بدر الدين سَلَامُش ٱبن السلطان الملك الظاهر ركن الدين بِيبَرْس البُنْدُقْدارِيّ الصالحيّ النجميّ السادس من ملوك الترك بمصر. تسلطن بعد خَلْع أخيه الملك السعيد أبي المعالى ناصر الدين محمد بركة خان بٱتفاق الأمراء على سلطنته، وجلس على سرير الملك فى يوم الأحد سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمانٍ وسبعين وستمائة وعمره يوم تسلطن سبعُ سنين. وجعلوا أتَابَكه ومدبِّر مملكته الأمير سيف الدين قلاوون الصالحى النَّجْمِيّ. وضُرِبت السِّكّة على أحد الوجهين باسم الملك العادل سَلَامُش هذا، وعلى الوجه الآخر ٱسم الأمير قلاوون؛ وخُطِب لهما أيضا على المنابر. وٱستمرّ الأمر على ذلك وصار الأمير قلاوون هو المتصرِّف فى الممالك والعساكر والخزائن، ولم يكن لسَلَامُش فى السلطنة مع قلاوون إلّا مجرّد الاسم فقط. وأخذ قلاوون فى الأمر لنفسه. فلمّا ٱستقام له الأمر دَخَل إليه الأمير شمس الدين سُنْقُر الأشقر ووافقه على السلطنة وأخفى ذلك لكونه كان خُشْدَاشَه، وكان الأمير عزّ الدين أَيْدَمُر نائب الشام عاد إلى الشام بمَنْ معه بعد خلع الملك السعيد، فوصل إلى دِمَشْق يوم الأحد مستهلّ جُمادى الأولى، فخرج لتلقّيه من كان تخلّف بدِمَشق من الأمراء والجند، والمقدَّم عليهم الأمير جمال الدين آقوش الشمسيّ. وكان قلاوون قد كاتب آقوش فى أمر أَيْدَمُر هذا والقَبْض عليه، فلمّا وصلوا إلى مُصَلَّى العيد بقصر حَجّاج ٱحتاط الأمير جمال الدين آقوش الشمسى والأمراء الذين معه على الأمير أَيْدَمُر نائب الشام وأخذوه بينهم، وفرّقوا بينه وبين عسكره الذين حضروا معه من الديار المصريّة، ودخلوا إلى

(١) ضبط بالقلم فى عيون التواريخ: (بفتح السين وضم الميم) وفى السلوك: (بضم السين وكسر الميم) ووافقه عقد الجمان فى ضم السين ولم يضبط الميم.

دِمَشْق من باب الجابية[1]، ورسموا عليه بدارٍ في دِمَشق، ثمّ نقلوه إلى قلعة دمشق وٱعتقلوه بها . وكان الملك السعيد قبل أنْ يخرج من الشام سلّم قلعة دِمَشق للأمير علم الدين سَنْجَر ٱلدُّوَيْدارِيّ وجعله النائب عنه أيضا في البلد . ثمّ أرسل قلاوون جمال الدين آقوش الباخلي وشمس الدين سُنْقُر جاه [الكَنْجِيّ][2] إلى البلاد الشاميّة وعلى يدهم نسخة الأيمان بالصورة التي ٱستقرّ الحال عليها بمصر، وأحضروا الأمراء والجند والقضاة والعلماء وأكابر البلد للحَلِف ، وكان معهم نسخة بالمكتوب المُتَضَمِّن خَلْع الملك السعيد وتولية الملك العادل سَلَامُش ، فقُرِئ ذلك على الناس وحَلَفوا وٱستمرّ الحَلِف أيّاما . ثم إنّ الأمير قلاوون ولّى خُشْداشَه الذى ٱتفق معه على السلطنة ، وهو الأمير شمس الدين سُنْقُر الأشقر ، نيابةَ الشام وأعمالها فتوجّه سُنْقُر الأشقر إليها ، ودَخَلها يوم الأربعاء ثالث جُمادى الآخرة من سنة ثمانٍ وسبعين المذكورة بتجمّل زائد ، فكان مَوْكِبُه يُضاهى مَوْكِبَ السلطان ، وعند وصوله إلى دِمَشق أمر الأمير علم الدين سَنْجَر الدُّوَيْدارِيّ بالنزول من قلعة دِمَشق فنزل في الحال . وصفا الوقت للأمير قلاوون بمَسْك أَيْدَمُر نائب الشام، وبخروج سُنْقُر الأشقر من الديار المصريّة وٱنْبَرَم أمره مع الأمراء والخاصّكيّة ، وٱتّفقوا معه على خَلْع الملك العادل سَلَامُش من السلطنة وتوليته إيّاها . فلمّا كان يوم الثلاثاء حادى عشرين شهر رجب سنة ثمانٍ وسبعين وستمائة ٱجتمع الأمراء والقضاة والأعيان بقلعة الجبل وخَلَعُوا الملك العادل بدر الدين سَلَامُش من السلطنة لِصغَر سنّه، وتسلطن عِوَضه أتابكُه الأميرُ سيف الدين قلاوون الألْفى الصالحيّ النَّجْمِيّ،

---

(١) باب الجابية ، هو السابع من أبواب دمشق ، منسوب إلى قرية الجابية ، وكانت في الجاهلية مدينة عظيمة . (عن نزهة الأنام في محاسن الشام ص ٢٥) .

(٢) زيادة عن عيون التواريخ والسلوك .

ونُعت بالملك المنصور، على أنّه كان هو المتصرِّف فى المملكة منذ خُلِـع الملك السعيد وتسلطن الملك العـادل سَلَامُش ، ولم يكن لسَلَامُش فى أيام سلطنته غيرُ الاسم، وقلاوون هو الكلّ! وكان عدم سلطنة قلاوون قبل سَلَامُش أنّه خاف ثَوْرَة المماليك الظاهريّة عليه، فإنّهم كانوا يوم ذاك هم معظمَ عسكر الديار المصريّة ، وأيضا كانت بعض القلاع فى يد نُوّاب الملك السعيد فلمّا مهّد أمرَه تسلطن . ولـمّا بلغ سُنْقُر الأشقر سلطنةُ قلاوون داخله الطَّمَع فى الملك وأظهر العِصْيان، على ما سيأتى ذكره فى ترجمة الملك المنصور قلاوون إن شاء الله تعالى .

وكانت مدّة سلطنة الملك العـادل بدر الدين سَـلَامُش على مصر ثلاثةَ أشهـر وستّةَ أيام[1] . ولزِم الملك العادل سَلَامُش داره عند أُمّه إلى أن أرسله الملك المنصور قلاوون إلى الكَرَك ، فأقام به عند أخيه الملك خَضِر[2] مدّة ؛ ثم رسم الملك المنصور بإحضاره إلى القاهرة[3] فَحَضر إليها ، وبَقِى خاملًا إلى أن مات الملك المنصور قلاوون وتسلطن من بعده ولَدُه الملك الأشرفُ خليل بن قلاوون، جهزه وأخاه الملك خضرا وأهله إلى مدينة اسْطَنْبُول بلاد الأَشْكُرِى ، فأقام هناك إلى أن تُوفِّى بهـا فى سنة تسعين وستمائة . وكان شابًّا مليحًا جميلًا تامّ الشكل رَشِيق القَدّ طويل الشَّعْرِ ذا حياء

(١) فى الأصلين : « ثلاثة أشهر تنقص ســتة أيام » . والصــواب ما أثبتناه لأنه حكم من سابع عشر شهر ربيع الآخر الى الحادى والعشرين من شهر رجب كما سـيقوله المؤلف بعـد قليل . وفى عقد الجمان والسلوك : « وكانت مدّة ملكه مائة يوم » . وفى النهج السديد للفضل بن أبى الفضائل (ج ٢ ص ٤٧٥) : « وكانت مدّة تسميته بالسلطنة ثلاثة أشهر ونصفا) .

(٢) لعـله يريد الملك السعيد، لأنه هو الذى أخذ الكرك . وأما أخوهما الخضر فقـد أخذ الشوبك كما تقدم ذكر ذلك فى أواخر ترجمة الملك السعيد .

(٣) الذى فى السلوك وتاريخ أبى الفدا وعقد الجمان فى حوادث سنة ٦٨٥ أن السلطان أرسـل عسكرا كثيفا مع حسام الدين طرنطاى المنصورى ، وأمره بمنازلة الكرك فسار إليها وتسلمها بالأمان، وعاد وصحبته أصحاب الكرك جمال الدين خضر و بدر الدين سلامش ولدا الملك الظاهر، فأحسن السلطان إليهما ، ووفى لهما بأمانه ، ثم بلغه عنهما ما كرهه فاعتقلهما فبقيا فى الحبس حتى توفى الملك المنصور .

ووقار وعقل تامّ . مات وله من العُمُر قريب من عشرين سنة ؛ قيل : إنّه كان أحسن أهل زمانه ، و به افتتن جماعة من الناس ، وشبَّبَ به الشعراء وصار يُضرب به المَثَل فى الحسن حتى يقول القائل : « ثغرٌ سَلَامُشِىّ » . انتهت ترجمة الملك العادل سلَامُش ، رحمه الله .

*

السنة التى حكم فيها الملك السعيد إلى سابع عشر شهر ربيع الآخر، ثم حكم من سابع عشر شهر ربيع الآخر إلى حادى عشرين شهر رجب الملك العادل سلامش ، ثم فى باقيها الملك المنصور سَيف الدين قلاوون الأَلْفِىّ ، وهى سنة ثمان وسبعين وستمائة .

فيها كان خَلْعُ ولدى الملك الظاهر بِيبَرْس من السلطنة : الملك السعيد محمد بركة خان ، والملك العادل بدر الدين سَلَامُش ، وتسلطن بعد سلامش الأمير قلاوون . وقد تقدّم ذكرُ ذلك كلّه .

وفيها تُوفّى الفقيه المحدّث صفىّ الدين أبو [محمد](1) إسحاق [بن](1) إبراهيم بن يحيى الشَّقْرَاوِىّ(2) الحنبلى ، وُلِد بشقراء من ضياع بَرْزة(3) من عمل دِمَشق سنة خمس وستمائة . ومات بدمشق فى ذى الحِجّة ، وكان فاضلا فقيها سمع الكثير وحدّث .

وفيها تُوفّى الأمير جمال الدين آقوش(4) بن عبد الله الرُّكْنِىّ المعروف بالبطاح أحد أكابر أمراء دمشق ، عاد من تجريدة سِيس مريضًا ومات بحلب ونُقِل إلى حِمْص فدُفِن عند قبر خالد بن الوليد، رضى الله عنه . والرُّكْنى : نسبة الى أستاذه

---

(١) التكملة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وعيون التواريخ . (٢) فى المنهل الصافى : «الشعراوى ... ولد بشعر من ضواحى دمشق» . (٣) فى شذرات الذهب : «من ضياع زرع» .

(٤) فى الأصلين والمنهل الصافى : « المعروف بالطباخ » . وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام وعقد الجمان .

الأمير ركن الدين بيبرس الصالحىّ النّجْمىّ الذى لَقِى الفرنج بأرض غَزّة وكسرهم، وهو غير الملك الظاهر بيبرس .

وفيها تُوفّى الأمير جمال الدين آقوش بن عبد الله الشّهابىّ السِّلَحْدار، كان أيضا فى تجريدة سِيس وعاد مريضا، وتُوُفّى بحماة ثم نُقِل إلى دِمَشق ودفن عند خشداشه أيدكين [بن عبد الله] (١) الشهابى ، نسبة إلى الطّوَاشى شهاب الدين رَشِيد الخادم الصالحىّ الكبير وهو أستاذهما .

وفيها تُوفّى الأمير نور الدين أبو الحسن علىّ بن عمر بن مَجَلّىّ الهكّارىّ، كان من أجل الأمراء وأعظمهم ، ولى نيابة حلب ، وكان حسن السيرة عالى الهمة كريم الأخلاق شجاعا مِقْداما عارفا مدبِّرا معظَّما فى الدُّول . مات بعد عزله عن نيابة حلب فى مرض موته بآستعفائه عنها بها فى شهر ربيع الآخر ودُفِن بها ، وقد نَيّف على السبعين سنة، رحمه الله تعالى .

وفيها تُوُفّى الشيخ جمال الدين أبو زكريّا يحيى بن أبى المنصور بن أبى الفتح آبن رافع بن علىّ الحَرّانىّ الحنبلىّ المعروف بآبن الصَّيْرِفِىّ ، كان إماما فقيها عالما مُفْتِيًا فى الفقه متبحِّرا فيه كثير الإفادة ، وأفتى ودرّس وآنتفع به الطلبة ، ومات فى صفر .

الذين ذكر الذهبى وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوفّى السلطان الملك السعيد ناصر الدين محمد بن الظاهر بالكَرَك فى ذى القعدة، وله عشرون سنة وأشهر . والمُسْنِد أبو العبّاس أحمد بن أبى الخَيْر سلامة بن إبراهيم الحَدّاد الحنبلىّ يوم عاشوراء . والإمام جمال الدين يحيى بن أبى المنصور بن الصّيْرَفىّ الحرّانىّ فى صفر، وله خمس

(١) زيادة عن المنهل الصافى . وقد ذكر أنه توفى سنة ٦٩٧ هـ .

وتسعون سنة . وصفيّ الدين إسحاق بن إبراهيم الشَّقْرَاوِيّ . وفاطمة بنت الملك المحسن[1] ببزاعة[2] .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ست أذرع سواء . مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعا وإصبع واحدة .

(١) هو الملك المحسن أحمد ابن السلطان صلاح الدين تقدّمت وفاته سنة ٦٣٤ هـ فيمن نقل المؤلف وفاتهم عن الذهبي . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٨٣ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

ذكر سلطنة الملك المنصور سيف الدين قلاوون على مصر

السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو المعالى وأبو الفتح[(١)] قَلَاوُون بن عبد الله الألْفِى التركىّ الصالحىّ النَّجْمِىّ السابع من ملوك الترك بالديار المصرية، والرابع ممن مسّه الرِّقّ .

مَلَك الديار المصرية بعــد خَلْع الملك السـعيد وصار مدبِّر مملكة الملك العادل بدر الدين سَلَامُش إلى أن خلِـع سَلَامُش وتسلطن الملك المنصور قلاوون هذا من بعده فى حادى[(٢)] عشرين، وقيل عشر شهر رجب سنة ثمانٍ وسبعين وستمائة، وجلس على سرير الملك بأُبَّهة السلطنة وشعار المُلْك وتمّ أمره . ولـمّـا آستقل بالمملكة أمسك جماعة كثيرة من المماليك والأمراء الظاهريّة وغيرهم، وآستعمل ممـاليكه على البلاد والقِلَاع ، فلم يَبْلَع رِيقَه حتّى خرج عليه الأمير شمس الدين سُنقُر الأشقر نائب دِمَشْق، فإنّه لـمّـا وصل إليــه البَرِيد إلى دِمَشْق بسـلطنة المنصور قـلاوون فى يوم الأحد سادس[(٣)] عشرى رجب، وعلى يده نُسْخةُ يمين التّحليف للأمراء والجند وأرباب الدولة وأعيان الناس ، فأُحْضِروا إلى دار[(٤)] السعادة بدمشق وحَلَفُوا إلّا الأمير سُنْقُر الأشقر نائب الشام ، فإنّه لم يَحلِف ولا رَضِى بما جرى من خَلْع سَلَامُش وسلطنة قلاوون،

---

(١) فى الأصلين : « أبو الفتوح » . وما أثبتناه عن شذرات الذهب والمنهل الصافى .

(٢) هــذا ماجرى عليــه أكثر المصادر التى تحت يدنا خلا الجوهر الثمين و بدائع الزهور ففيهما : « وجلس على التخت فى يوم الأحد ثانى عشر رجب » .

(٣) فى الأصـلين : « سادس عشر رجب » . والصواب ما أثبتناه، لأنّ ولايتــه كانت فى الحادى والعشرين من رجب . عن تاريخ الدول والملوك لابن الفرات .

(٤) دار السعادة هى دار العــدل التى أنشأها فى دمشق قريبا من باب النصر قبلى قلعة دمشق الشهيد محمود بن زنكى وآشتهرت فى عصر المماليك بدار الســعادة ؛ ونظرا لقربها من باب النصر يطلقون عليهـا اسم باب دار الســعادة . وموضعها اليوم قبلى سوق الأروام (أفادنيه حضرة الأستاذ الشيخ محمد أحمد دهمان الدمشقى) . وفى أحد الأصلين : «باب السعادة» .

فلم يلتفت أهلُ دِمشق إلى كلامه . وخُطب بجامع دمشق للملك المنصور قلاوون وجوامع الشام بأَسْرها خلا مواضع يسيرة توقّفُوا، ثم خطبوا بعد ذلك .

وأمّا الملك المنصور قلاوون فإنّه فى شهرِ رمضان عَزَل الصاحب بُرْهان الدين السِّنْجاريّ(1) عن الوزارة بالديار المصريّة ، وأمَره بلزوم مدرسة(2) أخيه قاضى القضاة بدر الدين السِّنْجَارِىّ بالقرافة الصغرى ، وآستقرّ مكانه فى الوزاره الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لُقْمان صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالديار المصريّة ، وتولّى عِوضَه صحابة الديوان القاضى فتح الدين محمد آبن القاضى مُحيي الدين [عبد الله](3) بن عبد الظاهر ، وهو أوّل كاتب سرّ كان فى الدولة التُّركية وغيرها ، وإنما كانت هذه الوظيفة فى ضمن الوزارة ، والوزير هو المتصرّف فى الديوان ، وتحت يده جماعة من الكتّاب المُوَقّعين ، وفيهم رجلٌ كبير كنائب كاتب السرّ الآن ، سُمّى فى الآخر صاحب ديوان الإنشاء . ومن النـاس مَن قال : إنّ هذه الوظيفة قديمة ، وآستدلّ بمؤلف صاحب صبح الأعشى وغيره ممّن كتب للنبيّ صلى الله عليه وسلم ، ومَن بعده . وردّ على من قال ذلك جماعة [illegible] ، وقالوا : ليس فى ذكر من كتب للنبيّ صلى الله عليه وسلّم ، وغيره من الخلفاء دلالة على وظيفة كتابة السرّ ، وإنما هو دليل لكلّ كاتب كتب لملك أو سلطان أو غيرهما كائنًا من كان ، فكلّ كاتب كتب عند رجل يقول : هو أنا ذاك الكاتب ، وإذا الأمر آحتمل وآحتمل سقط الاحتجاج به . ومَنْ قال : إنّ هذه الوظيفة ما أحدثها إلّا الملك المنصور قلاوون [illegible] ونُبيّن ذلك ، إن شاء الله تعالى ، فى أواخر [illegible] الله [illegible] ، وبدستور [illegible]

---

(1) هو الصاحب برهان الدين الخضر بن [illegible] سنة ٦٨٦ هـ .

(2) هذه المدرسة [illegible] فى منطقتها . وأما القرافة الصغرى فهى التى تعرف اليوم بجبانة الإمام الشافعى .

(3) التكملة عن المنهل الصافى وشذرات الذهب ، وما سيأتى ذكره للمؤلف فى حوادث سنة ٦٩١ هـ

صاحب صبح الأعشى وغيره من الكُتّاب من عهـد النبيّ ، صلّى الله عليه وسـلّم ، إلى يومنا هذا على سبيل الآختصار. انتهى . وقد خرجنا عن المقصود .

وأمّا سنقر الأشقر فإنّه فى يوم الجمعة رابع عشرى (١) ذى القعـدة من السنة ركب من دار السعادة بدمشق بعد صلاة العَصْر ومعــه جماعةٌ من الأمراء والجند ، وهم رَجّالة وهو راكب وحدَه وقصـــد القلعة من الباب الذى يلى المدينــة فهجَمَها بمن كان معه ، وطلَعها وجلس بها من ساعته وحَلّف الأمراء والجند ومَن حضر وتسلطن وتلقب «بالملك الكامل» ، ونادت المنادية فى المدينة بسلطنته وآستقلاله بالممالك الشاميّة ، وفى بُكرة يوم السبت خامس عشرين ذى القعدة طَلَب القضاة والعلماءَ ورؤساء البلد وأكابره وأعيانه إلى مسجد أبى الدَّرْدَاء ، رضى الله عنه ، بقلعة دمشق وحَلّفهم وحلّف بقيّة الناس على طاعته ، ثم وَجّه العساكر فى يوم الأربعاء تاسع عشرينه إلى بلاد غَزّة لحفظ البلاد ومَغَلّها ودَفْع من يأتى إليها من الديار المصريّة ، وخرجت سنة ثمانٍ وسبعين وليس للملك المنصور قلاوون حكمٌ إلّا على الديار المصرية وأعمالها فقط .

ولـمّا آستهلت سنة تسع وسبعين والملك المنصور سلطان مصر ، والملك الكامل شمس الدين سُنْقُر الأشقر سلطان دِمَشق وما والاها ، وصاحبُ الكَرَك الملك المسعود خَضِر آبن الملك الظاهر بِيبَرْس ، وصاحب حَماة والمَعَرّة الملك المنصور ناصر الدين محمد آبن الملك تقى الدين محمود الأيوبىّ ؛ والعراق والجزيرة والمَوْصل وإرْبِل وأَذْرَبيجان وديار بكر وخِلاط وخُرَاسان والعجم وما وراء ذلك بيد التّتار والروم ؛ وصاحب اليمن الملك المظفّر شمس الدين يُوسف بن عمر [بن علىّ بن رَسول] (٢) ، وصاحب مكّة ، شرّفها الله تعـالى ، الشريف نجم الدين أبو نُمَىّ الحَسَنِىّ ، وصاحب المدينــة الشريفة ،

---

(١) فى الأصلين : «رابع عشر» . والتصحيح عن تاريخ أبى الفداء، وما سيذكره المؤلف بعد قليل.
(٢) زيادة عما سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٩٤ هـ .

على ساكنها أفضلُ الصلاة والسلام، الأمير عزّ الدين جَمَّاز بن شِيحة الحُسَيْنى؛ ذكرنا هؤلاء تنبيهاً للناظر فى الحوادث الآتية، ليكون فيما يأتى على بَصيرة . انتهى .

ثم إنّ السلطان الملك المنصور قلاوون فى أوّل سنة تسع وسبعين وستّمائة المذكورة جهّز عسكرًا لغزّة ، فلمّا قاربوها لَقِيَهم عسكر الملك الكامل سُنْقُر الأشقر وقاتلوهم حتّى زحزحوهم عنها ، وانكسر العسكر المصرى وقصد الرّمل واطمأنّ الشاميّون بغزّة ونزلوا بها ساعةً من النهار، وكانوا فى قِلّة ، فكَرّ عليهم عساكر الديار المصريّة ثانياً وكبسوهم ونالوا منهم منالاً كبيرا، ورَجَع عسكر الشام منهزماً إلى مدينة الرّملة[1] .

وأمّا الملك الكامل سُنْقُر الأشقر فإنّه قَدِم عليه بدمشق الأميرُ شرف الدين عيسى ابن مُهَنَّا ملك العرب بالبلاد الشرقيّة والشماليّة ؛ ودَخَل على الكامل وهو على السِّمَاط فقام له الكامل ، فقبّل عيسى الأرضَ وجلس عن يمينه فوق مَن حضر . ثم وصل إلى الملك الكامل أيضا الأميرُ شهاب الدين أحمد بن حَجِّى بن بُرَيْد[2] مَلِك العرب بالبلاد الحجازيّة فأكرمه الملك الكامل غاية الإكرام .

وأمّا الملك المنصور لما بلغه ما وقع لعسكره بغزّة جهّز عسكرا آخر كثيفًا إلى دِمَشق لقتال الملك الكامل سُنْقُر الأشقر ، ومقدَّمُهم الأمير علم الدين سَنْجَر الحلبى ، وخرجوا من مصر وساروا إلى جهة الشام ، فصار عسكر دِمَشق الذى بالرّمْلة كلّما تقدّم العسكر المصرى منزلة تأخّر هو منزلة إلى أن وصل أوائلُهم إلى دمشق فى أوائل صفر . وفى يوم الأربعاء ثانى عشر صفر المذكور خرج الملك الكامل من دِمَشق بنفسه بجميع مَنْ عنده من العساكر، وضَرَب دِهْلِيزَه بالجُسُورة[3] وخيّم هناك

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) فى الأصلين وما سيأتى ذكره للمؤلف فى حوادث سنة ٦٨٢ هـ : « ابن يزيد » والتصحيح عن المنهل الصافى وعيون التواريخ وتاريخ الإسلام .

(٣) الجسورة : موضع بظاهر دمشق .

بجميع الجيش، وآستخدم المماليك وأنفق الأموال، وجمع خلقا عظيما وحضر عنده عرب الأميرين: آبن مهنّا وآبن حجّىّ ونجدة حلب ونجدة حماة، مقدّمهما الملك الأفضل نور الدين علىّ أخو صاحب حماة، ورجّالة كثيرة من جبال بعلبكّ، ورتّب العساكر والأطلاب بنفسه وصفّ العساكر ميمنة وميسرة ووقف هو تحت عصائبه؛ وسار العسكر المصرى أيضا بترتيب هائل وعساكر كثيرة، والأطلاب أيضا مرتّبة، وآلتقى الجيشان فى يوم الأحد [سادس[1] عشر صفر] وقت طلوع الشمس فى المكان المذكور وتقاتلا أشدّ قتال، وثبت كلٌّ من الطائفتين ثباتا لم يسمع بمثله إلّا نادرا لاسيّما الملك الكامل سنقر الأشقر، فإنّه ثبت وقاتل بنفسه قتالا شديدا، وآستمرّ المصافّ بين الطائفتين إلى الرابعة من النهار ولم يقتل من الفريقين إلا نفر يسير جدّا، وأمّا الجراح فكثيرة. فلمّا كانت الساعة الرابعة من النهار حامر أكثر عسكر دمشق على الملك الكامل سنقر الأشقر وغدروا به وآنضافوا إلى العسكر المصرى[2]، وكان لما وقع العين على العين قبل أن يلتحم القتال آنهزم عساكر حماة وتخاذل عسكر الشام على الكامل، فمنهم: من دخل بساتين دمشق وآختفى بها، ومنهم من دخل دمشق راجعا، ومنهم من ذهب إلى طريق بعلبكّ، فلم يلتفت الملك الكامل لمن ذهب منه من العساكر وقاتل، فلمّا آنهزم عنه من ذكرنا فى حال القتال ضعف أمره ومع هذا آستمرّ يقاتل بنفسه ومماليكه إلى أن رأى الأمير عيسى بن مهنّا الهزيمة على الملك الكامل أخذه ومضى به إلى الرّحبة[3]، وأنزله عنده ونصب له بيوت الشّعر.

وأمّا الأمير شهاب الدين أحمد بن حجّى فإنّه دخل إلى دمشق بالأمان، ودخل فى طاعة الملك المنصور قلاوون.

(١) زيادة عن عيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان .
(٢) عبارة من ذيل مرآة الزمان وتاريخ الإسلام : «وعند ما وقعت العين على العين ... إلخ» .
(٣) يريد رحبة مالك بن طوق، كما فى ذيل مرآة الزمان .

وأمّا عساكر الشام فإنهم آجتمعوا على القصب من عمل حِمْص، ثم عاد أكثر الأمراء إلى جهة دِمَشق وطلبوا الأمان من مقدّم العساكر المصرية الأمير عَلَم الدين سَنْجَر الحَلَبىّ .

وأمّا العساكر المصرية فإنّهم ساقوا من وقتهم إلى مدينة دِمَشق وأحاطوا بها، ونزلوا بخيامهم ولم يتعرّضوا للزحف، وراسلوا مَنْ بالقلعة إلى العَصْر من ذلك النهار، وفُتِح من المدينة بابُ الفرج ودَخَل منه إلى دمشق بعضُ مقدّمى الجيش؛ ثم طَلَب مَن بالقلعة الأمان فأمّنهم سَنْجَر الحلبى، ففُتِحت القلعة فدخلوا إليها من الباب الذى داخل المدينة وتسلّموها بالأمان وأفرجوا عن جماعة كثيرة من الأمراء وغيرهم، كان آعتقلهم سُنْقُر الأشقر، منهم : الأمير ركن الدين بِيبَرْس[(١)] العَجَمىّ المعروف بالجالق، والجَالق : آسم للفَرَس الحادّ المِزاج باللغة التركية، والأمير حُسام الدين لاچين[(٢)] المنصورىّ، والقاضى تقىّ الدين تَوْبَة[(٣)] التَّكريتىّ وغيرهم . وكَتَب الأمير علم الدين سَنْجَر الحلبىّ بالنصر إلى الملك المنصور قلاوون فسُرّ المنصور بذلك، ودقّت البشائر لذلك أياما بالديار المصرية وزُيّنت القاهرة ومصر .

وأما سَنْجَر الحلبىّ فإنه لما ملك دِمَشق وقلعتها جهز فى الحال قطعة جيّدة من الجيش المصرىّ تُقارب ثلاثة آلاف فارس فى طلَب سُنْقُر الأشقر ومَنْ معه من الأمراء والجند . ثم حضر جواب الملك المنصور قلاوون بسرعة يتضمّن : بأننا قد عَفَوْنا عن جميع الناس الخاصّ والعامّ أرباب السيوف والأقلام، وأمّنّاهم على أنفسهم وأهليهم وأموالهم؛ وحضر التشريفُ للأمير حُسام الدين لاچين المنصورى

(١) سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٠٧ هـ . (٢) هو حسام الدين لاچين بن عبد الله المنصورى الذى تسلطن على الديار المصرية بعد سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الأولى كما سيأتى فى الجزء الثامن من هذه الطبعة، إن شاء الله تعالى . (٣) هو التقى الصاحب الكبير أبو البقاء توبة ابن على بن مهاجر التكريتى ويعرف بالبيع . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٩٨ هـ .

السِّلَحْدَار بنيابة دِمَشق، فلبس الخلعة وقبّل الأرض؛ ثم أردف الأميرُ سنجر الحلبيّ العسكرَ الذى كان توجّه لقتال سُنْقُر الأشقر بعسكر آخر، مقـدّمه الأمير عِزّ الدين الأفرم، فلَحِق بمَنْ كان توجّه قبله وسـار الجميع فى طلب سُنْقُر الأشقر. فلمّا بلغ سُنْقُر ذلك رَحَل عن عيسى بن مُهَنّا وتوجّه فى البرّيّة إلى الحصون التى كانت بَقِيتْ فى يد نُوّابه، فتحصّن هو ومن معه بهـا فى أواخر الشهر المذكور وهى: صِهْيَوْن، كان بها أولاده وخزائنه ودَخَلها هو أيضاً، وبلاطُنُس وحصْن بُرْزَيْه وحصن عكّار[1] وجَبَلة واللّاذِقِيّة وغيرها؛ ثم عادت العساكر إلى دِمَشق وتردّدت الرسل بينهم وبين سُنْقُر الأشقر.

وبينما هم فى ذلك وردت الأخبار فى أوائل جُمادى الآخرة أنّ التّتار قصـدوا البـلاد الشاميّة، فخرج مَنْ كان بدمشق من العساكر الشاميّة والمصريّة، ومقدّمُهم الأمير رُكن الدين اياجى[2]، ولَحِقهم العساكر الذين كانوا فى طَلَب سُـنْقُر الأشـقر، ونزل الجميع بظاهر حَمَاة؛ وكانوا كاتبوا الملك المنصور قلاوون بمجيء التّتار. فجهّز إليهـم فى الحال عسكرًا عليـه الأمير بدر الدين بكتاش النَّجْمِىّ، فلَحِق بهـم الأمير بكْتاش المذكور بمن معـه من العسكر المصرىّ[3]، واجتمع الجميع على حَمَاة وأرسـلوا كشّافة فى العشر الأوسـط من جمادى الآخرة إلى بلاد التّتار. هـذا وقد جفَـل غالبُ مَنْ بالبلاد الشاميّة وخرجوا عن دورهم ومنازلهم ولم يبقَ هناك إلّا من عجَز عن الحركة. وكان سبب حركة التّتار أنّهم لمّـا سمِعوا اختلاف الكلمة، وظنّوا أنّ

---

(١) فى الأصلين: «عكا». وتصحيحه من عيون التواريخ وعقد الجمان والذيل على مرآة الزمان، وراجع الحاشية رقم ٣ ص ١٥١ من هـذا الجزء.

(٢) لقبه المؤلف فى المنهل الصافى: «سيف الدين اياجى» وذكر أن وفاته سـنة ٦٨٦ هـ.

(٣) هو بكّاش بن عبـد الله الفخرى النجمى الأمير بدر الدين أمير سلاح كان مقدّم العساكر المصرية. سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٠٦ هـ والفخرى: نسبة الى فخر الدين بن الشيخ، كما فى الدرر الكامنة والمنهل الصافى وما سيذكره المؤلف.

سُنْقُر الأشقر بمن معه يتّفِق معهم على قتال الملك المنصور قلاوون . فأرسل أمراءُ العساكر المصريّة إلى سنقر الأشقر يقولون له : هذا العدوّ قد دَهَمنا وما سببه إلا الخُلْف بيننا ! وما ينبغي هلاك الإسلام، والمصلحة أنّنا نجتمع على دَفْعه؛ فآمتثل سنقر ذلك وأنزل عسكره من صِهْيَوْن وأمر رفيقَه الحاج أَزْدَمُر أن يفعل كذلك من شَيْزَر، وخيّمت كلّ طائفة تحت قلعتها ، ولم يجتمعوا بالمصريين ، غير أنهم آتّفقوا على آجتماع الكلمة ودَفْع العدوّ المخذول عن الشام؛ وآستمرّوا على ذلك إلى يوم الجمعة حادى عشرين جُمادى الآخرة . وصل طائفة كبيرة من عساكر التّتار إلى حلب ودخلوها من غير مانع يَمنعهم عنها، وأحرقوا الجوامع والمساجد والمدارس المُعْتَبَرة ودار السلطنة ودور الأمراء، وأفسدوا إفسادا كبيرا على عادة أفعالهم القبيحة، وأقاموا بها يومين على هذه الصورة؛ ثم رحلوا عنها في يوم الأحد ثالث عشرينه راجعين إلى بلادهم بعد أن تقدّمتهم الغنائم التي كسبوها وكان شيئًا كثيرا . وكان سبب رجوعهم لمّا بلغهم آتّفاق الطائفتين على قتالهم؛ وقيل في رجوعهم وجه آخر، وهو أن بعض من كان آستتر بحلب يَئِس عن نفسه من الحياة (١)؛ فطلَع منارة الجامع وكبّر بأعلى صوته على التّتار، وقال : جاء النَّصْرُ من عند الله وأشار بمِنْديل كان معه إلى ظاهر البلد ، وأوهم أنّه أشار به إلى عسكر المسلمين ، وجعل يقول في خلال ذلك : اقبضوهم من البيوت مثل النّساء ! فتوهّم التّتار من ذلك وخرجوا من البلد على وجوههم وسَلِم الذي فعل ذلك .

وأمّا سُنْقُر الأشقر فإنّ جماعة من لأمراء والأعيان الذين كانوا معه فرّوا إلى العسكر المصريّ ودخلوا تحت طاعة الملك المنصور قلاوون .

---

(١) في ذيل مرآة الزمان : « يئس من الحياة » .

وأمّا الملك المنصور قلاوون فإنّه لمـا طال عليه أمر سُنْقر الأشقر وأمرُ التّتار جَمع أعيان مملكته فى هذا الشهر بقلعة الجبل ، وجعل ولده الأمير علاءَ الدين[(١)] عليًّا وَلِيَّ عهده، ولقبه « الملك الصالح » ، وخُطِب له على المنابر. ثم تجهّز السلطان وخرج من الديار المصريّة بعساكره ، وسار حتى وصل إلى غَزّة بلَغه رجوع العدو المخذول، فأقام بالرَّمْلَة وتوقّف عن التوّجه إلى دمشق لعدم الحاجة إلى ذلك ، وقَصَد تخفيف الوَطْأة عن البلاد وأهلها . ثم رحَل يوم الخميس عاشر شـعبان راجعًا من الرَّمْلة إلى الديار المصريّة، فدخلها وأقام بها أقلّ من أربعة أشهر. ثم بَدَا له التوجُّه إلى الشام ثانيا، فتجهّز وتجهّزت عساكره وخرج بهم من مصر فى يوم الأحد مستهلّ ذى الحجّة قاصدًا الشام، وترَك ولده الملك الصالح عليًّا يُباشر الأمور عنـه بالديار المصريّة . وسار الملك المنصور قلاوون حتى وصل إلى الرَّوْحَاء من عمل الساحل ، ونزل عليها فى يوم الثلاثاء سابع عشر ذى الحجّة ، وأقام قُبالة عكّا ، فراسلتْه الفرنج من عكّا فى تجديد الهُـدْنة ، فإنّها كانت آنقضت مدّتها ، وأقام بهـذه المنزلة حتى آستهلّت سـنة ثمانين وستّمائة رحَل عنها يوم الخميس عاشر المحرّم . ونزل الجُوْن[(٢)]، وحضر رُسل الفرنج بها بحضرة الأمراء، وسمعوا رسالة الفرنج، فآستشارهم السلطان فحصل الاتّفاق على الهُـدْنة ، وحلَف لهم الملك المنصـور على الصـورة التى وقع الاتّفاق عليهـا ، وآنبرَم الصلح وآنعقدت الهُـدْنة فى يوم الأحد ثالث عشر المحرّم . ثم قبَض الملك المنصـور على الأمير كَوُنْدُك[(٣)] الظاهرىّ وعلى جماعة من الأمراء الظاهريّة لمصلحة آقتضاها الحال، وعنـد قَبْضهم هرب الأمير سيف الدين بَلَبَان الهارُونىّ ومعـه

(١) فى عقد الجمان وبدائع الزهور لابن إياس : « نور الدين » . وسـيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٦٨٧ هـ . باسم علاء الدين . (٢) الجون : بلد بالأردن ، بينه وبين طبرية عشرون ميلا ، وبين الرملة مدينة فلسطين أربعون ميلا (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٦٦ من هذا الجزء .

جماعةٌ وقصدوا صِهْيَوْن إلى عند سنقر الأشقر، ورُكِبت الخيل فى طلبهم فلم يدركوهم، ثم هرب الأمير أَيْتَمُش السَّعْدى[1] أيضا ومعه جماعةٌ إلى صِهْيَوْن من منزلة خَرِبة اللّصوص .

ثم سار الملك المنصور إلى دِمَشق فدخلها فى يوم السبت تاسع عشره، وأقام بدمَشق الى أن قَدِم عليه فى صفر الملك المنصور محمد صاحب حَمَاة، فخرج الملك المنصور قلاوون لتلَقّيه وأكرمه . ثم تردّدت الرسل بين السلطان الملك المنصور قلاوون وبين سُنْقُر الأشقر فى تقرير قواعد الصلح . فلمّا كان يوم الأحد رابع شهر ربيع الأوّل من سنة ثمانين وستمائة وصل من جهة سنقر الأشقر الأميرُ علم الدين سَنْجَر الدُّوَيْدَارِى[2] ومعه خازندار سُنْقُر الأشقر فى معنى الصلح والوقوف على اليمين، فحلف الملك المنصور قلاوون يوم الاثنين خامسه ، ونادت المناديةُ فى دمَشق بآنتظام الصلح وآجتماع الكلمة ، فرَجع رسل سُنْقُر الأشقر ومعهم الأمير فخر الدين اياز[3] المُقْرِئ ليحضُر يمين سُنْقُر الأشقر ، فحلفه وعاد إلى دمشق يوم الاثنين ثانى عشره ، فضُربت البشائر بالقلعة وسُرّ الناس بذلك غايةَ السرور . وصورة ما آنتظم الصلح عليه أنّ سُنْقُر الأشقر يَرْفع يده عن شَيْزَر ويُسلّمها إلى نُوّاب الملك المنصور قلاوون ، وعوّضه قلاوون عنها فامِيَةَ وكَفَرْطَاب وأنطاكِيَة والسُّوَيْدِيّة[4] وبَكَاس ودَرْكُوش بأعمالها كلّها وعدّة ضِياع معروفة ، وأن يُقيم على ذلك ، وعلى ما كان آستقرّ بيده عند الصلح ، وهو صِهْيَوْن وبَلاطُنُس وحِصْن بَرْزَةَ وجَبَلَةَ واللّاذِقيّة

(١) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٣٠٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) فى الأصلين هنا : « الدواداري » . والتصحيح عما تقدم ذكره للؤلف فى ترجمة العادل سلامش، وذيل مرآة الزمان فى غير موضع وعقد الجمان .

(٣) هو اياز بن عبد الله الصالحى النجمى الأمير فخر الدين المعروف بالمقرئ . توفى سنة ٦٨٧ هـ . (عن المنهل الصافى وتاريخ الإسلام) .

(٤) السويدية : من بلاد الشام على ساحل البحر الأبيض، وهى ميناء لأنطاكية (راجع تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل) .

بستمائة فارس، وأنه يُسَلِّم الأمر إلى الملك المنصور قلاوون؛ وخُوطِب سُنْقُر الأشقر في مكاتباته «بالمَقَرّ العالى المولوى السَّيِّدىّ العالمىّ العادلىّ الشمسىّ» ولم يُصرح في مخاطباته بالملك ولا بالأمير، وكان يُخاطَب قبل ذلك في مكاتباته من الملك المنصور قلاوون إلى الجناب العالى الأميرى الشمسىّ. انتهى.

وبينما السلطان في ذلك ورَدَ عليه مجىء التّتار إلى البلاد الشامية وهو بِدمَشق، فتهيّأ لقتالهم وأرسل يطلب العساكر المصرية، وبعد قليل حضرت عساكر مصر إلى دِمَشق واجتمعت العساكر عند السلطان، ولم يتأخر أحدٌ من التُّرْكُمان والعُرْبان وسائر الطوائف. ووصل الخبرُ بوصول التّتار إلى أطراف بلاد حلب، فخلت حلب من أهلها وجُنْدها ونزحوا إلى جهة حَمَاة وحِمْص، وتركوا الغلال والحواصل والأمتعة، وخرجوا جرائدَ على وجوههم؛ ثم ورد الخبر بوصول مَنْكُوتَمُر بن هولاكو مَلِك التّتار إلى عَيْنتَاب وما جاورها في يوم الأحد سادس عشرين جُمادى [الآخرة](١) فخرج الملك المنصور قلاوون بعساكره في يوم الأحد المذكور وخَيَّم بالمَرْج، ووصل التتار الى بَغْرَاس، فقدَّم الملك المنصور عسكره أمامه، ثم سافر هو بنفسه في سَلْخ جُمادى الآخرة المذكور، وسار حتى نزل السلطان بعساكره على حِمْص في يوم الأحد ثالث(٢) عشرين شهر رجب، وراسل سُنْقُر الأشقر بالحضور إليه بمَنْ معه من الأمراء والعساكر، وكذلك الأمير أَيْتَمُش السَّعْدِىّ الذى كان هرَب من عند السلطان لما قَبَض على الأمراء الظاهريّة؛ فآمتثل سُنْقُر الأشقر أمرَ السلطان بالسمع والطاعة وركِب من وقته بجماعته، وحضَر إلى عند الملك المنصور قلاوون، وآستحلفه لأَيْتَمُش السَّعْدىّ يمينا ثانية ليزداد طُمَأْنِينةً، ثم أحضره وتكامل حضورهم

(١) الزيادة عما يفهم من الذيل على مرآة الزمان والتوفيقات الإلهامية وما سيذكره المؤلف بعد قليل.
(٢) في ذيل مرآة الزمان: «ثالث شهر رجب».

عنــد السلطان ، وعامَل السلطانُ سُــنْقُرَ الأشقرَ بالاحترام التــامّ والخِدْمة البــالغة والإقامات العظيمة والرّواتب الجليلة . وشَرَعت التّــار تتقدّم قليلًا قليلًا بخــلاف عادتهم ، فلمّا وصلوا حَمَاة أفســدوا بنواحيها ، وشَعَّثوا وأحرقوا بُستان الملك المنصور صاحب حَمَاة وجَوْسَقَه وما به من الأبنية . وآستمرّ عسكر السلطان بظاهر حِمْص على حاله إلى أن وصلت التّتار إليه فى يوم الخميس رابع عشر شعبان ، فركب الملك المنصور بعساكره وصافَفَ العَدُوَّ ، وآلتقى الجَمْعان عند طلوع الشمس ، وكان عددُ التّتار على ما قيل مائة ألف فارس أو يزيدون ، وعسكرُ المسلمين على مقدار النّصف من ذلك أو أقلّ ، وتواقعوا من ضَحْوة النهــار إلى آخره ، وعَظُم القتــال بين الفريقين وثبَت كلٌّ منهم .

قال الشــيخ قُطب الديــن اليُونِينىّ : « وكانت وَقْعَةٌ عظيمةٌ لم يُشْهَد مثلُها فى هــذه الأزمان ولا من ســنين كثيرة ، وكان المُلْتَقَى فيما بين مَشْهَد خالد بن الوليد ، رضى الله عنــه ، إلى الرَّسْتَن (١) والعاصى ، وآضطربت مَيْمَنة المسلمين ، وحَمَلت التّتار على مَيْسرة المسلمين فكسرُوها وآنهزم مَن كان بهــا ، وكذلك آنكسر جَنَــاح القلب الأيسر وثَبَت الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، رحمــه الله تعــالى ، فى جَمْــع قليل بالقلب ثَباتًا عظيما ، ووصل جماعةٌ كثيرة من التّتار خَلْفَ المنكسرين من المسلمين إلى بُحَيْرة حِمْص ، وأحدق جمــاعةٌ من التّتار بحِمْص ، وهى مغلقة الأبواب ، وبذلوا نفوسهم وســيوفَهم فيمَنْ وجدوه من العوامّ والسُّوقَة والغِلْمانِ والرَّجَّالة المجاهــدين بظاهرها ، فقتلوا منهم جماعةً كثيرة ، وأشرف الإسلام على خُطَّة صعبة ! ثم إنّ أعيانَ الأمراء ومشاهيرهم وشُجعانهم : مثل سُنْقُر الأشقر المقدَّم ذكره ، وبدر الدين بَيْسَرى ،

---

(١) الرستن : بلدة قديمة بين حماة وحمص فى نصف الطريق ، بها آثار باقية إلى الآن تدل على جلالتها ، وهى خراب ليس بها ذو مرىء ، وهى فى علو تشرف على العاصى (عن معجم البلدان لياقوت) .

وعلم الدين سَنْجَر الدَّوَيْدَارِىّ، وعلاء الدين طَيْبَرْس الوَزِيرِى، وبدر الدين بيليك أمير سلاح، وسيف الدين أَيْتَمُش السَّعْدِىّ، وحُسام الدين لاچين المنصورىّ، والأمير حسام الدين طُرُنْطَاى (١) وأمثالهم لمّا رَأَوْا ثبات السلطان ردُّوا على التّتار وحَمَلوا عليهم حَمَلات حتّى كسروهم كَسْرَةً عظيمة، وجُرِحَ مَنْكُوتَمُر مقدّم التّتار، وجاءهم الأمير شرف الدين عيسى بن مُهَنّا فى عربه (٢) عَرْضًا فتمّت هزيمتُهم، وقتلوا منهم مَقتلةً عظيمةً تُجاوز الوصف، وآتّفق أنّ مَيْسَرة المسلمين كانت آنكسرت كما ذكرنا، والميمنة ساقتْ على العدُوّ ولم يبقَ مع السلطان إلّا النَّفَرُ اليسير، والأمير حُسام الدّين طُرُنْطَاى قُدّامه بالسناجق، فعادت المَيْمَنة الذين كَسرُوا ميسرة المسلمين فى خَلْق عظيم ومَرُّوا به، وهو فى ذلك النَّفَر تحت السناجق (يعنى الملك المنصور قلاوون) والكُوسات تضرب، قال: ولقد مررتُ به فى ذلك الوقت وما حوله من المقاتلة ألف فارس إلا (٣) دون ذلك، فلمّا مرّوا به (يعنى ميمنة التّتار التى كانت كسرت ميسرة المسلمين) ثبَت لهم ثباتا عظيما، ثم ساق عليهم بنفسه فآنهزموا أمامه لا يَلْوُون على شىء، وكان ذلك تمام النَّصْر، وكان آنهزامهم عن آخرهم قبل الغروب، وآفترقوا فرقتين: فرقة أخذت جهة سَلَمْيَةَ والبَرِّيَّة، وفرقة أخذت جهة حلب والفُرات. ولمّا آنقضى الحرب فى ذلك النهار عاد السلطان إلى منزلته، وأصبح بُكرة يوم الجمعة سادس عشر رجب (٤) جهّز السلطان وراءهم جماعةً كثيرة من العسكر والعُرْبان، ومقدَّمُهم الأمير بدر الدين بِيليك الأَيْدَمُرِىّ، وكان لمّا لاحت الكَسْرة على المسلمين

---

(١) هو طرنطاى بن عبد الله المنصورى الأمير حسام الدين أبو سعيد. توفى سنة ٦٩٩ هـ (عن المنهل الصافى). (٢) فى الأصلين: فى «حربه». وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان وما يفهم من عبارة عقد الجمان وعيون التواريخ. (٣) كذا فى الأصلين وذيل مرآة الزمان الذى نقل عنه المؤلف. ولعل صوابه: «أو دون ذلك». (٤) فى الأصلين: «سادس عشر شعبان». وتصحيحه عن ذيل مرآة الزمان والتوفيقات الإلهامية، وما يفهم من عبارة عيون التواريخ وعقد الجمان.

نُهِب لهم من الأقمشة والأمتعة والخزائن والسلاح مالا يُحصى كثرةً ، وذهب ذلك كلّه أخذتْه الحرافشة(١) من المسلمين مثل الغِلْمان وغيرهم . وكُتِبت البشائر بهذا النصر العظيم إلى سائر البلاد ، وحصَل للناس السرورُ الذي لامَزيد عليه ، وعُمِلت القِلاع(٢) وزُيِّنت المُدُن » .

وأمّا أهل دمشق فإنّه كان وَرَد عليهم الخبر أوّلًا بكَسْرة المسلمين ، ووصَل إليهم جماعةٌ ممّن كان آنهزم ؛ فلمّا بلغهم النصرُ كان سرورهم أضعاف سرور غيرهم . وكان أهل البلاد الشامية من يوم خرَج السلطان من عندهم إلى مُلْتَقَى التّتار وهم يدعون الله تعالى في كلّ يوم ويبتهلون إليه ، وخرج أهلُ البلاد بالنساء والأطفال إلى الصَّحارَى والجوامع والمساجد ، وأكثروا من الابتهال إلى الله ، عَزّ وَجلّ ، في تلك الأيام لا يَفْتُرُون عن ذلك حتى وردَ عليهم هذا النصرُ العظيم ولله الحمد ، وطابت قلوبُ الناس ، وردّ مَن كان نَزَح عن بلاده وأوطانه وآطمأنّ كلّ أحد وتضاعف شكرُ الناس لذلك . وقُتِل في هذه الوقعة من التتار مالا يُحصى كثرةً ؛ وكان مَن آستُشهِدَ من عسكر المسلمين دون المائتين على ماقيل ؛ وممّن قُتِل الأمير الحاج أَزْدَمُر(٤) ، وسيف الدين بَلَبّان الرومىّ ، وشهاب الدين تُوتل(٣) الشّهْرُزُورىّ ، [وناصر الدين بن جَمَال الدين الكاملىّ] ، و[عِزّ الدين بن النُّضْرة](٥) من بيت الأتابك صاحب المَوْصل وكان أحدَ الشُّجْعان المُفْرِطين في الشجاعة ، رحمهم الله تعالى أجمعين .

---

(١) الحرافشة ، جمع حرفوش وهو ذميم الخلق والخلق « عن دوزى مادة حرفش » .

(٢) لعلها : « وزينت القلاع والمدن » كما يفهم من سياق كلام اليونينى فى الذيل .

(٣) كذا فى الأصلين وتاريخ الإسلام . وفى ذيل مرآة الزمان والوافى بالوفيات : « تولى » بالباء بدل التاء الثانية .

(٤) تكملة عن تاريخ الإسلام .

(٥) فى الأصلين . « من ست الأتابك » . والتصحيح والزيادة عن ذيل مرآة الزمان .

ثم إن السلطان آنتقل من منزله بظاهر حِمْص إلى البُحيرة التى بحِمْص ليبعُد عن الجِيَف ، ثم توجّه عائدًا إلى دِمَشْق فدخلها يوم الجمعة الثانى والعشرين من شعبان قبل الصلاة ، وخَرج الناس إلى ظاهر البلد للقائه ، فدخل دِمَشق و بين يديه جماعةٌ من أَسْرى التّتار و بأيديهم رِماحٌ عليها رءوسُ القَتْلى من التّتار ، فكان يومًا مشهودًا . ودخل السلطان الشام وفى خدمته جماعةٌ من الأعيان ، منهم : سُنْقُر الأشقر الذى كان تسلطن وتلقّب بالملك الكامل ، وأَيْتَمُش السعدىّ ، و[الأمير علم الدين سَنْجَر](١) الدُّوَيْدارِىّ ، وبَلَبان الهارونىّ ؛ ثم قَدِم بعد ذلك [الأمير بدر الدين](١) الأَيْدَمُرِىّ بمن معه من العسكر عائدًا من تَتبُّع التّتار بعد ما أَنْكى فيهم نِكايةً عظيمة ، و وصل إلى حلب وأقام بها ، وسيّر أكثر من معه يتبعونهم ، فهلَك من التّتار خَلْقٌ كثير غَرِقوا بالفُرات عند عُبورهم . وعند ماعَدَوْه نَزَل إليهم أهلُ البيرة فقتلوا منهم مقتلةً عظيمة وأَسَرُوا منهم جمعًا كثيرا ، وتفرّق جَمْعُ التّتار وأُخِذت أموالُهم . وأقام السلطان بدِمَشْق إلى ثانى شهر رمضان خرَج منه عائدًا إلى الديار المصريّة ، وخرج الناس لوَدَاعه مُبتهلين بالدعاء له ، وسار حتى دخل الديار المصريّة يوم ثانى عشرين الشهر بعد أن آحتَفَل أهلُ مصر لملاقاته ، وزُيِّنت الديار المصرية زينة لم يُرَ مثلُها من مدّة سنين ، وعُمِلت(٢) بها القلاع ، وشقّ القاهرة فى مروره إلى قلعة الجبل حتى طَلَع إليها ؛ فكان هذا اليوم من الأيام المشهودة ، وتضاعف سرورُ الناس بسلامته و بنصر المسلمين على العدوّ المخذول .

ثم إنّ السلطان عَقِيبَ دخوله إلى مصر قبَض على الأمير ركن الدين اياجى الحاجب ، وبهاء الدين يعقوب مقدّم الشَّهْرُزُورِيّة بقلعة الجبل . وآستمرّ السلطان

(١) زيادة عما تقدم ذكره للؤلف فى هذه الترجمة .
(٢) راجع الحاشية المتقدّمة رقم ٢ ص ٣٠٥ فى هذه الترجمة .

بمصر إلى خامس ذى القعدة من السنة قبض على الأمير أيتمش السعدى بقلعة الجبل وحبسه بها، ثم أرسل إلى نائب دمشق بالقبض على الأمير بلبان الهارونى بدمشق فقبض عليه .

وفى هذه السنة (أعنى سنة ثمانين وستمائة) تربت جزيرة[1] كبيرة ببحر النيل تجاه قرية بولاق[2]

(١) قال المؤلف : إن هــذه الجزيرة تربت ببحر النيل فى سنة ٦٨٠ هـ تجاه قرية بولاق واللوق ؛ وعبارة المؤلف ليست دقيقة فى التعبير ، لأنها توهم أن بولاق كانت موجودة قبل ظهور هــذه الجزيرة فى حين أنها أنشئت فى ســنة ٧١٣ هـ على جزء من هذه الجزيرة بعد ظهورها فى ســنة ٦٨٠ هـ . ولو عبر المؤلف بأن الجزيرة تربت فى مكان بولاق تجاه اللوق لاســتقام التعبير . ويفهم من عبارة المؤلف فى هذا الموضوع أن هذه الجزيرة اتصلت بشاطئ النيل تجاه اللوق فأصبحت الطريق من اللوق الى مكان بولاق سالكة للمشى ، ويفهم أيضا من هذه العبارة أنه فى السنة التى ظهرت فيها هــذه الجزيرة طمت السيالة التى كانت فى مجرى البحر بين جزيرة الفيل وبين منية السيرج فانسد ذلك المجرى ونشف البحر بينهما وآتصل ما بين المقس وجزيرة الفيل بالمشى أى آتصل ميدان باب الحديد بجزيرة بدران بعد أن كان النيل يجرى بينهما آتيا من الجنوب بمحاذاة شارع الملكة نازلى وذاهبا إلى الشمال من ميدان باب الحديد إلى منية السيرج .

(٢) بولاق — يستفاد مما ذكره المؤلف بعاليه ومما ذكره المقريزى فى الجزء الثانى من خططه عند الكلام على اللوق (ص ١١٧) وعلى بولاق (ص ١٣٠) وعلى قنطرة باب البحر (ص ١٥١) وعلى جزيرة الفيل (ص ١٨٥) أن شاطئ النيل الشرقى القديم تجاه القاهرة كان إلى سنة ٦٨٠ هـ بعد أن يمر فى مجراه الحالى من مصر القديمة إلى قصر النيل ينعطف قليلا إلى الشرق . ويمتد فى الأمكنة التى تعرف اليوم بشارع الملكة نازلى من أوله عند مصلحة المجارى ، ثم يسير فيه الى ميدان باب الحديد فيدان محطة مصر فمحطة كوبرى الليمون و بعد أن يمر شرق مخازن محطة مصر ينعطف شمالا فيسير فى شارع مهمشة ثم فى مكان جسر السكة الحديدية وعنــد عزبة الخماسة يميل الى الشمال الغربى مارا تحت سكن منية السيرج ثم يسير شمــالا الى الغرب حتى يتصل بمجراه الحالى عند فم ترعة الإسماعيلية . وفى سنة ٦٨٠ هـ انحسر النيل عن جانب المقس من الجهة الغربيــة وتقلص ماء النيل عن سور مدينة القــاهرة الذى كان ينتهى إلى المقس عنــد ميدان باب الحديد وظهر فى مجرى النيل بجوار الشاطئ القديم جزر من الرمال الفساد وصارت أرض هذه الجزر تتسع وتنضم إلى بعضها حتى أصــبحت جزيرة واحدة كبيرة اتصلت من بحريها بجزيرة الفيل ومن قبليهــا بأرض اللوق ثم طرح عليها البحر وربت وارتفعت أرضها عن منسوب ماء النيل بسبب ما كان يتركه عليها من الطمى سنويا وأصبحت أطيانها صالحة للزراعة والسكنى . وفى سنة ٧١٣ هـ صرح الملك النــاصر محمد بن قلاوون بالعمارة والبناء فى تلك الأراضى فتسابق الأمراء والجند والكتاب والتجار والعامة فى البناء وأنشئوا على النيل الدور والقصور والبساتين وتكون من مجموع ذلك بلدة جديدة هى بولاق . ومن هــذا يتبين أن بولاق التى على شاطئ النيل بالقاهرة أنشئت فى سنة ٧١٣ هـ = ١٣١٣ م .

واللُّوق[1] ، وانقطع بسببها مجرى البحر ما بين قلعة المُكْس[2] وساحل

= ومن الاطلاع على خريطة مدينة القاهرة طبع سنة ١٨٥٨ يتبين أن بولاق كانت لغاية تلك السنة بلدة صغيرة واقعة على النيل ولم تجاوز مبانيها المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بشارع السبتية ومن الجنوب بشارع أصطبلات الطرق ومن الشرق بشوارع سيدى العليمى وعلوة الحجاج وتل نصر وابو النور ، وكانت الأرض التى بين بولاق القديمة وبين شارع الملكة نازلى كلها أرضا زراعية وبساتين ولم تحدث فيها المبانى إلا فى زمن الخديو إسماعيل ومن ذلك الوقت أخذت بولاق تتسع فى العمارة حتى اتصلت مبانيها بمدينة القاهرة وأصبحت بولاق قسما إداريا من أقسام القاهرة .

(١) اللوق : يستفاد مما ذكره المقريزى عند الكلام على اللوق (ص ١١٥ ج ٢) من خططه أن اللوق هو الأرض اللينة التى تزرع بطريق التلويق فبعد أن ينتهى فيضان النيل ويصرف الماء عنها تنكشف أرضها ولا تحتاج إلى الحرث للينها ورخاوتها بل تلاق لوقا عند نثر البذور حيث تزرع أصنافا شتوية أسوة بأراضى الملق التى فى حياض الوجه القبلى .

ومن تطبيق الحدود التى ذكرها المقريزى لأرض اللوق يتبين أنها كانت ممتدة على النيل فى الجهة الغربية من مدينة القاهرة وتشمل المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بشارع قنطرة الدكة ومن الغرب بشارع الملكة نازلى إلى أوله عند مصلحة المجارى ثم ينعطف الحد إلى قصر النيل ومنـــه يسير محاذيا للنيل إلى كوبرى محمد على . والحد القبلى مستشفى قصر العينى وشارع بستان الفاضل . والحد الشرقى شارع الخليج المصرى فشارع سعد الدين فشارع نوبار باشا (الدواوين سابقا) إلى أن يتقابل مع شارع الشيخ ريحان فينعطف الحد مائلا الى الشرق حتى يتصل بشارع عمـاد الدين عند نقطة تلاقيه بشارع الخديوى إسمـاعيل ثم يستقيم الحد متجها الى الشمال فى شارع عماد الدين إلى أن يتقابل مع الحد البحرى وهذا الحد الشرقى لأرض اللوق كان هو مكان الشاطئ الشرقى للنيل تجاه القاهرة لغاية سنة ٦٩ ﻫ أى أن النيل كان يجرى عند هذا الحد قبل ظهور أرض اللوق وكانت أراضى اللوق فى الزمن المـاضى مما يغمره ماء النيل ثم انحسر عنها فى سنتى ٣٣٠ و ٥٦٠ ﻫ وأصبحت أرضا زراعية أنشئ بها كثير من البساتين والمنشآت مثل منشأة القاضى الفاضل وبستانه ومنشأة ابن ثعلب وبستانه ومنشأة الكتبة وغيرها مما ذكره المقريزى ، ثم زالت هذه المنشآت وبقيت أرض اللوق أرضا زراعية ولم يحدث فيها بناء بعد ذلك الا فى سنة ٦٦٠ ﻫ حيث قدم على مصر طائفة من التتار مستأمنين فأنزلهم الملك الظاهر بيبرس البندقدارى فى دور كان قد أمر بعمارتها من أجلهم فى أراضى اللوق . وفى آخر سنة ٦٦١ ﻫ قدم طوائف عدّة من المغل والبهادرية فأنزلهم السلطان فى مساكن عمرت لهم باللوق . ومن ذلك الوقت أصبح بأرض اللوق عدة أحكار عامرة آهلة بالسكان ثم أخذت هذه الأحكار فى الخراب تدريجا إلى أن اندثرت عن آخرها فى القرن العاشر الهجرى .

ومن الاطلاع على خريطة مدينة القاهرة طبع سنة ١٨٥٨ م يتبين أن أرض اللوق التى ذكرنا حدودها كانت لغاية تلك السنة أطيانا زراعية وليس فيها من المبانى الا مجموعة من المساكن واقعة خارج باب اللوق بين شارع البستان وبين شارع جامع جركس . وفى زمن الخديو إسماعيل بدأ الناس فيها بالعمارة والبناء حتى صارت هـــذه المنطقة مشغولة كلها بالدور والقصور يتخللها الشوارع الواســعة والميادين كما ترى اليوم من قنطرة الدكة إلى مستشفى قصر العينى وشارع بستان الفاضل .

(٢) قلعة المكس : هى قلعة المقس ، ويستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على سور =

باب البحر[1]، والرَّملة[2] [و]بين جزيرة الفِيل[3] وهو المـاز تحت مُنْيـة السِّيرج، وانسدّ هذا البحر ونشف بالكليّة، واتصل ما بين المَقْس وجزيرة الفِيل بالمشى، ولم يُعهد

= القاهرة (ص ٣٧٧ ج ١) وعلى منظرة المقس (ص ٤٨٠ ج ١) وعلى جامع المقس (ص ٢٨٣ ج ٢) أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لما عمر السور الثالث للقاهرة فى سنة ٥٦٦ هـ وقت وزارته للخليفة العاضد زاد فى هذا السور القطعة التى من باب الشعرية إلى باب البحر وبنى قلعة المقس على شكل برج كبير فى نهايته السور الغربى على شاطئ النيل بحرى جامع المقس فى مكان منظرة المقس التى كانت على النيل وقت أن كان يمر تحت المقس من الجهة الغربية . وكانت هذه القلعة قائمة إلى أن هدمها الوزير الصاحب شمس الدين عبد الله المقسى عند ما جدد جامع المقس فى سنة ٧٧٠ هـ وجعل فى مكانها جنينة .

وبما أن جامع المقس لا يزال موجودا وهو الذى يعرف اليوم بجامع أولاد عنان بشارع إبراهيم باشا كما أن أجزاء من السور الذى أقامه صلاح الدين بين باب الشعرية وباب البحر لا تزال قائمة إلى اليوم كما هو مبين على خريطة مدينة القاهرة الحالية . وبما أن هذه القلعة كانت واقعة فى نهاية هذا السور وعلى امتداده من الجهة الغربية فيكون مكانها الأرض القائم عليها اليوم عمارتا الأوقاف وراتب باشا المجاورتان لجامع أولاد عنان من الجهة البحرية بميدان باب الحديد .

(١) يستفاد مما ذكره المؤلف فى موضوع الجزيرة التى تربت ببحر النيل فى سنة ٦٨٠ هـ، أن مجرى النيل القديم تجاه باب البحر كان الى تلك السنة مارا بميدان باب الحديد فيدان محطة مصر فشارع غمره فشاوع مهمشة ومتجها الى الشمال الغربى حيث يمر تحت سكن ناحية منية السيرج .

وبما أن باب البحر الذى يعرف اليوم بباب الحديد كان واقعا على مدخل شارع فم باب البحر من جهة ميدان باب الحديد الحالى فيكون ساحل باب البحر الذى يشير إليه المؤلف واقعا بميدان باب الحديد وما جاوره من شارع الملكة نازلى من جهته القبلية وما جاوره من محطة كوبرى الليمون من جهته البحرية .

(٢) هذه الرملة ذكرها أيضا المقريزى عند الكلام على الجزر (ص ١١٩ ج ٢) من خططه ويفهم من عبارته أن هذه الرملة كان يقال لها منية بولاق ومكانها المنطقة التى لا تزال تعرف الى اليوم برملة بولاق الواقعة عند كوبرى امبابه بين النيل وبين شارع كوبرى روض الفرج بقسم بولاق .

(٣) يستفاد مما ذكره المقريزى عند الكلام على جزيرة الفيل (ص ١٨٥ ج ٢) من خططه أن هذه الجزيرة كانت واقعة فى وسط النيل تجاه ناحية منية السيرج خارج باب البحر من القاهرة وكان موضعها غامرا بالماء فى أيام الدولة الفاطمية ، وفى أواخر حكم تلك الدولة انكسر مركب كبير كان يعرف بالفيل وترك فى مكانه ، فربا عليه الرمل وانطرد عنه الماء فصارت جزيرة يحيط بها الماء من جميع الجهات ثم علا أراضيها الطمى ومابرحت تتسع مساحة أراضيها حتى تم تكوينها حول سنة ٥٧٠ هـ، فزرعت فى أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . وفى سنة ٦٨٠ هـ، طرح البحر بجوارها فاتصلت أراضيها بأرض ناحية منية السيرج وبالمقس حيث ميدان باب الحديد الآن . وفى زمن الملك المنصور قلاوون . أنشأ بها الأمراء والأعيان الدور والقصور والبساتين حتى صارت بلدا كبيرا بها جامع وسوق كبير وعدة بساتين جليلة . ثم أخذت مبانيها فى الخراب تدريجا ولم يبق بها إلا البساتين والأراضى الزراعية .

فيما تقدّم ، وحصل لأهـل القاهرة مشقّة من نقل المـاء الحلو لبُعد البحر ، فأراد السلطان حفره فنهَوْه عن ذلك ، وقالوا له : هذا ينشف إلى الأبد، فتأسّف السلطان وغيره على ذلك .

قلت : وكذا وقع ، ونحن الآن لا نعرف أين كان جريان البحر المذكور إلّا بالحَـدْس ، لإنشاء الأملاك والبساتين والعمائر والحارات فى محـلّ مجرى البحر المذكور، فسبحان القادر على كلّ شىء !

ثم فى أوّل سـنة إحدى وثمانين وستمائة ورد الخـبر على السلطان أنّه تسلطن فى مملكة التَّتار مكان أَبْغا بن هولاكو أخوه لأبيه أحـمد بن هولاكو ، وهو مُسْلِمٌ حسَن الإسلام وعمرُه يومئذ مقدارُ ثلاثين سـنة ، وأنّه وصلت أوامره إلى بغداد تتضمّن إظهار شعائر الإسلام وإقامة منَاره، وأنّه أعلى كلمة الدين، وبنى الجوامع والمساجد والأوقاف ورتّب القُضاة ، وأنه آنقاد إلى الأحكام الشرعية ، وأنّه ألزم أهل الذّمّة بلُبْس الغِيار(1)، وضرَب الجِـزْية عليهم ، ويقال إنّ إسلامه كان فى حياة والده هولاكو ، فسُرّ السلطان بذلك سُرورا عظيماً . وبعد مدّة قَبَض السلطان على

= وأقول : إن جزيرة الفيل هى التى تعرف اليوم باسم شبرا أحد أقسام مدينة القاهرة ولا يزال الجزء الجنوبى منها يعرف بجزيرة بدران وكانت جزيرة الفيل تشغل المنطقة التى يتوسـطها اليوم شارع شـبرا من الجنوب الى الشمال ويحدها من الغرب النيل حيث جسر طراد النيل القديم وشارع أبى الفرج اليوم ومن الجنوب النيل حيث شارع جزيرة بدران وشارع بركات اليوم ومن الشرق سيالة مياه كانت فاصلة بين هـذه الجزيرة وبين الشرابية ومنية السيرج ثم طمئت فى سنة ٦٨٠ هـ .

وبالاطلاع على خريطة القاهرة وضع الحملة الفرنسية فى سـنة ١٨٠٠ م يتبين أن أرض قسم شـبرا كانت أرضا زراعية وبها كثير من البساتين ومجموعة مساكن قليلة بجزيرة بدران ولم يستجد فيها البناء إلا فى عهد الخديو إسماعيل حيث أنشأ بها قصر النزهة (المدرسة التوفيقية اليوم) ثم تبعه الأعيان وكبار التجار فأنشئوا بها القصور والبساتين على جانبى شارع شبرا ثم أخذت العمارة فى الزيادة والاتساع الى أن امتدت المبانى الى شاطئ النيل وجسر السكة الحديدية وترعة الإسماعيلية .

(1) الغيار: علامة أهل الذمة كالزنار ونحوه.

الأمير بدر الدين بَيْسَرِى ، وعلى علاء الدين كُشْتُغْدِى الشّمسى، وآعتقلهما بقلعة الجبل ، وذلك فى يوم الأحد مستهلّ صفر من السنة . وآستمرّ السلطان على ذلك إلى يوم الأربعاء (١) ثانى عشرين شعبان طافوا بكسوة البيت العتيق التى عُمِلت برَسْم الكعبة ، عظّمها الله تعالى ، بمصر والقاهرة على العادة ، ولَعِبت مماليك السلطان الملك المنصور قلاوون أمام الكسوة بالرِّماح والسلاح .

قلت : وأظنّ هذا هو أوّل آبتداء سَوْق المحمل المعهود الآن ، فإنّنا لم نقف فيما مضى على شىء من ذلك مع كثرة آلتفاتنا إلى هذا المعنى ، ولهذا غلَب على ظنّى من يوم ذاك بدأ السوق المعهود الآن ، ولم يكن إذ ذاك على هيئة يومنا هذا ، وإنّما آزداد بحسب آجتهاد المعلّمين ، كما وقع ذلك فى غيره من الفنون والملاعيب والعلوم ، فإن مبدأ كلّ أمر ليس كنهايته ، وإنّما شَرَع كلّ معلّم فى آقتراح نوع من أنواع السَّوْق إلى أن آنتهى إلى ما نحن عليه الآن ، ولا سبيل إلى غير ذلك . يَعْرِف ما قلته مَن له إلمامٌ بالفنون والعلوم إذا كان له ذَوْقٌ وعقل . وعلى هذه الصيغة أيضًا اللعب بالرمح فإنّ مماليك قلاوون هم أيضا أحدثوه ، وإن كانت الأوائل كانت تلعبه ، فليس كان لعبهم على هذه الطريقة ؛ وأنا أضرب لك مثلا لمِصْداق قولى فى هذا الفنّ ، وهو أنّ مماليك الملك الظاهر برقوق كان أكثرهم قد حاز من هذا الفنّ طَرَفًا جيّدا ، وصار فيهم من يُضرب بلعبه المثَل ، وهم جماعة كثيرة يطول الشرح فى ذكرهم ، ومع هذا أحدث معلّمو زماننا هذا أشياء لم يعْهَدوها أولئك من تغيير القَبْض على الرمح فى مواطن كثيرة فى اللّعب ، حتى إنّ لعب زماننا هذا يكاد أنّه يُخالف لعب أولئك فى غالب قُبوضاتهم وحَركاتهم . وهذا أكبر شاهدٍ لى على ما نقلتُه من أمر المحمل ، وتَعْدَاد فنونه ، وكثرة ميادينه ، وآختلاف

(١) فى الأصلين : «الى يوم الأحد ... الخ» . وتصحيحه عن ذيل مرآة الزمان والتوفيقات الإلهامية .

أسمائها لتغيير لعب الرمح فى هــذه المدّة اليسيرة من صفة إلى أخرى ، فكيف وهذا الذى ذكرناه من ابتداء السوق من ســنة إحدى وثمانين وستّمائة ! فمن باب أولى تكون زيادات أنواع ســوق المحمل أحقّ بهذا لطول السنين ، ولكثرة مَن باشره من المعلّمين الأستاذين، ولتغير الدُّوَل، ولمحبّة الملوك وتعظيمهم لهذا الفن، ولإنفاق سوق من كان حاذقا فى هذا الفن . وقد صنّفتُ أنا ثمانية ميادين كلّ واحد يخالف الآخر فى نوعه لم أُسْبَق إلى مثلهـا قديمًا ولا حديثا ، لكنّنى لم أُظْهِرها لكَسَاد هذا الفنّ وغيره فى زماننا هــذا، ولعدم الإنصاف فيه وكثرة حُسّاده ممّن يدّعى فيه المعرفة وهو أجنبىّ عنها، لا يعرف آسم نوع من أندابه(1) على جَلِيّته بل يَدَّعيه جَهْلًا ، ويَقْوَى على دعواه بالشَّوْكة والعصبيّة . ولله درّ القائل :

أيُّهـا المـدّعى سُلَيْمى سِفاهًا * لستَ منهـا ولا قُلامة ظُفْـرِ
إنّمـا أنت من سُلَيْمَى كواوٍ * أُلْحِقتْ فى الهجاء ظُلْمًـا بعَمْرو

وشاهدى أيضا قول العلّامة جار الله محمود الزَّمَخْشَرِىّ(2) وأجاد، رحمه الله تعالى:

وأخّرنى دهرى وقدّم مَعْشَرًا * على أنّهم(3) لا يعلمونــ وأعلمُ
ومُذْ أفلح الجُهّال أيقنتُ أنّنى(4) * أنا المِيمُ والأيام أَفْلَــح أَعْلَمُ

قلت : وتفســير الأفلح هو مشقوق الشّفة العُليــا . والأعلم مشقوق الشّــفة السُّفْلى ، وفائدة ذلك أن مشقوق الشفتين ٱلعُلْيـا والسُّفْلى لا يقــدر أن يتلفّظ بالميم ولا يَنْطِق بها . فانظُر إلى حسن هذا التخيّل والغَوْص على المعانى .

---

(١) الأنداب، جمع ندب، وهو ندب النشاب : نوع من اللعب به ؛ يقال لعب أندابا فى الميدان، وكان عارفا بأنداب الحرب وأظهر أندابا عربية، وأظهر من هــذه الأنداب العجائب (انظر تكملة المعاجم العربية لدوزى ص ٦٥١ وانظر كترمير ج ٢ مجلد ٢ ص ٩٨) .

(٢) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشرى . تقدّمت وفاته سنة ٥٣٨ هـ .

(٣) فى الأصلين : « لأنهم » . (٤) فى الأصلين : «أعلم أنى» .

وما أحسن قولَ الإمام العلّامة القاضى الفاضل (١) عبد الرحيم وزير السلطان صلاح الدّين، وهو :

ما ضرّ جهلُ الجاهلـ * ين ولا انتفعتُ أنا بحِذْقِى
وزيادة فى الحِذْق فهـ * ى زيادةٌ فى نقص رِزْقى

وقول الشّريف الرَّضى (٢) فى المعنى :

ما قَدْرُ فضلك ما أصبحتَ تُرْزَقُهُ * ليس الحظوظ على الأقدار والمِهَنِ
قد كنتُ قبلك من دهرى على حَنَقٍ * فزاد ما بك فى غَيْظى على الزمنِ

وفى المعنى :

كم فاضلٍ فاضلٍ أعيتْ مذاهبُه * وجاهلٍ جاهلٍ تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الألبابَ حائرةً * وصيَّر العالِمَ النِّحريرَ زِنْديقا

قلت : ويُعجبنى المقالةُ السادسة عشرة من كتاب « أطباق الذهب » للعلّامة شرف الدين عبد المؤمن الأصفهانىّ المعروف بشَوَرْوة (٣)، وهى :

« طَبْعُ الكريم لا يحتمل حُمَةَ (٤) الضَّيْم، وهواءُ الصيف لا يَقْبَل غُمَّة الغَيْم؛ والنَّبِيل يَرْضى النِّبال والحُسام، ويأبى أن يُسام (٥)؛ ولأَنْ يُقْتَل صَبْرًا، ويُودَعَ قبرًا، أحبُّ إليه من أن يُصيبه نُشَّابُ الجفاء، من جَفِير (٦) الأكفاء؛ يَهْوَى المَنِيّة، ولا يَرْضَى الدَّنِيّة؛ يستقبل السيفَ، ولا يقبل الحَيْف؛ إن سِيمَ أخذتْه الهِزّة، وإن ضِيم أخذتْه

(١) هو القاضى الفاضل عبد الرحيم ابن القاضى الأشرف أبى المجد على ابن القاضى السعيد أبى محمد محمد محيى الدين. تقدّمت وفاته سنة ٥٩٦ هـ.
(٢) هو الشريف الرضى أبو الحسن الموسوى محمد ابن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم. تقدّمت وفاته سنة ٤٠٦ هـ.
(٣) فى الأصلين هنا : « بشيفروه ». وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٩٩ من هذا الجزء.
(٤) الحمة (بالضم) : سم كل شىء يلدغ أو يلسع.
(٥) يقال سامه خسفا أى أولاه إياه وأراده عليه.
(٦) الجفير : جعبة من جلود لا خشب فيها، أو من خشب لا جلود فيها.

العِزّة ؛ إن عاشرتَه سال عَذْبا ، وإن عاسرتَه سُلّ عَضْبا(١) ؛ إن شاربتــه تحمّر ، وإن حاربتَه تنمّر ؛ يَرَى العِزّ مَغنمًا ، والذّل مَغْرَما ، وكان كأنف اللَّيْث لا يَشتمّ مُرْغَما ! .

فياهــذا كن فى الدنيا حَمِيّ الأنف مَنِيع الجنــاب ، أبِيّ النفس طَرِير(٢) النّاب ؛ ولا تصحب الدنيا صحبةَ بِعَال(٣) ، ولا تنظر إلى أبنائها إلّا من عال ؛ ولا تخفِض جَناحك لبنيها ، ولا تُضَعْضِع ركنَك لبانيها ؛ ولا تَمُدَّنّ عَيْنَيْك إلى زخارفها ، ولا تَبْسُط يَدَك إلى مَخَارِفها ؛ وكن من الأكياس ، وآتْلُ على اللّئام سُورةَ الناس(٤) ، ولا تُصَعِّر خَدَّك للنــاس » . انتهى .

قلتُ : وقد خرجنا عن المقصود غير أنّنا وجدنا المقال فقلنا . ولنعُد إلى مانحن فيه من ترجمة الملك المنصور قلاوون .

ودام السلطان الملك المنصور بديار مصر إلى سنة ثلاث وثمانين وستمائة ، تُوفّى صاحب حَمَاة الملك المنصور محمد الأيُّوبىّ ، فأنعم السلطان الملك المنصور على ولده بسلطنة حَمَاة ، وولّاه مكان والده المنصور . ثم تجهّز السلطان فى السنة المذكورة وخَرَج من الديار المصريّة بعسكره متوجّهًا إلى الشام فى أواخر جُمادى الأولى ، وسار حتى دخل دِمَشْق فى ثانى عشر جُمادى الآخرة ، وأقام بدِمَشْق إلى أن عاد إلى جهة الديار المصريّة فى الثُّلُث الأخير من ليــلة السبت ثالث عشرين شعبان ، وسار حتى دخل مصر فى النصف من شهر رمضان ، وأقام بديار مصر إلى أوّل سنة أربع وثمــانين وستمائة تجهّز وخرج منهــا بعساكره إلى جهــة الشام ، وسافر حتى دخل دمشــق يوم السبت ثانى عشرين المحرّم من الســنة المذكورة ، وعَرَض العسكر الشامى عدّة أيّام ، وخرجوا جميعًا قاصدين المَرْقَبَ فى يوم الآثنين ثانى صفر . وكان

(١) العضب : السيف . (٢) طرير : حاد . (٣) البعال : ملاعبة المرء أهله .
(٤) فى أطاق الدهب : « وآتل على اللئام سورة الياس » .

قد بَقِيَ في يد سُنْقُر الأشقر قطعة من البلاد، منها : بِلَاطُنُس وصِهْيَوْن وبُرْزَيْه وغير ذلك، وكان عمل السلطان في الباطن انتزاع ما يُمكن انتزاعه من يد سُنْقُر الأشقر المذكور وإفساد نُوّابه. فاتّفق الحال بين نُوّاب السلطان وبين نُوّاب سنقر الأشقر على تسليم بِلَاطُنُس فسُلِّمت في أوّل صفر . ووافى السلطانَ البُشْرَى بتسليمها وهو على عيون القَصَب في توجُّهه إلى حصار المَرْقَب فسُرّ بذلك واستبشر بنَيْل مقصوده من المَرْقَب؛ وكان في نفس السلطان من أهل المَرْقَب لِمَا فعلوا مع عسكره مافعلوا في السنين الماضية، فنازل السلطانُ حصن المَرْقَب في يوم الأربعاء عاشر صفر، وشرَع العسكر في عمل الستائر والمجانيق. فلمّا انتهت الستائر التي للمجانيق حَمَلتْها المُقَاتلة لباب الحصن ، فسقَطت السّتارة إلى بركة كبيرة كان عليها جماعةٌ من أصحاب الأمير علم الدين سَنْجَر الدُّوَيْدَارِيّ ، منهم شمس الدين سُنْقُر أستاداره وعِدّةٌ من مماليكه فاستُشْهِدُوا جميعهم ، رحمهم الله تعالى .

ثم في يوم الأحد[(1)] رابع عشره، حضَر رسُل الفرنج من عند مَلِكهم الإسبتار، وسألوا السلطانَ الصُّلح والأمانَ لأهل المَرْقب على نفوسهم وأموالهم ويُسَلِّمون الحِصْن المذكور، فلم يُجِبْهم السلطان إلى ذلك، وكَمّل نَصْب المجانيق ورَمَى بها وشَعّثَ الحصن وهدّم معظَم أبراجه واستمرّ الحال إلى سادس عشر شهر ربيع الأوّل، زحَف السلطان على الحصن فأذعن مَن فيه بالتسليم ؛ وحصَلت المُراسلةُ في معنى ذلك . فلمّا كان يوم الجمعة ثامن عشر شهر ربيع الأوّل المذكور سُلِّمَ، ورُفِعت عليه الأعلام الإسلاميّة ونَزَل من به بالأمان على أرواحهم فركبوا، وجهّز معهم مَن أوصلهم إلى أَنْطَرْطُوس . [و][(2)] بالقُرب من هذا الحصن [مَرَقِيّة][(2)] وهي بلدة صغيرة على البحر، وكان

(1) في الأصلين : «ثم في يوم الأربعاء رابع عشره» . وتصحيحه عن ذيل مرآة الزمان .

(2) تكملة عن ذيل مرآة الزمان وبثر الجمان للفيومي والمنهل الصافي .

صاحبها قد بَنَى فى البحر بُرْجا عظيما لأُرام ولا تَصِله النُّشّاب ولا حجرُ المَنْجَنِيق وحصّنه؛ وآتفق حضورُ رُسُل صاحب طَرَابُلُس إلى السلطان بطَلَب مراضيه، فآقترح عليه خَرَاب هذا البرج و إحضار مَن كان فيه أسيرا من الجُبَيْلِيِّين[(2)] الذين كانوا مع صاحب جُبَيْل[(3)]، فأُحْضِر مَن بَقِي منهم فى قَيْد الحَيَاة وآعتذر عن هَدْم البُرْج بأنّه ليس له، ولا هو تحت حُكْمه؛ فلم يقبَل السلطان آعتذاره وصمّم على طلبه منـه، فقيل: إنّه آشـتراه من صاحبه

---

(١) كان هذا البرج من حصون فرسان التمبلار وهى طائفة الداوية المشهورة التى تقـدم ذكرها غير مرة فى الجزء السادس من هـذه الطبعة . وأطلق عليها اسم التمبلار أيضا، ومعناه فرسان الهيكل، وكان للتمبلار فى الحروب الصليبية شأن عظيم منذ أول عهدها حتى محاربتهم لبيموند الرابع صاحب طرابلس ثم محالفتهم له وللاسماعيلية على عهد بيبرس وكانت لهم حصون بغراس وعثليث وأنطرطوس وجبيل السابق ذكرها (انظـر تاريخ الصليبيين فى المشرق لاستفنسون . وفلسطين الاسلامية لاسترانج ص ٤٤٧) .

(٢) يقصد بالجبيليين هنا جماعة من المسلمين كانوا مع صاحب جبيل سيرجى (Sir Guy) الفارس التمبلارى الذى سماه القطب اليونينى سيركى . أمدهم به الأمير سيف الدين بلبان لأخذ طرابلس سنة ٦٨١ هـ = ١٢٨٢ م وكان صاحب جبيل المذكور قـد كاتب معظم الخيالة بطرابلس لانضمامهم اليه ضـد صاحبها بيموند السابع وآشترط على نفسه أنه متى تملكها تكون مناصفة بينه و بين الملك المنصور، فلما كان فى أواخر شوّال ركب صاحب جبيل فى أصحابه و جماعة من الجبيليين ودخلوا ميناء طرابلس ليـلا وخرجوا من المراكب ودخلوا البلد وكان الخبر قد نمى الى بيموند فأوقع بهم وقصد «بجى» دار الديوية فقبض عليه بيموند ومات فى أسره. قيـل أغرقه وأصحابه فى البحر، واحتل جبيل فصارت له مع طرابلس . وأما الجبيليون فبقوا فى الأسر حتى نازل السلطان المرقب وحضر اليه رسول صاحب طرابلس بطلب الأمان فطلبهم السلطان ولم يسمع له رسالة فعاد الى صاحبه وأخبره ما رسم به السلطان فكساهم جميعا و جهزهم الى أعتاب السلطان . (انظر اليونينى ذيل مرآة الزمان فى وفيات سنة ٦٨١ هـ فى ترجمة سيركى . وانظر الصليبيين فى المشرق لاستفنسون ص ١٤٨)

(٣) جبيل : بلدة على شاطئ سوريا بين بيروت والبترون فتحت فى عهد يزيد بن معاوية وكانت من جند دمشق كبقية مدن الشاطئ الى عهد الفاطميين وقد ظهر فيها علماء مشاهير . وفى سنة ٤٩٦ هـ = ١١٠٣ م سقطت فى يد الصليبيين وكان يحكمها بارون من قبل ملك أورشليم وكان لها مرفأ صغير به حصن منيع، وقد سقطت فى عهد صلاح الدين فى يد المسلمين، لكن الصليبيين استردوها بستة آلاف دينار من الأكراد، وفى أواخر القرن الرابع عشر الميلادى كانت فى يد بنى حمادة المتاولة (الشيعة) حكام جبل لبنان الى آخر القرن الثامن عشر فتحولت الى قرية صـغيرة عديمة الأهمية ثم صارت عاصمة مديرية باسمها فانتعشت قليلا، ولكنها لم يبق لها مرفأ . سكانها ٢٠٠٠ نفس غالبهم موارنة وقليل من المسلمين (دائرة المعارف الإسلامية ص ١٠٥٧ ومعجم البلدان لياقوت) .

بعِدّة قُرى وذَهب كثير ، ودفعه إلى السلطان ، فأمر بهدمه فهُدِم وآستراح الناس منه . وحَصَل الاستيلاء في هذه الغزوة على المَرْقَب وأعماله ومَرَقِيَّة . والمَرْقَبُ هو من الحصون المشهورة بالمَنَعَة والحصانة وهو كبير جداً ، ولم يفتحه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فيما فتح ، فأبقاه السلطان الملك المنصور بعد أن أشير عليه بهَدْمه ، ورمّ شَعَثَه وآستناب فيه بعضَ أمرائه ورتّب أحواله . وكُتِبت البشائر بهذا الفتح إلى الأقطار .

ولمّا كان السلطان الملك المنصور على حصار المَرْقَب جاءته البُشْرى بولادة ولده « الملك الناصر محمد بن قلاوون » ، فولِدَ الملك الناصر محمد هذه السنة ، فيحفظ إلى ما يأتي ذكره في ترجمته ، إن شاء الله تعالى ، فإنّه أعظم ملوك الترك بلا مدافعة .

ولمّا فَتَح السلطان الملك المنصور المَرْقَب عَمِلت الشعراء في ذلك عِدّة قصائد ، فمن ذلك ما قاله العلّامة شهاب الدين أبو الثّناء محمود ، وهي قصيدة طنّانة أوّلها :

اَللهُ أكبرُ هذا النَّصرُ والظَّفَرُ * هذا هو الفتح لا ما تَزْعُم السِّيَرُ
هذا الذى كانت[1] الآمالُ إن طَمَحتْ * إلى الكواكب ترجوه وتَنْتَظِرُ
فآنْهَضْ وسِرْ وآمْلِكِ الدّنيا فقد تَحَلَّتْ * شَوْقاً منابرُها وآرتاحت السُّرُرُ
كَمْ رام قبلَك هذا الحِصْنَ من مَلِكٍ * فطال عنه وما في باعه قِصَرُ
وكيف تَمْنَعُه الأيّامُ مملكةً * كانت لدولتك الغَرّاءِ تُدَّخَرُ
وكيف يسمو إليها مَن تأخّر عن * إسعاده[2] مُنْجِداك القَدْرُ والقَدَرُ

(١) في الذيل على مرآة الزمان : « كادت » .
(٢) في الأصلين هكذا : * إسعاده منحدر إلى القدر والقدر *
وما أثبتناه عن المنهل الصافي .

غَرَّ العِـدَا منـك حِلْمٌ تحتـه هِمَمٌ * لأشـقر البَرْق من تحجيلها غُرَرُ
لها وإن أشبهت لُطْفَ النَّسيم سَرَى * معنى العواصف لا تُبْـقِي ولا تَذَرُ
أوردتَها المَرْقَبَ العالى وليس سوى * ماءِ المَجَرَّة فى أرجائهـا نَهَــرُ
كأنّه وكأنَّ الجَــوَّ يَكْنُفُــه * وهــمٌ تُمَثّـلُهُ فى طَيّهـا الفِكَرُ
يختال كالغادة العَذْرَاءِ قد نُظِمَتْ * منه مكانَ اللآلى الأنجُــمُ الزُّهُرُ
له الهِلالُ سِــوَارٌ والسُّهـا شَنَفٌ * والقَلْبُ قُلْبٌ(١) ومسودُّ الدُّجى طُرَرُ
تعـلو الرياحُ إليـه كى تُحِيـطَ به(٢) * [خُبْراً] وتدنو وما فى ضِمْنها خَـبَرُ
ويُومِضُ البَرْقُ يهفو نحـوَه لِيَرَى * أدنى رُبَاه ويأتى وهو معتَـــذِرُ
وليس يَرْوَى بماء السُّحْبِ مُصْعِدَةً * إليـــه مَنْ فيـــهِ إلّا وهو مُنْحَدِرُ

ومنهـا :

وأُضْرِمَتْ حــوله نارٌ لهـا لَهَبٌ * من السّيوف ومِن نَبْلِ الوَغَى شَرَرُ

ومنهـا :

كأنّهـا ومجانيـــقُ الفــرنج لَهَـا * فرائسُ الأُسْـدِ فى أظفارها الظَّفَرُ
وكَمْ شكا الحصن ما يَلْقَى فما اكترثَتْ * يا قلبَهـا أحديدٌ أنت أم حَجَــرُ
وللنقوب دَبِيبٌ فى مفاصِــلِه * تُشِــير سُــقْمًا ولا يبــدوله أَثَرُ
أضحى به مثـل صَبٍّ لا تَبِــينُ به(٣) * نارُ الهَوَى وهى فى الأحشاء تَسْتَعِرُ

ومنهـا :

رِكبْتَ فى جُندك الأُولى إليه ضُحًا * والنصرُ يتلوك منـه جُنـدُك الأُخَرُ
قــد زال تُجْـلَى قُواهُ عن قواعِده * وخرَّ أعلاه نحـوَ الأرْض يَبْتَــدِرُ

(١) المراد قلب العقرب : منزلة من منازل القمر، وهو كوكب نير وبجانبه كوكبان .
(٢) فى الأصلين : «كى تحيط به * منه وتدنو .. » . والتكملة عن ذيل مرآة الزمان والمنهل الصافى .
(٣) فى الأصلين : «وهو» . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان .

وساخَ وآنكشفت أقباؤُه وبدَا * لديك من مُضْمَرات النصر ما سَتَرُوا
فـالَ يَهوِى إليهـم كلُّ ليثٍ وغًى * له من البِيض نابٌ والقَنَا ظُفُرُ

ومنها بعد أبيات كثيرة براعة المَقْطَع :

إن لم يُوَفِّ الوَرَى بالشكر ما فتحتْ * يداك فالله والأملاكُ قد شَكَرُوا

ثم سار الملك المنصور قلاوون من المَرْقب إلى دِمَشق وأقام بها أياما، ثم خرج منها عائداً إلى نحو الديار المصريّة فى بُكرة الآثنين ثانى عشر جُمادى الأولى؛ فدخل الديار المصريّة فى أوائل شهر رجب .

ولمّا دخل القاهرة وأقام بها أخَذ فى عمل أَخْذ الكَرَك من الملك المسعود نجم الدين خَضِر آبن السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبَرْس البُنْدُقْدارِىّ حتى أُخِذت، وورد عليه الخبر بأخذها فى ليلة الجمعة سابع صفر [سنة خمس وثمانين وستمائة](١) ودُقّت البشائر بالديار المصريّة ثلاثة أيام .

ثمّ فى سنة ستّ وثمانين وستمائة جهّز السلطان طائفة من العسكر بالديار المصريّة صحبَة الأمير حُسام الدين طُرُنْطَاى إلى الشام لِحصار صِهْيَوْن وبُرْزَيْه وآنتزاعهما من يد سُنْقُر الأشقر، فسار حُسام الدين المذكور بمَن معه حتى وصل دِمَشق فى أثناء المحرّم، وآستصحب معه الأميرَ حُسام الدين لاچين نائب الشام، وتوجّه الجميع إلى صِهْيَوْن بالمجانيق فوصلوها وشرعوا فى حصارها ؛ وكان سُنْقُر الأشقر قد آستعدّ لهم وجمع إلى القلعة خَلْقًا كثيرا؛ فحاصروه أيّاما، ثم بعد ذلك توجّه الأمير حُسام الدين إلى بُرْزَيْه وحصرها وآستولى عليها، وهى ممّا يُضْرَب المَثَلُ بحَصَانتها . ولمّا فتحها وجد فيها خُيولًا لسُنْقُر الأشقر . ولمّا فُتِحت بُرْزَيْه لانتْ عريكةُ سُنْقُر الأشقر،

(١) زيادة يقتضيها سياق كلام المؤلف والذيل على مرآة الزمان وعيون التواريخ .

وأجاب إلى تسليم صِهْيَوْن على شروط آشترطها ، فأجابه طُرُنْطَاى إليها ، وحلف له بما وَثِق به من الأيمان ، ونزل من قلعـة صِهْيَوْن بعد حصرها شهرًا واحدًا ، وأُعِين على نَقْل أثقاله بِجمالٍ كثيرة وحضر بنفســه وأولاده وأثقاله وأتباعه إلى دمشق . ثم توجّه إلى الديار المصريّة صحبةَ طُرُنْطاى المذكور ووَفَّى له بجميع ما حلف عليه؛ ولم يزل يَذُبُّ عنه أيام حياته أشدَّ ذَبٍّ . وأعطى السلطانُ لسُنْقُر الأشقر بالديار المصريّة خُبْزَ مائة فارس ، وبَقِي وافرَ الحرمة إلى آخر أيام الملك المنصور قلاوون . وآنتظمت صِهْيَوْن وبُرْزَيهْ فى سلك الممـالك المنصورية .

ثم خرج الملك المنصور من الديار المصرية قاصـدًا الشام فى يوم سابع عشرين شهر رجب سنة ستّ وثمانين وسار حتى وصل غَزّة أقام بتَلّ العُجُول(١) أياما إلى شوّال ، ثم رجَع إلى الديار المصريّة فدخلها يوم الآثنين ثالث عشرين شوّال ، ولم يَعْلَم أحد ما كان غرضُه فى هذه السَّفْرة . وفى شوّال هـذا سَلْطن الملكُ المنصورُ ولدَه الملك الأشرفَ صلاح الدين خليلًا وجعله مكان أخيــه الملك الصالح عَلَاء الدين علىّ بعد موته ، ودُقّت البشائر لذلك ســبعةَ أيام بالديار المصرية وغيرها ، وحلَف الناس له والعساكرُ ، وخُطِب له بولاية العهد .

ثمّ فى ســنة ثمانٍ وثمانين وستّمائة فُتِحت طَرَابُلُس ، وهو أنّ صاحب طرابلس كانــ وقع بينــه وبين سِيْر تلميــه(٢) الفرنجيّ ، وكان من أصحـاب صاحب

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٢٧١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) ورد هكذا فى الأصلين . وفى المراجع الأفرنجية : « ســير بارثلميو » (Bartholomew) وهو صــاحب جبيل . كانــ قائدا لجيش لوســيا أخت بيموند السابع صاحب طرابلس الذى مات فى سنة ٦٨٦ هـ — ١٢٨٧ م . ولم يعقب فورثته لوسيا المذكورة . وكان بارثلميو قائدا للحيالة فى طرابلس بعد موت بيموند ، وهو يحل سيرجى الفارس التملارى صاحب جبيل المذكور فى الحاشية رقم ٢ ص ٣١٦ من هذا الجزء ، وقد سأل بارثلميو السلطان أن يساعده على تملك طرابلس على أن تكون ما بينهما كما تـ

الحصن(١) الذى أخربه صاحب طَرَابُلُس رضاءً للملك المنصور قلاوون حسب ما تقدّم ذكرُه . فحصلت بينه و بين صاحب طَرَابُلُس وحشةٌ بسبب ذلك ، وٱتّفق موتُ صاحب الحصن ، وسأل سير تلميه من السلطان الملك المنصور المساعدة ، وأن يتقدّم للأمير بَلَبَان(٢) الطَّبّاخى السِّلَحْدَار أن يساعده على تملّك طَرَابُلُس ، على أن تكون مناصفةً ، و بذَل فى ذلك بُذُولاً كثيرة ، فسُوعِد إلى أن تمّ له مراده ، ورأى أنّ الذى بذَله للسلطان لا يُوافقه الفرنجُ عليه ، فشَرع فى باب التّسويف والمُغالطة ومدافعة الأوقات ؛ فلمّا عَلِم السلطان باطنَ أمره عزَم على قتاله قبل ٱستحكام أمره ، فتجهّز وخرج من الديار المصريّة بعساكره لحصار طَرَابُلُس ، وسار حتّى وصل دِمَشْق وأقام بها ، ثم تهيّأ وخرج منها ، ونازل طَرَابُلُس فى مستهلّ شهر ربيع الأوّل ، ونصب عليها المجانيق وضايقها مضايقةً شديدة إلى أن ملكها بالسيف فى الرابعة من نهار الثلاثاء رابع شهر ربيع الآخر ، وشمِل القتلُ والأَسْرُ لسائر مَن كان بها ، وغرِق منهم فى الماء جماعة كثيرة ، ونُهِب من الأموال والذخائر والمتاجر وغير ذلك ما لا يُوصف ، ثم أُحرِقت وخُرِّب سُورُها ، وكان من أعظم الأسوار وأمنعها . ثم تَسَلّمَ حصن أَنَفَةَ(٣) وكان أيضًا لصاحب طَرَابُلُس

= فعل أبوه من قبل ، فلما تم له ما أراد رأى أن الفرنج لا يوافقونه على ذلك فشرع فى باب التسويف والمغالطة كما فى الأصل مما دعا السلطان الى حصار طرابلس والاستيلاء عليها . وفى آبن الفرات نقلا عن اليونينى أن السلطان بعد أن ملك طرابلس أبق على أخت البرنس صاحب طرابلس قريتين من قراها . قال : وحضر إلى السلطان بظاهر طرابلس ولد سيركى صاحب جبيل وكان صاحب طرابلس قتل أباه سنة ٦٨١هـ . فخلع عليه السلطان وأقره على جبيل على سبيل الإقطاع وأخذ منه معظم أموالها . وفى المقريزى وأقر جبيل على صاحبها على مال أخذه منه . (انظر تاريخ الصليبيين فى المشرق لاستفنسون ص ٣٥٠ ، وانظر ابن الفرات ج ١٥ ص ٢٦١ والسلوك للمقريزى ترجمة كترمير عدد ٢ ج ١ ص ١٠٣) .

(١) يقصد بالحصن هنا حصن مرقية السابق ذكره . وكانت مرقية وجبيل كلتاهما من حصون التمبلار . (٢) هو الأمير بلبان بن عبد الله الطباخى المنصورى سيف الدين . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٠٠ هـ . (٣) أنفة : بليدة على ساحل بحر الشام شرقى جبل صهيون بينهما ثمانية فراسخ (عن معجم البلدان لياقوت) .

فأمر السلطان بتخريبه، ثم تَسَلَّمَ السـلطان البِتْرُون وجميع ما هناك من الحصون . وكان لطرابُلُس مدّة طويلة بأيدى الفرنج من سنة ثلاث وخمسمائة إلى الآن .

قلت : وكان فتح طرابُلُس الأوّل فى زمن معـاوية بن أبى سـفيان ، رضى الله عنـه ، وتنقّلت فى أيدى الملوك، وعُظمت فى زمن بنى عَمّار قضـاة طرابُلُس وحُكّامها . فلمّـا كان فى آخر المـائة الخامسـة ظَهَرت طوائف الفـرنج فى الشام واسـتولَوا على البـلاد فآمتنعت عليهم طرابُلُس مـدّة حتّى ملكوها بعـد أمور فى سنة ثلاث وخمسمائة ، وآستمرّت فى أيديهم إلى أن فتحها الملك المنصور قلاوون فى هذه السنة .

وقال شرف الدين محمد بن موسى المَقْدِسِىّ الكاتب فى «السِّيرة المنصورية» : إن طَرَابُلُس كانت عبارةً عن ثلاثة حصـون مجتمعة باللسان الرومى ، وكان فتحها على يد سُفيان بن مُجِيب الأزدىّ (١) ، بعثه لحِصارها معاوية بن أبى سفيان فى خلافة عثمان بن عَفّان ، رضى الله عنه ، انتهى كلام شرف الدين بآختصار .

قلت : وأما طرابُلُس القديمة كانت من أحسن المُدُن وأطيبها ، ثمّ بعد ذلك آتخذوا مكانا على ميل من البلدة وبنَوْه مدينةً صغيرة بلا سُور، فجاء مكانا ردىءَ الهوى والمزاج من الوَخَم . انتهى .

ولمّـا فُتِحت طرابُلُس كُتِبت البشائر إلى الآفاق بهـذا النصر العظيم ، ودُقّت البشائر والتهانى وزُيِّنت المُدُن وعُمِلت القِلاع فى الشوارع وسُرّ النـاس بهذا النصر غايةَ السُّرور . وأنشأ فى هذا المعنى القاضى تاج الدين آبن الأثير كتابا إلى صاحب اليمن بأمر الملك المنصور يُعَرِّفه بهذا الفتح العظيم وبالبِشارة به . وأوّله :

(١) فى الأصلين «أبى محيب» . وما أثبتناه عن ابن الأثير (جـ ٢ ص ٣٣١) . ونثر الجمان للفيومى فى حوادث سنة ٦٨٨ هـ .

[بسم الله الرحمن الرحيم أعز الله] (١) نَصْرَ المقام العالى السلطانى الملكى المظفَّرى الشمسى. ثم آستطرد وحكى أمر الفتح وغيره إلى أن قال فأحسن فيما قال: وكانت الخلفاء والملوك فى ذلك الوقت ما فيهم إلا مَن هو مشغول بنفسه، مُكِبّ على مجلس أُنسه؛ يرى السلامة غنيمة، وإذا عنّ له وصفُ الحرب لم يَسأل [منها إلا] (٢) عن طُرُق الهزيمة؛ قد بلَغ أَمَلَه من الرتبة، وقَنِـع [من ملكه كما يقال با] (٣) لسكة والخطبة؛ أموالٌ تُنْهب، وممالك تَذْهَب؛ لا يُبالون (٤) بما سلبوا، وهم كما قيل:

إن قاتلوا قُتِلوا أو طَارَدوا طُرِدوا * أو حارَبُوا حُرِبُوا أو غَالَبُوا غُلِبوا

إلى أن أوجد الله مَنْ نَصر دينه، وأذلّ الكُفر وشياطينَه (٥). انتهى.

قلت: والكتاب هذا خلاصته والذى أعجبنى منه.

وعَمِل الشعراء فى هذا الفتح عِدّةَ قصائد، فمن ذلك ما قاله العلّامة شهاب الدين أبو الثّناء محمود كاتب الدَّرْج المقدّم ذكرُه يمدَح الملك المنصور قلاوون ويذكر فتحه طَرَابُلُس، والقصيدة أولهـا:

عَلَيْنَـا لمن أولاكَ نِعْمَتَه الشكرُ * لأنّك للإســلام يا سيفَه ذُخْرُ

ومِنَّا لك الإخلاصُ فى صالح الدُّعا * إلى مَن له فى أمر نُصرتك الأمرُ

ولله فى إعلاء مُلْكِك فى الوَرَى * مرادٌ وفى التأييد يوم الوَغَى سِرّ

ألا هكذا يا وارِثَ المُلْكِ فليكُنْ * جِهادُ العِدا لا ما توَالَى به الدّهْرُ

(١) فى الأصلين: «وأوله نصرة المقام ... الخ». والتصحيح والتكملة عن نثر الجمان للفيومى.
(٢) زيادة عن نثر الجمان. (٣) تكملة عن نثر الجمان. (٤) فى الأصلين: «لا يسألون». وما أثبتناه عن نثر الجمان. (٥) راجع بقية هـذا الكتاب، إن شئت، فى نثر الجمان للفيومى فى حوادث سنة ٦٨٨ هـ.

ومنهـا :

نهضتَ إلى عَلْيَا طَرَابُلُسَ التى * أقلُّ عَناها أنّ خنـدقها البَحْرُ

والقصيدة(١) طويلة كلّها على هذا المِنْوال ، أضربتُ عنها خوفَ الإطالة . انتهى .

ثم عاد الملك المنصور إلى الديار المصريّة فى جُمادى الآخرة من السنة، وآستمرّ بالقاهرة إلى أوّل سنة تسع وثمانين وستمائة، جهّز الأميرَ حُسام الدين طُرُنْطاى كافلَ الممالك الشاميّة إلى بلاد الصَّعيد، ومعه عسكر جيِّد من الأمراء والجند، فسكّن تلك النواحى وأباد المفسدين وأخذ خَلْقا عظيما من أعيانهم رهائنَ ، وأخذ جميع أسلحتهم وخيولهم، وكان معظم سلاحهم السيوفَ والجَحَف(٢) والرماح، وأحْضَرُوا إلى السلطان من ذلك عِدّةَ أحمال، ففرّق السلطان من الخيول والسلاح فيمن أراد من الأمراء والجند وأودع الرهائن الحبوس .

وفى هـذه السنة أيضا عاد الأمير عِزّ الدين أيْبَك الأفرم من غَزْو بلاد السودان بمغانم كثيرة ورَقيق كثير من النساء والرجال وفيلٍ صغير .

ثم فى هـذه السنة أيضا رَسَم السلطان ألّا يَستَخْدِمَ أحدٌ من الأمراء وغيرهم فى دواوينهـم أحدًا من النصارى واليهود وحرّض على ذلك ، فآمتثل ذلك الأمراء جميعُهم .

وفى هذه السنة عزَم السلطان الملك المنصور على الحجّ فبلغه خبرُ فرنج عكّا، ففتر عزمُه وتهيّأ للخروج إلى البلاد الشاميّة، ورأى أن يُقدّم غَزْوَهم والانتقامَ على الحجّ ؛ وأخذ فى تجهيز العساكر والبعوث، وضرب دِهْلِيزَه خارج القاهرة، وبابُ الدهليز إلى

(١) راجع بقية هذه القصيدة فى نثر الجمان وعيون التواريخ .

(٢) الجحف : التروس من جلود بلا خشب ولا عقب .

جهة عَكّا . وخرج من القـاهرة إلى مُخَيَّمه وهو متوعِّك لأيام خلت من شـوّال، ولا زال متمرّضا بمُخَيَّمه عند مسجد التبن (١) خارج القاهرة إلى أن تُوُفِّى به فى يوم السبت سادس ذى القعدة من سـنة تسع وثمانين وستمائة، وحُمِل إلى القلعة ليلة الأحد . وتسلطن من بعـده ولدُه الملك الأشرف صلاح الدين خليل الذى كان عَهِد له بالسلطنة قبل تاريخه حسب ما ذكرناه . وكثُر أسفُ الناس عليه .

قال الحافظ أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبىّ فى «تاريخ الإسلام» بعد ما سمّاه ولقّبه قال : اشتُرِى بألف دينار، ولهذا كان فى حال إمْرته يُسَمَّى بالألفىّ، وكان من أحسن الناس صورةً فى صِباه ، وأبهاهم وأهيبهم فى رجوليّته، كان تامّ الشكل مستديرَ اللّحية قد وخَطه الشَّيْب، على وجهه هيبةُ الملك وعلى أكتافه حِشْمة السلطنة، وعليـه سَكِينة وَوَقار ، رأيتُه مرات آخرُها مُنْصَرَفَه من فتح طرابُلُس . وكان من أبنـاء الستين ، ثم قال : وحدّثنى أبى أنه كان مُعْجَمَ اللسان لا يكاد يُفصِـح بالعربيـة ، وذلك لأنه أُتِى به من بلاد التُّرْك وهو كبير . ثم قال بعـد كلام آخر: وعمِل بالقاهرة ببين القصرين (٢) تُرْبةً عَظيمةً ومدرسة كبيرة، قال : وبِمَارِسْتانًا للمَرْضَى.

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٩٦ من هذا الجزء .

(٢) تكلم المقريزى فى (ص ٣٧٩ و ٣٨٠ و٤٠٦ من الجزء الثانى) من خططه على هذه الأماكن الثلاثة فقال : إنها داخل باب المـارستان الكبير المنصورى بخط بين القصرين بالقاهرة ، أنشأها الملك المنصور قلاوون ولم يذكر المقريزى تاريخ إنشاء التربة والمدرسة ، ولكنه ذكر فقط تاريخ الشروع فى بناء المـارستان . وقد تبين لى من الكتابات المنقوشة على مبانى هذه الأماكن الثلاثة أن المـارستان بدئ فى عمارته فى شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٣ هـ . وانتهت فى شوّال من تلك السنة ، وأن القبة بدئ فى عمارتها فى شوّال سنة ٦٨٣ هـ ، وانتهت فى صفر سنة ٦٨٤ هـ. وأن المدرسة بدئ فى عمارتها فى صفر سنة ٦٨٤ هـ . وانتهت فى جمادى الأولى من السنة المذكورة ، ويجمع هـذه التواريخ الثلاثة تاريخ واحد كتب على الباب الرئيسى لهذه العمارة ذكر فيه تاريخ البدء فى البناء وهو شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٣ هـ وتاريخ الفراغ منه وهو شهر جمادى الأولى سنة ٦٨٤ هـ .

قلت : ومن عمــارته البيمارستانُ المذكور وعِظَم أوقافه تُعرَف هِمّتــه ، ونذكر عمارة البيمارستان إن شاء الله تعالى بعد ذلك . انتهى .

وقال غيره : وكان يُعرف أيضا قلاوون الآقْسُنْقُرِى الكامِلى الصالحى النَّجْمى ، لأن الأمير آق سُنْقُر الكامِلى كان آشتراه من تاجره بألف دينــار ، ثم مات الأمير آق سنقر المذكور بعد مدّة يسيرة ، فآرتجع هو وخشداشيته إلى الملك الصالح نجم الدين أيّوب فى سنة سبع وأربعين وستمائة ، وهى السنة التى مات فيها الملك الصالح أيّوب ، وهذا القول هو الصحيح فى أصل مشتراه .

قلت : ولمّــا طلع الملك المنصور قلاوون إلى قلعة الجبل ميتاً ، أخذوا فى تجهيزه وغسله وتكفينه إلى أن تمّ أمره ، وحمَــلوه وأنزلوه إلى تربته ببين القصرين فدُفِن بهــا . وكانت مدّةُ مُلْكه إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر ، رحمه الله تعــالى ، وكان سلطاناً كريماً حليما شجاعاً مِقْداماً عادلا عَفِيفًا عن ســفْك الدماء مائلاً إلى فعل الخير والأمر بالمعرف ، وله مآثر كثيرة :

منها البيمارِسْتان الذى أنشأه ببين القصرين ، وتمّ عِمارته فى مدة يسيرة ، وكان مُشِدُّ عمارته الأمير عَلَم الدين سَنْجَر[1] الشُّجَاعِىّ المنصورى وزير الديار المصرية ومُشِدّ

= وهذه الأماكن واقعة بشارع المعز لدين الله (شارع بين القصرين سابقا) بالقاهرة ، ووجهتها الشرقية المشرفة على الشارع تتكوّن من قسمين : البحرى منهما وهو الواقع على يمين الداخل من البــاب الرئيسى هو وجهة التربة وتعلوها القبة ، والقبلى منهما وهو الخارج هو وجهة المدرسة المزخرفة بالحنايا المحمولة على عمد من الرخام يتوسطها شبابيك على أشكال جميلة ، وبين القبة والمدرســة دهليز طويل فيه أبوابهما ، وكان يوصل قديما إلى المــارستان . وأما القبة من الداخل فشكلها من أبدع وأجمل القباب المزخرفة بالفسيفساء والخشب المذهب ، يحملها أربعة أعمدة أسطوانية سميكة وطويلة من الجرانيت الأحمر . والجدران مكسوّة بالرخام وتحت هذه القبة القبر المدفون به الملك المنصور قلاوون وآبنه الملك الناصر محمد .

وأما المدرســة فيوجد الآن من مبانيها القديمــة الإيوان الشرقى وما فيه من الزخارف الجميلة ثم محرابها البديع . وأما المــارستان فقد خربت مبانيه القديمة ولم يبق منها إلا أجزاء من بعض قاعاته . وفى سنة ١٩١٥ م أنشأت وزارة الأوقاف مستشفى للرمد بباب خاص على جزء كبير من أرض المــارستان المذكور

(١) هو الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الشجاعى المنصورى . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٩٣ هـ .

دواوينها ، ثم ولى نيابة دِمَشق ونهَض بهذا العمل العظيم وفرّغ منه فى أيّام قلائل ، ولمّا كمل عمارة الجميع آمتدحه مُعين الدين بن تُولُوَا[(١)] بقصيدة أوّلها :

أنشأتَ مدرسةً ومَارَسْتانًا * لتُصَحِّح الأديان والأبدانا

قلت : وهذا البِيمارِسْتان وأوقافه وما شرطه فيه لم يَسْبِقْه إلى ذلك أحد قديمًا ولا حديثا شرقًا ولا غربا . وجدّد عمارة قلعة حلب وقلعة كُرْكُر[(٢)] وغير موضع .

وأمّا غَزَواته فقد ذكرناها فى وقتها . وجمع من المماليك خَلْقًا عظيما لم يجمعهم أحد قبله ، فبلغتْ عِدّتُهم آثنى عشر ألفا ، وصار منهم الأمراء الكبار والنوّاب ، ومنهم من تسلطن من بعده على ما يأتى ذكره . وتسلطن أيضا من ذُرّيته سلاطين كثيرة آخرُهم الملك المنصور حاجّىّ الذى خَلَعه الملك الظاهر بَرْقُوق . وأعظمُ من هذا أنّه مَنْ تسلطن من بعده من يوم مات إلى يومنا هذا ، إمّا من ذريته ، وإمّا من مماليكه أو مماليك مماليك أولاده وذرّيته ، لأنّ يَلْبُغَا مملوك السلطان حسن ، وحسن آبن محمد بن قلاوون ، وبَرْقوق مملوك يَلْبُغَا ، والسلاطين بأجمعهم مماليك بَرْقوق وأولاده . انتهى . وكان من محاسن الملك المنصور قلاوون أنّه لا يَميل إلى جنس بعَينه بل كان مَيْله لمن يتخيّل فيه النّجابة كائنًا من كان .

قلت : ولهذا طالت مدّة مماليكه وذرّيته بآختلاف أجناس مماليكه ، وكانت حرمتُه عظيمةً على مماليكه لا يستطيع الواحد منهم أن يَنْهَر غلامه ولا خادمه خوفًا

(١) هو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن تولوا الفهرى المصرى التنيسى معين الدين الشاعر الأديب . سيذكره المؤلف سنة ٦٨٥ ه . وقد ضبطه الصفدى فى الوافى بالوفيات بالعبارة فقال (بضم التاء ثالثة الحروف وسكون الواو الأولى وضم اللام وفتح الواو الثانية وبعدها ألف) .

(٢) كركر : قلعة حصينة شاهقة جدا ، على جانب الفرات الغربى ، وهى من أعظم ثغور الشام (عن تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل) .

منه، ولا يتجاهر أحد منهم بفاحشة، ولا يتزوّج إلا إن زوّجه هو بعض جَوَارِيه؛ هذا مع كَثْرة عَدَدِهم .

قلت رحمه الله تعالى : لولم يكن من محاسنه إلّا تربية مماليكه وكفّ شرّهم عن الناس لكفاه ذلك عند الله تعالى، فإنّه كان بهم منفعة للسلمين، ومضرّة للشركين وقيامُهم فى الغَزَوات معروف، وشرّهم عن الرعيّة مكفوف؛ بخلاف زماننا هـذا ، فإنّه مع قلّتهم وضعف بِنْيَتِهم وعدم شجاعتهم ، شرّهم فى الرّعية معروف ، ونفعهم عن النـاس مكفوف ؛ هـذا مع عدم التجاريد والتقاء الخـوارج وقـلّة الغزوات، فإنّه لم يَقَع فى هذا القرن، وهو القرن التاسع، لقاءٌ مع خارجىّ غير وقعة تَيْمُور، وآفتضحوا منه غاية الفضيحة، وسلّموا البلاد والعباد وتسحّب أكثُرهم من غير قتال .

وأمّا الغَزَوات فأعظم ما وقع فى هـذا القَرْن(١) فتح قُـبْرُس(٢) ، وكان النصر فيهـا من الله سـبحانه وتعالى ، اِنكسر صاحبُها وأُخِذ من جمـاعةٍ يسيرةٍ ، تلقّاهم بعض

---

(١) يريد القرن التاسع ، وهو الذى فتحت فيه قبرس ، كما ذكره المؤلف وسيذكره أيضا فى هذا الكتاب .

(٢) قبرس : جزيرة كبيرة فى الزاوية الشمالية الشرقية للبحر الأبيض المتوسط على مسافة قريبة من آسيا الصغرى وسوريا ، حيوانها ونباتها كنبات وحيوان سوريا . أما جوها فيشبه جو آسيا الصغرى . اعتاد أهلها الحياة البحرية الساذجة ، وآشتهرت بغاباتها العظيمة التى كانت تمد الملاحة القـديمة بأحسن الأخشاب ، لذا كان تاريخها مشاعا بين آسـيا الصغرى وسـوريا ومصر وبلاد اليونان ، تنافس الكل فى امتلاكها ، وصار أهلها خليطا من اليونان والترك والعرب وانتشرت فيها المسيحية والإسلام .

احتلها معاوية سـنة ٢٨ هـ = ٦٤٨ م . وأدخل فيها الإسلام هارون الرشيد ثم احتلها اليونان إلى آخر القرن الثانى عشر الميـلادى إلى أن سقطت عكا فى يد المسلمين سنة ٦٩٠ هـ = ١٢٩١ م . ثم تملكها ملوك أورشليم فتعاقب عليها ١٨ أميرا من أسرة لوزينيان الى أن فتحها الأشرف بارسباى سنة ٨٢٩ هـ = ١٤٢٦ م ، وأسر ملكها وفرض عليه الجزية كل عام . وكانت ممر التجارة بين أوروبا وآسيا ثم آستولى عليها الأتراك سنة ٩٧٩ هـ = ١٥٧١ م . وفى سنة ١٨٣٢ م احتلتها جيوش محمد على الكبير . وفى سنة ١٨٧٨ م تنازلت عنها الدولة العلية لانجلترا فى مقابل دفاعها عن شواطئ تركيا الأسيوية ، وهى للآن تابعة لها ، وإدارتها منوطة بمندوب سام تعينه لندن يساعده مجلس تشريعى من أهل الجزيرة (ملخص عن دائرة المعارف الإسلامية) .

عساكره . خِذلانٌ من الله تعالى ! وقع ذلك كلُّه قبل وصول غالب عسكر المسلمين .

وأمّا غير ذلك من الغَزَوات فسَفَرٌ فى البحر ذَهابًا وإيابًا ، فكيف لو كان هؤلاء أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب عند ما غزا الساحل ، وغاب عن الديار المصريّة نحو العشر سنين ، لا يفارق فيها الخِيَم والتّشتُّتَ عن الأوطان واتّصال الغَزْوة بالغزوة ! أو لو كانوا أيّام الملك الكامل محمد لمّا قاتل الفرنج على دِمْياط نحو الثلاث سنين لم يدخل فيها مصرَ إلى أن فتح الله عليه ، أو لو كانوا أيّام الملك الظاهر بيبرس وهو يتجرد ويغزُو فى السنة الواحدة المرّة والمرّتين والثلاث وهَلُمّ جرًّا ! إلى أيّام الملك الأشرف شعبان بن حسين لمّا أخذت الإسكندرية . وهذا شيء معروف لا يُشَاحُّ فيه أحدٌ . وأعجبُ من هذا كلّه أنّ أولئك كانوا على حَظٍّ وافرٍ من الأدب والحِشْمة والتواضع مع الأكابر، وإظهار الناموس وعدم الآزدراء بمَنْ هو دونهم ، وهؤلاء آنْفٌ فى الماء وأنْفٌ فى السماء ، لا يهتدى أحدُهم لمَسْك لِجَام الفَرَس ، وإن تَكَلّم تَكلّم بنَفَس ، ليس لهم صناعة ، إلّا نهب البضاعة ، يتَقَوَّوْن على الضعيف ، ويَشْرَهُون حتّى فى الرَّغيف ، جهادُهم الإخراق بالرئيس ، وغَزْوُهم فى التِّبْن والدريس ، وحظُّهم مُنْقَام ، ولا مُرُوءة لهم والسلام . انتهى .

قال آبن كَثِير فى حقّ الملك المنصور قلاوون المذكور : اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيُّوب من الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيُّوب بألف دينار ، فلذلك سُمّىَ بالألْفِىّ .

قلت : وهذا بخلاف ما نقَله الشيخ صلاح الدين خليل بن أَيْبَك الصَّفَدىّ فى أنّ الذى آشتراه بألف دينار إنّما هو الأمير آق سُنْقُر الكامِلىّ ، والأرجح عندى ماقاله الصَّفَدىّ فى أنّ الذى آشتراه بألف دينار إنما هو الأمير آق سُنْقُر من وجوهٍ عديدة .

قال آبن كَثِير أيضـا : وكان الملك المنصور قد أَفْرَدَ من ممـاليكه ثلاثةَ آلاف وسبعمائة مملوك من الأمراء والجَرَاكِسَـة وجعلهم بالقلعـة ، وسمّاهم « البُرْجِيّة » ، وأقام نُوَّابَه فى البُلْدان من مماليكه ، وهم الذين غيّروا ملابس الدولة المـاضية .

قال الصـلاح الصَّفَدِىّ : ولَبِسُـوا أحسن الملابس ، لأنّ فى الدولة المـاضيه الصـلاحيّة كان الجميع يَلْبَسُونَ كَلّوتات (١) صُفْر مُضَرّبة بكلبندات (٢) بغير شاشـات (٣) ،

(١) الكلوتات : جمع كلوتة بتشديد اللام وهى فارسية ، معناها الطاقية الصغيرة من الصوف المضربة بالقطن ، كانت غطاء الرأس فى الدولتين : الأيوبية والمماليك ، وكانت شارة الأمراء يلبسونها بغير عمامة فوقها ، ولها كلاليب تعقد تحت الذقن هى الكلبندات الآتى ذكرها فى الحاشية التالية ، وكانت لهم ذوائب شعر يرسلونها خلفهم وكانت صفراء . فلما كانت دولة الأشرف خليل بن قلاوون غير لونها من الصفرة إلى الحمرة وأمر بالعمائم فوقها وبقيت كذلك حتى حج الناصر محمد بن قلاوون فى أواخر دولته فحلق رأسه فحلق الجميع رءوسهم . وكانت عمامتهم صغيرة فزيد فى قدرها فى دولة الأشرف شعبان بن حسين فحسنت هيئتها . قال المقريزى : كانت فى أيام الناصر تسمى الناصرية وفى أيام الأشرف شعبان تسمى الطرخانية وفى زمن الظاهر برقوق تسمى الجركسية واستمر الحال على ذلك الى زمنه . (كترمير أول ص١٣٧ وصبح الأعشى رابع ص٤٩ وخطط على باشا مبارك ج ١٢ ص ٢٦ وخطط المقريزى ج ٢ ص ٩٨ ، ٢١٧ ودوزى الملابس عند العرب ص ٣٧٨ والقاموس الفارسى الانجليزى لاستنجاس ص ١٠٩٦) .

(٢) الكلبندات : جمع كلبندة وهى فارسية ، معناها لباس الرقبة أوكوفية الرقبة يلبسها النساء على رءوسهن وتربط تحت الذقن لحفظ ما فوق رءوسهن من اللباس حتى لا يتزحزح ما على الشعر وتطلق أيضا على نوع من حلى الذهب تلبس حول الرقبة . والذى فى المقريزى أن السلطان والأمراء والعساكر إنما يلبسون على رءوسهم كلوتة صفراء مضربة تضريبا عريضا ولها كلاليب بغير عمامة ، والكلاليب هنا هى الكلبندات الآنفة الذكر (انظر خطط المقريزى ج ٢ ص ٩٨ والسلوك ج ١ ص ٤٩٤ طبع دار الكتب المصرية وانظر استنجاس ص ١٠٩٦) .

(٣) الشاشات : جمع شاش لا توجد فى القاموس وهى قطعة من قاش كانت تلات على الكلوتة . جاء فى النويرى : تعمم بشاش دخانى عتيق . وفى السلوك فأكرمه السلطان وأحسن إليه وأنعم عليه بتشريف أطلس معدنى بطرز زركش وكلوتة زركش وشاش رقم وحياصة ذهب مجوهرة على عادة أكابر نواب السلطنة الشريفة . وفى موضع آخر ركب فى الموكب بالأقبية الإسلامية والكلوتة والشاش على عادة العساكر الشريفة . وفى ابن إياس فى حوادث سنة ٧٨٧ ﻫ : «جرت عادة وهى أن آمرأة صالحة رأت النبى صلى الله عليه وسلم فى منام وهو يقول لها : قولى للنساء ينتهين عن لباس الشاش وكان شيئا قد آقترحته النساء يلبسنه على رءوسهن مثل سنام الجمل ، طوله نحو ذراع وارتفاعه ربع ذراع و يزخرفنه بالذهب واللؤلؤ و يبالغن فى ذلك وكان بدعة سيئة من السيئات» . وشاع لبس الشـاش فى القرون الوسـطى حول الكلوتة فى بلاد العرب وسوريا ومصر وفارس وما وراء النهر . (انظر الملابس العربيـة لدوزى ص ٢٣٦ — ٢٤٠) .

وشعورُهم مضفورةٌ دبابيق[1] فى أكياس حرير ملوّنة، وكان فى خواصرهم موضعَ الحوائص[2] بنودَ ملوّنة أو بعلبكّيةُ، وأكمامُ أقبيتهم[3] ضيّقة على زِى ملابس الفرنج، وأخفافُهم بُرْغالى[4] أو سقامين[5] ومن فوق قماشهم كَمَرات[6] بحِلَق و إبزيم[7]، وصَوَالِقهم[8] كِبار يسع كلّ صَوْلَق نصف ويبة أو أكثر، ومِنْديلُهم كبير طوله ثلاث أذرع، فأبطل المنصور ذلك كلّه بأحسن منه، وكانت الخِلَع للأمراء المقدّمين المَرْوَزِىّ،

---

(١) يقصد أن شعورهم كانت مضفورة مدلاة بدبوقة كما فى خطط المقريزى (ج ٢ ص ٩٨). والديابيق: نوع من الحرير المنسوب الى دبيق بلد قديم من أعمال تنيس بمصر راجع الحاشية رقم ٣ ص ٨٢ من الجزء الرابع من هذه الطبعة. (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٣ من هذا الجزء.

(٣) الأقبية جمع قباء، وهو ثوب يلبس فوق الثياب و يقصد بالقباء هنا البغلطاق وهى فارسية معناها المعطف. والبغلطاق: قباء صغير، قال المقريزى فى الكلام على الأسواق: استجد الأمير سلار أيام الملك الناصر محمد القباء الذى يعرف بالسلارى، وكان قبل ذلك يعرف بالبغلطاق. وكانت هذه البغاليق إما بيضا أو مشجرة أحمر وأزرق مرصعة بالجوهر وهى ضيقة الأكمام على هيئة ملابس الفرنج اليوم. ولم يزل هذا زيهم إلى أيام الملك المنصور قلاوون فغير هذا الزى بأحسن منه وأبطلوا الكم الضيق. فلما ملك الأشرف خليل جمع خاصكيته ومماليكه وتخير لهم الأقبية الأطلس المعدنى. راجع خطط المقريزى (ص ٩٩ ج ٢) وخطط على باشا مبارك (جـ ١٠ ص ٣٤) و (دوزى الملابس عند العرب من ٣٥٢ — ٣٦٢ وكترمير مجلد ١ جـ ٢ ص ٧٥ — ٧٦).

(٤) الخف البرغالى: ذكر ابن بطوطة فى رحلته فى كلامه حين انصرف عن القسطنطنية ما يلى: وكنت ألبس ثلاث فروات وسروالين أحدهما مبطن، وفى رجلى خف من صوف وفوقه خف مبطن بثوب كتان وفوقه خف من البرغالى وهو جلد الفرس مبطن بجلد ذئب». وابن بطوطة (جـ ٢ ص ٤٤٥).

(٥) السقامين: جمع سقمان وهو خف ثان يلبس فوق خف آخر كان يستعمل فى دولة المماليك يلبسه الحريم والجنود والأمراء والسلطان نفسه. وقد ورد فى المقريزى. «وفى أرجلهم من فوق الخف سقمان وهو خف ثان». (المقريزى خطط جـ ٢ ص ٩٨).

(٦) كمرات: جمع كمر، فارسية معناها الحزام المفرغ من وسطه لحشو النقود أونحوها، شائع الاستعمال فى مصر الآن، وقد ورد فى المقريزى: «ومن فوق القباء كمران بحلق و إبزيم» (المقريزى خطط جـ ٢ ص ٩٨).

(٧) الإبزيم كما ورد فى اللسان: حديدة تكون فى طرف الحزام يدخل فيها الطرف الآخر. والحلق معروف. (٨) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٨ من هذا الجزء.

فخصّص الملك المنصورُ من الأمراء بلُبْس الطّرْد وحش[1] أربعةً من خُشْـداشيّته ، وهم : سنقر الأشقر الذى كان تسلطن ولُقِّب بالملك الكامل والبَيْسَرِى والأَيْدَمُرِىّ والأفرم . وباقى الأمراء والخاصّكيّة والبَرّانيّة تَلْبَس المَرْوَزِىّ والطبلخانات بالملّون، والعشرات بالعَتّابى[2] .

قلت : وهذا أيضا بخلاف زماننا فإنّه لبس فيه أوباش الناس الخِلَع السّنيّة ، وأعجب من هذا أنّه لمّا لبس هؤلاء الخِلَع السّنيّة زالت تلك الأُبَّهَةُ والحِشْمة عن الخِلَع المذكورة وصارت كمن دونها من الخلع فى أعين الناس لمعرفتهم بمقام اللابس . انتهى .

قلت : والآن نذكر ماوعدنا بذكره فى أوائل ترجمة الملك المنصور قلاوون من أمر كُتّاب السّرّ، لأنّه هو الذى أحدث هذه الوظيفة وسمّى صاحبها بكاتب السّرّ على ما نُبيّنه من أقوال كثيرة :

منها أنّه لمّا كان أيّام الملك الظاهر بيبَرْس كان الدَّوَادَار يوم ذاك بَلَبَان بن عبد الله الرومى . قال الشيخ صلاح الدين خليل الصَّفَدىّ : كان من أعيان الأمراء (يعنى عن بَلَبَان المذكور) ومن نُجبائهم، وكان الملك الظاهر بيبرس يَعْتَمِدُ عليه ويُحمِّله أسراره إلى القُصّاد . ولم يُؤَمِّره إلا الملكُ السعيد ابن الملك الظاهر بيبَرْس .

---

(١) الطرد وحش ، كلمة مركبة تطلق على ضرب من الثياب تصنع على هيئة جلد الوحش . ذكر المقريزى فى باب الخلع ومراتبها الطرد وحش فقال : إنه ثانى الأطلسين : الأطلس الأوّل لأكابر أمراء المئين . والطرد وحش لمن دونهم فى المرتبة ؛ وكان يعمل بدار الطراز بالإسكندرية ومصر ودمشق ، وهو مجوخ بجاخات ألوان ممتزجة بقصب مذهب يفصل بين هذه الجاخات نقوش وطراز من هذا القصب . وربما كره بعضهم فركب عليه طراز امزركشا بالذهب وعليه فرو سجاب وسندس (خطط المقريزى ج ٢ ص ٢٢٧ وكترمير ج ٤ ص ٧٠ — ٧١) .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٦٧ من هذا الجزء .

وآستُشْهِد بمصافّ حِمص سنة ثمانين وستمائة ، وكان يباشر وظيفة الدَّوادَارِيّة ولم يكن معه كاتب سرّ، فآتّفق أنّه قال يومًا لمحيي الدين بن عبد الظاهر : أُكتب إلى فلانٍ مرسوما أن يُطْلَق له من الخِزانة العالية بدمَشْق عشرة آلاف درهم ، نصفُها عشرون ألفــا ، فكَتَب المرسوم كما قال له وجهّزه إلى دِمَشْق، فأنكروه وأعادوه إلى السلطان، وقالوا : ما نعلم ! هل هــذا المرسوم بعشرين نصفهــا عشرة أو بعشرة نصفها خمسة؟ فطلب السلطان محيي الدين وأنكر عليه ذلك ، فقال : ياخَوَنْد، هكذا قال لى الأمير سيف الدين بَلَبان الدَّوَادَار، فقــال السلطان : ينبغى أن يكون للملك كاتبُ سِرٍّ يتلقّى المرسوم منه شِفاها . وكان الملك المنصور قلاوون حاضرًا من جملة الأمراء فسمع هذا الكلام . وخرج الملك الظاهر عقيب ذلك إلى نوبة أَبُلُسْتَيْن ، فلمّــا تُوُفِّى الملك الظاهر ومَلَك الملك المنصور قلاوون آتّخذ كاتب سِرّ . انتهى . كلام الصَّفَدِىّ بآختصار .

قلت : وفى هذه الحكاية دلالة على أن وظيفة كتابة السرّ لم تكن قبل ذلك أبدًا ، لقوله : ينبغى للملك أن يكون له كاتب سِرّ يتلقّى المرسوم منه شِفاها . وأيضًا تحقيق ما قلناه : أنّ وظيفة كتابة السرّ لم تكن قديمًا ، وإنّمــا كانت الملوك لا يَتلقّى الأمورَ عنهم إلّا الوزراء .

قضية فخر الدين بن لُقْمان مع القاضى فتح الدين محمد بن عبد الظاهر فى الدولة الأشرفيّة خليل بن قلاوون ، وهو أنه لمّــا توزّر فخرالدين بن لُقمان قال له الملك المنصور : من يكون عِوضَك فى الإنشاء ؟ قال : فتح الدين بن عبد الظاهر ، فولّى فتحَ الدين وتمكّن عند السلطان وحَظِىَ عنده ، وفتح الدين هذا هو الذى قلنا عنه فى أوّل الكتاب إنه أوّل كاتب سِرّ كان ، وظهر آسمُ هذه الوظيفة من ثَمَّ . انتهى . وحَظِىَ فتحُ الدين

عند السلطان إلى الغاية . فلمّا كان بعضُ الأيام دخل فخرُ الدين بن لُقمان على السلطان فأعطاه السلطان كتابا يقرؤه، فلمّا دخل فتح الدين أخذ السلطان الكتاب منه وأعطاه لفتح الدين، وقال لفخر الدين : تأخّر ! فعظم ذلك على فخر الدين بن لُقمان .

قلت : ولولا أنّ هذه الواقعة خرق العادة ما غَضِب آبن لُقمان من ذلك ، لأنّ العادة كانت يوم ذاك لا يقرأ أحدٌ على السلطان كتابا بحضرة الوزير . انتهى .

ومنها واقعة القاضى فتح الدين المذكور مع شمس الدين (١) آبن السَّلْعُوس لمّا ولى الوزارة للملك الأشرف خليل بن قلاوون، فإنّه قال لفتح الدين : اِعْرِض علىّ كلّ ما تكتبه عن السلطان كما هى العادة ، فقال فتح الدين : لا سبيلَ إلى ذلك، فلما بلغ الملكَ الأشرفَ هذا الخبرُ من الوزير المذكور، قال : صدَق فتح الدين، فغضب من ذلك الوزير آبن السَّلْعُوس .

قلت : وعندى دليل آخر أقوى من جميع ما ذكرته ، أنّه لم أقف على ترجمة رجل فى الإسلام شرقًا ولا غَرْبًا نُعِت بكاتب السرّ قبل فتح الدين هذا، وفى هذا كفاية . وما ذكره صاحب صبح الأعشى وغيرُه ممّن كتبوا للنبىّ صلّى الله عليه وسلّم ومَن بعده ليس فى ذلك دليلٌ على أنهم كُتّاب السّرّ، بل ذلك دليلٌ لكلّ كاتبٍ كتَب عن مخدومه كائنًا من كان . ونحن أيضا نذكر الذين ذكرهم صاحبُ صبح الأعشى وغيرُه من الكُتّاب، ونذكر أيضا مَن ألحقناه بهم من كُتّاب السّرّ إلى يومنا هذا ، ليُعْلَم بذلك صِدْقُ مقالتى بذكرهم وألقابهم وزمانهم . انتهى . قال : اِعلم أنّ كُتّاب النبىّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، كانوا نيّفًا على ستة وثلاثين كاتبًا ، لكن المشهور منهم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلىّ ومعاوية بن أبى سُفْيان ومَرْوان بن الحَكَم .

---

(١) هو الوزير الصاحب شمس الدين محمد بن عثمان بن أبى الرجا التنوخى الدمشقى المعروف بآبن السلعوس . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٩٣ هـ .

قلت : وفى مَرْوَانَ خلاف ، لأنّ الحافظ أبا عبد الله الذهبيّ قال فى ترجمة مَرْوَان بن الحَكَم : له رُؤْية إن شاء الله ، ولم يَعُدّه من الصحابة ، فكيف يكون من الكُتّاب ! وأيضا حَذَف جماعة من كِبَار الصحابة كُتّاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأثبت مروان هذا ، وفى صحبته خلاف . ولولا خشية الإطالة لذكرنا مَن ذكره الحافظ العلامة مُغْلَطَاى[1] ممّن كتب للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم ليُعلم بذلك غَلَطُ من عَدّ مَرْوَانَ من الكُتّاب . انتهى . قال : ولمّا تُوفّى النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم وصارت الخلافة إلى أبى بكر كتب عنه عمر بن الخطّاب وعثمان وعلىّ رضى الله عنهم . فلمّا آستخلف عمر كَتَب عنه عثمان وعلىّ ومعاوية وعبد الله بن خَلَف الخُزَاعِيّ[2] ، وكان زيد بن ثابت[3] وزيد بن أَرْقَم[4] يكتبان على بيت المال . فلمّا آستخلف عثمان كتب عنه مَرْوَان بن الحَكَم . فلمّا آستخلف علىّ كتب عنه عبد الله بن رافع مَوْلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وسعيد بن نِمْرَان[5] . فلمّا آستخلف الحسن كَتَب عنه كُتّاب أبيه . فلمّا بايعوا معاوية كَتَب عنه عبد الله بن أَوْس ، وكتب عبد الله المذكور عن آبنه يزيد أيضًا ، وآبن آبنه معاوية بن يزيد . فلمّا خَلَع معاوية آبن يزيد نفسه وتولّى مَرْوانُ بن الحَكَم كتب عنه سُفْيانُ[6] الأحول وقيل عُبَيْدالله بن أَوْس . فلمّا آستخلف عبدُ الملك بن مَرْوان كتَب عنه رَوْح بن زِنْبَاع الجُذَامِيّ . فلما آستخلف الوليدُ كتب عنه قُرَّةُ بن شَرِيك ، ثم قَبِيصةُ بن ذُؤَيب ، ثم الضحّاك آبن زِمْل[7] . فلما آستخلف سليمانُ كتَب عنه يزيد بن المُهَلّب ، ثم عبد العزيز بن

(١) هو مغلطاى بن قليج بن عبد الله البكجرى الحنفى الحافظ . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٦٢ هـ .

(٢) كان من كتّاب عمر رضى الله عنه ، قتل فى يوم الجمل وكان مع عائشة رضى الله عنها سنة ٣٦ هـ .

(٣) تقدّمت وفاته سنة ٤٥ هـ .

(٤) تقدّمت وفاته سنة ٦٧ أو سنة ٦٨ هـ .

(٥) فى الأصلين : «سعد بن نمر» . والتصحيح عن طبقات آبن سعد وأسد الغابة والاستيعاب فى معرفة الأصحاب والطبرى .

(٦) فى حسن المحاضرة ، للسيوطى : « شعبان الأحول » .

(٧) فى الأصلين : «ابن رمل» . وتصحيحه عن أسد الغابة وشرح القاموس .

الحارث . فلما ٱستخلف الإمام عمرُ بن عبـد العزيز رضى الله عنـه كتب عنه رَجَاء بن حَيْوَة الكِنْدِىّ ، ثم ٱبن أبى رُقَيَّة(١)؛ فلما ٱستخلف يزيد بن عبد الملك كتب عنـه سعيد بن الوليـد الأَبْرَش ، ثم محمد بن عبد الله بن حارثة الأنصارىّ . فلما ٱسـتخلف هِشامُ بن عبد الملك أبقاهما على عادتهما ، وٱستكتب معهما سالمًا مولاه . فلما ٱسـتخلف الوليدُ بن يزيد كتب عنه العباس بن مُسْلِم . فلما ٱستخلف يزيدُ بن الوليد كتب عنه ثابت بن سليمان . فلما ٱستخلف(٢) إبراهيم بن الوليد كتب عنه أيضا ثابت على عادته . فلما صارت الخلافة إلى مَرْوان بن محمد بن مروان كتب عنه عبدالحميد بن يحيى مَوْلَى بنى عامر إلى حين ٱنقراض الدول الأُمَوِيّة . ثم صارت الخلافة لبنى العباس فٱتخذوا كُتّابَهم وزراء ، وكان أوّل خلفاء بنى العباس أبو العباس عبد الله ابن محمد السفّاح فٱتخذ أبا سَلَمة [حفص بن سليمان](٣) الخَلّال ، وهو أوّل وزير وزر فى الإسلام؛ ثم ٱستوزر معه [خالد بن](٤) بَرْمك وسليمان بن مَخْلَد والربيعَ بن يُونُس ، فتراكمت عليهم الأشغال ، وٱتّسعت عليهم الأمور ، فأفردوا للمكاتبات ديوانًا ، وكانوا يعبّرون عنـه تارة بصاحب ديوان الرسائل ، وتارة بصاحب ديوان المكاتبـات ، وتفرّقت دواوين الإنشاء فى الأقطار ، فكان بكلّ مملكة ديوانُ إنشاء ؛ وكانت الديار المصريّة من حين الفتح الإسلامى و إلى الدولة الطُّولُونِيـة إمارةً ، ولم يكن لديوان الإنشاء فيها كبيرُ أمرٍ . فلما ٱستولى أحمد بن طُولُون عظُمت مملكتها وقَوِى أمرها فكتب عنه أبو جعفر محمد بن أحمد بن مودُود . وكتب لولده خُمَارَوَيْه إسحاقُ بن نصر

---

(١) هو الليث ابن أبى رقية ، كما فى حسن المحاضرة والطبرى . (٢) لم يتم لابراهيم بن الوليد بن عبد الملك هذا أمر الخلافة ، فقد كان يسلم عليه جمعة بالخلافة وجمعة بالإمرة وجمعة لايسلمون عليه بالخلافة ولا بالإمرة فكان على ذلك حتى قدم مروان بن محمد فخلعه . (راجع الطبرى ق ٢ ص ١٨٧٥) .

(٣) فى الأصلين : « أبو مسلم الخلال » . والتصحيح والزيادة عن التنبية والإشراف للمسعودى والطبرى والفخرى فى الآداب السلطانية . (٤) تكملة عن المصادر المتقدمة .

العبادىّ. وتوالت دواوين الإنشاء بذلك إلى حين آنقراض الدولة الإخشيدية. ثم كانت الدولة الفاطميــة فعظُم ديوان الإنشاء بهـا، ووقع الآعتناء به وآختيـار بُلَغـاء الكُتّاب ماين مُسلم وذِمّىّ، فكتب للعَزيز بن المُعِزّ فى الدولة الفـاطمية أبو المنصور بن جورس النّصْرانِى[1]، ثم كتب لآبنه الحاكم ومات فى أيامه، وكتب للحاكم بعــده القاضى أبو الطاهر النهركى[2]. ثم تولى الظاهر بن الحـاكم فكتب عنه أبو الطاهر المذكور. ثم تولى المستنصر فكتب عنه القاضى ولى الدين بن خَيْرَان[3]، وولىّ الدولة موسى بن الحسن بعــد[4] آنتقاله إلى الوزارة، وأبو سـعيد العَمِيدىّ[5]. ثم تولى الآمر والحافظ فكتب عنهما الشيخ أبو الحسن علىّ بن أبى أُسامة الحَلَبىّ إلى أن تُوُفّى[6] فى أيام الحافظ، فكتب بعده ولده أبو المكارم إلى أن تُوُفّى، ومعه الشيخ أمين الدين تاج الرياسة أبو القاسم علىّ بن سليمان بن مُنْجِب[7] المعروف بآبن الصَّيْرفِىّ، والقاضى كافى الكُفاة محمود آبن القاضى الموفّق أسعد بن قادُوس، وآبنُ أبى الدّم اليَهُودِىّ، ثم كتب بعــد أبى المكارم[8] القــاضى الموفّق بُنُ الخَلّال[9] بقية أيام الحافظ إلى آخر أيام العاضِد آخرِ خلفائهم، وبه تخرّج القاضى الفاضل عبد الرحيم البَيْسانىّ. ثم أشرك العاضدُ مع الموفّق بن الخَلّال فى ديوان الإنشاء القاضىَ جلالَ الدين محمودًا

---

(١) كذا فى الأصـلين وحسن المحاضرة. وفى صبح الأعشى (ج ١ ص ٩٦) : « أبو المنصور ابن سـورد بن النصرانى ». (٢) كذا فى الأصـلين. وفى حسن المحاضرة : « أبو الطاهر الهولى». وفى صبح الأعشى «أبو الطاهر البهزكى». وقد بحثنا فى المصادر التى تحت أيدينا عن هذه النسب الثلاث فلم نعثر على واحدة منها. (٣) هو ولى الدين أبو محمد أحمد بن على المعروف بابن خيران الكاتب الشاعر (عن ابن خلكان فى ترجمة على بن أحمد بن نوبخت). (٤) فى صبح الأعشى : «قبل آنتقاله إلى الوزارة ...». (٥) فى حسن المحاضرة : «أبو سعيد العبدى».

(٦) فى الأصلين : « بعـده ». وهو خطأ والتصويب عن حسن المحاضرة وصبح الأعشى.

(٧) فى الأصلين : « منجد » وتصحيحه عن الإشارة فيمن نال الوزارة، وهى من مؤلفاته.

(٨) فى الأصلين وحسن المحاضرة : « بعد آبن أبى المكارم ». والتصحيح عن صبح الأعشى.

وما تقدّم ذكره للؤلف قريبا. (٩) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٤ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

الأنصاري . ثم كتب القاضي الفاضل بين يدي الموفّق بن الخلّال في وزارة صلاح الدين يوسف بن أيّوب . ثم كانت الدولة الأيّوبية ، فكتب للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب القاضي الفاضل المذكور ، ثم أضيفت اليه الوزارة . ثم كتب بعد الناصر لابنه العزيز ولأخيه العادل أبي بكر ، ثم مات العادل والفاضل .

قلت : هنا مجازفة لم يكتب القاضي الفاضل للعادل وكان بينهما مُشاحنة ، ومات الفاضل قبل وصول العادل إلى مصر ، وقيل وقت دخول العادل من باب النصر إلى القاهرة كانت جنازة القاضي الفاضل خارجة . وقد ذكرنا ذلك كلّه في هذا الكتاب(١) ، وإنما كتب الفاضل للعزيز عثمان ولولده الملك المنصور محمد ، فالتبس المنصور على الناقل بالعادل . انتهى .

قال : ثم تولّى الكامل بن العادل فكتب له أمين الدين سليمان المعروف بكاتب الدّرج إلى أن تُوُفّي ، فكتب له بعده الشيخ أمين الدين عبد المحسن [بن حمود](٢) الحَلَبي مدّة قليلة ؛ ثم كتب للصالح نجم الدين أيّوب ، ثم ولى ديوان الإنشاء الصاحب بهاء الدين زُهَيْر ، ثم صُرِف وولى بعده الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لُقْمان الإسْعِرْدِيّ ، فبَقِيَ إلى انقراض الدولة الأيّوبية . فلما كانت الدولة التركية كتب للعز أيبك الصاحب فخر الدين المذكور ، ثم بعده للمظفر قُطُزْ ، ثم للظاهر بيبَرْس ، ثم للمنصور قلاوون ، ثم نقله قلاوون من ديوان الإنشاء للوزارة ، وولى ديوان الإنشاء مكانه القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر فكتب عنه بقية أيامه ؛ ثم كتب لابنه الأشرف خليل إلى أن تُوُفّي ، فولّي مكانه القاضي تاج الدين [أحمد](٣) بن الأثير فكتب إلى أن

(١) راجع حوادث سنة ٥٩٦ ه .

(٢) الزيادة عما تقدّم ذكره للؤلف في حوادث سنة ٦٤٣ ه وحسن المحاضرة .

(٣) الزيادة عن صبح الأعشى .

تُوفِّى ؛ فكتب بعــده القاضى شرف الدين عبد الوهاب(1) بن فضل الله فكتَب بقية أيام الأشرف . فلما تولّى أخوه الناصر محمد كتَب عنه القاضى شرف الدين المذكور فى سلطنته الأولى ثم فى أيام العادل كَتْبُغَا ثم أيام المنصور لاچين ثم فى أيام سلطنة الناصر محمد الثانية؛ ثم نقله إلى كتابة السِّرّ بدمشق عِوَضًا عن أخيه القاضى مُحيِى الدين(2) ، وتولى مكانه بمصر القــاضى علاء الدين [بن تاج الدين](3) بن الأثير فبقى حتى مَرِض بالفالج فاستدعى الملك الناصر مُحيِى الدين بن فضل الله من دِمَشق وولده شهاب الدين [أحمد](4) وولّاهما(5) ديوان الإنشاء بمصر . ثم وَلّى بعدهما القاضى شمس الدين(6) آبن الشهاب محمود فَبقِىَ إلى عَوْد السلطان من الحجّ فأعاد القاضى محيى الدين وولده القاضى شهاب الدين إلى ديوان الإنشاء بمصر فبَقِيَا مدّةً . ثم تغيّر السلطان على القاضى شهاب الدين وصرفه عن المباشرة، وأقام أخاه القاضى علاء الدين(7) وكلاهما معين لوالده لِكِبَر سِنه ، ثم سأل القاضى مُحيِى الدين السلطانَ فى العَوْد إلى دمشق فأعاده وصحبته ولده شهاب الدين ؛ وآستمرّ ولده القاضى علاء الدين بالديار المصريّة فباشر بقيّة أيام الناصر ، ثم أيّام ولده الملك المنصور(8) ، ثم أيام الأشرف كُجُك ، ثم أيام الناصر أحمد إلى أن خَلَع نفسه وتوجّه إلى الكَرَك توجه معه القاضى علاء الدين ؛ فلمّا تَوَلّى الملكَ الصالح إسماعيل السلطنة

---

(1) هو عبــد الوهاب بن فضــل الله بن المجلى بن دعجان بن خلف القاضى شرف الدين القرشى العمرى . توفى سنة ٧١٧ هـ . (عن المنهل الصافى وشذرات الذهب) .

(2) هو يحيى بن فضل بن المجلى بن دعجان القاضى الكبير الرئيس محيى الدين أبو المعالى القرشى العدوى العمرى . توفى ســنة ٧٣٨ هـ . (عن الدرر الكامنة) . (3) تكلة عن حسن المحاضرة .

(4) زيادة عن الدرر الكامنة والمنهل الصافى . توفى سنة ٧٤٩ هـ . (5) فى الأصلين : «وولاه» . والسياق يقتضى ما أثبتناه . (6) فى الأصلين وصبح الأعشى : «شرف الدين» . وما أثبتناه عن المنهل الصافى وشذرات الذهب والدرر الكامنة . وهو محمد بن محمود بن سليمان بن فهد . توفى سنة ٧٢٧ هـ .

(7) هو علاء الدين على بن يحيى بن فضل الله . توفى سنة ٧٦٩ هـ . كما سيذكر المؤلف بعد قليل .

(8) هو السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو بكر ابن السلطان الملك الناصر أبى المعالى بن المنصور قلاوون الذى تسلطن بعد وفاة أبيه سنة ٧٤١ هـ .

بمصر بعد أخيه الناصر أحمد فقرّر القاضى بدرَالدين محمد(١) آبن القاضى محيى الدين بن فضل الله عِوَضًا عن أخيه علاء الدين .

قلت : لم يلِ بدر الدين محمد بعــد أخيه علاء الدين الوظيفة آستقلالا وإنّمــا ناب عنه إلى حين حضوره . انتهى .

قال : ثم أُعيد علاء الدين أيّام الصالح إسماعيل وأيّام الكامل شعبان، ثم أيام المُظَفَّر حاجّى ثم أيّام النــاصر حسن فى سلطنته الأولى، ثم فى أيّام الصالح صالح، ثم فى أيّام الناصر حسن فى سلطنته الثانية، ثم أيام المنصور محمد آبن المظفر حاجّى، ثم فى أيّام الأشرف شعبان(٢) وتُوُفِّىَ فى أيّامه .

قلت : وكانت وفاته فى شهر رمضان سنة تسع وستين وسبعمائة بعد أن باشر كتابةَ السر نَيِّفًا وثلاثين سنة لأحد عشر سلطانا .

قال : ثم ولى الوظيفة بعده ولده بدر الدين(٣) محمد آبن القاضى علاء الدين، فباشر بقيّة أيام الأشرف شعبان ، ثم ولده المنصور علىّ ، ثم أخيه الملك الصالح حاجّى بن شعبان إلى أن خُلِــع بالظاهر بَرْقُوق، فآستقرّ برقوق بالقاضى أوحد الدين عبدالواحد آبن إسماعيل التُّرْكُمَانِىّ(٤) إلى أن تُوفّى .

قلت : وكانت وفاته فى ذى الحجة سنة ستّ وثمانين وسبعمائة .

---

(١) توفى سنة ٧٤٦ هـ عن المنهل الصافى والدرر الكامنة وما سيذكره المؤلف .

(٢) هو الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون . تولى السلطنة سنة ٧٦٤هـ وتوفى سنة ٧٧٨هـ وهو غير الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون الذى ولى السلطنة فى سنة ٧٤٦ هـ وتوفى سنة ٧٤٧ هـ كما سيأتى ذكره للمؤلف .

(٣) سيذكر المؤلف سنة وفاته بعد قليل .

(٤) هو أوحد الدين عبد الواحد بن إسماعيل بن يس بن أبى حسن الإفريقى ثم المصرى الحنفى سبط القاضى كمال الدين بن التركمانى» . (عن شذرات الذهب والمنهل الصافى) .

قال : ثم أُعيد بدر الدين فباشر حتى خُلِع الظاهر برقوق بالمنصور حاجّى ، فاستمر بدر الدين إلى أن عاد بَرْقُوق إلى سلطنته الثانية، صرفه بالقاضى علاء الدين على بن عيسى الكَرَكى ، ثم صرَف الكَرَكىّ .

قلت : ومات معزولا فى شهر ربيع الأوّل فى سنة أربع وتسعين وسبعمائة .

قال : ثم أُعيد القاضى بدر الدين من بعد عَزْل القاضى علاء الدين فآستمرّ بدر الدين إلى أن عاد برقوق فتوفّى بِدَمَشْق .

قلت : ووفاته فى شوّال سنة ست وتسعين وسبعمائة .

قال : وولِى بعده القاضى بدر الدين محمود الكُلُسْتَانِىّ فباشر إلى أن تُوُفّى .

قلت : وكانت وفاته فى عاشر جمادى الأولى سنة إحدى وثمانمائة .

قال : فتولى بعده القاضى فتح الدين فتح الله [التَّبْرِيزِىّ](1) فباشر بقية أيام الظاهر ، ومدّة من أيام الناصر إلى أن صَرفه الناصر فرج بالقاضى سعد الدين بن غُراب(2) مدّةً يسيرة ، ثم صُرِف آبن غراب وأُعيد القاضى فتح الله ثانيا ، فباشر إلى أن صُرِف بالقاضى فخر الدين بن المزوّق(3)، فباشر مدة يسيرة ، ثم صُرِف وأُعيد فتح الله فباشر إلى أن صرَفه الملك المؤيَّد شيخ وقَبَض عليه وصادره .

قلت : ومات تحت العقوبة خَنْقًا فى ليلة الأحد خامس عشر شهر ربيع الأوّل سنة ست عشرة وثمانمائة ، وهو فتح الله بن مستعصم بن نَفِيس التِّبْرِيزِى الحنفى الداوُودِى ، يأتى ذكره هو وغيرُه من كُتّاب السِّرّ فى محلهم من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

---

(1) زيادة عن حسن المحاضرة وما سيذكره المؤلف بعد قليل . (2) هو سعد الدين إبراهيم ابن عبد الرزاق بن غراب . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٠٨ هـ. (3) هو فخر الدين ماجد ، ويدعى عبد الله ، بن السديد أبى الفضائل بن سناء الملك المعروف بابن المزوّق . سيذكره المؤلف سنة ٨٣٣ هـ.

قال : وتَوَلّى بعده القاضي ناصر الدين (١) محمد البارِزِىّ فباشر إلى أن تُوُفّى .

قلت : وكانت وفاته يوم الأربعاء ثامن شوّال سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ، ومولده بحَمَاة فى يوم الآثنين رابع شوّال سنة (٢) تسع وستين وسبعمائة . وتولى بعده ولده القاضي كمال الدين محمد (٣) بن البارِزِى ، فباشر إلى أن صرفه الملك الظاهر ططر وولّى علمَ الدين داود [بن عبد (٤) الرحمن] بن الكُوَيْز ، فباشر إلى أن تُوفّى سنة ست وعشرين وثمانمائة فى دولة الملك الأشرف (٥) بَرْسْبَاى . وولّى بعده جمالَ الدين يوسف بن الصَّفِىّ الكَرَكِىّ فباشر قليلاً إلى أن صُرِف بقاضي القضاة شمس (٦) الدين محمد الهَرَوِىّ ، ودام الكَرَكِىّ بعد ذلك وباشر عِدّة وظائف بالبلاد الشامية إلى أن تُوفّى فى حدود سنة خمس وخمسين وثمانمائة ، وباشر الهَرَوِى إلى أن عُزِل بقاضي القضاة نجم الدين عمر آبن حِجّى ، فباشر آبن حِجّى إلى أن عُزِل وتوجّه إلى دِمَشْق على قضائها ، ودام إلى أن قُتِل بها فى ذى القعدة سنة ثلاثين وثمانمائة ، وولّى بعده القاضي بدر الدين محمد [آبن محمد بن أحمد (٧)] بن مُزْهِر ، وآستمرّ إلى أن مات فى ليلة الأحد سابع عشرين جُمادى الآخرة من سنة آثنتين وثلاثين وثمانمائة . وولى بعده آبنه جلال الدين ، وقيل بدر الدين محمد مدّة يسيرة . وصُرِف بالشريف شهاب الدين (٨) أحمد [بن (٩) علىّ بن إبراهيم آبن عَدْنان] الحُسَيْنِى الدمشقى ، فباشر مدةً يسيرةً وتُوُفّى بالطاعون فى سنة ثلاث وثلاثين ،

(١) هو ناصر الدين أبو المعالى محمد آبن القاضي كمال الدين محمد بن عز الدين محمد بن عثمان الجهنى الحموى الشافعى المعروف بابن البارزى كاتب السر الشريف . (٢) فى الأصلين هنا : «سنة سبع وستين وسبعمائة» . وما أثبتناه عما سيذكره المؤلف فى سنة وفاته . (٣) سيذكر المؤلف وفاته بعد قليل فى ولايته الثالثة . (٤) زيادة عما سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٨٣١ هـ والمنهل الصافى . (٥) سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٨٥٦ هـ . (٦) هو شمس الدين محمد بن عطاء الله بن محمد بن محمود بن أحمد بن فضل الله بن محمد الرازى الهروى الشافعى . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٢٩ هـ . (٧) التكملة عن المنهل الصافى وما سيذكره المؤلف فى سنة وفاته . (٨) سيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٣٣ هـ . (٩) زيادة عن المنهل الصافى وما سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٨٣٣ هـ .

وولى بعده أخوه نحو الجمعة بغير خِلْعَة وتُوُفّى بالطاعون أيضا . وولى بعدهما شهاب الدين أحمد [بن صالح بن أحمد بن عمر المعروف بآ][1] بن السَّفاح الحَلَبى فباشر إلى أن مات فى سنة خمس وثلاثين . وولى بعده الوزير كريم الدين[2] عبد الكريم آبن كاتب المَنَاخ مضافا للوزارة ، فباشر أشهرا وصُرِف ، وأُعيد القاضى كمال الدين محمد بن البارِزِىّ فى يوم السبت العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ستّ وثلاثين ، فباشر إلى أن صُرِف يوم الخميس سابع شهر رجب سنة تسع وثلاثين ؛ وولى مكانه الشيخ مُحِبّ الدين محمد آبن الأشقر فباشر إلى أن صرف ، وولى صلاح الدين محمد آبن الصاحب بدر الدين حسن بن نصرالله ، فباشر إلى أن تُوُفّى بالطاعون فى سنة إحدى وأربعين ، وولى مكانه والده الصاحب بدر الدين حسن فباشر إلى أن صرف ، وأُعيد القاضى كمال الدين بن البارِزِىّ فى يوم الثلاثاء سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة آثنتين وأربعين وثمانمائة ، وهى ولايته الثالثة ؛ فباشر إلى أن تُوُفّى بُكْرة يوم الأحد سادس عشرين صفر سنة ستّ وخمسين وثمانمائة . ولم يُخَلِّف بعده مثلَه ، وولى بعده القاضى محب الدين محمد بن الأشقر المقدّم ذكرُه ، وباشر إلى أن صَرَفه الملك الأشرف إينال بالقاضى مُحِب الدين محمد بن الشِّحْنَة الحَلَبىّ ، فباشر آبن الشِّحْنَة أشهرًا ثم صُرِف ، وأُعيد القاضى محب الدين محمد بن الأشقر وهى ولايته الثالثة . انتهى .

قلت : وغالب مَن ذكرناه من هؤلاء الكُتّاب قد تقدّم ذكر أكثرهم ، ويأتى ذكر باقيهم فى محلّهم من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . وقد آستطردنا من ترجمة الملك المنصور إلى غيرها ، ولكن لا بأس بالتطويل فى تحصيل الفوائد . انتهى .

---

(١) التكملة عن المنهل الصافى وماسيذكره المؤلف فى سنة وفاته . (٢) هو الوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم آبن الوزير الصاحب تاج الدين عبد الرزاق آبن شمس الدين عبد الله المعروف بآبن كاتب المناخ ، سيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٥٢ هـ .

*
* *

السنة الأولى من سلطنة الملك المنصور قلاوون على مصر وقد تقدّم ذكرها فى ترجمة الملك السعيد ، والملك العادل سَلَامش وَلَدى الملك الظاهر بِيبَرْس ، وهى سنة ثمـانٍ وسبعين وستمائة ، فإنه حكَم فيها من شهر رجب إلى آخرها .

*
* *

وهذه السنة الثانية من ولاية الملك المنصور قلاوون المذكور ، وهى سنة تسع وسبعين وستمائة .

فيها تُوُفّى الشيخ مُحيي الدين أبو العباس أحمد [بن على][1] بن عبد الواحد بن السابق الحلبى العدل الكبير ، كان من أكابر بيوت حلب ، وكان عنده فضيلةٌ ورياسةٌ ومات بدمشق فى ذى الحجة .

وفيها تُوُفّى الأمير سيف الدين ، وقيل صارم الدين ، أُزْبَك بن عبد الله الحلَبى العَـدْل الكبير ، كان من أعيان أمراء دِمَشْق ، وهو منسوبٌ إلى أستاذه الأمير عزّ الدين أَيْبَك الحلَبى ، وكان قد تجرّد إلى بَعْلَبَكّ فتمرّض بها ، فحُمِل فى مِحَفّة إلى دِمَشق ، فمـات بها فى شوّال .

وفيها تُوُفّى الأمير جمال الدين آقوش بن عبد الله الشّمسِى ، كان من أعيان الأمراء وأماثلهم وشُجعانهم ، وهو الذى أمسك الأمير عزّ الدين أَيْدَمُر الظاهرى ، وهو الذى باشر قتل كَتْبُغَا نُوين مقـدّم التّتار يوم عَيْن جالوت ، وكان ولى نيـابة حلب فى السنة الخاليـة ؛ ومات بها فى يوم الاثنين خامس المحرّم ودُفِن بحلب ، وهو فى عشر الخمسين .

---

(١) التكملة عن تاريخ الإسلام .

وفيها تُوُفّى الشيخ الإمام كمال الدين أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الحنفىّ الفقيه العَدْل، كان من أعيان الفقهاء العدول، وكان كثير الديانة والتعبّد، وهو أخو قاضى القضاة شمس(1) الدين الحنفىّ .

وفيها تُوُفّى الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد [بن أيُّوب بن أبى رحلة(2)] الحِمْصِى المولد والدار البَعْلَبَكِّى الوفاة، كان فاضلًا ظريفًا أديبًا شاعرا، ومما ينسب إليه من الشعر قوله :

والدهرُ كالطيف بؤساه وأنْعُمُه * عن غير قَصْدٍ فلا تَحْمَد ولا تَلُمِ
لاتسألِ الدهرَ فى البأساء يكشفها * فلو سألتَ دوام البؤس لم يَدُمِ

وفيها تُوُفّى الأديب الفاضل الشاعر المُفْتَنّ جمال الدين أبو الحسين يحيى آبن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن علىّ المصرىّ المولد والوفاة، المعروف بالجزّار، الشاعر المشهور أحد فحول الشعراء فى زمانه . مولده سنة إحدى(3) وستمائة . ومات يوم الثلاثاء ثانى عشر شوّال ودُفِن بالقرافة، وكان من محاسن الدنيا، وله نوادر مُسْتظْرَفةٌ ومُداعبات ومُفاوضات(4) مع شعراء عصره، وله ديوانُ شعر كبير .

قال الشيخ صلاح الدين الصَّفَدِىّ : لم يكن فى عصره مَن يُقارب به فى جَوْدة النظم غير السَّرَاج(5) الورّاق ، وهو كان فارس تلك الحَلْبَة، ومنه أخذوا ، [و] على نَمَطه نسجوا، ومن مادّته آستمدّوا . انتهى كلام الصَّفَدِىّ .

(1) هو شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطاء الأذرعى الحنفى قاضى القضاة أبو محمد . تقدّمت وفاته فيمن نقل المؤلف وفاتهم عن الذهبي سنة ٦٧٣ هـ . (2) زيادة عن عيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان وعقد الجمان . (3) كذا فى الأصلين وذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ فى إحدى روايتيه . وروايته الثانية وتاريخ الإسلام والمنهل الصافى أن مولده سنة ٦٠٣ هـ . (4) فى الذيل على مرآة الزمان : « ومكاتبات » . (5) هو أبو حفص عمر بن محمد السراج الوراق . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٩٥ هـ .

قلتُ : ونذكر قطعةً من شعره فمن ذلك قوله :

أكَلِّفُ نفسى كلَّ يومٍ وليـلةٍ * هموماً(١) علَى مَن لا أفوز بخَـيْرِهِ
كما سَوّدالقَصار بالشمس وجهَهُ * ليَجْهَد فى تبييض أثوابِ غيرهِ

وقيل : إنه بات ليلة فى رمضان عند الصاحب بهاء الدين بن حِنّا ، فصلّى عنده التراويحَ وقرأ الإمامُ فى تلك الليلة سورةَ الأنعام فى ركعة واحدة ؛ فقال أبو الحسين :

مالى على الأنعام من قُدْرةٍ * لا سِيّما فى ركعـةٍ واحده
فلا تَسُومونى حضوراً سِوى * فى ليـلة الأنفالِ والمـائده

ومن شعره :

طرف(٢) المحِبِّ فمٌ يُذاع به الجَوَى * والدمـعُ إن صمتَ اللسانُ لسـانُ
تبكى الجفونُ على الكَرَى فاعْجَب لِمَنْ * تبكى عليـه إذا نأى الأوطانُ

وفيهـا تُوُفّى الشيخ الإمام عِماد الدين أبو بكر بن هِلال بن عَبّاد الجِيلىّ(٣) الحنفى مُعيد المدرسة الشِّبْلِيّة . كان إماماً عالمـا صالحا منقطعًا عن الناس مشتغِلا بنفسه ، وكان معدودا من العلماء ، أفتى وأعاد ودرّس وانتفع به الناس ومات فى تاسع عشر شهر رجب ، وقد كَمُل له مائة سنة وأربع سنين . وروَى عنه ابن الزَّبِيدِىّ(٤) ؛ وروَى بالإجازة العامّة عن السِّلَفِىّ .

---

(١) فى الأصلين : « شرورا » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ والمنهل الصافى .

(٢) قبل هذين البيتين ، كما فى عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان ، هذا البيت :

سر القلوب تذيعه الأجفان * هيهات ينفـع مغرما كتمان

(٣) كذا فى الأصلين . وفى تاريخ الإسلام للذهبى : « ابن عباد الجبلى » . وفى نثر الجمان للفيومى والذيل على مرآة الزمان : « المعروف بالحنبلى » .

(٤) هو سراج الدين الحسين بن أبى بكر المبارك بن محمد الزبيدى . تقدّمت وفاته سنة ٦٣١ هـ . فيمن نقل المؤلف فاتهم عن الذهبى .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوُفِّى الفقيه شمس الدين محمد بن عبد الله [بن محمد بن عمر بن مسعود] (١) بن النّن . والأديب البارع أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم الجزّار بمصر . وشيخ الرافضة النّجيب أبو القاسم بن الحسين ابن العُود الحِلّى بجِزِّين فى شعبان . والشيخ الزاهد يوسف [بن نجاح بن موهوب] (٢) الفُقّاعى بزاويته بقاسيون .

§ أمر فى هذه السنة — الماء القديم ثلاث أذرع وخمس أصابع . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وثلاث وعشرون إصبعا .



السنة الثالثة من ولاية السلطان الملك المنصور قلاوون على مصر، وهى سنة ثمانين وستمائة .

فيها تَرَبَّتْ جزيرة كبيرة بحر النيل تجاه قرية بُولاق (٣) واللُّوق (٤)، وانقطع بسببها مَجْرى البحر ما بين قلعة المَقْس (٥) وساحل باب البحر والرَّملة (٦) و بين جزيرة الفيل (٧)؛ ولم يعهد هذا فيما تقدّم، وحصل لأهل القاهرة مَشَقّة يَسيرةٌ من نقل الماء لبُعْد البحر عنهم؛ وأراد السلطان حَفْره فمنعوه، وقالوا له : هذا نَشَّفَ إلى الأبد .

قلت : وكذا وقع، وغالب أملاك باب البحر والبساتين خارج باب البحر وداخله هى مكان البحر الذى نَشَف، وآلتصقت المبانى والبساتين بجزيرة الفيل وصارت غيرَ جزيرة، فسبحان القادر على كل شىء ! .

(١) تكملة عن تاريخ الإسلام . (٢) زيادة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب . (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٧ من هذا الجزء . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٠٨ من هذا الجزء . (٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٨ من هذا الجزء . (٦) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٩ من هذا الجزء . (٧) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٠٩ من هذا الجزء .

وفيها تُوُفّى الشيخ الصالح المولَّه المُعْتقَـد إبراهيم بن سعيد الشَّاغُورىّ المعروف بجَيْعَانة فى يوم الأحد سابع جُمادى الأولى بدمشق ، ودُفِن بمقبرة المُوَلَّهين بسـفح قاسِـيون ، وله من العُمر نحو سبعين سـنة ، وكانت له جنازةٌ عظيمة ، وكان له أحوالٌ ومكاشفاتٌ ، رحمه الله .

وفيها تُوفّى ملك التّتار أَبْغَا بن هُولاكو بن تُولى خان بن چِنكِزْ خان مَلِك التّتار وطاغيتُهم ، كان مَلِكًا جليلَ القَدْر عالى الهِمّة شجاعًا مِقداماً خبيرًا بالحروب ، لم يكن بعد والده مثلُه ، وكان على مذهب التّتار وآعتقادهم ، ومملكته متّسعة جدًّا وعساكره كثيرة ، وكان مع ذلك كلمته مسموعةٌ فى جنـده مع كَثْرتهم . ولـمّا توجّه أخـوه مَنْكُوتَمُر بالعساكر إلى جهة الشام لم يكن ذلك عن رأيه بل أُشير عليه فوافق ، ونزَل فى ذلك الوقت الرَّحْبَة ، أو بالقرب منها ، فلما بلَغ أَبْغَا(١) كَسْرَةُ مَنْكُوتَمُر رجعَ الى هَمَذَان فمات غَمًّا وَكَمَدًا ومات منكُوتَمُر بعـد أخيه أَبْغَا بمدّة يسـيرة بين العيدين ، وله من العُمر نحو خمسين سنة ، وقيل : ثلاثين سـنة والثانى أرجح . ومات بعده بيومين أخوه آجاىْ على ما يأتى ذكر مَنْكُوتَمُر فى القابلة .

وفيها تُوُفّى التاجر نجم الدين أبو العبّاس أحمد بن على بن المظفَّر بن الحِلّى ، كان ذا نِعْمَة ضخمة وثَرْوة ظاهرة ، وأموالٍ جَمّة ، وله التقدّم فى الدولة .

وفيها تُوُفّى الشيخ موفّق الدين أبو العباس أحمد بن يوسف المعروف بالكَواشىّ(٢) الإمام العالم المفسّر صاحب التفسير الكبير والتفسير الصغير وهما من أحسن التفاسير ، وكانت له اليَـدُ الطُّولَى فى القراءات ومشاركةٌ فى غير ذلك من العلوم ، وكان مقيماً

(١) فى الأصلين : «فلما بلغ منكوتمر الكسرة رجع الى همذان فمات غما وكمدا بعد أخيه أبغا ... الخ» . وتصحيح هذه العبارة عن عيون التواريخ والمنهل الصافى والذيل على مرآة الزمان ونثر الجمان .

(٢) الكواشى (بالفتح والتخفيف) : نسبة الى كواشة ، قلعـة بالموصل (عن لب اللباب وشذرات الذهب وذيل مرآة الزمان) .

بالجامع العتيق بالمَوْصِل منقطعًا عن الناس مجتهـدًا فى العبادة لا يقبل لأحد شيئًا، وكان يزوره المَلِك ومَنْ دونه فلا يقوم لهم ولا يَعْبأ بهم، وكان له مجاهداتٌ وكشوفٌ وكراماتٌ، ولأهل تلك البلاد فيه عقيدةٌ. ومات وله تسعون سنة تقريبًا، وكانت وفاته فى سابع عشر(١) جُمادى الآخرة بالموصل ودُفِن بها .

وفيها تُوُفّى الأمير عزّ الدين المعروف بالحاجّ أزْدَمُر بن عبد الله الجَمَدَار، كان من أعيان الأمراء، وكان ممن آنضاف إلى سُنْقُر الأشقر لمّـا تسلطن، وكان سنقر جعله نائبًا بدِمَشْق، ووقع له أمورٌ ذكرنا بعضها فى أوّل ترجمـة الملك المنصور قلاوون إلى أن آستُشْهِد فى واقعـة التّتار مع المنصور قلاوون بظاهر حِمْص مقبلًا غيرَ مدبر رحمه الله وتقبّل منه .

وفيها تُوُفّى الأمير عزّ الدين أيْبَك بن عبـد الله الشُّجَاعِى الصالحى العِمادى والى الوُلَاة بالجهات(٢) القبلية، كان دينًا خيرًا ليّن الجانب شـديدا على أهل الرِّيَب وجيهًا عند الملوك، وكان الملك الظاهر بيبرس يعتمد عليه فى أموره؛ ثم إنه ترك الأمر بآختياره ولزم داره إلى أن مات بدِمَشْق فى جُمادى الآخرة، وقد بلغ خمسا وثمانين سنة.

وفيها تُوُفّى الأمير بدرالدين بَكْتُوت بن عبد الله الخَازِنْدار، اُسْتُشْهِد أيضًا فى وقعة التّتار بحِمْص وكان أميرًا جليلًا .

وفيهـا تُوفّى الأمير سيف الدين بَلَبَان الرُّومِى(٣) الدوادار المقـدّم ذكْرُه فى قضيّة كُتّاب السرّ، كان الملك الظاهر بيبَرْس يعتمد عليه وولّاه دَوَادَارًا، وكان المطّلِـع

(١) فى أحد الأصلين : « فى سابع رجب » . وفى الأصل الآخر : « فى سابع عشر رجب » . والتصحيح عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وغاية النهاية . (٢) كذا فى الأصلين والذيل على مرآة الزمان . وفى تاريخ الاسلام للذهبى : « والى إقليم حوران والسواد » .

(٣) فى تاريخ الاسلام : « بلبان الدومى » بالدال .

على أسراره، وتدبير أمور القُصّاد والجواسيس والمكاتبات لايُشاركه فى ذلك وزيرٌ ولا نائبُ سلطنة، بل كان هو والأمير حُسام الدين لاجين الأيدَمُرِىّ المعروف بالدّرفيل، فلما تُوُفّى لاجين المذكور انفرد بَلَبَان بذلك وحدَه، وكان مع هذه الخصوصية عند الملك الظاهر أميرَ عشرة، وقيل جندياً .

قال الصَّفَدى : لم يُؤَمَّره طبلخاناه إلى أن مات الملك الظاهر أنعم عليه ولده الملك السعيد بإمْرَة ستين فارسًا بالشام، وبَقِىَ بعد ذلك إلى أن آستُشْهِد بظاهر حِمْص رحمه الله وقد نيّف على ستين سنة (١) .

وفيها تُوُفّى الأمير شمس الدين سُنْقُر بن عبد الله الألْفِى، كان من أعيان الأمراء الظاهريّة، وولى نيابَة السلطنة بمصر للملك السعيد بعد موت الأمير بدر الدين بِيلِيك الخازِنْدار، وباشر النّيابة أحسن مُباشرة إلى أن آستَعْفَى فأُعْفِى، وولى النيابة عِوَضَه الأمير كُونْدَك، فكان ذَهابُ الدولة على يده . ثم قبَض الملك المنصور على سُنْقُر هذا وآعتقله بالإسكندرية، وقيل بقلعة الجبل، إلى أن مات، وله من العمر نحو أربعين سنة .

وفيها تُوُفّى الشيخ علاء الدين أبو الحسن علىّ بن محمود بن الحسن بن نَبْهان اليَشْكُرِى ثم الربعىّ، كان له اليُد الطُّولى فى علم الفَلَك، وتفرّد بحَلّ الأزياج وعَمَلِ التقاويم، وغَلَب ذلك عليه مع فضيلة تامة فى علم الأدب وجَوْدَة النظم . ومن شعره :

ولما أتانى العاذلون عدِمْتُهم * وما منهمُ إلا لِلَحْيِى قارضُ
وقد بُهِتُوا لما رأَوْنِىَ شاحبًا * وقالوا به عينٌ فقلت وعارضُ

وله :

إنى أغار من النَّسِيم إذا سَرَى * بأَرِيج عَرْفِكَ خِيفةً من ناشقِ

(١) فى ذيل مرآة الزمان : « وقد نيف على خمسين سنة » .

وأَوَدُّ(١) لو سُهِرَتْ لا من عِلّةٍ * حَذَرًا عليكَ من الخيالِ الطارقِ

قلت : وأجاد الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح فى هـذا المعنى حيث قال :

فلو أمسى على تَلَفِى مُصِرًّا * لقلتُ معـذّبى بالله زِدْنِى
ولاتَسْمَح بوَصْـلك لى فإنّى * أَغَارُ عليـك منك فكيف مِنّى

ومثل هذا أيضا قول حَفْصَة(٢) المَغْرِبية ، رحمها الله :

أَغَارُ(٣) عليـكَ من غيرى ومِنّى * ومنـك ومن مكانك والزمانِ
ولو أَنّى خَبَأْتُك فى جُفونى * إلى يوم القيامة ما كفانِى

وفيهـا تُوُفِّى الشيخ الإمام الأديب البارع بدر الدين يوسف بن لؤلؤ بن عبـد الله الذَّهَبىّ الشاعر المشهور ، كان أبوه لؤلؤٌ عتيقَ الأمير بدرالدين صاحب تَلّ باشر . وكان بدر الدين هذا فاضلاً شاعرا ماهراً . ومن شعره ممّا كتبه للشيخ نجم الدين [محمد](٤) بن إسرائيل وله صاحب يميل إليه يُسَمَّى بالجارح :

قلبُـك اليـوم طائرٌ * عنـك فى الجـوانح
كيف يُرْجَى خَلَاصُـهُ * وهـو فى كَفِّ جارِحِ

---

(١) رواية هذا المصرع فى ذيل مرآة الزمان :
* وأودّ لو سهدت جفونى فى الكرى *

(٢) هى حفصة بنت الحاج الركونية الشاعرة الأديبة المشهورة بالجمال والحسب والمال . (عن نفح الطيب ج ٢ ص ٥٣٩) . (٣) رواية هذين البيتين فى نفح الطيب :

أغار عليك من عينى رقيب * ومنك ومن زمانك والمكان
ولو أنى خبأتك فى عيـونى * إلى يوم القيامـة ما كفانى

(٤) زيادة عما تقدّم ذكره للؤلف ص ٢٨٢ من هذا الجزء .

ومن شعره فى دولاب :

وروضـــة دولابهـا * إلى الغصون قـد شكا
من حين ضاع زهرها * دار عليـه وبكى

ولـــه :

يا عاذلى فيـــه قل لى * إذا(١) بدا كيف أسلو
يمـــر بى كل حين * وكلما مر يحـــلو

ولـــه :

حلا نبات الشعر يا عاذلى * لما بدا فى خده الأحمـــر
فشاقنى ذاك العـذار الذى * نباته أحلى من السكر

وله فى غلام على وجهه حب شباب :

تعشقته لدن القـوام مهفهفا * شهى اللمى أحوى المراشف أشنبا
وقالوا بدا حب الشباب بوجهـه * فيـا حسنه وجها إلى محببـا

ولـــه :

رفقـا بصب مغـــرم * أبليته صـــدا وهجرا
وافاك سائل دمعـــه * فرددته فى الحال نهـــرا

الذين ذكر الذهبى وفاتهم فى هـذه السنة ، قال : وفيها توفى العلامة الزاهد موفق الدين أحمد بن يوسف الكواشى(٢) المفسر بالموصل فى جمادى الآخرة ، وقـد جاوز التسعين . والقاضى نجم الدين(٣) محمد ابن القاضى صـدر الدين بن سنى الدولة بدمشق

(١) رواية هذا المصراع فى ذيل مرآة الزمان وتاريخ الإسلام :
* عن حبه كيف أسـلو *

(٢) راجع الحاشـية رقم ٢ ص ٣٤٨ من هـذا الجزء . (٣) هو محمد بن أحمد بن يحيى بن هبة الله بن الحسن بن سنى الدولة ، قاضى القضاة نجم الدين أبو بكر ابن قاضى القضاة صدر الدين أبى العباس ابن قاضى القضـاة شمس الدين أبى البركات الدمشقى الشافعى (عن تاريخ الإسـلام وشذرات الذهب والمنهل الصافى) .

فى المحرّم . والعلّامة قاضى القضاة تقىّ الدين محمد بن الحسين بن رَزِين العامرىّ بالقاهرة فى رجب (١) ، وله سبع وسبعون سنة . والحافظ المُسْنِد جمال الدين أبو حامد محمد بن علىّ بن محمود بن الصابونىّ فى ذى القعدة . والمُسْنِد شمس الدين أبو الغنائم المُسْلم بن محمد بن المُسْلِم بن عَلّان فى ذى الحجّة ، وله سبع وثمانون سنة . والعَدْل أمين الدين القاسم بن أبى بكر بن القاسم الإِرْبِلىّ فى جُمادى الأولى . والعارف الزاهد ولىّ الدين علىّ بن أحمد بن بدر الجَزَرىّ (٢) المقيم بجامع بَيْت لِهيا (٣) فى شوّال .

وأبْغَا بن هُولاكو مَلِك التّتار ببلاد هَمَذان . والحاج أَزْدَمُر الأمير بمصافّ حِمص شهيدًا .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع وثلاث أصابع . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وأربع أصابع .

*
* *

السنة الرابعة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر ، وهى سنة إحدى وثمانين وستمائة .

فيها تُوُفّى قاضى القضاة شمس الدين أبو العبّاس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر بن خَلِّكان بن بَاوَك (٤) بن عبد الله بن شاكِل (٥) بن الحسين بن مالك بن جعفر بن يحيى بن خالد بن بَرْمَك البَرْمَكىّ الإربِلىّ الشافعىّ قاضى قضاة دِمَشْق وعالِمُها ومؤرِّخُها .

---

(١) فى [الذيل على مرآة الزمان] : «أبو عبد الله» . (٢) فى الأصلين : «الخزرجى» . وتصحيحه عن تاريخ الإسلام والذيل على مرآة الزمان . (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٨٦ من الجزء الثانى من هذه الطبعة . (٤) فى الأصلين : «ابن نازل» . وفى عيون التواريخ : «ابن تاوك» . وفى ذيل مرآة الزمان : «ابن ناول» . وما أثبتناه عن المنهل الصافى ، وقد ضبطه بالعبارة فقال : «بفتح الواو» . (٥) ضبطه المؤلف بالعبارة فى المنهل الصافى (بفتح الكاف) .

مولده فى ليلة الأحد(١) حادى عشر جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وستمائة بإربل وبها نشأ . ذكره ابن العديم فى تاريخه فقال : من بيت معروف بالفقة والمناصب الدينية . وقال غيره : كان إمامًا عالمـا فقيهًا أديبًا شاعرًا مُفْتنًا مجموع الفضائل معدوم النظير فى علوم شَتَّى ، حُجَّـةً فيما ينقُله مُحقّقًا لِمَـا يُورِده منفرداً فى علم الأدب والتـاريخ ، وكانت وفاته فى شهر رجب وله ثلاثٌ وسبعون سنة .

قلت : وهو صاحبُ التاريخ المشهور ، وقـد آستوعبنا من حاله نُبْـذَةً جيّدة فى تاريخنا « المنهل الصـافى والمُسْتَوْفى بعد الوافى » . انتهى .

وكان ولى قضاء دِمَشْق مرّتين : الأولى فى حدود الستين وستمائة وعُزِل وقَدِم القاهرة ، وناب فى الحُكْم بها عن قاضى القضاة بدر الدين السِّنْجَارِىّ ، وأفتى بها ودرّس ودام بها نحو سبع سنين ؛ ثم أُعِيد إلى قضاء دِمَشْق بعد عِزّ الدين بن الصائغ(٢) ، وسُرّ الناس بعَوْده . ومدحته الشعراء بعدّة قصائد ؛ من ذلك ما أنشده الشيخ رشيد الدين عمر بن إسماعيل [بن مسعود(٣) بن سعد بن سعيد] الفارقىّ فقال :

أنت فى الشام مثل يُوسف فى مِصـ * ـرِ وعندى أنَّ الكِـرامَ جِناسُ
ولكُلِّ سَـبْعٍ شِدَادٌ وبعـد السَّبْـ * ـعِ عامٌ فيـه يُغـاثُ النـاسُ

وقال فيه أيضا نور الدين علىّ بن مُصْعَب :

رأيتُ أهـلَ الشـآم طُـراًّ * ما فيهـمُ قَـطُّ غـيرُ راض

(١) كذا فى الأصلين وذيل مرآة الزمان . وفى المنهل الصافى وترجمة ابن خلكان التى بآخر الجزء الثانى من كتابه وفيات الأعيان طبع بولاق : «ومولده بإربل فى يوم الخميس حادى عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستمائة» . (٢) هو قاضى قضاة دمشق عز الدين أبو المفاخر محمد بن عبد القادر ابن عبد الخالق الأنصارى المعروف بابن الصائغ . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨٣ هـ فيمن نقل وفاتهم عن الذهبى . (٣) زيادة عن تاريخ الإسلام للذهبى . وكانت وفاته سنة ٦٨٩ هـ كما فى عيون التواريخ وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام والمنهل الصافى .

أتاهمُ الخيرُ بعد شرٍّ * فالوقتُ بَسْطٌ بلا انقباضِ
وعُوِّضوا فرحةً بحُزنٍ * قد أنصف الدهرُ فى التقاضى
وسرَّهم بعد طُولِ غمٍّ * قدومُ قاضٍ وعَزْلُ قاضِ
فكلُّهم شاكرٌ وشاكٍ * لحال مستقبَلٍ وماضِ

ومن شعر ابن خلّكان المذكور قوله :

تَمَثَّلْتُمُ لى والبلادُ بعيدةٌ * فخُيِّل لى أنّ الفؤادَ لكم مَغْنَى
وناجاكُمُ قلبى على البُعْد والنّوى * فآنستمو لفظًا وأوحشتمو مَعْنَى

وله دو بيت :

قاسُوكَ ببدر التّمّ قومٌ ظلموا * لا ذنبَ لهم لأنّهم ما علموا
من أين لبدرِ التّمّ يا ويحَهُمُ * جِيدٌ وعيونٌ وقَوامٌ وفَمٌ

وله :

يا رب إنّ العبدَ يُخفى عَيْبَهُ * فاسْتُر بحلمك ما بدا من عَيْبِهِ
ولقد أتاك وما له من شافعٍ * لذنوبه فاقْبَلْ شفاعةَ شَيْبِه

قلت ويعجبنى فى هذا المعنى قولُ القائل :

إن كانت الأعضاء خالفتِ الّذى * أُمرت به فى سالف الأزمانِ
فسلوا الفؤادَ عن الذى أودعتُمُ * فيه من التوحيد والإيمانِ
تجدوه قد أدّى الأمانة فيهما * فهَبُوا له ما حَلّ فى الأركانِ

وفيها تُوُفّى ملك التتار مَنْكُوتَمُر بن هولاكوخان بن تُولى خان بن جِنْكِزْ خان، هو أخو أبغا ملك التتار، ومَنْكُوتَمُر هذا هو الذى ضرب المصافّ مع السلطان الملك المنصور قلاوون على حِمْص حسب ما تقدّم ذكره وانكسرت عساكره ، فلمّا وقع

ذلك عَظُمَ عليــه وحصل عنــده غَمٌّ شديدٌ وكَمَدٌ زائد ، وحدّثتْه نفسه بجمْع العساكر من سائر ممالك بَيت هولاكو ، وآستنجد بأخيــه أبْغَا على غَزْو الشام ، فقــدّر الله سبحانه وتعالى موتَ أَبْغَا ، ثم مات هو بعده فى محرّم هذه السنة ، وأراح الله المسلمين من شرّهما . وكان مَنْكُوتَمُر شجاعًا مِقدامًا وعنده بَطْشٌ (١) وجَبَرُوت وسَفْك للدّماء ، وكان نَصْرانيًّــا ، وكان جُرِح يوم مَصافّ حِمْص ، والذى جَرَحه الأمير علم الدين سَنْجَر الدُّوَيْدَارِىّ .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفِّى الإمام زَيْن الدين عبدالسلام بن على الزَّوَاوِىّ المـالِكىّ شيخ القُرّاء فى رجب ، عن آثنتين وتسعين سنة . وقاضى القضاة شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان الإرْبِلِىّ فى رجب ، وله ثلاث وسبعون ســنة . ونجيب الدين المِقْدَاد بن هِبَة الله القَيْسىّ العدل فى شعبان . وأبو الطـاهر إسمـاعيل بن هِبَــة الله المَلِيجِىّ (٢) آخر من قرأ القرآن على أبى الجُود (٣) فى رمضان بالقرافة . والبُرهان إبراهيم بن إسماعيل [بن إبراهيم بن يحيى بن عَلَوِىّ المعروف بـ] (٤) ابن الدَّرَجِىّ إمام المدرسة المُعِزِّيّة فى صفر ، وله آثنتان وثمـانون سنة . والعِماد إسماعيل بن إسماعيل بن جوسلين البَعْلَبَكِّىّ . والعــلّامة برهان الدين محمــود ابن عبد الله المَرَاغِى فى شهر ربيع الآخر ، وله ستّ وسبعون سنة . والإمام أمين الدين

---

(١) فى الأصلين : « طيش » . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان . (٢) ضبطه صاحب غاية النهاية بالعبارة فقال : (بفتح الميم و ياء ساكنة بعد اللام المكسورة وجيم) . والمليجى : نسبة إلى مليج ، قرية واقعة على شاطئ بحر شبين من الجهة الغربية وهى تابعة لمركز شبين الكوم بمديرية المنوفية .

(٣) هو أبو الجود غياث بن فارس اللخمى مقرئ الديار المصرية . تقدّمت وفاته سنة ٦٠٥ هـ فيمن نقل المؤلف وفاتهم عن الذهبى . وفى الأصلين : « ابن أبى الجود » . والتصحيح عما تقدم ذكره للمؤلف وغاية النهاية وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام . (٤) زيادة عن تاريخ الإسلام والجواهر المضية فى طبقات الحنفية وشذرات الذهب والمنهل الصافى

أحمد بن عبد الله [بن محمد بن عبد الجبّار] (١) بن الأَشْتَرِيّ (٢) الشافعي في شهر ربيع الأول.
والشيخ الزاهد عبد الله [بن أبي بكر بن أبي البَدْر (٣) البغداديّ ويُعرف] بكُتَيْلَة ببغداد.

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثماني عشرة إصبعا .

*

السنة الخامسة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، وهي سنة اثنتين وثمانين وستمائة .

فيها تُوُفّي الأمير شهاب الدين أحمد بن حجّيّ (٤) بن بُرَيْد البَرْمَكيّ أمير آل مِرَى، كان من فُرسان العرب المشهورين، كانت سراياه تُغير إلى أقصى نجد وبلاد الحجاز ويؤدّون له الخَفَر، وكذلك صاحب المدينة الشريفة، وكانت له المنزلة العالية عند الظاهر والمنصور قلاوون وغيرهما من الملوك، كانوا يُدارونه ويتّقُونَ شرّه، وكان يزعُم أنّه من نَسْل الوزير جعفر بن يحيي بن خالد بن بَرْمَك البَرْمَكيّ من أخت الخليفة هارون الرشيد الذى امْتُحِن جعفر بسببها وقُتِل . وكان بين شهاب الدين هذا وبين عيسى بن مُهَنّا أمير آل فضل منافسةٌ، فكتب إليه شهاب الدين هذا مرّةً كتابا وأغلظ فيه، وكان عند عيسى الشيخ شهاب الدين أحمد بن غانم (٥) فسأله عيسى بن مُهَنّا المجاوبة، فكتب عنه يقول :

---

(١) زيادة عن المنهل الصافي وذيل مرآة الزمان وشذرات الذهب . (٢) في الأصلين : «ابن الأشرى» ، وتصحيحه عن المصادر المتقدّمة . (٣) الزيادة عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ .
(٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٩٥ من هذا الجزء .
(٥) كان من أعيان شعراء مكة في عصره . توفي سنة ٧٤١ هـ كما في المنهل الصافي .

زَعَمُـــوا أَنّا هَجَـوْنا (١) * جَمْعَهـــم بالإفـتراءِ
كَذَبُوا فيما ٱدَّعَـــوْهُ * وٱفـــتَرَوْا بالإدِّعاءِ
إنّمـا قلنا مَقـالًا * لا كقول السُّـفَهاءِ
آلُ فضلٍ آلُ فضلٍ * وأنْـــتُمُ آل مِرَاءِ

وفيهـا تُوُفِّي شرف بن مِرَى بن حسن بن حسين بن محمد النَّوَاوِي والد الشيخ محيي (٢) الدين النَّوَاوِيّ ، كان مقتنِعًا بالحلال يزرع أرضًا يقتاتُ منها هو وأهله ، وكان يمونُ ولده الشيخ محيي الدين منها ، ومات فى صفر .

وفيها تُوُفِّي الشيخ الإمام شمس الدين أبو محمد (٣) عبــد الرحمن بن محمــد بن أحمد ابن محمــد بن قُدَامة الحَنْبَلِيّ المَقْدِسيّ ، كان إمامًا فقيها وَرِعًا زاهــدا كبير القَدْر جَمّ الفضائل ، انتهت إليه رياسة مذهب الإمام أحمــد بن حَنْبَل ، رضي الله عنه ، فى زمانه ، وشرح كتاب « المُقْنِـع » فى الفقه تأليف عمّه شيخ الإسلام موفّق (٤) الدين ، رحمه الله :

وفيها تُوُفِّي الأمير علاء الدين كُشْتُغْدِى (٥) بن عبد الله الشرفيّ (٦) الظاهريّ المعروف بأمير مجلس ، كان من أعيـان الأمراء وأكابرهم بالديار المصريّة وكان بَطَلًا شُجَاعًا وله مواقف مشهورة ونِكايات فى العدوّ المخذول . ومات بقلعة الجبل وقــد نَيَّف على خمسين سنة ، وحضر الملك المنصور قلاوون جنازته .

---

(١) رواية هذه الأبيات فى أحد الأصلين وذيل مرآة الزمان تختلف عن هذه الرواية .
(٢) هو محيي الدين يحيي بن شرف بن مرى بن حسن بن حسين بن محمــد النواوى . تقدّمت وفاته سنة ٦٧٦ هـ . (٣) فى تاريخ الإسلام : «أبو محمد وأبو الفرج» . (٤) هو موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر الله أبو محمد . تقدّمت وفاته سنة ٦٢٠ هـ .
(٥) فى الأصلين : « كش دغدى » . وما أثبتناه عن تاريخ الإسـلام والذيل على مرآة الزمان والمنهل الصافى . (٦) فى ذيل مرآة الزمان : « المشرفى » .

وفيها تُوفّى الكاتب المُجَوِّد عماد الدين أبو عبد الله، وقيل أبو الفضل، محمد ابن محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله الشِّيرازى الدمشقى صاحب الخطّ المنسوب. انتهت إليه الرياسة فى براعة الخط لاسيّما فى [القلم](١) المُحَقَّق و[قلم](١) النَّسْخ. سمع الكثير وروى عنه الحافظ جمال الدين المِزِّىّ(٢) وغيره، وتصدّى للكتابة وانتفع به الناس. وقدم القاهرة واتّفق أنّه ركب النيل مرّة مع الصاحب بهاء الدين بن حِنّا، وكان معه جماعةٌ من أصحابه وفيهم شخصٌ معروف بابن الفُقّاعى ممّن له عناية بالكتابة، فسأل الصاحبَ بهاء الدين، وقال: عندى لمولانا الصاحب وهؤلاء الجماعةِ يومُ كامل الدَّعْوَة، ومولانا يدعو المولى عماد الدين يُفيدنى قَطَّةَ القَلَم، فقال الصاحب: والله ما فى هذا شىء، مولانا يتفضّل عليه بذلك، فأطرق عماد الدين مُغْضَبًا، ثم رفع رأسه وقال: أو خيرٌ لك من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: أَحمل إليك رَبْعَةً بخطّى، ويُعفينى من هذا، فقال الصاحب: لا والله، الرَّبْعَة بخطّ مولانا تُساوى ألفى درهم، وأنا ما آكل من هذه الضيافة شيئًا يُساوى عشرة دراهم.

وفيها تُوُفّى الشيخ أبو محمد، وقيل أبو المحاسن، عبد الحليم بن عبد السلام ابن تَيْمِيّة الحَرّانى أحد علماء الحنابلة ووالد الشيخ تقىّ(٣) الدين بن تَيْمِيّة. مولده بحَرّان فى ثانى عشر شوّال سنة سبع وعشرين وستّمائة، وسمع الكثير وتفقه وبرع فى الفقه وتميّز فى عِدّة فنون، ودرّس ببلده وأفتى وخَطَب ووعَظ وفسّر، ولى هذه الوظائف

---

(١) زيادة عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ. والقلم المحقق، هو قلم استحدثت كتابته فى طغراوات كتب القانات فى زمن القلقشندى مؤلف صبح الأعشى (صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٢).

(٢) هو الشيخ جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكى عبد الرحمن بن يوسف القضاعى توفى سنة ٧٤٢ هـ عن الدرر الكامنة وشذرات الذهب وتذكرة الحفاظ. والمزى: نسبة إلى المزة، وراجع الحاشية رقم ١ ص ٧٧ من الجزء السادس من هذه الطبعة.

(٣) هو شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحرانى الحنبلى. سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٢٨ هـ.

عَقيب موت والده مَجد الدين، وعمره خمس وعشرون سنة ، وكان أبوه أيضا من العلماء . ومات فى سَلْخ ذى الحجّة ودُفِن بمقابر الصوفيّة بدِمَشق .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفّى الإمام عماد الدين علىّ بن يعقوب [بن شُجاع بن علىّ بن إبراهيم بن محمد] (1) بن أبى زَهْرَان المَوْصِلىّ الشافعىّ شيخ القرّاء بدِمَشْق فى صفر، وقد قارب الستين . وشيخ الإسلام الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن أبى عُمر المَقْدِسىّ [محمد بن أحمد بن محمد بن قُدَامة] (2) فى شهر ربيع الآخر، وله خمس وثمانون سنة . والإمام شهاب الدين عبد الحليم بن عبد السلام بن تَيْميّة الحَرّانىّ والد شيخنا فى سَلْخ السنة ، وله ستّ وخمسون سنة . والشيخ محيى الدين عمر بن محمد بن أبى سعد [عبد الله (3) بن محمد بن هبة الله بن على بن المطهر] بن أبى عصرون التَّميمىّ فى ذى القعدة عن ثلاث وثمانين سنة . والإمام شمس الدين محمد آبن أحمد بن نِعْمة المَقْدِسىّ مدرّس الشاميّة (4) فى ذى القعدة . وخطيب دمشق مُحيى الدين محمد بن الخطيب عماد الدين عبد الكريم [آبن القاضى (5) أبى القاسم عبد الصمد] آبن الحَرَسْتَانِىّ فى جُمادى الآخرة، وله ثمانٍ وستون سنة . والحافظ شمس الدين محمد بن محمد بن عبّاس [بن أبى بكر] (6) بن جعوان الأديب فى جمادى الأولى .

---

(1) زيادة عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ وغاية النهاية . (2) زيادة عما تقدّم ذكره للؤلف قريبا . (3) زيادة عن تاريخ الإسلام وذيل مرآة الزمان . (4) يريد بها الشامية البرانية كما صرح بذلك فى ذيل مرآة الزمان وشذرات الذهب ، وهى من مدارس الشافعية بدمشق بمحلة العقيبة . إنشاء ست الشام بنت نجم الدين أيوب بن شادى والدة الملك إسماعيل المتوفاة سنة ٦١٦ هـ . وتعرف هذه المدرسة بالحسامية لأن آبنها حسام الدين دفن فيها كما أنها هى أيضا دفنت فيها .
وهى اليوم مدرسة ابتدائية للأيتام تقوم بها جمعية الإسعاف الخيرى . وكان درس بها من المشاهير تقى الدين بن الصلاح ، وعبد العزيز بن أبى عصرون ، ومحيى الدين بن الزكى ، والفارقى ، والشريشى ، وابن الوكيل ، وابن قاضى شهبة وغيرهم . (عن خطط الشام ج ٦ ص ٨١ لكرد على) . (5) تكملة عن شذرات الذهب وعيون التواريخ وتاريخ الإسلام . (6) تكملة عن عيون التواريخ وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام والذيل على مرآة الزمان .

والرئيس محيي الدين يحيى بن علي بن القلانسي في شوّال . والرئيس عماد الدين أبو الفضل محمد [بن محمد] (١) ابن القاضي شمس الدين هبة الله بن الشيرازي في صفر. وشرف الدين محمد بن عبد المنعم بن القوّاس في شهر ربيع الآخر . والمحدّث جمال الدين عبد الله بن يحيى الجزائري في شوال . والرشيد محمد بن أبي بكر بن محمد العامريّ في ذي الحجّة .

§ أمر النيل في هذه السنة ــ الماء القديم أربع أذرع وخمس أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثماني أصابع .

* * *

السنة السادسة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، وهي سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

فيها تُوُفّي قاضي القضاة ناصر الدين أبو العبّاس أحمد بن محمد (٢) بن منصور الجُذاميّ المالكيّ المعروف بابن المُنَيِّر قاضي الإسكندرية، مولده في ذي القعدة سنة عشرين وستمائة، ومات بالإسكندرية ليلة الخميس مستهلّ شهر ربيع الأوّل، ودُفِن عند تربة والده عند الجامع المَغْرِبيّ (٣)، وكان إماماً فاضلا متبحّراً في العلوم وله اليد الطُّولَى في علم الأدب والنظم والنثر . ومن شعره ما كتبه لقاضي القضاة شمس الدين ابن خلّكان في صدر كتاب :

---

(١) التكملة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وعيون التواريخ وما ذكره المؤلف في وفيات هذه السنة . (٢) كذا في الأصلين وشذرات الذهب وعيون التواريخ وذيل مرآة الزمان . وفي تاريخ الإسلام : « أحمد بن منصور بن القاسم بن مختار » . (٣) لا يزال هذا الجامع موجودا ، ويعرف اليوم بجامع المنير وبه قبره . وكان مسجدا صغيرا . وفي سنة ١٣٠٩ هـ هدمه إبراهيم بك الناضوري من أعيان الإسكندرية ووسع مساحته وجدده بنفقته ، وهو عامر بإقامة الشعائر الدينية . ولا يزال قبر المنير في المكان الذي دفن فيه من يوم وفاته داخل الجامع الذي يقع على رأس تقاطع شارع المنير بشارع الباب الأخضر بالإسكندرية .

ليس شمسُ الضُّحا كأوصاف شمس الدِّين * قاضى القضـاةِ حاشـا وكلّا
تلك مهما عَلَتْ محلّا تَنَتْ ظِـلاً * وهـــذا مهما عَـلَا مدَّ ظِـلّا

وله يهجو القاضى زَيْن الدين بن أبى الفَرَج لمّا نازعه فى الحكم :

قل لمن يدّعى المناصب بالجهـ * ـل تَنَحَّ عنهـا لمَنْ هو أعلَمْ
إن تكن فى ربيـع وُلِّيتَ يومًا * فعليـــك القضاءُ أمسى محـرّمْ

وله فى صدر كتاب كتبه إلى الفائزى (١) يسأله رفع التصقيع عن ثغر الإسكندريّة :

إذا آعتلّ الزمانُ فمنك يرجو * بنو الأيام عاقبـةَ الشِّـفاءِ
وإن ينزل بساحتهم قضاءٌ * فأنت اللُّطْفُ فى ذاك القَضَاءِ

وفيها تُوُفّى ملك التتار أحمد بن هولاكوقان بن تُولىقان بن جِنْكِزْقان، كان مَلِكًا شَهْمًا خبيرًا بأمور الرعيّة سالكًا أحسن المسالك، أسلم وحَسُن إسلامُه وبَنَى بممالكه الجوامع والمساجد، وكان مُتَّبِعًا دينَ الإسلام لا يصدُر عنه إلّا ما يوافق الشريعة، وكان لمّا حَسُن إســلامهُ صالح السلطان الملك المنصــور قلاوون، وفرِح السلطان بذلك، فمات أحمد بعد مُدّة يسيرة، وملَك بعده أرغون بن أَبْغَا .

وفيها تُوُفّى القاضى نجم الدين أبو محمد عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله بن المُسْلِم (٢) ابن هبة الله بن حَسّان بن محمد بن منصور بن أحمد الجُهَنِىّ الشافعىّ المعروف بآبن البارِزىّ، وُلِد بحَمَاة سنة ثمانٍ وستمائة، وروَى الحديث وبرَع فى الفقه والحديث والنحو والأدب والكلام والحكمة، وصنّف فى كثير من العلوم، وتولّى القضاء بحَمَاة نيابةً عن والده، ثم آستقلّ بعده ولم يأخذ على القضاء رزقًا، وصُرف قبل موته بسنين. ومن شعره تضمينا لأوّل قصيدة البهاء زُهَيْر البائية :

(١) يريد الوزير الفائزى، وراجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
(٢) فى تاريخ الإسلام : « المسلم عبد الله » .

وكانَ الرِّضا منى إليه ولم يكن * رسولٌ فأخشى أن ينمّ ويكذبا
وناديتُ أهلًا بالحبيب ولم أَقُلْ * رسولَ الرِّضا أهلًا وسهلًا ومرحبا

وفيها تُوُفِّي الأمير شرف الدين عيسى بن مُهَنَّا أمير آل فضل ومَلِكُ العرب في وقته، وكان له منزلةٌ عظيمة عند الملوك لا سيّما عند الملك الظاهر بيبَرْس البُنْدُقْدَارِي، ثم تضاعفت عند الملك المنصور قلاوون، وكان كريمَ الأخلاق حَسَنَ الجِوار مكفوف الشر مبذولَ الخير، لم يكن في العرب وملوكها من يُضاهيه، وكان عنده ديانةٌ وصدقٌ . ولمّا مات وَلَّى الملك المنصورُ قلاوون وَلَدَه مُهَنَّا عِوَضَه، وكان بين وفاته ووفاة عدوّه الأمير أحمد بن حَجِّي أمير آل مِرَى دون السنة .

وفيها تُوُفِّي الشيخ الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن موسى بن النُّعْمان التِّلِمْسَانِي، سمع الكثير بعدّة بلاد وحدّث، ومولده بتِلِمْسَان في سنة ستّ أو سبع وستمائة، ومات بمصر ودُفن بالقرافة الكبرى، وهو غير شمس الدين محمد بن العَفِيف التِّلِمْسَانِي (١) .

وفيها تُوُفِّي الملك المنصور ناصر الدين أبو المعالى محمد آبن الملك المظفّر محمود آبن الملك المنصور محمد بن تَقِيّ الدين عمر بن شاهِنْشاه بن أَيُّوب صاحب حَمَاة والمَعَرّة وآبن صاحبهما، مَلَكهما بعد وفاة أبيه سنة آثنتين وأربعين وستمائة، ووالدته الصاحبة غازية خاتون بنت الملك الكامل محمد صاحب مصر آبن الملك العادل أبي بكر ابن أيوب . وكان مولده سنة آثنتين وثلاثين وستمائة، ووَلَّى الملك المنصور قلاوون آبنَه بعد وفاته .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها تُوُفِّي القاضي ناصر الدين أبو العبّاس أحمد بن محمد (٢) بن منصور الجُذَامي آبن المُنَيِّر بالإسكندريّة في شهر

(١) هو شمس الدين محمد بن عفيف الدين سليمان بن على التلمساني الكاتب الأديب ، سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٨٨ هـ .
(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٦١ من هذا الجزء .

ربيع الأول[1]، وله ثلاث وستون سـنة . والملك أحمـد بن هولاكو ملك التّتار . وقاضى حَمَاة نجم الدين عبد الرحيم بن إبراهيم بن البارزِىّ الشافعىّ فى ذى القعدة، وحُمِل ودُفِنَ بالبقيع ، وله خمس وسبعون سنة . وقاضى دمشق عز الدين أبو المفاخر محمد بن عبـد القادر بن عبـد الخالق الأنصارى بن الصائغ فى شهـر ربيع الآخر فى آخر الكهولية . وصاحب حَمَاة الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن المظفّر محمود عن إحدى وخمسين سنة . والشيخ العارف أبو عبـد الله محمد بن موسى بن النُّعْمان التِّلِمسَانىّ بمصر فى رمضان، وله سبع وسبعون سنة . ومَلِكُ العرب عيسى بن مُهَنَّا فى شهر ربيع الأول .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وعِدّة أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث أصابع .

***

السنة السابعة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، وهى سنة أربع وثمـانين وستمائة .

فيها كان فتوح المَرْقَب وغيره من القِلاع بالساحل حسب ماذكرناه فى أوّل الترجمة .

وفيها وُلِد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ووالده على حِصار المَرْقَب؛ وقد تقدّم ذكر ذلك أيضًا .

وفيها تُوُفّى الشيخ زَيْن الدين أبو العبّاس أحمـد بن محمد بن أحمـد الأَنْدَلُسِىّ الإِشْبِيلِىّ الأصل المعروف بكتاكت المصرى الواعظ المقرئ الأديب الشاعر، مولده سنة خمس وستمائة ، وقيل غير ذلك ، ومات بالقاهرة فى شهر ربيع الأول . وكان إمامًا فى الوعظ ولديه فضيلةٌ ومشاركة . وله شِعر جيّد ، من ذلك قوله :

(١) فى الأصلين هنا وتاريخ الإسلام : « ربيع الآخر » . وتصحيحه عما تقدّم ذكره للؤلف فى وفيات هذه السنة وشذرات الذهب وعيون التواريخ ونثر الجمان للفيومى .

مَنْ أنت محبوبُه ماذا يُغيِّره * ومَن صفوتَ له ما ذا يُكَدِّرُه

هيهاتَ عنك ملاحُ الكَوْن تشغَلُني * والكلّ أعراضُ حُسنٍ أنت جوهرُه

وله القصيدة المشهورة عند الفقراء التي أوّلها :

حضروا فمُذْ نَظَرُوا جَمَالَك غابُوا * والكُلّ مذ سمِعُوا خِطابك طابُوا

وفيها تُوُفّي الأمير علاء الدين أَيْدَكين بن عبد الله البُنْدُقْدارِيّ الصالحيّ النجميّ أستاذ الملك الظاهر بيبَرْس البُندقداري ، كان أصل أيْدكين هذا من مماليك الأمير جمال الدين موسى بن يَغْمُور ، ثم آنتقل عنه للملك الصالح نجم الدين أيُّوب وجعله بُنْدُقْدَارَه وأمَّرَه ثم نَكَبه ، وأخذ منه الملكُ الظاهرُ بيبَرْس ثم أعاده . ثم تَرَقَّى بعد موت أستاذه وولي نيابة الشام من قِبَل مملوكه الملك الظاهر بيبَرْس ، وكان الملك الظاهر بيبَرْس يُعَظِّمه ويقول له : أنت أستاذي ويعرف له حقَّ التربية ! وكان هو أيضًا يبالغ في خدمة الملك الظاهر والنُّصح له ، وهو الذي آنتزع له دِمَشق من يد الأمير سَنْجَر الحَلَبيّ كما تقدّم ذكره . وعاش أيْدكين إلى دولة الملك المنصور قلاوون ، وهو من أكابر الأمراء وأعيانهم إلى أن مات في القاهرة في شهر ربيع الآخر[1] ، ودفن بتربته[2] قريب بركة الفيل[3] وقد ناهز السبعين .

(١) كذا في الأصلين وذيل مرآة الزمان . وفي تاريخ الإسلام : « توفي في جمادى الأولى بالقاهرة » .

(٢) تربة علاء الدين أيدكين البندقداري ، ذكرها المقريزي في (ص ٤٢٠ ج ٢) من خططه باسم الخانقاه البندقدارية ، وقال : إنها بالقرب من الصليبة تجاه المدرسة الفارقانية . كان موضعها يعرف قديما بدويرة مسعود . أنشأها الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري الصالحي النجمي وجعلها مسجدا لله تعالى وخانقاه ، ورتب فيها صوفية وقراء في سنة ٦٨٣ هـ ولما مات في ربيع الآخر سنة ٦٨٤ هـ دفن بقبة هذه الخانقاه .

وأقول : إن هذه الخانقاه لا تزال موجودة إلى اليوم وتعرف بزاوية الأبار بشارع السيوفية بقسم الخليفة بالقاهرة ، وقد جدّدها ديوان الأوقاف في سنة ١٣٠٠ هـ وعلى يسار الداخل من باب الزاوية قبة أثرية فخمة تشرف على الشارع تحتها قبر الأمير علاء الدين أيدكين منشئها وأهم ما يلفت النظر في هذه القبة تابوت من الخشب الأثري موضوع فوق قبر أيدكين من تاريخ وفاته والزخارف الجصية التي حول محراب القبة . وفي داخل الزاوية قبة أخرى أثرية فخمة من عصر أيدكين يرجح أنه أنشأها تربة لزوجته ، ومما يلفت النظر في هذه القبة الشبابيك والزخارف التي برقبة القبة ، فهي من أدق النماذج الموجودة في الزخارف الجصية .

(٣) بركة الفيل ، يستفاد مما ذكره ابن دقماق في كتاب الانتصار عند الكلام على بركة الفيل (ص ٥ ج ٤ .

قلت : وما العجب أنّ أَيْدكِين هذا كان من جُملة أمراء مملوكه الملك الظاهر بيبرس ، والعجب أن أستاذ أيدكين هــذا الأمير جمال الدين بن يَغْمور كان أيضا من جملة أمراء الظاهر بيبَرْس فكان الظاهر أستاذ أستاذه فى خدمتــه ومن جملة أمرائه فانظر إلى تقلبات الدهر بالملوك وغيرها !

وفيها تُوُفّى الشيخ الإمام رشيد الدين أبو محمد سعيد بن علىّ بن سعيد البُصْراوِىّ الحنفىّ مدرّس الشِّبْليّة ، كان إمامًا عالمًا فاضلًا مدرِّسا كثير الدّيانة والوَرَع ، عُرِض عليه القضاء غير مرّة فآمتنع ، وكانت له اليدُ الطُّولَى فى العربيّة والنظم ، وكانت وفاته فى شعبان ودُفن بقاسِيون . ومن شعره :

= ج ٥) ، ومما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على هذه البركة (ص ١٦١ ج ٢) أنها بركة كبيرة ظاهر القاهرة تمتد من بستان الحبانية إلى بستان سيف الإســلام إلى تحت الكبش إلى الجسر الأعظم الفاصل بينها و بين بركة قارون ، ومناظر الكبش مطلة عليها ، وأنه لما أنشأ جوهر القائد مدينة القاهرة كانت البركة تجاهها خارج باب زويلة فيما بين القاهرة ومصر ولم يكن عليها مبان ثم عمر الناس حولها بعد سنة ٦٠٠ هـ .

وأقول : إن بركة الفيل لم تكن بركة عميقة فيها ماء راكد بالمعنى المفهوم الآن من لفظ بركة ، وإنما كانت تطلق على أرض زراعية يغمرها ماء النيل سنويا وقت الفيضان ، وكانت تروى من الخليج المصرى ، وبعد نزول الماء تزرع أصنافا شتوية ، وكان أشهر محصولاتها القرط المعروف بالبرسيم حيث كان يستهلك فى تغذية دواب القاهرة . وكانت بركة الفيل معتبرة فى دفاتر المساحة من النواحى المربوط على أراضيها الخراج ولم يحذف اسمها من جداول أسماء النواحى إلا بعد أن تحول معظم أراضيها إلى مساكن . وقد تحولت أراضيها تدريجيا من الزراعة إلى السكن من سنة ٦٢٠ هـ ولم يبق من أرض البركة بغير بناء إلى سنة ١٢١٥ هـ = ١٨٠٠ م التى رسمت فيها الحملة الفرنسية خريطة القاهرة إلا قطعة أقيم عليها فيما بعد سراى عباس حلمى باشا الأوّل والى مصر المعروفة بسراى الحلميــة وحديقتها الكبيرة . وفى ســنة ١٨٩٤ م قسمت أراضى الحديقة . وفى ســنة ١٩٠٢ م هدمت السراى وقسمت أراضيها أيضا وبيعت جميع القطع وأقيم عليها عمارات حديثة تعرف بين أخطاط القاهرة بالحلمية الجديدة .

وكانت بركة الفيل تشغل من القاهرة الحالية المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بدركة الحبانية ، ومن الغرب شوارع درب الجماميز والمدبغة والخليج المصرى ، ومن الجنوب شارع مراسينا ، ثم يميل الحد إلى الشمال الشرقى حتى يتقابل مع أول شارع [illegible] ويسير منه إلى أول شارع الألفى ، ومن الشرق كانت شارع درب الظلام فشارع مهذب الدين الحكيم فسكة [illegible] وما فى امتدادها إلى الشمال حتى تقابل الحد البحرى . =

أَرَى عناصرَ طِيبِ العيش أربعةً * مازال منها فطيبُ العَيْش قد زالا
أَمْنًا وصحّـةَ جِسْمٍ لا يُخـالطها * مُغـايِر[(١)] والشّبـابَ الغَضَّ والمـالا

وله مواليا :

كيف آعتمدتَ على الدنيا وتَجْرِيبِكْ * أراكْ فُلْكُ تَرَاهَا كيف تجرى بِكْ
ما زالت الخادعه تدنو فتَغْرِى بِكْ * حتى رَمَتْكَ بإبعـادِكْ وتَغْـرِيبِكْ

وفيهـا تُوُفِّى الأديب البـارع مُجِير الدين أبو عبد الله محمـد بن يعقوب بن علىّ المعروف بآبن تميم الشاعر المشهور، وهو سِبْط آبنِ تميم، كان أصله دِمَشْقِيًّا وآنتقل إلى حَمَـاة وخدَم صاحبها الملك المنصـور جُنْـدِيًّا، وكان له به آختصاصٌ، وكان فاضـلًا شجاعًا عاقـلًا ، وكان من الشعراء المعـدودين . ومن شـعره فى الشجاعة والإقدام قولُه :

دَعْنِى أُخاطر فى الحُروبِ بمُهْجَتِى * إِمّا أمـوتُ بهـا وإِمّا أَرْزَقُ
فسـوادُ عَيشى لا أراه أبيضًـا * إلاّ إذا آحمرّ السِّنانُ الأزرقُ

= ومن هذا التحديد يتبين أن بركة الفيل لم تكن على شكل فيل وأن أسمها أتى من شكلها كما يقول العامة ، وإنما كانت على شكل بيضاوى مفرطح من جهتيه الغربية وقـد وصفها ابن سعيد صاحب كتاب المغرب فقال : إنها كانت دائرة كالبدر والمناظر حولها كالنجوم .

وأما سبب تسميتها بركة الفيل فهو لأن الأمير خمارويه بن أحمد بن طولون كان مغرما باقتناء الحيوانات من السباع والنمور والفيلة والزرافات وغيرها ، وأنشأ لكل نوع منها دارا خاصة له وكانت دار الفيلة واقعة على حافة البركة من الجهة القبلية الشرقية حيث شارع نور الظلام ، وكان الناس يقصدون البركة للنزهة والفرجة على الفيلة فاشتهرت بينهم ببركة الفيل من وقتها إلى اليوم .

ودار الفيلة هذه هى غير دار الفيل التى كانت على بركة قارون وآشتراها كافور الإخشيدى أمير مصر من حسن بن مسكين ، فهـذه الدار كانت واقعة على سكة المدبغ من الجهة الشمالية منها جهة حى حطة البغالة بقسم السيدة زينب .

(١) فى أحد الأصلين والذيل على مرآة الزمان : « لا يخالطها معا ترف ... الخ » . وفى الأصل الآخر : « ولا يخالطها ترف » . ونظم البيت يقتضى ما أثبتناه .

وله :

لِمْ لا أَهِيمُ إلى الرِّياض وزَهْرِها * وأقِيم منهـا تحت ظِـلٍّ ضـافي
والغصـنُ يلقـانى بثَـغْرٍ باسِمٍ * والمـاءُ يلقـانى بقلبٍ صـافى

وله :

عاينتُ وَرْدَ الرَّوْض يَلْطُم خَدَّهُ * ويقول وهو على البَنَفْسَج مُحْنَقُ
لا تقـرَبوه وإن تضَـوَّع نَشْرُهُ * ما بينـكم[1] نهـوا العـدوُّ الأزرقُ

قلت : وقريب من هذا قولُ القائل :

بَنَفْسَجُ الروضِ تاه عُجْبًا * وقال طِيبى بِجَـوٍّ ضَمَّخْ
فأقبل الزهرُ فى آحتفالٍ * والبـان من غيظه تَنَفَّخْ

الذين ذكر الذهبي وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوُفِّيت أُمُّ الخير ستُّ العرب بنت يحيى بن قَيْماز الكِنْدِيّة فى المحرّم . والمحدّث أبو القاسم علىّ بن بَلَبَان الناصرىّ فى رمضان . وأبو بكر محمد بن إسماعيل بن عبد الله الأَنْمَاطِىّ فى ذى الحجّة . والقُدْوة الشيخ محمد بن الحسن الإخْمِيمِىّ بقاسيون فى جُمادى الأولى . والشيخ الزاهد شرف الدين محمد آبن الشيخ عثمان [بن علىّ][2] الرُّومىّ . والإمام الرشيد سعيد بن علىّ [آبن سعيد][3] الحنفىّ فى رمضان . والعلّامة رضىّ الدين محمد بن على بن يوسف الشاطبىّ اللغوى بمصر، وله نيّف وثمانون سنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة ــ المـاء القديم لم يحرّر . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وعشرون إصبعا .

---

(١) فى الأصلين : « من بيدكم » . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ وشذرات الذهب والمنهل الصافى ونثر الجمان للفيومى . (٢) زيادة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وذيل مرآة الزمان . (٣) زيادة عما تقدم ذكره فى ص ٣٦٦ من هذا الجزء .

* * *

السنة الثامنة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، وهى سنة خمس وثمانين وستمائة .

فيها ٱستولى الملك المنصور قلاوون على الكَرَك وٱنتزعها من يد الملك المسعود خَضِر ٱبن الملك الظاهر بِيبَرْس .

وفيها تُوُفّى الشيخ معين الدين أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن[1] بن أحمد ابن تُولُوَا الفِهْرِىّ، مولده بتِنِّيس[2] سنة خمس وستمائة، ومات بمصر فى شهر ربيع الأوّل، ودُفِن بالقرافة الصغرى، وسمع الحديث وتفقّه وكان له معرفةٌ بالأدب وله يَدٌ طُولَى فى النظم، وشعره فى غاية الجَوْدَة . ومن شعره وقد أَمَر قاضى مصر بقطع أرزاق الشعراء من الصدقات سوى أبى الحُسين الجَزَّار[3] . فقال :

تقدّم القاضى لنُوَّابِه * بقَطْع رزق البَرِّ والفاجِرِ
و وَفَّر الجزَّارَ من بينهم * فٱعْجَبْ لُلطْف التَّيْس بالجازِرِ

وفيها تُوُفّى الشيخ شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن محمد الأنصارىّ الصوفى الفقيه الشافعى، الشاعر المشهور المعروف بٱبن الخِيَمِىّ، كان إمام عصره فى الأدب ونظم الشعر مع مشاركة فى كثير من العلوم . ومولده سنة ٱثنتين وستمائة، وتوفى بمشهد الحُسَين بالقاهرة فى شهر رجب ، وقد أوضحنا أمره مع نجم الدين ٱبن إسرائيل لمّا تداعيا القصيدة التى أوّلها :

---

(١) فى الأصلين : «ٱبن عبد الرحيم بن أحمد بن لولو» . وتصحيحه عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ وشذرات الذهب؛ وراجع الحاشية رقم ١ ص ٣٢٧ من هذا الجزء .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣١٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٣) راجع حوادث سنة ٦٧٢ .

يامطلبًا ليس لى فى غيره أَرَبُ * إليك آل التَّقَصِّى وآنتهى الطَّلَبُ

فى تاريخنا « المنهل الصافى والمُسْتَوْفَى بعد الوافى » وذكرنا أَمْرَهما لمّا أمرهما آبنُ الفارض بنظم قصيدتين فى الرَّوِىّ والقافية وذكرنا القصيدتين أيضًا بكمالها، ثم حكَّم آبنُ الفارض بالقصيدة لشهاب الدين هذا. والقصيدة التى نظَمها شهاب الدين آبن الخِيَمِىّ هذا لمّا أمره آبن الفارض بالنظم أوّلها :

لله قومٌ بجَــرْعاءِ الحِمَى غِيَبُ * جَنَوْا علىّ ولمّا أَنْ جَنَوْا عَتَبُوا

والتى نظمها آبن إسرائيل .

لم يَقْضِ من حُبّكم بعضَ الذى يَجِبُ * قلبٌ متى ما جرَى تَذْكارُكم يَجِبُ

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوُفِّى المُسْنِد أبو العبّاس أحمد بن شَيْبان الصالحىّ فى صفر، وقد قارب التسعين . والعلّامة جمال الدين محمد ابن أحمد بن محمد البَكْرِىّ . والشهاب محمد بن عبد المنعم بن محمد الأنصارىّ آبن الخِيَمِىّ الشاعر فى رجب، وله ثلاث وثمانون سنة. والشيخ عبد الرحيم بن محمد ابن أحمد بن فارس العَلْثِىّ[(١)] بن الزَّجّاج فى المحرّم . وأَمَةُ الحقّ شاميّة آبنة صدر الدين الحسن بن محمد بن محمد البكرىّ فى رمضان . والإمام صفىّ الدين خليل بن أبى بكر آبن محمد المَرَاغِىّ فى ذى القعدة . وقاضى القضاة بهاء الدين يوسف آبن القاضى محيى الدين [يحيى][(٢)] بن الزكى فى ذى الحجّة، وله ستّ وأربعون سنة . والمقرئ[(٣)] برهان الدين إبراهيم بن إسحاق بن المظفَّر الوَزِيرِىّ فى ذى الحجّة قافلًا من الحجّ . وخطيب كَفْرَبَطْنَا[(٤)]

(١) فى أحد الأصلين : «العلبى». وفى الأصل الآخر : « العلى ». وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام. والعلثى : نسبة إلى علث قرية بين عكبرا وسامرا (عن لب اللباب) . (٢) زيادة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب . (٣) فى تاريخ الإسلام وغاية النهاية وشذرات الذهب أن وفاته كانت فى سنة ٦٨٤ هـ . (٤) كفربطنا : من قرى غوطة دمشق (عن معجم البلدان لياقوت) .

جمال الدين محمد بن عمر الدَّيْنَورِىّ فى رجب، وله ٱثنتان وسبعون سنة. والمقرئ الشيخ حسن بن عبد الله بن وَيْحيَان[1] الرَّاشِدىّ[2] فى صفر.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع، وقيل خمس، وست أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وأربع أصابع.

***

السنة التاسعة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، وهى سنة ست وثمانين وستمائة.

فيها تُوُفّى الشيخ الإمام العارف بالله تعالى قطب زمانه شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن عمر المُرْسىّ الأنصارىّ الإسْكَنْدَرِىّ المالكىّ الصالح المشهور، كان علّامة زمانه فى العلوم الإسلاميّة، وله القَدَم الراسخةُ فى علم التحقيق، وله الكَرَاماتُ الباهرة، وكان يقول: شَارَكْنا الفقهاءَ فيما هم فيه، ولم يشاركونا فيما نحن فيه. وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلىّ: أبو العبّاس بطُرُق السماء أعلم منه بطُرُق الأرض. انتهى.

قلت: وكان لديه فضيلةٌ ومشاركةٌ، وله كراماتٌ وأحوالٌ مشهورة عنه، وللناس فيه ٱعتقاد كبير لا سيّما أهل الإسكندرية، وقد شاع ذكْرُه وبَعُد صيته بالصلاح والزُّهد، وكان من جملة الشهود بالثّغر، وبها تُوُفّى ودُفِن وقبرُه[3] يُقصد للزيارة.

(١) ضبطه صاحب عاية النهاية بالعبارة فقال: (بفتح الواو وسكون آخر الحروف وحاء مهملة مكسورة بعدها آخر الحروف.
(٢) الراشدى: نسبة إلى بنى راشد، قبيلة من البربر لا إلى الراشدية التى هى من قرى ديار مصر (عن تاريخ الإسلام للذهبى). وقرية الراشدية المذكورة هى التى تعرف اليوم باسم الريدية إحدى قرى مركز طنطا.

(٣) هذا القبر لا يزال موجودا وفى مكانه الذى دفن فيه أبو العباس، وهو اليوم تحت القبة التى على يمين الداخل من الباب الغربى لجامعه. وكان هذا القبر قائما بذاته فى جبانة قديمة تعرف بجبانة سيدى المرسى عند الميناء الشرقى بالإسكندرية، وكان يزوره المغاربة الذين يقصدون الحج، –

وفيهـا تُوُفِّى الشيخ شرف الدين أبو الربيع سليمان بن بُلَيمان بن أبى الجيش آبن عبد الجبّار بن بُلَيمان الهَمَذَانِىّ الأصـل الرَّعْبَانِىّ(١) المولد، الإرْبِلىّ المنشأ، الشاعر المشهور صاحب النوادر، كان من شعراء الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد صاحب الشام، وكان أبوه صائغًا وتَعَانَى هو أيضا الصِّيَاغة، قيل إنّه جاء إليه مملوك مليحٌ من مماليك الملك الأشرف موسى، وقال له: عندك خاتَمٌ لإصْبَعِى؟ فقال له: لا، إلا عندى إصبع مليح لخاتَمك. ومات بدمشق فى ليلة عاشر صفر. ومن شعره:

وما زالتِ الرُّكبانُ تُخْـبر عنـكُمُ * أحاديثَ كالمِسْـك الذَّكِىِّ بلامَـيْنِ

إلى أن تلاقينـا فـكان الذى وعَتْ(٢) * من القول أُذْنِى دون ما أبصرتْ عَيْنِى

ولمّـا قَامَر التَّلَعْفَرِىّ(٣) بثيابه وأخفافه قال فيه شرف الدين هذا قصيدةً وأنشـدها للملك الناصر بحضرة التَّلَعْفَرِىّ. فلمّا فَرَغ من إنشادها قال له التَّلَعْفَرِىّ: ما أنا جُندىٌّ

= وقد قام بعضهم بإنشاء مسجد يشمل هذا القبر للمحافظة عليه من الأندثار. وفى سنة ١١٨٩ هـ، لاحظ بعض المغاربة النازلون بالإسكندرية أن المسجد صغير فوسعوه وجددوه، ثم قام بعد ذلك بعض نظاره فى توسعة مساحته من أرض الجبانة المجاورة له حتى أصبح من الجوامع الشهيرة بالإسكندرية.

ولما رأى المغفور له جلالة الملك فؤاد الأول أن مدينة الإسكندرية خالية من الجوامع الكبيرة ذات البناء الفخم الذى يتفق مع عظمة هذه المدينة أمر — رحمه الله — بهدم هذا الجامع وإعادة تجديده على مساحة كبيرة بشكل أجمل وأفخم مما كان عليه. وقـد نفذت وزارة الأوقاف إرادة جلالته الساميـة وأضيف إلى مساحة المسجد ضعفها من الأرض المجاورة له من الجهة الشرقية فأصبح سطحه ٢٥٠٠ متر مربع، والعمارة جارية به الآن، وقد رأيت عند زيارتى له أنه من أكبر جوامع الإسكندرية بل أجملها وأفخمها، وهو مبنى على أساس مثمن الشكل وسقفه محمول على ستة عشر عمودا سميكة من الجرانيت المضلع والمكفت بالنحاس. وللجامع مئذنة مرتفعة من الأسمنت المسلح مزخرفة بنقوش عربية جعلتها من أجمل المآذن فى مصر.

وقـد روعى فى بناء الجامع أن يكون من الداخل على طراز المبانى الأندلسية لأن أبا العباس المرسى أصله من مدينـة مرسية إحدى مدن بلاد الأندلس، وأن تكون المئذنة على طراز مبانى العصر الأيوبى، وهو العصر الذى جاء فيه أبو العباس إلى مصر.

(١) الرعبانى: نسبة إلى رعبان: مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات معدودة فى العواصم (عن معجم البلدان لياقوت). وفى ذيل مرآة الزمان: «الرغبانى» بالغين المعجمة.

(٢) فى الأصلين: «رعت». وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ ونثر الجمان للفيومى.

(٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٥٥ من هذا الجزء.

حتى أقامر بأخفافى . فقال له شرف الدين : بخفاف آمرأتك . فقال : مالى آمرأة ، فقال له : لك مقامرةٌ من بين الحجرين إمّا بالخفاف أو بالنّعال(١) . انتهى .

قلت : وأنا مسامح التّلّعفرىّ على القمار، لحسن ماقاله من رائق الأشعار :

فمن كان ذا عذرٍ قبلتُ اعتذارَهُ * ومَن لاله عُذرٌ فعنــدى له عُذْرُ

وفيها تُوفّى الشيخ الإمام المحدّث قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن علىّ بن محمد بن الحسن بن أحمد(٢) بن عبد الله بن مَيْمون القَيْسىّ الشّاطبىّ المحدّث الإمام العلّامة، كان شيخ الكامليّة بالقاهرة المعروف بابن القَسْطَلّانىّ التّوْزَرىّ(٣) الأصل المصرى المولد المكّىّ المنشأ الشافعىّ المذهب، مولده سنة أربع عشرة وستمائة، ومات يوم السبت ثامن عشر المحرّم، ودُفِن بالقرافة الصغرى، وكان مجموع الفضائل، رحمه الله .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوفّى الإمام النّحْوىّ بدر الدين محمد آبن الشيخ جمال الدين بن مالك(٤) فى المحرّم . والإمام قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن علىّ القَسْطَلّانىّ بالقاهرة فى المحرّم . وقاضى القضاة برهان الدين الخَضِر بن الحسن بن علىّ السِّنْجارىّ بمصر فى صفر. والحكيم عماد الدين محمد بن عبّاس الرَّبَعىّ الدُّنَيْسِرىّ ، وله إحدى وثمانون سنة . وشرف الدين سليمان آبن بُلَيمان الإرْبِلىّ الشاعر . والمحدث وجيه الدين عبد الرحمن بن حسن السَّبْتىّ فى جُمادى الأولى . والمُسْنِد عزّ الدين أبو العزّ عبد العزيز بن عبد المنعم [بن علىّ](٥) ابن الصَّيْقَل الحَرّانىّ فى شهر رجب .

---

(١) فى عيون التواريخ : « إما بالخفاف وإما بالنقال » . (٢) فى تاريخ الاسلام والمنهل الصافى ونثر الجمان : « محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد » . (٣) فى الأصلين : «التبريزى» . والتصحيح عن تاريخ الإسلام ونثر الجمان . والتوزرى : نسبة إلى توزر: مدينة بافريقية (عن لب اللباب ومعجم البلدان لياقوت) . (٤) راجع حوادث سنة ٦٧٢ هـ .
(٥) تكملة عن تاريخ الإسلام ونثر الجمان وذيل مرآة الزمان .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وأصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع .

* * *

السنة العاشرة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، وهى سنة سبع وثمانين وستمائة .

فيها تُوُفّى الشيخ المعتقـد الصالح برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن مِعْضَاد بن شَدّاد الجَعْبَرِىّ الأصل والمولد المصرىّ الدار والوفاة، الصالح المشهور، نشأ بجَعْبَر ثم ٱنتقل إلى الديار المصريّة وٱستوطنها ولزِم مسجده، وكان يَعِظُ به و يجتمع عنده خَلق كثير، ولأصحابه فيه عقيدةٌ حسنة، وله مقالاتٌ كثيرة ، وكان زاهدًا عابدًا ، سمِـع الحديث وروَى عن السَّخَاوِىّ[1] وغيره، وكان غزير الفضيلة حُلْوَ العبارة .

قال الصلاح الصَّفَدِىّ : أخبرنى الشيخ الإمام العلّامة أثير الدين أبو حَيّان[2] من لفظه قال : رأيتُ المـذكور بالقاهرة، وحضرتُ مجلسه أنا والشيخ نَجم الدين بن مَكّىّ، وجرت لنا معه حكاية، وكان يجلس للعوامّ يُذَكِّرهم ولهم فيـه ٱعتقاد ، وكان يَدْرِى شيئًا من الحديث ،وله مشاركةٌ فى أشياء من العلوم وفى الطب ،وله شعر جيّد. وأنشَدَ له قصيدةً أذكر منها القليل :

عَشِقوا الجَمَـال مجرّدًا بمجرّد الر * وح الزكيّـة عِشْقَ مَن زكّاهَا
متجرِّدين عن الطِّبـاع ولؤمِها * متلبِّسين عَفافهـا وتُقـاها

ٱنتهى كلام الصَّفَدِىّ .

---

(١) هو علم الدين على بن محمد بن عبد الصمد أبو الحسن السخاوى . تقدمت وفاته سنة ٦٤٣ هـ

(٢) هو محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الغرناطى أثير الدين أبو حيان الأندلسى الجيانى . توفى سنة ٧٤٥ هـ (عن الدرر الكامنة وشذرات الذهب والمنهل الصافى وحسن المحاضرة للسيوطى) .

وقال القُطْب اليُونِينِيّ : وأظُنّه نَيَّف على الثمانين من العُمر ، ولمّا مَرِض مرضَ الموت أمَر أن يُخرج به إلى مكان مَدْفنه ، فلما رآه قال له : « قُبَيْر جاك دُبَيْر » . ومات بعد ذلك بيوم في يوم السبت رابع عشرين المحرّم بالقاهرة ودُفن من يومه بالحُسَيْنِيّة[1] خارج باب النّصر ، وقبرُه[2] معروف هناك يُقصد للزيارة .

قلت : ويُعجبني في هذا المعنى المقالة السابعة الزُّهْدِيّة من مقالات الشيخ العارف الرّبانيّ شرف الدين عبد المؤمن بن هبة الله الأصفهانيّ المعروف بشَوَرْوَة من كتابه « أطباق الذهب » وهي :

طُوبَى للتّقِيّ الخامل ، الذي سَلِم عن إشارة الأنامل ؛ وتَعْسًا لمن قَعَد في الصوامع ، ليُعرَف بالأصابع ؛ خزائنُ الأمناء مكتومةٌ ، وكنوز الأولياء مختومة ؛ والكامل[3] كامنٌ يتضاءل ، والناقص قصيرٌ يتطاوَل ؛ والعاقل قُبَعَة[4] ، والجاهل طُلَعَة ؛ فاقبَعْ قُبوعَ الحيّات ، واكْمُنْ في الظُّلُمات ، كُمُونَ[5] ماء الحَيَاة ؛ وصُن كنزَك في التُّراب ، وسيفَك في القِراب ؛ وعَفِّ آثارَك بالذّيل المسحوب ، واستُر رُواءَك بِسُفْعَة[6] الشُّحُوب ؛ فالنباهة فِتْنة ، والوَجاهة مِحْنة ؛ فكن كَنْزًا مستُورا ، ولا تكن سَيْفًا مشهورا ؛ إنّ الظالم جدير أن يُقْبَر ولا يُحشر ، والبالي خليقٌ أن يُطْوَى ولا يُنْشَر ؛ ولو عرف

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤٥ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٢) قبر برهان الدين أبي إسحاق الجعبري ، يستفاد مما ذكره المقريزي (في ص ٤٣٤ ج ٢) من خططه عند الكلام على زاوية الجعبري أن الشيخ برهان الدين إبراهيم أبا إسحاق الجعبري مات يوم السبت ٢٤ المحرم سنة ٦٨٧ هـ ودفن في زاويته الواقعة خارج باب النصر من القاهرة . وبالبحث عن مكان قبره تبين لي أن الزاوية قد اندثرت وأما القبر فلا يزال باقيا وهو ظاهر يزار وعليه مقصورة من الخشب داخل قاعة بصحراء أبي قلاوة بجبانة باب النصر ، ويتوصل إليه من شارع نجم الدين تجاه حوش الحاج دسوقي الفوانيسي من الجهة الغربية قرب المساكن . (٣) في أطباق الذهب : «والكامل طائل يتطامن» . (٤) القبعة : من يدخل رأسه في قميصه . (٥) في الأصلين : « واكمن في الظلمات كماء الحياة » . وما أثبتناه عن أطباق الذهب طبع بيروت . (٦) السفعة : تغيير لون البشرة بلفح النار والسموم .

إلجذلُ(١) صَوْلَةَ النَّجار، وعَضَّةَ المِنْشَار، لمـا تَطَاول شِبْرا، ولا تخايل كِبراً، وسيقول البُلْبُلُ المُعْتَقَل : ياليتنى كنتُ غُرابا، ويقول الكافر ياليتنى كنتُ تُرابا » . انتهى .

وفيها تُوفّى الشيخ ناصرالدين أبو محمد حسن بن شَاوَر بن طَرْخان الكِنَانِىّ و يعرف بآبن الفُقَيْسِىّ و بآبن النَّقِيب الشاعر المشهور ، كان من الفضــلاء الأدباء ، ومات ليلة الأحد(٢) منتصف شهر ربيع الأوّل ودُفن بسَفْح المقطّم ، وله تسع وسبعون سنة ؛ وكان بينه و بين العلّامة شهاب الدين محمود صحبةٌ ومجالسةٌ ومذاكرةٌ فى القَرِيض .

ومن شــعره :

نَهَيْناهُ عن فعل القبيح فما آنتهى * ولا رَدَّهُ رَدْعٌ وعاد وعادى
وقلنـا له دِنْ بالصَّـلاح فقلّمَا * رأينـا فتًى عانَى الفَساد فسادَا

وله :

وجُرِّدْتُ مع فَقْرى وشيخوخَتِى التى * تراها فنَــوْمى عن جُفونى مُشَرَّدُ
فــلا يَدَّعِى غــيرى مَقــامى(٣) فإنَّنِى * أنا ذلك الشــيخ الفقــيرُ المُجَــرَّدُ

وله :

حدّثتَ عن ثَغْــره المُحَــلَّى * فمـــلْ إلى خَدِّه المُــوَرَّدْ
خَدٌّ وثَغْـــرٌ بِحَـــلّ ربٌّ * بمُبْـدِع الحسن قــد تفرّدْ

وله :

يامن أدار سُـلافةً(٤) من رِيقِــهِ * وحَبابُها الثَّغْرُ الشَّنِيب الأشنبُ
تُفّــاحُ خَدِّك بالعِــذار مُمَسَّكٌ * لكنّــه بدم القــلوب مُخَضَّبُ

(١) والجذل : ماعظم من الحطب و يبس . (٢) فى عيون التواريخ : « وقد جاوز الثمانين سنة من العمر » (٣) رواية فوات الوفيات : * فلا يدعى غيرى ثيابى فاننى * .

(٤) رواية هذا البيت فى عيون التواريخ وفوات الوفيات :

يا من أدار بريقــه مشمولة * وحبا بهـا الثغر النقى الأشنب

وله :

أنا العُـذْرِىُّ فاعذرنى وسَـامِحْ * وجُرْ علىّ بالإحسان ذَيْـلَا
ولمّـا صِرتُ كالمجنون عِشْقـًا * كتمتُ زيارتى وأتيتُ ليـلا

وفيها تُوُفِّى الملك الصالح علىّ آبن السلطان الملك المنصور قلاوون، كان والده المنصور قلاوون قـد جعله ولىَّ عَهْده وسـلطنه فى حياته حسب ما تقدم ذكرُه فى سنة تسع وسبعين وستمائة، فدام فى ولاية العَهْد إلى هـذه السنة مَرِض ومات بعد أيّام فى رابع شـعبان بقلعة الجبل، ووجد عليـه أبوه الملك المنصور قلاوون كثيرًا، فإنّه كان نجيبًا عاقلًا خليقا للملك .

وفيها تُوُفِّى الشيخ الطبيب علاء الدين علىّ بن أبى الحرم[1] القرشى الدِّمَشْقِىّ المعروف بآبن النَّفِيس الحكيم الفاضل العلّامة فى فنّه، لم يكن فى عصره من يُضاهيه فى الطّبّ والعِلاج والعـلم، آشتغل على المهذّب[2] الدَّخْوَار حتى برَع، وآنتهت إليه رياسـة فنّه فى زمانه، وهو صـاحب التصانيف المفيدة، منهـا : « الشامل فى الطب » ، و« المهذّب فى الكُحل »، و« الموجز[3] » ، و« شرح القانون لآبن سينا » . ومات فى ذى القعدة بعـد أن أوقف داره وأملاكه وجميع مايتـعلّق به على البِيمارِسْتان المنصورىّ بالقاهرة .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هـذه السنة، قال : وفيها تُوُفِّى الشيخ إبراهيم بن مِعْضَاد الجَعْبَرِىّ بالقـاهرة فى المحرّم عن نيّف وثمانين سـنة . والإمام أبو العبّاس أحمد بن أحمد بن عبد الله [بن أحمد[4] بن محمد بن قُدَامة] المَقْدِسِىّ الفَرَضِىّ . وخطيب

(١) فى أحد الأصـلين وحسن المحاضرة للسيوطى : « ابن أبى الحزم » . وما أثبتناه عن الأصل الآخر وعيون التواريخ وتاريخ الاسلام وشذرات الذهب ونثر الجمان للفيومى . (٢) هو عبد الرحيم ابن على مهذب الدين رئيس الأطباء . تقدمت وفاته سنة ٦٢٨ هـ . (٣) هو موجز القانون فى الطب، كما فى كشف الظنون . (٤) زيادة عن تاريخ الإسلام وشـذرات الذهب .

القُـدْس قُطْب الدين أبو الزَّكاء[(١)] عبد المنعم بن يحيى الزُّهْرِىّ فى رمضان . والجمال أحمـد بن أبى بكر بن سـليمان بن الحَمَوىّ . والشيخ الإمام أبو إسحـاق إبراهيم بن عبد العزيز اللُّورِى[(٢)] شيخ المـالكية فى صفر .

§ أمر النيل فى هـذه السنة ـــ المـاء القديم خمس أذرع وأربع أصـابع . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وأربع أصابع .

⁂

السنة الحادية عشرة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، وهى سنة ثمانٍ وثمانين وستمائة .

فيهـا فُتِحَتْ طرابُلُس وما أُضيف إليها بعـد أمور ووقائع حسب ما ذكرناه فى أصل هذه الترجمة مُفَصَّلًا .

وفيها تُوُفّى الشيخ علم الدين أحمد ٱبن الصاحب صَفِىّ[(٣)] الدين يوسف بن عبد الله ابن شُكر المعروف بابن الصاحب ، كان نادرةَ زمانه فى المُجُون والهزل و إنشاد الأشعار والبلّيقات[(٤)] وكان بقِىَ فى آخر عمره فقيرا مجرّدًا، وكان ٱشتغل فى صباه وحصّل ودرس، وكان لديه فضيلةٌ وذكاء وحسنُ تصور، إلّا أنه تمَفْقَر فى آخر عمره وأطلق طباعه على التّكَدى وصـار يُجارِد[(٥)] الرؤساء ، ويركب فى قفص [على رأس][(٦)] حَمّـال ويتضارب الحمّالون على حمله ، لأنّه كان مهما فُتِح له من الرؤساء كان للّذى يحمله ،

(١) فى أحد الأصلين : « أبو البركات » . وتصحيحه عن الأصل الثانى وتاريخ الاسلام وعيون التوارخ وشذرات الذهب وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات . (٢) اللورى : نسبة إلى لورة : قلعة من أعمال إشبيلية بالأندلس (عن تاريخ الإسلام ونثر الجمان) . (٣) فى نثر الجمان : « أبو العباس أحمد ٱبن الصاحب تاج الدين يوسف ابن الصاحب صفى الدين عبد الله » .

(٤) البليقات : نوع من التواشيح العامية كانت شائعة فى بلاد الشام . (٥) فى لسان العرب : « جرد القوم جردا : سألهم فمنعوه أو أعطوه كارهين » . (٦) زيادة عن عيون التوارخ .

فكان يستمرّ راكبا فى القفص والحمّال يدور به فى أماكن الفُرَج والنُّزَه، وكان يتعمّم بشرطوط[١] طويل جدًّا رقيق العَرْض ويعاشر الحرافيش، وكان له أولادٌ رؤساء، ويقال: إنّ الصاحب بهاء الدين بن حِنّا هو الذى أحوجه إلى أن ظهر بذلك المظْهَر، وأخمله وجنّنه لكونه كان من بيت وزارة، فكان آبن الصاحب هذا إذا رأى الصاحب بهاء الدين بن حِنّا يُنْشِد:

إشْرَبْ[٢] وكُلْ وتهنّا * لابدّ أن نتعنّى
محمّد وعلىّ * من أين لك يا آبن حنا

قال الشيخ صلاح الدين الصَّفَدىّ: «أخبرنى من لفظه الحافظ نجم الدين أبو محمد الحسن[٣] خطيب صَفَد، قال: رأيتُه (يعنى ابنَ الصاحب) أشقر أزرق العَيْنَيْن عليه قميصٌ أزرق، وبيده عُكّازٌ حديد. قال: وأخبرنى من لفظه الحافظ فتح الدين[٤] آبن سَيِّد الناس، قال: كان آبن الصاحب يُعاشر الفارس أَقْطَاىْ فاتّفق أنّهم كانوا يومًا على ظهر النِّيل فى شَخْتُور[٥]، وكان الملك الظاهر بيبَرْس مع الفارس أَقْطَاىْ وجرى بينهم أمرٌ، ثم ضَرَب الدهر ضَرَبانَه حتّى تسلطن الملك الظاهر بيبَرْس وركب يومًا إلى المَيْدَان، ولم يكن عُمِّر قنطرة السِّباع[٦]، وكان التوجه إلى المَيْدان من على باب زويلة على باب الخَرْق[٧]، وكان آبن الصاحب هذا نائمًا على قفص صَيْرَفِىّ

(١) شرطوط (شرموط): الخرقة (عن قاموس دوزى).
(٢) هذه رواية الأصلين والمنهل الصافى والوافى بالوفيات للصفدى. ورواية عيون التواريخ وابن كثير:

اقعد بها وتهنا * لابد أن تتعنى
يكتب على بن محمد * من أين لك يا بن حنا

(٣) هو الحسن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن مفرح، خطيب صفد وعالمها. توفى سنة ٧٢٣ هـ (عن شذرات الذهب والدرر الكامنة).
(٤) هو فتح الدين أبو الفتح محمد ابن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن يحيى بن سيد الناس. سيذكره المؤلف سنة ٧٣٤هـ.
(٥) الشختور: المركب الصغيرة للتنزه (عن قاموس دوزى).
(٦) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٩١ من هذا الجزء.
(٧) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٩٣ من الجزء الرابع من هذه الطبعة.

من تلك الصّيارف بَرًّا باب زويلة، ولم يكن أحدٌ يتعرّض لآبن الصاحب، فمرّ به الملك الظاهر فلم يَشْعُر إلا وآبن الصاحب يضرب بمفتاح فى يده على خشب الصيرفى قويّا، فآلتفت الظاهر فرآه فقال : هاه! علم الدين؟ فقال: إيش علم الدين أنا جَيْعان! فقال : أعطوه ثلاثة آلاف درهم . وكان آبن الصاحب أشار بتلك الدّقّة إلى دقّة مثلها يوم المَرْكَب» . اِنتهى [كلام الصّفدى] .

قلت : ومن نوادره اللّطيفة أنّه كان بالقاهرة إنسان [كثيرًا ما](١) يُجرِّد الناس فسمّوه زُحَل، فلمّا كان فى بعض الأيام وَقَف آبن الصاحب على دُكّان حَلْوَى يَزِن دراهم يشترى بها حَلْوَى، وإذا بزُحَل قد أقبل من بعيد، فقال آبن الصاحب للحلاوى(٢): أعطنى الدراهم، مابَقِىَ لى حاجةٌ بالحَلْوَى، فقال: لِمَ؟ قال: أما ترى زُحل قارن المُشْتَرِى فى الميزان! وله من هذا أشياءُ كثيرة ذكرنا منها نبذة فى ترجمته فى تاريخنا «المنهل الصافى» . ومن شعره :

يانفسُ مِيلى إلى التَّصابِى * فاللَّهوُ منه الفتَى يعيشُ
ولا تَمَلِّى من سُكْرِ يومٍ * إن أعوز الخمرُ فالحشيشُ

وله فى المعنى :

فى خُمَار الحشيش مَعنى مَرامِى * يا أُهَيْلَ العقولِ والأفهامِ
حَرَّموها من غير عَقْلٍ ونَقْلٍ * وحرامٌ تحريمُ غير الحَرَامِ

قلت : وأحسن ماقيل فى هذا المعنى قول القائل ولم أدرِ لمَنْ هو :

وخضراء ما الحمراءُ تفعل فعلَها * لها وَثَبَاتٌ فى الحشى وَثَباتُ
تُؤجِّجُ نارًا فى الحشى وهى جَنّةٌ * وتُرْوِى مَرِيرَ الطَّعْم وهى نَباتُ

---

(١) زيادة عن المنهل الصافى والوافى بالوفيات . (٢) يريد بائع الحلوى .

وفيها تُوُفِّى الشيخ الأديب البارع المفتّن شمس الدين محمد بن عَفِيف الدين سليمان آبن على التِّلِمْسَانِىّ الشاعر المشهور، كان شابًّا فاضلًا ظريفًا، وشعره فى غاية الحسن والجَوْدة . وديوان شعره مشهورٌ بأيدى الناس، ومن شعره :

ياساكنًا قلبى المُعَنَّى * وليس فيه سِواك ثانى
لأىّ معنًى كسرتَ قلبى * وما آلتقى فيه ساكنان

وله فى ذمّ الحشيش :

ما للحشيشة فضلٌ عند آكلها * لكنه غير مصروف إلى رَشَدِه
صفراءُ فى وجهه خضراءُ فى فِمِهِ * حمراءُ فى عينه سوداءُ فى كَبِده

وله أيضًا :

لى من هواك بعيدُه وقريبُهُ * ولَكَ الجمالُ بديعُه وغريبُهُ
يامَن أُعِيذُ جمالَه بجَلالِه * حَذَرًا عليه من العُيون تُصيبُهُ
إن لم تكن عينى فإنّك نُورُها * أو لم تكن قلبى فإنت حبيبُهُ
هل رحمةٌ أو حُرْمةٌ لمُتيَّمٍ * قد قلّ منك نصيرُه ونَصيبُهُ
أَلِفَ القصائد فى هواك تَغزُّلًا * حتّى كأنّ بك النسيبَ نَسيبُهُ
لم تُبقِ لى سِرًّا أقولُ تُذيعُهُ * عنِّى ولا قلبًا أقول تُذيبُهُ(١)
كم ليلةٍ قَضَّيتُها متسهِّدًا * والدمع يجرحُ مُقلَتِى مَسْكُوبُهُ
والنجم أقربُ من لِقاكَ مَنالُهُ * عندى وأبعدُ من رضاك مَغيبُهُ
والجوّ قد رَقّتْ علىّ شِمالُهُ(٢) * وجُفُونُهُ وشَمالُه وجَنوبُهُ

(١) فى أحد الأصلين : « تريبه » .
(٢) هذه رواية الديوان : وفى الأصلين :
والجو قد رقت على شماله * وجنوبه وشماله وجنوبه

هى مُقلَةٌ سَهْمُ الفِراقِ يُصِيبُها * ويَسُحُّ وابلُ دمعها فيَصُوبُهُ
وجوًى تضَرَّمَ جَمْرُه لولا نَدَى * قاضى القضاة قضى علىّ لَهِيبُــه

وله :

أنجلتَ بالثغر ثنايا الأقاح * ياطُرَّةَ الليـل ووجهَ الصباحْ
وأعجمتْ أعينُك السِّحرَ مُذْ * أعربْتَ(١) منهن صِفَاحًا فصاحْ
فيالها سُودًا مِرَاضًا غدَتْ * تَسُلُّ للعاشقِ بيضًا صِحَاحْ
يَالَلْهَوَى مَنْ مُسْعِدٌ مُغرَمًا * رأى حَمَامَ الأيْك غَنّى فناح(٢)
يا بانةً مالت بأعطافـه * علّمتِنى كيف تُهَزُّ الرِّماح
وأنتِ يا أسهمَ ألحاظِه * أثخنتِ والله فؤادى جِراح

الذين ذكر الذهبى وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفّى كمال الدين أحمد آبن يوسف بن نصر الفاضلىّ . والمفتى فخر الدين عبد الرحمن بن يوسف البعلبكّىّ الحنبلى فى رجب . ورئيس الشهود زَيْن الدين المهذب آبن أبى الغنائم التَّنُوخىّ . والعلّامة شمس الدين الأصبهانِىّ الأُصولى محمد بن محمود بالقاهرة فى رجب . والمقرئ تقىّ الدين يعقوب بن بَدْرَان(٣) الجرائِدِىّ بالقاهرة فى شعبان . والمُسْنِدة العابدة زينب بنت مَكّىّ فى شوّال ، ولها أربعٌ وتسعون سنة . والعماد أحمد آبن الشيخ العماد إبراهيم ابن عبدالواحد المَقْدِسىّ . والإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الكمال عبد الرحيم ابن عبد الواحد(٤) المَقْدِسىّ فى جُمادى الأولى .

(١) رواية الأصلين : * أعرب منهن صفاح فصاح * وما أثبتناه عن ديوانه . (٢) فى الأصل : « ... غنى نصاح » . وما أثبتناه عن ديوانه .
(٣) لم يذكر أحد الأصلين هذا الاسم ، وذكره الأصل الآخر باسم : « محمود بن يعقوب بن بدر الدين » . وهو خطأ . وصوابه عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وغاية النهاية وحسن المحاضرة للسيوطى والوافى بالوفيات للصفدى . (٤) فى الأصلين : «بن عبد الله» . والتصحيح عن شذرات الذهب وتاريخ الإسلام والمنهل الصافى والوافى بالوفيات .

§ أمر النيل في هذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وعشر أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع .



السنة الثانية عشرة من ولاية السلطان الملك المنصور قلاوون على مصر، وهى سنة تسع وثمانين وستمائة .

فيها كانت وَفَاة صاحب الترجمة الملك المنصور قلاوون في ذى القعدة حسب ما تقدّم ذكره، وتسلطن بعده آبنه الملك الأشرف خليل .

وفيها تُوُفّى الشيخ الإمام أبو المعالى برهان الدين أحمد بن ناصر بن طاهر الحُسَيْنِىّ الحنفىّ إمام المقصورة الحنفية الشمالية بجامع دِمَشق، كان إماما عالمـا فاضلا زاهدا صالحًا مُتَعَبِّدًا مُفْتِنًا مشتغلًا بما هو فيه من الاشتغال بالعلم والأوراد والقراءة إلى أن مات في يوم السبت ثانى عشرين شوّال ، وتَوَلّى بعــده الإمامة الشيخ نجم الدين يعقوب البروكارى(١) الحنفىّ، وسلك مَسْلَكه .

وفيها تُوُفّى الأمير حسام الدين أبو ســعيد طُرُنْطَاى بن عبـد الله المنصورىّ الأمير الكبير، كان أوحد أهــل عصره، كان عظيم دولة أستاذه الملك المنصــور قلاوون ، وكان المنصور قد جعله نائبَه بسائر الممالك ، وكان هو المتصرِّف في مملكته. فلمّا مات الملك المنصور قلاوون وتسلطن ولده الملك الأشرف خليل آستنابه أيّاما إلى أن رَتّب أموره ودبّره ودبّر أحوالَه ، وكان عظيم التنفيذ ســديدَ الرأى ، مُفْرِط الذكاء غزيرَ العقل؛ فلمّا رَسَخَت قَدَمُ الأشرف في السلطنة أمسكه ، وكان في نفسه

(١) كذا في أحد الأصلين . وفي الأصل الآخر هكذا : « البروحارى » وقد أطلنا البحث عن كلتا النسبتين في المعاجم التى تحت يدنا فلم نعثر على شيء يقربنا إلى وجه الصواب فيهما .

منه أيّام والده ، وبَسَط عليه العذابَ إلى أن مات شهيدًا وصَبَر على العذاب صَبْرًا لم يَعهد مثلَه عصر إلى أن هَلَك ، ولـمّا غَسّلوه وجدوه قد تهرّأ لحمُه وتزايلت أعضاؤه ، وأنّ جوفَه كان مشقوقا ، كلّ ذلك ولم يُسمع منه كلمةٌ . وكان بينه وبين الأمير علم الدين سَنْجَر الشُّجاعِيّ عداوةٌ على الرُّتبة ، فسلّمه الأشرف إلى الشُّجاعِيّ وأمره بتعذيبه ، فبسَط الشجاعيُّ عليـه العذاب أنواعًا إلى أن مات ، فحُمِل إلى زاوية الشيخ عمر السُّعودِيّ (١) ، فغسّلوه وكفّنوه ودفنوه بظاهر الزاوية . وكان له مواقف مع العدوّ ، وغَزَوَات مشهورة وفتوحات . وبنى مدرسةً حسنةً بقرب داره بخُط البُنْدُقانيِّين (٢) بالقاهرة ، وقُبّةً برسم الدفن ، وله أوقاف على الأَسْرَى وغيرها . وكان فيـه محاسن لولا شُحّه وبذاءةُ لسانه لكان أوحدَ أهل زمانه ، وخَلّف أموالًا جَمّة .

---

(١) زاوية الشيخ عمر السعودى ، لما تكلم المقريزى على المدرسة الحسامية فى (ص ٣٨٦ ج ٢) من خططه ، قال فى ترجمة الأمير حسام الدين طرنطاى المنصورى : إن الملك الأشرف خليل بن قلاوون أمر بقتله فقتل يوم الخميس ٢٤ ذى القعدة سـنة ٦٨٩ هـ ، ثم أخرجت جثته من قلعة الجبل حيث لفت فى حصير وحملت إلى زاوية شيخ أبى السعود بن أبى العشائر بالقرافة فغسله الشيخ عمر السعودى شيخ الزاوية وكفنه ودفنه خارج الزاوية ، وبقيت جثته هنـاك إلى سلطنة العـادل كتبغا ، فأمر بنقـل جثة طرنطاى إلى تربته التى أنشأها بمدرسته الحسامية بخط المسطاح من حارة الوزيرية من القاهرة .

وأقول : تكلم ابن الزيات فى كتابه الكواكب السيارة (ص ٣١٦) وما بعدها على زاوية الشيخ أبى السعود ابن أبى العشائر ، وعلى قبر الشيخ سلامة المعروف بأبى طرطور ، وعلى زاوية الشيخ عبد الله محمد المعروف بوفا الشاذلى . ويستفاد مما ذكره ابن الزيات أن هذه الأماكن الثلاثة قريب بعضها من بعض ويجمعها اليوم جبانة سيدى على أبى الوفا الواقعة تحت الجبل شرقى جبانة الإمام الليث وبالبحث والمعاينة تبين أن زاوية الشيخ أبى السعود التى دفن بجوارها الأمير طرنطاى قد اندثرت . ومكانها اليوم مقابر واقعة غربى طريق الجبانة المذكورة فى الشمال الغربى لمقام الشيخ سلامة أبى طرطور وعلى بعد سبعين مترا منه . وأما المدرسة الحسامية التى أنشأها الأمير طرنطاى المذكور فى سنة ٦٨٤ هـ فمكانها اليوم المسجد المعروف بجامع أبى الفضل بحارة الصاوى من درب سـعادة بالقاهرة . ولا يزال يوجد بجوار هـذا الجامع قبـة أثرية تحتها قبر الأمير طرنطاى الذى دفن فيه بعد نقل جثته من القرافة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٢ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

قال الشيخ قُطْب الدين اليُونِينِيّ قال الشيخ تاج الدين الفَزَارِي[1] : حدّثني تاج الدين بن الشِّيرَازِي[2] المحتسب : أنّهم وجدوا في خزانة طُرُنْطَاي من الذهب العَيْن ألفي ألف دينار وأربعمائة ألف دينار وألفي حِياصةٍ ذهب وألف وسبعمائة كَلّوته[3] مُزَرْكشة، ومن الدراهم ما لا يُحْصَى؛ فآستولى الأشرف خليل على ذلك كلّه، وفرّقه على الأمراء والمماليك في أَيْسر مدّة؛ وآحتاج أولاد طُرُنْطَاي هذا وعِيالُه من بعده إلى الطلب من الناس من الفقر.

وقال غيره : وُجِد لطُرُنْطاي ألف ألف دينار وستمائة ألف دينار. ثم ذكر أنواع الأقمشة والخيول والجمال والبِغال والمتاجر ما يُسْتَحَى من ذكره كثرةً. ومات طُرُنْطاي المذكور ولم يَبْلُغ خمسين سنة من العُمر.

وفيها تُوُفّي الأمير علاء الدين طَيْبَرْس بن عبد الله الصالحيّ المعروف بالوزيريّ، كان أحد الأمراء المشهورين بالشجاعة والإقدام، وكان من المبرّزين وله التقدّم في الدول والوجاهة، ولم يزل على ذلك إلى أن مات، رحمه الله تعالى.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها تُوُفّي العلّامة رشيد الدين عمر بن إسماعيل الفَارِقي خُنِقَ في المحرّم وقد كمّل التسعين. والإمام نور الدين علي آبن ظهير بن شهاب بن الكفتي المقرئ الزاهد في شهر ربيع الآخر. وقاضي الحنابلة نجم الدين أحمد آبن الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر في جُمادى الأولى،

(١) هو تاج الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزاري الإمام العلامة فقيه الشام سيذكره المؤلف سنة ٦٩٠ هـ. (٢) هو تاج الدين أحمد بن العماد بن الشيرازي توفي سنة ٧١٢ هـ كما في شذرات الذهب ولم نعثر على ترجمة له في بقية المصادر التي تحت يدنا. (٣) عبارة عيون التواريخ : «إن جملة ما أخذ من الذهب العين ستمائة ألف دينار مصرية ومن الفضة النقرة مائة وواحد وسبعون قنطارا بالمصري، وأخذوا له من العدد والسلاح والقماش والأواني الصيني والفضيات شيء كثير وحوائص وسروج ولجم ما لا يوجد عند ملك».

وله ثمان وثلاثون سنة . وخطيب دمشق جمال الدين عبد الكافى بن عبـد الملك ابن عبد الكافى الربعى فى سَلْخ جُمادى الأولى . والزاهد فخر الدين أبو طاهر إسماعيل عزّ القضاة بن علىّ بن محمد[1] الصوفىّ فى رمضان . والشيخ شمس الدين عبد الرحمن ابن الزّيْن أحمـد بن عبد الملك المقدسى فى ذى القعدة . والسلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الأَلْفِىّ الصالحىّ فى ذى القعدة .

§ أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القديم ثلاث أذرع و إصبعان . مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا ، ولم يوفّ فى هذه السنة .

* * *

انتهى الجزء السابع من النجوم الزاهرة و يليه الجزء الثامن ،

وأوله : ذكر ولاية الملك الأشرف خليل على مصر

(١) فى الأصلين : « ابن محمود » . وتصحيحه عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب والمنهل الصافى .

استدراكات على بعض تعليقات وردت فى الجزأين الرابع والخامس من هذا الكتاب، لحضرة الأستاذ محمد رمزى بك

قنطرة عبد العزيز بن مروان

بما أن الشرح الخاص بتعيين موقع هذه القنطرة المدرج فى صفحة ٤٤ بالجزء الرابع من هذه الطبعة جاء غير وافٍ فيستبدل به الشرح الآتى :

لما تكلم المقريزى على ظواهر القاهرة المعزية (ص ١٠٨ ج ٢) قال : كان أوّل الخليج الكبير عند وضع القاهرة بجانب خط السبع سقايات وكان ما بين هذا الخط و بين المعاريج بمدينة مصر (مصر القديمة) غامرا بماء النيل .

ولما تكلم على قناطر الخليج الكبير (ص ١٤٦ ج ٢) قال : ان قنطرة ابن مروان كانت فى طرف الفسطاط بالحمراء القصوى بناها عبد العزيز بن مروان والى مصر فى سنة ٦٩ ﻫ . وموضعها خلف السبع سقايات على فم الخليج الكبير وكان المرور على هذه القنطرة بين الحمراء القصوى وجنان الزهرى .

ولما تكلم على حكر أقبغا (ص ١١٦ ج ٢) قال : وفى هذا الحكر تقع قنطرة عبد العزيز بن مروان .

وقد تبيّن لى من البحث : (أوّلا) أن خط السبع سقايات هو الذى عرف فيما بعد بحكر أقبغا أى أن مكانهما واحد، وفقط آختلفت التسمية باختلاف الزمن والمناسبات . (ثانيا) أن حكر أقبغا مكانه اليوم المنطقة التى فيها حارة السيدة زينب وفروعها وجنينة لاظ وشوارعها . (ثالثا) أن النيل كان يجرى وقت فتح العرب لمصر فى الجهة الغربية من جنينة لاظ حيث الطريق المسماة شارع بنى الأزرق وما فى آمتداده جنوبا وشمالا . (رابعا) أن فم الخليج المصرى كان فى ذلك الوقت واقعا حذاء مدخل الشارع المذكور من جهة شارع الخليج .

ومما ذكر يتضح أن قنطرة عبد العزيز بن مروان التى كانت على فم الخليج الكبير مكانها اليوم النقطة الواقعة بشارع الخليج المصرى تجاه مدخل حارة حكر أقبغا بأرض جنينة لاظ التى هى جزء من حكر أقبغا ، وهذا الخط هو الجزء الشمالى من الحمراء القصوى ويقابله على الشاطئ الأيسر للخليج أرض جنان الزهرى حيث خط الناصرية الآن وما فى آمتداده إلى شارع غيط العدة .

بستان الخشاب

بما أن الشرح الخاص بتحديد هذا البستان المدرج فى صفحة ٤٤ بالجزء الرابع من هذه الطبعة جاء غير واف فيستبدل به الشرح الآتى :

تكلم المقريزى على هذا البستان فى جملة مواضع بالجزء الثانى من خططه فذكره عند الكلام على ظواهر القاهرة المعزية (ص ١٠٨) وعلى بر الخليج الغربى (ص ١١٣) وعلى الخليج الناصرى (ص ١٤٥) وعلى قنطرة السد (ص ١٤٦) وعلى قنطرة الفخر (ص ١٤٨) وعلى الميدان الناصرى (ص ٢٠٠) وعلى حكر الست حدق (ص ١١٦) ويستفاد مما ذكر فى المواضع المذكورة البيان الآتى :

(أولا) أن بستان الخشاب كان واقعا فى المنطقة التى تحدّ اليوم من الشمال بشوارع المبتديان ومضرب النشاب والبرجاس والجزء الغربى من شارع إسماعيل باشا إلى النيل . ومن الغرب نهر النيل . ومن الجنوب مستشفى قصر العينى وشارع بستان الفاضل وما فى آمتداده من الجهة الشرقية إلى شارع الخليج المصرى . ومن الشرق شارع الخليج المصرى وشارع سعد الدين إلى أن يتقابل مع الحد البحرى .

(ثانيا) أن هذا البستان كان منقسما إلى قسمين الشرقى منهما وهو الواقع بين شارع المنيرة وشارع الخليج المصرى وكان يعرف بالمريس حيث كان يسكنه طائفة من السودان وبه يتخذون المزر وهو نوع من البوظة يسميه أهل السودان المريسة ، والقسم الغربى وهو الواقع بين شارع المنيرة وشاطئ النيل كان يعرف

بالميدان الناصرى ، ومكانه اليوم خط القصر العالى المسمى « جاردن ستى » وكان بالجهة الجنوبية من هذا الميدان على شاطئ سيالة جزيرة الروضة عند كوبرى محمد على يوجد مواقع فم الخليج الناصرى وقنطرة الفخر وموردة الجبس وموردة البلاط .

أرض الطبّالة

بما أن الشرح الخاص بتحديد هذه الأرض المدرج فى صفحة ١٢ بالجزء الخامس من هذه الطبعة جاء غير واف بالنسبة للحد الغربى للأرض المذكورة فيستبدل به الشرح الآتى :

يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على جزيرة الفيل (ص ١٨٥ ج ٢) أن أرض الطبالة كانت ممتدّة إلى شاطئ النيل القديم تجاه جزيرة الفيل التى كانت وسط النيل ، ومكانها اليوم منطقة شبرا بالقاهرة. ومن هذا يتضح أن أرض الطبالة كانت واقعة فى المنطقة التى تحدّ اليوم من الشرق بشارع الخليج المصرى. ومن الشمال بشارع الظاهر فشارع وقف الخربوطلى وما فى امتداده حتى يتقابل بشارع مهمشة . ومن الغرب بشارع غمرة إلى محطة كوبرى الليمون فميدان محطة مصر إلى ميدان باب الحديد حيث كان النيل يجرى قديما . ومن الجنوب بشارع الفجالة وسكة الفجالة ويدخل فيها الآن محطة كوبرى الليمون والفجالة وبركة الرطلى . وباقى الشرح الوارد بالجزء الخامس صحيح .

*
* *

تنبيـــه : التعليقات الخاصة بالأماكن الأثرية على اختلاف أنواعها ، والمدن والقرى القديمة وغيرها مع تعيين وتحديد مواضعها هى من وضع حضرة الأستاذ محمد رمزى بك المفتش بوزارة المالية سابقا . فنسدى إليه جزيل الشكر ونسأل الله جلّت قدرته أن يجزيه خير الجزاء عن خدمته للعلم وأهله .

استدراكات على الجزء السادس من النجوم الزاهرة

نبّهنا إليها الأستاذ الشيخ محمد أحمد دهمان من علماء دمشق فنسدى إليه جزيل الشكر

(١) ورد فى ص ٣٥ س ١٥ : « تسلّم أصحابه مدينة غزة و بيت جبريل والماطرون» وذكرنا فى الحاشية رقم ٣ أن تصويبه الماطرون عن شرح القاموس ومعجم البلدان لياقوت . والصواب أنه النطرون بالنون ، لأن الماطرون آسم موضعين بالقرب من دمشق ، وفتوحات صلاح الدين كانت فى فلسطين ، كما فى سيرة صلاح الدين والروضتين وتاريخ أبى الفدا وتاريخ آبن الوردى فى حوادث سنة ٥٨٣ ﻫ .

(٢) ورد فى ص ٩٩ س ١١ و ١٢ : «و بنت تربة بقاسيون على نهر بردى» . وعلقنا عليه فى الحاشية رقم ٥ أن « بردى نهر بدمشق » . وصوابه : «و بنت تربة بقاسيون على نهر يزيد » ، لأنّ نهر بردى لا يمرّ بقاسيون، و إنما يمرّ به نهر يزيد . ولا تزال هذه التربة حتى اليوم على حافة نهر يزيد (راجع شذرات الذهب فى حوادث سنة ٥٨١ ﻫ) .

(٣) ورد فى ص ١٢١ س ٩ : « بمرج عدواء » . وعلقنا عليها فى الحاشية رقم ٩ نقلا عن آبن الأثير رواية أخرى : « أنه بمرج الريحان » . وصوابه : « بمرج عذراء » وهو مرج مشهور خارج دمشق قرب قرية يقال لها عذراء ، كما فى شرح القاموس مادّة « مرج » .

(٤) ورد فى ص ١٥٠ س ٥ : « وأما الأفضل فإنه سار إلى مصر فأرسل العادل وراءه أبا محمد نجيب الدين إليه بالزبدانى » . وعلقنا عليه فى الحاشية رقم ٢ بأن الزبدانى : نهر بدمشق . وصوابه : الزبدانى : كورة مشهورة معروفة بين دمشق و بعلبك (راجع تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل ومعجم البلدان لياقوت) .

(٥) ورد فى ص ٢١٨ س ١١ : «ودفن بقاسيون» . وعلقنا عليه فى الحاشية رقم ٣ بأن رواية الأصلين : « مات بقاسيون » وما أثبتناه عن شذرات الذهب وعقد الجمان . وتعتبر قاسيون مقبرة دمشق . والصواب فى ذلك أن قاسيون : جبل شمالى دمشق يطل عليها . وفى عصر نور الدين الأتابكى هاجرت طائفة من المقادسة هربا من إرهاق الصليبين لهم فسكنوا هذا الجبل و بنوا فيه دورا ومساجد فأصبح إحدى ضواحى دمشق التى لها مقبرة لا أنه مقبرة فقط فعليه تكون عبارة الأصلين صحيحة .

(٦) ورد فى ص ٢٤٠ س ١٦ : « فلما كان الغد أقبلت الأطلاب » وذكرنا فى الحاشية رقم ٦ أن الأطلاب : العساكر . ونزيد عليه أن الأطلاب لفظة استعملت فى كتب التاريخ من عصر نور الدين الأتابكى إلى آخر أيام دولة المماليك الشراكسة، ويراد بها فرق الجيش وكتائبه، والظاهر أنه مشتق من طلب الشيء إذا حاول أخذه فهو طالب وجمعه طلب وجمع الطلب أطلاب ، ويدلّ على ذلك ماجاء فى ص ٢٩٣ من هذا الجزء : «قطع التتار دجلة فى مائة طلب، كل طلب فى خمسمائة فارس » .

(٧) ورد فى ص ٢٦٦ ص ٤ : «ودُفِن بقرب الصليحية» . وذكرنا فى الحاشية رقم ١ رواية أخرى نقلا عن شذرات الذهب : « بقرب القليجية » . وصوابه ما ورد فى شذرات الذهب . والقليجية : مدرسة بدمشق معروفة، تنسب إلى قليج أرسلان .

(٨) ورد فى ص ٢٦٨ س ٤ فى الكلام على ترجمة الملك المعظم عيسى : « ودفن مع والدته فى القبة عند البـاب » وعلقنا على ذلك فى الحاشية رقم ١ نقلا عن ابن خلكان بأنه : نقل إلى تربته فى مدرسته التى أنشأها بظاهر دمشق على الشرف الأعلى مطلة على الميدان الأخضر الكبير » . وعلقنا أيضا فى الحاشية رقم ٢ نقلا عن ابن خلكان وشذرات الذهب أنه : « دفن خارج باب النصر أحد

أبواب دمشق فى مدرسة شمس الدولة » . وكلا التعليقين خطأ . وصوابه أن الملك المعظم عيسى دفن فى مدرسته التى أنشأها بصالحية دمشق . وبالرجوع إلى تاريخ ابن خلكان وجدناه بعد أن انتهى من ترجمة الملك المعظم عيسى يقول : « وتوفى عز الدين أيبك صاحب صرخد، إلى أن قال : ودفن خارج باب النصر فى مدرسة شمس الدولة وحضرت الصلاة عليه ودفنه ثم نقل إلى تربته فى مدرسته التى أنشأها بظاهر دمشق على الشرف الأعلى مطلة على الميدان الأخضر الكبير » . ولا يخفى أن هذا الكلام الذى أدمجه ابن خلكان فى ترجمة الملك المعظم عيسى على عز الدين أيبك (راجع ابن خلكان فى ترجمة الملك المعظم عيسى وشذرات الذهب فى حوادث سنة ٦٢٤ هـ) .

(٩) ورد فى ص ٣١٧ س ٣ « وإمام الربوة » وعلقنا على ذلك فى الحاشية رقم ٣ : «يريد ربوة دمشق وهى مغارة لطيفة الخ» . وصوابه : «وبالربوة مغارة لطيفة الخ» راجع نزهة الأنام فى محاسن الشام، نسخه مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٦٤٢ تاريخ) .

(١٠) ورد فى ص ٣٢٩ س ٧ . « ودام الحصار إلى أن قدم البادرانى للصلح » وذكرنا فى الحاشية رقم ١ أن البادرانى، نسبه إلى بادران قرية بأصبهان . وهو عز الدين رسول الخليفة، قدم للصلح بين الملك الصالح نجم الدين والحلبيين . وصوابه : « البادرائى » بالهمزة . وهو نجم الدين أبو محمد عبد الله بن أبى الوفاء الشافعى الفرضى الذى قدم من عند المستنصر للصلح . وقال السيوطى فى لب اللباب فى تحرير الأنساب «البادرائى» : نسبة إلى بادرايا، : قرية من عمل واسط » . وراجع شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٦٩ فى حوادث سنة ٦٥٥ هـ وتبصير المنتبه للعليمى .